

كتاب

الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابه الناس في الطبائع وذمهم

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يحيى بن هاشم الفسائي عن إسماعيل بن أبي خالد عن مُصعب بن سعد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم . قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان قال قال أبو الدرداء : «وجدتُ الناس أخبر تَقْلَهُ» .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا شريح بن النعمان عن المعاني بن عمر أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مرّ بقوم يتبعون رجلا قد أخذ في ريبه فقال : لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا في الشر .

قال وحدثني محمد بن داود قال ، حدثنا الصلت بن مسعود قال حدثنا عثمان ابن علي عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عبيدة أن الوليد السوائي قال : لفظ قوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : يا رسول الله لو نهيتمهم ! فقال : «لو نهيتمهم أن يأتوا الحجون لأتاه بعضهم ولو لم تكن له حاجة» .

١٥ (١) القيل البغض وهو من باب نصر وروى ورضى والهاء فيه للسكت اذا صله اخبر الناس تقلهم حذف الضمير وحل محله الهاء وقد روى برفع الناس على الحكاية كقوله : سمعت الناس يتبعون غيثا * البيت ومعناه وجدت : الناس مقول فيهم ذلك . وروى أيضا بنصبه ، وتقديره وجدت : الناس اخبر تقله أي وجدت الأمر كذلك ، وعلى كل حال فلفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر ، يريد أنك اذا خبرتهم قلوبهم ، وهو مثل يضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم .

قال وحَدَّثنا عن عَفَّانَ عن مَهْدِي بن ميمون عن غِيلان بن جرير قال قال مطرف:
 هم الناس وهم النَّسَّاسُ وناسٌ تُغْمِسُوا في ماءِ الناسِ .
 قال يونس بن عبيد : لو أمرنا بالجزع لَصَبَرْنَا .
 وكان يقال : لو نهي الناس عن فتِّ البعر لَفَتَّوه ، وقالوا : ما نهيْنَا عنه إلا وفيه
 شيء . وقال الشاعر

ولما أن أتيتُ بني جوين . جلوسًا ليس بينهم جليسُ
 يتستُّ من التي أقبلتُ أبغي . لديهم ، إني رجلٌ يشوسُ
 إذا ما قلتُ أيهمُ لأيُّ * تسابَّهتِ المناكبُ والرءوسُ
 ويقال : «لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما تباينوا فإذا تساوا هلكوا»^(١) .

وقال آخر

الناسُ أسوأُ وشيٌّ في الشِّمِّ * وكلُّهم يجمعهم بيتُ آدَمَ^(٢)

وقال آخر - يذكر قوما -

سواءُ كأَسنانِ الحمارِ ولا ترى * لذي شبيبةٍ منهم على ناشيءٍ فضلًا^(٣)

وقال آخر «سَوَاسِيَةٌ كأَسنانِ الحمارِ»^(٤)

وكان يقال «المرءُ تَوَاقُّ إلى ما لم يَنْلِ»^(٥)

والعجم تقول : كلُّ عنزٍ دخل تحت القدرة فهو ذليل .

(١) أورده الميداني في جمع الأمثال بلفظ «لن يزال الناس» الخ وساقه ابن الأثير في النهاية والمرضى في تاج العروس على أنه حديث وأورداه بلفظ «لا يزال الناس بخير ما تماضوا» الخ .
 (٢) رواه في اللسان : الناس أخفاف الخ ، والأخفاف الضروب المختلفة في الأخلاق والأشكال .
 (٣) كذا بالأصل . وفي اللسان «سواس» والبيت منسوب فيه لكثير .
 (٤) كذا بالأصول . وفي اللسان «فأ» . وفي جمع الأمثال «فلا» ، ولا يخفى أنَّ الفاء هنا أحسن موقعاً من الوار وأنسب للسياق .
 (٥) كلاهما مثل كما في جمع الأمثال ولسان العرب .

وقالوا : كلُّ مقدورٍ عليه مملولٌ محذورٌ :

وقال الشاعر

وزاده كلِّفًا بالحُبِّ أن منعت * أحبُّ شَيْءٌ إلى الإنسان ما مُنِعًا^(١)

وقال آخر

تَرَى النَّاسَ أَسْوَأَ إِذَا جَلَسُوا مَعًا * وَفِي النَّاسِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ
ويقالُ : النَّاسُ سَيْلٌ وَأَسْرَابٌ طَيْرٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

وقال طرفة

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَاتُهُ * لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاصِحَّةً
كُلُّهُمْ أَرْوَعٌ مِنْ ثَعْلَبٍ * مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

وقال آخر

١٠

فإنك لا يضرُّك بعد حَوْلٍ * أَطْبِيْ كَانِ أُمَّكَ أَمِ حِمَارُ
فقد لَحِقَ الْأَسْفَلُ بِالْأَعَالِي * وَمَا جِ اللَّوْمُ وَأَخْتَلَطَ النَّجَارُ
وعاد العبدُ مثلَ أَبِي قُبَيْسٍ * وَسِيقَ مَعَ الْمُعْلَهَجَةِ الْعِشَارُ^(٢)

يقول : سِيقَتِ الْإِبِلُ الْحَوَامِلُ فِي مَهْرِ اللَّثِيْمَةِ .

١٥

(١) كذا بالأصول . وفي لسان العرب في مادة «حب»

* وَحَبَّ شَيْئًا إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعًا *

وأصله حَبَّبَ بضم الباء ثم أسكنت وأدغمت في الثانية ، وما في قوله ما مُنِعًا في موضع الرفع بفتح .

(٢) وفي رواية حكاهما صاحب خزائن الأدب في ج ٣ ص ٢٣١ «الفند» بكسر الفاء وسكون النون

بدل العبد ، وفسره بأنه قطعة من الجبل طولاً ، وقيل الجبل العظيم . وأبو قبيس جبل بمكة والمراد به الرجل

٢٠

الشريف كما يراد بالفند الرجل الوضع .

(٣) المعلهجة : المرأة اللثيمة الأصل الفاسدة النسب . ورواه سيبويه في كتابه عن خدائش بن زهير

ج ١ ص ٢٢ * وصار مع المعلهجة العشار :

قال أبو محمد: بلغني عن إسماعيل بن محمد بن مجادة عن أبيه، قال: كنت عند الحسن فقال: أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا، صبيان حيارى ما لهم تفاقدا [عقولهم] (١) وقرأش نار وذيبان طمع .

وقال أبو حاتم عن الأصمعي: لو قسمت في الناس مائة ألف درهم كان أكثر للآثمي (٢) من لو أخذتها منهم .

ونحوه قول محمد بن الجهم: منع الجميع أرضي للجميع .

وقال ابن بشير

سوءة للناس كلهم * أنا في هذا من أولهم
لست تدري حين تنسبهم * أين أدناهم من أفضلهم

وقال نهار بن تويعة

عتبت على سلم فلما فقدته * وجربت أقواما بكيت على سلم
وهذا مثل قولهم: ما بكيت من زمان إلا بكيت عليه .

وقال الأحنف بن قيس

وما مر يوم أرتجى فيه راحة * فأخبره إلا بكيت على أميس

وقال آخر

ونعتب أحيانا عليه ولو مضى * لكنا على الباقي من الناس أعتبا

وقال آخر

سببنا ونحسبه بلينا * فأبدى الكير عن خبث الحديد

قال، وحدثني أبو حاتم، قال حدثني الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال:

لا يزال في الناس بقية ما تعجب من العجب .

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٧٧ (٢) في النسخة الصنوبرافية «أن» بدل من .

رجوع المتخلق الى طبعه

بلغنى أن أعرابيا ربي جرو ذئب حتى شب وظن أنه يكون أغنى عنه من الكلب وأقوى على الذب عن الماشية فلما قوى وثب على شاة فقتلها وأكل منها فقال الأعرابي

أَكَلْتُ شُؤْيِي وَرَبَيْتَ فِينَا * فَمَا أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ

وَيُرْوَى

* وُلِدَتْ بِقَفْرَةٍ وَنَشَأَتْ عِنْدِي *

إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعَ سُوءٍ * فَلَيْسَ بِنَافِعِ أَدَبِ الأَدِيبِ^(١)

وقال الخريمي

يَلَامُ أَبُو الفَضْلِ فِي جُودِهِ * وَهَلْ يَمْلِكُ البَحْرُ الأَلْيَفِيضَا

وقال أبو الأسد

وَلَأَمِيَّةٌ لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى * فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَقْدَحُ اللُّومُ فِي البَحْرِ
أَرَادَتْ لِتُنِي الفَيْضَ عَنِ عَادَةِ النَّدَى * وَمَنْ ذَا الَّذِي يَثْنِي السَّحَابَ عَنِ القَطْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * مَوَاقِعُ مَاءِ المُزْنِ فِي البَسَلِدِ القَفْرِ

وقال كثير

وَمَنْ يَبْتَدِعُ مَا لَيْسَ مِنْ سُوسٍ نَفْسِهِ^(٢) * يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيْمَهَا

وقال زهير

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ * وَإِنْ خَالَهَذَا تَحْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

(١) كذا في الأصول، وخطه يكون في البيت إقواء، وروى في حياة الحيوان ج ١ ص ٣١٢

* فليس بنافع فيها الأديب * وهذا يكون البيت سالما من هذا العيب .

(٢) الذي في اللسان : « مِنْ سُوسٍ » والخم الطيبة والأصل كالسوس .

وأشدني ابن الأعرابي لدى الإصبع العذواني
كل أمرئ راجع يوماً لشيئته * وإن تخلق أخلاقاً إلى حين
وقال آخر

إرجع إلى خُلقك المعروفِ ديدنه * إن التخلق يابى دونه الخلقُ
وقال كثير في خلاف هذا

وفي الحلم والإسلام للبرِّ وازع * وفي ترك أهواء الفؤاد المتيم
بصائرٍ رشيدٍ للفتى مستبينه * وأخلاقٌ صدقٍ علمها بالتعلم

ونحوه للتلخيص

تجاوز عن الأدنين وأسبق ودهم * ولن تستطيع الحلم حتى تحلماً

وقال الطائي

ليس الشجاعة إنها كانت له * قدماً نشوعاً في الصبا ولدوداً
بأساً قبيلياً وبأس تكريم * فينا وبأس قريحة مولوداً

وقال أبو جعفر الشطرنجي مولى المهدي في سواد

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في آوئيه قاعده
لا شك إذ لونك واحد * أنكما من طينة واحدة

وقال أبو نؤاس

تلقى الندى في غيره عرضاً * وتراه فيسه طبيعة أصلاً
وإذا قرنت بعاقلي أملاً * كانت نتيجة قوله فعلاً

وأشدها الريا شئ

لا تصحبن أمرءاً على حسب * إن رأيت الأحساب قد دخلت

(١) الذي في اللسان في مادة «حلم» وكتاب سيويه ج ٢ ص ٢٤٠ «تحل» .

(٢) الذي في الديوان «جر» بدل «فينا» .

مَالِكٌ مِنْ أَنْ يُقَالَ إِنَّ لَهُ * أَبَا كَرِيمًا فِي أُمَّةٍ سَلَقَتْ
بِلِأَصْحَابِنَهُ عَلَى طِبَائِعِهِ * فَكُلُّ نَفْسٍ تَجْرِي كَمَا طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس

إِنَّكَ لَمْ تَكُ كَأَبْنِ الشَّرِيدِ * وَلَكِنْ أَبُوكَ أَبُو سَالِمٍ
حَمَلْتَ المَيْمَنَ وَأَثْقَلَهَا * عَلَى أُذُنِي فُنْفِذِ رَازِمٍ
وَأَشْبَهْتَ جَدَّكَ شَرَّ الْجُدُو * دِوالِعِرْقٍ يَسِيرِي إِلَى النَّائِمِ

وقال بعض العبديين

وَمَا يَسْتَوِي المرءَانِ هَذَا ابْنُ حُرَّةٍ * وَهَذَا ابْنُ أُخْرَى ظَهَرَهَا مُتَشَرِّكٌ
وَأَدْرَكَهُ خَالَاتُهُ نَحَدَلْنَهُ * أَلَا إِنْ عِرْقِ السُّوءِ لَا بَدَّ يُدْرِكُ

باب الشيء يُفْرِطُ فَيَنْتَقِلُ إِلَى غير طبعه

قرأت في كتاب للهند : لا ينبغي اللجاجُ في إسقاط ذى الهمة والرأى وإذالته فإنه
إما شرسُ الطبع كالحية إن وُطِئَتْ فلم تَلْسَعْ لم يُغْتَرَبْهَا فَيَعَادَ لَوْطَمًا ، وإما سَجِحُ
الطبع كالصندل البارد إن أُفْرِطَ في حَكِّه عاد حارًا مؤذيًا . وقال أبو نواس
قُلْ لزهيرٍ إِذَا حَدَا وَشَدَا * أَقْلِيلٌ وَأَكْثَرُ فَاثَتْ مِهْدَارُ
سَخْنَتْ مِنْ شِدَّةِ البرودةِ حَتَّى صِرَتْ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي * كَذَلِكَ الشَّلْجُ بَارِدٌ حَارُ

ويقال : إنما مَلِجَ القِرْدُ عند الناس لإفراط قبعه . قال الطائي

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكُرِهِ مِنْ سَجِيَّتِهِ * وَالنَّارُ قَدْ تَنْضِي ^(١) مِنْ نَاضِرِ السَّلْمِ

(١) في الأصل «تتنضى» والتصويب عن الديوان .

أَمِنْ عَمَى نَزَلَ النَّاسُ الرَّبِّيَ فَنَجَّوْا * وَأَتَمُّ نَضْبٍ سَبِيلِ الْفِتْنَةِ الْعَرِيمِ
 أَمْ ذَاكَ مِنْ هِمِّمْ جَاشَتْ فِكْمِ ضَعْفَةٍ * حَذَا إِلَيْهِ غَلُّو الْقَوْمِ فِي الْهَمِّمْ
 وَكَانَ يُقَالُ : مِنْ التَّوْفَى تَرَكَ الْإِفْرَاطَ فِي التَّوْفَى

باب الحسد

٥ قال حدثنا اسحاق بن راهويه قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر بن إسماعيل بن أمية
 قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يسلم منهن أحد الطيرة والظن
 والحسد" قيل: فما المخرج من يارسول الله؟ قال: "إذا تطيرت فلا ترجع وإذا ظننت
 فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ". وقال بكر بن عبد الله: حصتكَ من الباغي حسنُ
 المكاشرة، وذنبتك إلى الحاسد دوامُ النعم من الله عليك، وقال روح بن زباب الجذامي:
 ١٠ كنتُ أرى قوماً دُونِي فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ يَدْخُلُونَ مَدَاخِلَ لَا أَدْخُلُهَا فَلَمَّا
 أَذْهَبْتُ عَنِّي الْحَسَدَ دَخَلْتُ حَيْثُ دَخَلُوا . وَقَالَ ابْنُ حُمَامٍ
 تَمَّتْ لِي الْمَوْتِ الْمَعْجَلُ خَالِدٌ * وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدَهُ

وقال الطائي

١٥ وإذا أراد الله نشر فضيلة * طويبت أتاح لها لسان حَسُودٍ
 لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العُودِ
 لولا التخوف للعواقب لم تزل * للحاسد النعمى على المحسودِ

وقال عبد الملك للحجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه فعب نفسك
 قال: أعفني يا أمير المؤمنين، قال: لتفعلن . قال: أنا لجوج حقود حَسُودٍ، قال عبد الملك:
 ما في الشيطان شرُّ مما ذكرت، قال بعض الحكماء: الحسدُ من تعادي الطبائع واختلاف
 ٢٠ التركيب وفساد مزاج البنية وضعف عقد العقل والحاسد طويبل الحسرات .

قال ابن المقفع : أقل ما لتارك الحسد في تركه أن يصيرف عن نفسه عذابا ليس
 بمُدْرِك به حظا ولا غائظ به عدوا ، فإنما لم تَرَ ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد ، طولُ
 أسفٍ ومخالفةُ كآبةٍ وشِدَّةُ تحرقٍ ، ولا يبرح زاريا على نعمة الله ولا يجد لها مزايا
 ويكدر على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعما ولا يزال ساخطا على من لا يرضاه
 ومتسخطا لما لن ينال فوقه ، فهو منغص المعيشة دائم السخطة محروم الطلبة ، لا بما قسم
 له يقنع ولا على ما لم يقسم له يغلب ، والمحسود يتقلب في فضل الله مباشرة للسرور
 متفتحا به ممهلا فيه الى مدة ولا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص .

قيل للحسن البصرى : أيجسد المؤمن أخاه ؟ قال : لا أبالك ، أنسيت إخوة
 يوسف . وكان يقال : إذا أردت أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمورك . ويقال :
 إذا أراد الله أن يسقط على عبده عدوا لا يرجه سبط عليه حاسدا . وقال العتيبي
 — وذكر ولده الذين ماتوا —

وحتى بكى لي حسادهم * وقد أقرحوا بالدموع العيوننا

وحسبك من حادثٍ بامرئٍ * يرى حاسديه له راحيتنا

قيل لسفيان بن معاوية : ما أسرع حسد الناس الى قومك ! فقال

١٥ إن العرايين تلقاها محسدة * ولا ترى لئام الناس حسادا

وقال آخر

وترى اللبيب محسدا لم يجترم * شتم الرجال وعرضه مشتم

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سمية * فالتقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قل لوجهها * حسدا وظلما إنه لذميم^(٢)

٢٠ (١) في النسخة الألمانية «أترعوا» . (٢) هكذا في النسخين بالذال المعجمة وهي رواية
 ثعلب ، قال صاحب اللسان : وقد رد ذلك عليه . والأصح رواية «إنه لذميم» بالذال المهملة .

وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدو مهين لا يدرك وثره إلا بالتنى . قيل لبعضهم :
 أئى الأعداء لأئحب أن يعود لك صديقا ؟ قال : من سبب عداوته النعمة . وقال
 الأحنف : لا صديق لملول ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مرونة لبخيل
 ولا سؤدد لسيئ الخلق . وقال معاوية : كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة
 فانه لأرضيه إلا زوالها . وقال الشاعر

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتَهَا * إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسِدٍ

وفى بعض الكتب يقول الله : الحاسدُ عدوٌ لِنِعْمَتِي مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي غَيْرُ رَاضٍ
 بِقِسْمِي بَيْنَ عِبَادِي . وكان يقال : قد طلبك من لا يقصر دون الظفر وحسدك من
 لا ينأى دون الشفاء . وخطب الحجاج يوما برستقباد بقول سويد بن أبي كاهل

كيف يرجون سقاطى بعدما * جلل الرأس بياض وصلع
 رب من انضجت غيظا صدره * قد تمنى لي موتا لم يطع
 ويرانى كالشجا فى حلقه * عسرا مخرجهُ ما ينترع
 مزيدا يططر ما لم يرى : فاذا أسمعته صوتي أنقمع
 لم يضرني غير أن يحسدني * فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع^(١)
 ويحييني إذا لاقيته : وإذا يخلوله لحي رتع
 قد كفاني الله ما فى نفسه * واذا ما يكف شيئا لا يضع^(٢)

وقال آخر

إِن تَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُكُمْ * قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا

(١) الضوع : طائريل .

(٢) كذا بالأصول . وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة * متى ما يكف شيئا لم يضع *

فَدَامَ لِي وَلَكُمْ مَا بِي وَمَا بِكُمْ * وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي تَجِدُونِي فِي حُلُوقِكُمْ * لَا أُرْتَقِي صُعْدًا فِيهَا وَلَا أَرِدُ

وقال بعضهم : الحسدُ أولُ ذنبِ عِصَى اللهِ به في السماء ، بنى حسدَ إبليسَ آدمَ ، وأولُ
ذنبِ عِصَى اللهِ به في الأرض ، يعنى حسدَ ابنِ آدمَ أخاه حتى تنله . وأنشدنى شيخٌ لنا عن
أبي زيد الأعرابيِّ

لَا تَقْبَلُ الرَّشْدَ وَلَا تَرَعُوهُ * ثَانِي رَأْسٍ كَأَبْنِ عَوَاءِ
حَسَدْتَنِي حِينَ أَفَدْتُ الْغِنَى * مَا كُنْتُ إِلَّا كَأَبْنِ حَوَاءِ
عَادَى أَخَاهُ مُحْرِمًا مُسْلِمًا * بَطْنِي فِي الصُّلْبِ نَجْلَاءِ
وَأَنْتَ تَقْلِبُنِي وَلَا ذَنْبَ لِي * لَكِنِّي حَمَلُ أَعْبَاءِ
مَنْ يَأْخُذُ النَّارَ بِأَطْرَافِهِ * يَنْضَعُ عَلَى النَّارِ مِنَ الْمَاءِ

مرَّ قيسُ بنُ زهيرٍ ببلادِ غَطَفَانَ فرأى ثروةً وجماعاتٍ وعدداً ففكره ذلك ، فقال
له الربيعُ بنُ زيادٍ : إنه يسوءُك ما يسرُّ الناسَ ! فقال له : يا أحنِ إنك لا تدري ، إن
مع الثروةِ والنعمةِ التحاسدَ والتخاذلَ ، وإن مع القلةِ التحاشدَ والتناصرَ .

قال الأصمعيُّ : رأيتُ أعرابياً قد أتتْ له مائةٌ وعشرون سنةً ، فقلتُ له :

ما أطولُ عمركَ ! فقال : تركتُ الحسدَ فبقيتُ . وقال زيدُ بنُ الحكمِ الثقفى

تَمَلَّاتُ مِنْ غِيظٍ عَلَى فِلمٍ يَزَلُ * بَكَ الْغِيظُ حَتَّى كَدَّتْ بِالْغِيظِ تَنْشَوِي
وَمَا يَرَحَّتْ نَفْسٌ حَسُودٌ حُشِيَّتِهَا * تُذِيْبُكَ حَتَّى قِيلَ هَلْ أَنْتَ مُكْتَوِي
وقال النطاسيونُ إنك مُشعرٌ * سَلَالًا الْأَبْلُ أَنْتَ مِنْ حَسَدٍ جَوِي

(١) في النسخة الألمانية : ما طول .

(٢) في الأصل «ذرى» والتصويب عن خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٤٩٧ و «جوى» من
الجوى وهو السل رداء في الصدر .

بدا منك غش طالك قد كتمته * كما كتمت داء ابنها أم مدوي
 جمعت وفحشا غيبة ونيمة * خلا لا ثلاثا لست عنها بموعوي
 وكان يقال : ستة لا يملون من الكآبة : رجل افتقر بعد غنى . وغنى يخاف على
 ماله التوى ، وحقود ، وحسود . وطالب مرتبة لا يبلغها قدره ، ومخالط الأدباء
 بغير أدب .

باب الغيبة والعيوب

قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا عبد الأعلى عن داود بن عطاء عن ابن خثيم^(٢)
 عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 «ألا أخبركم ببيرائكم» قالوا : بلى . قال : «من شراركم المشأون بالنيمة المفسدون بين
 الأحبة الباغون البراء العنت» .

قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
 الأجلح عن الشعبي قال : سمعت النعمان بن بسير يقول على المنبر : يا أيها الناس خذوا
 على أيدي سفهائكم ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن قوما ركبوا
 البحر في سفينة ، واقتسموها فأصاب كل واحد منهم مكان ، فأخذ رجل منهم الفأس
 فنقر مكانه ، فقالوا : ما تصنع ؟ فقال : مكاني أصنع به ما شئت ، فإن أخذوا على
 يديه نجوا ونجوا ، وإن تركوه غرقوا وغرق» .

بلغني عن حماد بن زيد عن ابن عون قال ، قال أبو الدرداء : ليس من يوم أصبح
 فيه لا يرميني الناس بداهية إلا كان نعمة من الله علي . وقال حسان : قلت شعرا
 لم أقل مثله

وإن امرأة أمسى وأصبح سالما * من الناس إلا ما جنى لسعيد

(١) في النسخة الفتوغرافية «ومخالطة» .

(٢) في الأصل : «الطاء» بالتحريك والتصويب عن تهذيب التهذيب .

وبلغني عن ابن عيينة قال، قال مسعر: ما نصحتُ أحداً قطُّ إلا وجدته يُفتشُ عن عيوبِي. وقال بعضهم: مَنْ عَابَ سَفِيلَةً فَقَدْ رَفَعَهُ، وَمَنْ عَابَ شَرِيفاً فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ. وقال، عمر بن الخطاب: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عِيُوبِي

أحمد بن يونس عن الفضيل أنه سمعه يقول: إن الفاحشة لتشيح في الدين آمنوا حتى إذا صارت إلى الصالحين صاروا لها خزائناً، قال وسمعتُه يقول أيضاً: حسناتك مِنْ عَدْوِكَ أَكْثَرُ مِنْهَا مِنْ صَدِيقِكَ، لأنَّ عَدْوَكَ إِذَا ذُكِرْتَ عِنْدَهُ يَغْتَابُكَ وَإِنَّمَا يَدْفَعُ إِلَيْكَ الْمِسْكِينَ حَسَنَاتِهِ

محمد بن عبد الله الأنصاري قال حدثنا ابن عون قال: مرَّ ابنُ سيرينَ بقومٍ فقام إليه رجل فقال: يا أبا بكرٍ إنا قد نلنا منك خلائناً، فقال: إني لا أُحِلُّ لك ما حرَّم الله عليك، فأما ما كان إلى فهو لك.

محمد بن مسلم الطائفي قال: جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: بلغني أنك نلت مني، فقال: نفسي أعزُّ عليّ من ذلك.

الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال: أخ لك كلمًا لقيك أخبرك بعيب فيك خير لك من أخ لك كلمًا لقيك وضع في كفك ديناراً.

شريك عن عقيل قال، قال الحسن: لا غيبة إلا لثلاثة، فاسق مجاهر بالفسق، وذي بدعة، وإمام جائر، وكان يُقال: [مَنْ آغْتَابَ] نَحَقٌ وَمِنْ آسْتَفْرَأَ اللهُ رَفَأً.

(١) كذا في الأصل، وفي اللسان نقلاً عن الجوهري: يقال: هو من السفلة ولا يقال: هو سفلة لأنه جمع والعامّة تقول: رجل سفلة من قوم سفيل. قال ابن الأثير: وليس بعربي. ثم أورد صاحب اللسان حكاية وقال: ظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سفلة.

(٢) في الأصول «سالم» والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٧ ويؤيده أن الموجود في كتب التراجم «محمد بن مسلم الطائفي» ولم يوجد في ما يسمى «محمد بن سالم» منسوب إلى الطائفي.

(٣) الزيادة عن لسان العرب في مادة «رفأ».

وفي بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا عَابَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ» . كان يقال : إِيَّاكَ وَمَا يُصِمُّ الْأُذْنَ . العتيبي قال : قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : كنت أسأير أبي ورجل يقع في رجل ، فالتفت إليّ أبي فقال : يَا بُنَيَّ نَزَّ سَمْعَكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَازِكِ نَزَّ لِسَانُكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ ، وَلَقَدْ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةٌ جَاهِلٍ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْيُهَا كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا .

فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ زَهْدَهُ فِي الدُّنْيَا وَفَقْهَهُ فِي الدِّينِ وَبَصَّرَهُ عِيُوبَهُ . قَالَ فَضَيْلٌ : وَرَبِّمَا قَالَ الرَّجُلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَوْ سَبَّحَانَ اللَّهَ فَأَخْشَى عَلَيْهِ النَّارَ ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ ، قَالَ : يُغْتَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُعْجِبُهُ ذَلِكَ فَيَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ ، إِنَّمَا مَوْضِعُ هَذَا أَنْ يَنْصَحَ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ .

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلَتَا تَغْتَابَانِ النَّاسَ ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ : «صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ لِهِنَّ وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا» . وَقَالَ حَمَادُ بْنُ سَامَةَ : مَا كُنْتُ تَقُولُهُ لِلرَّجُلِ وَهُوَ حَاضِرٌ فَقَلْتَهُ مِنْ خَلْفِهِ فَلَيْسَ بِغَيْبَةٍ .

عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلَّتْ عَلَى كَثْرَةِ عِيُوبِكَ بِمَا تُكْثِرُ مِنْ عَيْبِ النَّاسِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعِيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهَا مِنْهَا . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

وَأَجْرًا مَنْ رَأَيْتُ يَظْهَرُ غَيْبٌ ۖ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذَوُ الْعِيُوبِ

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٧ «عُيُوبٌ» .

وأُشِدَّ ابْنَ الْأَعْرَابِيَّ

اسْكُتْ وَلَا تَتَطَّقْ فَأَنْتَ خِيَابٌ ^(١) * كُكُّ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عِيَابٌ

وأُشِدُّنِي أَيْضًا

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحٍ أَبْجِيبٌ * وَأَبْنِ أَبٍ مُتَّهِمِ الْغَيْبِ

وَكُلِّ عِيَابٍ لَهُ مَنَظَرٌ * مُشْتَمِلِ الثَّوْبِ عَلَى الْعَيْبِ

وكان عتبة بن عبيد الرحمن يغتابُ الناسَ ولا يصبرُ، ثم ترك ذلك، فقيل له :
أتركتها؟ قال : نعم ، على أتي والله أحبُّ أن أسمعها .

أتى رجلٌ عمرو بن مَرثدٍ فسأله أن يكلمه له أمير المؤمنين ، فوعده أن يفعل ، فلما
قام قال بعضُ من حضر : إنه ليس مُستحِقًّا لما وعدته ، فقال عمرو : إن كنتَ
صدقتَ في وصفك إياه فقد كذبتَ في آدعائك مودتًا ، لأنه إن كان مُستحِقًّا كانت
اليُدُ موضعها ، وإن لم يكن مُستحِقًّا فما زدتَ على أن أعلمتنا أنك لنا بمغيبنا عنك مثل
الذي حضرتَ به من غاب من إخواننا .

وفي الحديث : "إِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّانَا" . قيل : كيف ذلك ؟ قال :
"لأنَّ الرجلَ يزني فيتوبُ ، فيتوبُ الله عليه ، وصاحبُ الغيبة لا يُغفرُ له حتى يَغْفِرَ له
صاحبها" ^(٢) .

قال رجلٌ للحسن : يا أبا سعيد إنِّي اغتبتُ رجلاً وأريدُ أن أستحله ، فقال له :
لم يكفِكَ أن اغتبتَه حتى أردتَ أن تبته . اغتابَ رجلٌ رجلاً عند قتيبة بن مسلم
فقال له قتيبة : أمسك أيها الرجل ، فوالله لقد تلمظتَ بمُضغية طالما لفظها الكرامُ .

(١) في النسخ اتى بأيدينا « حباب » بالخاء المهملة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان
فانه ذكر هذا البيت في مادتي « حباب » و « ساب » وقال في تفسير « حباب » — بعد أن ذكر أن
الخياب القُدح الذي لا يُورى — : يجوز أن يكون فعلاً من الخيبة ويجوز أن يُعنى به أنه مثل هذا القُدح
الذي لا يُورى . (٢) في الإحياء ج ٣ ص ٩٩ « صاحبها » .

مر رجلٌ يجارني له ومعه ربيبةٌ، فقال أحدهما لصاحبه: أفهمت مامعه من الربيبة؟
فقال الآخر: غلامي حُر لوجه الله شكراً له إذ لم يعرفني من الشر ما عرفك .

(١)
شعبة عن يحيى بن الحصين عن طارق قال: دار بين سعد بن أبي وقاص وبين
خالد بن الوليد كلامٌ، فذهب رجلٌ ليقع في خالدٍ عند سعدٍ. فقال سعدٌ: مه إن
ما بيننا لم يبلغ ديننا . أى عداوةٌ وشرٌ . وقال الشاعر

ولستُ بذي نربٍ في الكرام * ومناعَ خيرٍ وسبأها
ولا من إذا كان في جانب * أضاع العشيـرةَ وأغتابها
ولكن أطاوعُ ساداتها * ولا أتعلمُ ألقابها

وقال آخرُ

لا يأملُ الجارُ خيراً من جوارهم * ولا محالةً من هزءٍ وألقاب

وقال الفرزدقُ

تصرمُ مني ودٌ بكـرٍ بنِ وائلٍ * وما خلتُ عنى ودهمٌ يتصرمُ
قوارضُ تأتيني ويحتقرونها * وقد يملأُ القطرُ الإناءَ فيفعمُ

أنشد أبو سعيد الضريـر لبعـض الضبيـن

ألا ربَّ من يغتابني ودَّ أنتي * أبوه الذي يدعى إليه وينسبُ
على ريشةٍ من أمه أولغيةٍ * فيغلبها فحلُّ على النسلِ منجيبُ
فياخيرٍ لا بالشرِّ فاطلبُ مودتي * وأى أمرئٍ يفتالُ منه الترهيبُ

(١) في الأصول « حصين » بدون أل . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا في الأصول . وفي اللسان « في الصديق » . ثم قال ابن بري : وصواب أشاده

ولست بذي نرب في الكلام * ومناع قومى وسبأها

واظن اللسان في مادة « نرب » .

وقال آخر في نحوه :

ولما عصيت العاذلين ولم أبل * ملامتهم ألقوا على غاربي حبلي^(١)
وهازيتني مني تود لو آبنها * على شيتي أو أن قيمها مثلي

قيل لبرزجمهر : هل من أحد ليس فيه عيب؟ قال : لا، إن الذي لا عيب فيه
لا ينبغي أن يموت . وقال في مثل هذا موسى شهوات :

ليس فيما بدا لنا منك عيب * عابه الناس غير أنك فاني
أنت خير المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للإنسان

وقال أبو الاسود الدؤلي :

وترى الشقي إذا تكامل عيبه * يرمى ويقرف^(٢) بالذي لم يفعل

- ١٠ لقي بكر بن عبد الله أخاه فقال : إذا أردت أن تلقى من النعمة عليك أعظم منها
عليه وهو أشكر للنعمة لقيته ، وإذا شئت أن تلقى من أنت أعظم منه جرماً وهو أخوف
لله منك لقيته . أرايت لو صحبتك رجلان : أحدهما مهتوك لك ستره ولا يذنب ذنباً
إلا رأيت ولا يقول هجرًا إلا سمعته فانت تحبه على ذلك وتوافقه وتكره أن تفارقه ،
والآخر مستور عنك أمره غير أنك تظن به السوء فانت تبغضه ، أعدلت بينهما؟ قال :
- ١٥ لا ؛ قال : فهل مثلي ومثلك ومثل من أنت راء من الناس إلا كذلك ؟ إنا نعرف الحق
في الغيب من أنفسنا فنحبها على ذلك ، ونتظن الظنون على غيرنا فنبغضهم على ذلك .
ثم قال : أنزل الناس منك ثلاث منازل ، فاجعل من هو أكبر منك سناً بمنزلة أهلك ،
ومن هو تربك بمنزلة أخيك ، ومن هو دونك بمنزلة ولدك ، ثم انظر أي هؤلاء تحب
أن تهتك له سترًا أو تبدي له عورة !

٢٠ (١) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفوتوغرافية «رحل» . (٢) يقرف ، أى يعاب ويؤتم .

سعيد بن واقد المزني قال حدثنا صالح بن الصقر عن عبد الله بن زهير قال :
 وقد العلاء بن الحضرمي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "أتقرأ من القرآن شيئا؟"
 فقرأ "عبس" وزاد فيها من عنده : وهو الذي أخرج من الحلي ، نسمة تسعي ، من
 بين شراسيف وحشي ؛ فصاح به النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : "كف فإن
 السورة كافية" . ثم قال : "هل تروى من الشعر شيئا؟" فأنشده :

حَى ذَوَى الْأَضْمَانِ تَسْبِ قُلُوبِهِمْ * تَحِيَّتِكَ الْقُرْبَى فَقَدْ تُرْقِعُ النَّعْلُ
 وَإِنْ دَحَسُوا بِالْكَرِهِ فَأَعْفُ تَكْرُمًا * وَإِنْ خَنَسُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسَلْ
 فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاءُهُ * وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يُقَسَلْ

فقال النبي عليه السلام : "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمًا وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا" .

سروحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال رجل لبكر بن محمد بن علقمة : بلغني أنك
 تقع في ؛ [قال] (٤) : أنت إذا أكرم على من نفسى ! . وقال بعض الشعراء :
 لَا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا * فَيَكْشِفَ اللَّهُ سِتْرًا عَنْ مَسَاوِيكَ
 وَأَذْكَرَ تَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا * وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
 وقال أبو الدرداء : لا يُحْرِزُ الْإِنْسَانُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ إِلَّا قَبْرُهُ .

قال عمر بن عبد العزيز لمزاحيم مولاة : إن الولاية جعلوا العيون على العوام وأنا
 أجعلك عيني على نفسي ، فإن سمعت مني كلمة تريباً بي عنها أو فعلاً لا تُحبه فِعْظِي
 عنده وأنهي عنه .

العتبي قال : تنقص ابن لعامر بن عبد الله بن الزبير على بن أبي طالب عليه السلام ؛
 فقال له أبوه : لا تنقصه يا بني ، فإن بني مروان ما زالوا يشتمونه ستين سنة فلم

٢٠ (١) دحس بين القوم : أفسد بينهم . (٢) هكذا بالأصل . وفي اللسان في مادة دحس «بالشر» .
 (٣) خنسوا : أخفوا . (٤) زيادة من العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ يتوقف عليها سياق الكلام .
 (٥) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «لا تبتكن» ، وفيه أيضاً : «فبتك» بدل «فكشفت» .

يَزِدُهُ اللهُ إِلَّا رَفَعَةً ، وَإِنَّ الدِّينَ لَمْ يَبْنِ شَيْئًا فَهَدَمَتْهُ الدُّنْيَا ، وَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَبْنِ شَيْئًا إِلَّا عَادَتْ عَلَى مَا بَنَتْ فَهَدَمَتْهُ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَبُهَا عَنْ غِيَّهَا * فَإِذَا أَنْهَبْتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهِنَاكَ تُعَذِرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى * بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقَبَّلُ التَّعْلِيمُ
لَا تُشْهَرُ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ * عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وقال آخر :

وَيَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ * مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبٌ

وقال آخر :

لَكَ الْخَيْرُ ، لَمْ نَفْسًا عَلَيْكَ ذُنُوبُهَا * وَدَعَّ لَوْمَ نَفْسٍ مَا عَلَيْكَ تَلِيمٌ^(١)
وَكَيفَ تَرَى فِي عَيْنِ صَاحِبِكَ الْقَدَى * وَيَخْفَى قَدَى عَيْنِكَ وَهُوَ عَظِيمٌ

كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَرَمِّمِينَ لَا يَزَالُ يَعْيبُ النَّبِيذَ وَشَرَابَهُ فَإِذَا وَجَدَهُ سِرًّا شَرِبَهُ ، فَقَالَ

فِيهِ بَعْضُ جِيرَانِهِ :

وَعِيَابَةُ لِلشُّرْبِ لَوْ أَنَّ أُمَّه * تَبُولُ نَبِيذًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَيْلُهَا

قَالَ رَجُلٌ لِعَمْرُو بْنِ عَبِيدٍ : إِنِّي لَأَرْحَمُكَ مِمَّا تَقُولُ النَّاسُ فِيكَ ، قَالَ : أَقْسَمُنِي

أَقُولُ فِيهِمْ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : إِيَّاهُمْ فَارْحَمْ .

قَالَ أُعْرَابِيٌّ لِأَمْرَأَتِهِ :

وَإِنَّمَا هَلَكْتُ فَلَا تُنَكِّحِي * ظَلُمَ العَشِيرَةَ حَسَادَهَا

يَرَى بَجْدَهُ تَلْبَ أَعْرَاضِهَا * لَدَيْهِ وَيُنْغِضُ مَنْ سَادَهَا

(١) تليم : من ألام الرجل إذا أتى ذنبا يلام عليه .

(٢) من ترممت إذا توقفت في مجلسه ، ومنه الترميت كأمير ، أى الوفور الساكن القليل الكلام ، والزميت
كسكينة أقرمه .

باب السَّعَايَةِ

روى وكيع عن أبيه عن عطاء بن السائب قال : قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ فَلَقَيْنِي الشَّعْبِيُّ فَقَالَ : يَا أَبَا زَيْدٍ أَطْرِفْنَا مِمَّا سَمِعْتَ ؛ قُلْتُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَابِطٍ يَقُولُ : لَا يَسْكُنُ مَكَّةَ سَائِفُكَ دِيمٌ ، وَلَا آكَلُ رَبِّبًا ، وَلَا مَسَاءُ بَنِيمٍ ؛ فَعَجِبْتُ مِنْهُ حِينَ عَدَلَ النِّيمَةَ بِسَفِّكَ الدَّمَاءِ وَأَكَلِ الرَّبِّبِ ؛ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا ! وَهَلْ تُسَفِّكُ الدَّمَاءَ وَتُرَكِّبُ الْعِظَامَ إِلَّا بِالنِّيمَةِ !

عَاتِبَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَحْنَفُ بَنَ قَيْسِ بْنِ قَيْسٍ عَلَى شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَأَعْتَدَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ مِنْ ذَلِكَ وَدَفَعَهُ ؛ فَقَالَ مُصْعَبُ : أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الثَّقَةُ ؛ فَقَالَ الْأَحْنَفُ : كَلَّا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ الثَّقَةَ لَا يُبَلِّغُ . قَالَ الْأَعَشَى :

وَمَنْ يُطِيعُ الْوَأَشِيْنَ لَا يَتُرَكُّوْا لَهُ * صَدِيْقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيْبَ الْمُقْرَبًا

وَذَكَرَ السَّعَاةُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرِهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عِيْبِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أَبْغَضُ مَا يَكُونُونَ إِلَى اللَّهِ لَكَفَّاهُمْ .

سَعَى رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بِرَجُلٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : انصِرِفْ حَتَّى أَسْأَلَ عَمَّا ذَكَرْتَ ، وَبَعَثَ فِي الْمَسْأَلَةِ عَنِ السَّاعِي إِذَا هُوَ لِغَيْرِ أَبِيهِ الَّذِي يُدْعَى لَهُ ، فَقَالَ بِلَالٌ :

أَخْبَرْنَا أَبُو عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « السَّاعِي بِالنَّاسِ لِغَيْرِ رِشْدَةٍ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا الْوَأَشِي نَعَى يَوْمًا صَدِيْقًا * فَلَا تَدْعُ الصَّدِيْقَ لِقَوْلِ وَأَشِي

(١) هاتان الكلمتان (إلا أنهم) ليستا بالأصل ، وقد نقلناهما عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ، وفي الأصل « إلى الناس » .

(٣) يقال : هذا ولد يرشدة إذا كان لزراج صحيح ، وجاء هذا الحديث في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ولسان العرب في مادة «رشد» بلفظ «الساعي لغير رشدة» .

أتى رجلُ الوليد بن عبد الملك وهو على دِمَشقَ لابيهِ ، فقال : للأُميرِ عندي نصيحةٌ ؛ فقال : إن كانت لنا فأظهِرها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها ؛ قال : جارٍ لي عَصَى [وَقَرٌّ] ^(١) مِن بَعْتِهِ ؛ قال : أما أنت فتخبر أنك جارٌ سوء ، فإن شئت أرسلنا معك ، فإن كنت صادقاً أقصيناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت تاركناك ؛ قال : بل تاركني .

وقال عبدة بن الطبيب :

وَأَعْصُوا الَّذِي يُسَدِّي النِّمِيَّةَ بَيْنَكُمْ * مَنَّصَحًا وَهُوَ السِّمَامُ الْمُنْقَعُ ^(٣)
يُزِجِي عَقَّارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ * حَرْبًا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقَ الْأَخْدَعُ ^(٤)
حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ قُوَادِهِ * عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مَشْعَشَعُ ^(٥)
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشِبُّ صَبِيهِمْ * بَيْنَ الْقِبَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يَنْسَعُ ^(٦)
إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ خُلَانَكُمْ * يَشْفِي صُدَاعَ رُءُوسِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا ^(٧)
فَضَلَّتْ عَدَاوتُهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ * وَأَبَتْ ضَبَابٌ صُدُورَهُمْ لَا تَنْزِعُ ^(٨)
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ * حَدَجُوا قَنَافِدَ بِنِيمَةِ تَمْرَعُ ^(٩) ^(١٠) ^(١١)

(١) في النسخة الفتوغرافية «من يمه» وفي الألمانية «من يمه» . وما وضعناه والزيادة عن العقد الفردي ج ١ ص ٢٣٦ (٢) رواه صاحب المفضليات : يزجي النمام ، أي يسوقها .
(٣) رواه صاحب المفضليات : ذاك السام . (٤) الأخدع : عرق في العنق في موضع الجمجمة . (٥) مشعشع : مزوج . (٦) ينسع : يؤذى جيرانه ، وروى الشطر الأخير من هذا البيت في المفضليات هكذا : * بين القوايل بالعداوة ينسع *
ويُنسَعُ من نُسِعَ فلانٌ بكذا : أولع به . (٧) كذا في الأصل . وروى في المفضليات وشواهد "المسند إليه" من تلخيص المفتاح :

إن الذين ترونهم إخوانكم * يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا
(٨) الضباب جمع صب ، والمراد به : الغل المعن في الصدر إيمان الضب في حجره . (٩) دمس : اشتدت ظلمته . (١٠) حدجوا قنafd : رحلوا ، أراد أنهم يسهرون بالنميمة والاحتيال في الشركا يسهر القنفذ ، لأنه يسير ولا ينام ليله أجمع . كذا في شرح المفضليات . (١١) تمنع : تسرع .

وقال أبو ذؤيب الجعفي :

وقد قطع الواشون ما كان بيننا * ونحن إلى أن يوصل الحبل أحوج
رأوا عورة فاستقبلوها بالبيم^(١) * فراحوا على ما لا يُحب وأدبجسوا
وكانوا أناسا كنت آمن غيبهم * فلم ينههم حلم ولم يخرجوا

وقال بشر :

تشتي قربك الرباب وتخشى * عين وايش وتتي أسماء
أنت من قلبها محل شراب * تشتي شربه وتخشى صداعه

وقال أبو نواس :

كنت من الحب في ذرى نبي^(٢) * أرو^(٣) منه مراد موموق
حتى شاني عنه تتلخ^(٤) وا * ش كذبة لفها يترويق
جبت قفا ما تمته معتذرا * منه وقد فزت بعد تحريق^(٤)
كقول كسرى فيما تمثله * من فرص اللص صجة البوق

وقرأت في كتاب للهند: قلما يمنع القلب من القول إذا تردد عليه، فإن الماء ألين
من القول والحجر أصلب من القلب، وإذا انحدر عليه وطال ذلك أترفيه، وقد تقطع
الشجرة بالفؤوس فتنبت ويقطع اللحم بالسيوف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه،
والنصول تغيب في أجوف فتترع والقول إذا وصل إلى القلب لم ينزع، ولكل حريق
مطفى: للنار الماء، وللسم الدواء، وللحزن الصبر، وللعشق الفرقة، ونار الحقد لا تحب.

(١) بالهم : بهمهم . (٢) نبي : مرتفع .

(٣) في النسخة الفتوغرافية «فيه» .

(٤) في الأصلين ونسخي الديوان المطبوعة والمخطوطة * وقد فزت منه بعد تحريق * وما أبتناه
رواية في هامش النسخة الألمانية . وبها يستتم الوزن .

وقال طرفة بن العبد :

وتصدُّ عنك بحيلة الرجل الشعريِّض مَوْضِعُهُ عن العَظِيمِ
بِحَسَامِ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَالشُّكْمُ الْأَصِيلُ كَأَوْسَعِ الْكَلِمِ

ونحوه قوله :

* وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ إِلَّا بِرِدِّ

وقال امرؤ القيس :

* وَجَرَحُ اللِّسَانِ بِجَرَحِ اليَدِ *

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة؛ فقال لأصحابه : إنا شتمتم [تتحووا]؛ فلما
تهياً الرجل للكلام قال له : إياك وأن تمدحني فإني أعرف بنفسى منك ، أو تكذبني
فإنه لا رأي لكذوب ، أو تسعي بأحدٍ إلى ، وإن شئت أن أقبلك أقلتك ؛ قال : أقلني .

وقال ذو الرياستين : قبولُ السَّعَايةِ شرٌّ من السَّعَايةِ ، لأن السَّعَايةَ دِلَالَةٌ
وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وليس من دَلَّ على شَيْءٍ كَمَنْ قَبَلَ وَأَجَازَ ، فامْتَقِ السَّاعِيَ عَلَى سَعَايَةِ
وإن كان صادقاً للثَّوْمِ فِي هَتِكِ العُورَةِ وَإِضَاعَةِ الجُرْمَةِ ، وَعَاقِبَةُ إِنْ كَانَ كَاذِبًا لَجْمِهِ
بَيْنَ هَتِكِ العُورَةِ وَإِضَاعَةِ الجُرْمَةِ مُبَارَزَةٌ لِتِهٍ بِقَوْلِ البُهْتَانِ وَالزُّورِ .

وقال بعضُ المُحدِّثِينَ لعبد الصمد بن المُعَدَّلِ :

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوهُ * وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمُبْلَغُ

وقال رجلٌ للوليد بن عبد الملك : إن فلاناً شتمك ؛ فأكب ثم قال : أراه شتمك .
وأتى رجلٌ ابنَ عمرٍ فقال له : إن فلاناً شتمك ؛ فقال له : إني وأنحى عاصمًا لأَسَابُ أَحَدًا ،
عَوَانَةٌ قَالَ : كَانَ بَيْنَ حَاتِمِ طَيْئٍ وَبَيْنِ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ الطُّفِّ مَا يَكُونُ بَيْنَ آتَيْنِ ؛
فَقَالَ النِّعْمَانُ بْنُ الْمُنْدِرِ جُلُوسَاتِهِ : وَاللَّهِ لَا أُفْسِدَنَّ مَا بَيْنَهُمَا ؛ قَالُوا : لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ؛

(١) في كتاب الشعر والشعراء : « وترد » ، والعريض : الرجل الذي يتعرض الناس بالشر .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

قال : بلى فقلما جرت الرجال في شيء إلا بلغتته ؛ فدخل عليه أوس ؛ فقال : يا أوس ما الذي يقول حاتم ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول إنه أفضل منك وأشرف ؛ قال : أبيت اللعن ، صدق ! والله لو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لأنهبنا في مجلس واحد ، ثم خرج وهو يقول :

يقول لي النعمان لا من نصيحة * أرى حاتم في قوله متطاولا
له فوقنا باع كما قال حاتم * وما النصح فيما بيننا كان حاولا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثل مقاله لأوس ؛ قال : صدق ، أين عسى أن أقع من أوس ! له عشرة ذكور أحسنهم أفضل مني ، ثم خرج وهو يقول :

يسألني النعمان كي يسترني * وهيات لي أن أستضام فأصرعا
كفاني نقصا أن أضيم عشيرتي : يقول أرى في غيره متوسما

فقال النعمان : ما سمعتُ باكرم من هذين الرجلين .

ذكر يعقوب بن داود أيام كان مع المهدي أنه وافاه في يوم واحد ثمانون رقعة كلها سعاية ، منها ستون لأهل البصرة ، وعشرون لسائر البلاد .

وشى وائش برجل إلى الإسكندر ؛ فقال له : أتحب أن أقبل منك ما قلت فيه على أن تقبل منه ما قال فيك ؟ قال : لا ؛ قال : فكف عن الشريكف عنك الشر .

كتب بعض إخواننا من الكُتاب إلى عامل وكان سعي به إليه : لست أنفك فيما بيني وبينك من إحدى أربع : إما كنت محسنا وإنك كذلك فأربب ، أو مسينا ولست به فأبقي ، أو أكون ذا ذنب ولم أتعمد فتعمد ، أو مقروفا وقد تلحق به حيل الأشرار فثبت (ولا تطع كل حلاف مهين همار مشاء نيم)

باب الكذب والقحة

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا سليمان بن داود عن مسامة بن علقمة عن داود بن أبي هند عن شهر بن حوشب عن الزبير بن عوف عن النّوّاس بن سَمْعَانَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا يَصْلِحُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ الْحَرْبِ فَإِنهَا خُدْعَةٌ وَالرَّجُلُ يَصْلِحُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَالرَّجُلُ يُرِضِي أُمَّرَأَتَهُ» .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا بربر بن هارون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن الزهري عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَمْ يَكْذِبْ مَنْ قَالَ خَيْرًا وَأَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ» .

قال : حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا أبو داود عن عمران عن قتادة قال : قال أبو الأسود الدؤلي : إِذَا سَرَّكَ أَنْ تُكْذِبَ صَاحِبَكَ فَلَقِّنْهُ .

حدثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ قال : «نعم» قال : أَيْكُونُ بَخِيلًا ؟ قال : «نعم» قال : أَيْكُونُ كَذَّابًا ؟ قال : «لا» . قال حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : عاتب إنسان كذابا على الكذب ، فقال : يَا بَنَ أَخِي لَوْ تَغَرَّغْتَ بِهِ مَا صَبَرْتَ عَلَيْهِ . قال : وَقِيلَ لِكَذُوبٍ : أَصَدَقْتَ قَطُّ ؟ قال : أُرَاهُ أَنْ أَقُولَ لَا فَأُصَدِّقُ . وقال ابن عباس : الْحَدِيثُ حَدَّثَانِ : حَدَّثُ مِنْ فَيْكَ وَحَدَّثُ مِنْ فَرَجِكَ . وقال مديني : مَنْ تَقَلَّ عَلَى صَدِيقِهِ خَفٌّ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَمَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ . ومثله قول الشاعر :

(١) وفي رواية : «مواطن» . (٢) كذا في الأصول ولم تقف في كتب التراجم على من يسمى بربر

ابن هارون ، ولعله يزيد بن هارون ، وهو أحد الرواة عن سفيان بن حسين كما في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٠٨

(٣) تغرغرت به : ردده في حلقك .

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ * ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
مَقَالَةٌ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا * أَسْرَعُ مِنْ مُنْجِدٍ سَائِلٍ

بلغني عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: [كل] ما أصاب الصائم شوي^(٢)
ما خلا الغيبة والكذب. وقال سليمان بن سعد: لو صحبتني رجلٌ فقال: أشرتُ خصلةً
واحدة لا يزيد عليها، لقلتُ لا تكذبني. كان ابن عباس يقول: الكذبُ جُورٌ، والنميمة
سحرٌ، فمن كذب فقد فجر، ومن نم فقد سحر. وكان يقال: أسرع الاستماع وأبطئ التحقيق.
قال الأحنف: ما خان شريفٌ ولا كذب عاقلٌ ولا آغتاب مؤمنٌ. وكانوا يحلفون
فيحتشون ويقولون فلا يكذبون. ذم رجل رجلًا فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طبيعة^(١)
العقق^(٣) يعني السرقة، وروغان الثعلب يعني الخب، ولمعان البرق يعني الكذب. ويقال
الأذلاء أربعة: النمام والكذاب والمدين والفقير. قال ابن المقفع: لا تهاونن بإرسال
الكذبة في الهزل فإنها تُسرِعُ في إبطال الحق. وقال الأحنف: أشان لا يجتمعان أبداً:
الكذب والمروءة. وقالوا: من شريف الصدق أن صاحبه يُصدّق على عدوه. وقال
الأحنف لابنه: يا بُنيّ آتخذ الكذب كثرًا؛ أي لا تُخرجه. وقيل لأعرابي كان
يُسهب في حديثه: أما لحديثك هذا آخر؟ فقال: إذا أقطع وصلته. وقال ابن
عمر: «زعموا» زاملة الكذب. كان يقال: علة الكذب أقبج علة، وزلة المتوقى
أشدُّ زلة. كان المهلب كذاباً وكان يقال له: راح يكذب. وفيه يقول الشاعر

(١) الزيادة عن اللسان في مادة «شوي» . (٢) أي: شيء، يسير هين. وأصل الشوي الأطراف
ومعنى الحديث أن كل شيء أصابه الصائم هين لأنه بمنزلة الأطراف التي هي ليست مقاتل، ما عدا الغيبة
والكذب فإنهما في تأثيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان . (٣) العقق: طائر على قدر
الحماة وهو على شكل الغراب ويقال له: الققعق، والعرب تشاءم به وتضرب به المشل في السرقة
والخبانة والخبث . (٤) الزاملة: الدابة التي يحمل عليها، يريد أن لفظ «زعموا» مطبة الكذب
ومركبه .

(١) تبدلت المنابر من قريش * مزونياً بفتحته الصليب
فاصبح قافلاً كرم وجود * وأصبح قادمًا كذب وحب

قال رجل لأبي حنيفة : ما كذبت كذبة قط؛ قال : أما هذه فواحدة يشهد بها
عليك . قال ميمون بن ميمون : من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب
لم يجز صدقه . قال أبو حية الثميري - وكان كذابا - : عن علي ظبي فرمته فراغ عن سهمي
فعارضه والله السهم ، فراغ فراوغه السهم حتى صرعه ببعض الخبارات . وقال أيضا :
رميت ظبية فلما نفذ السهم ذكرت بالظبية حبيبة لي فشددت وراء السهم حتى
قبضت على قذذه . وصف أعرابي امرأة فقيل : ما بلغ من شدة حبك لها؟ قال : إني
لأذكرها وبنى وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها ريح المسك .

١٠ أنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك :

ثلاث وأثنتان فهن خمس * وسادسة تميل إلى شام
فيتن يمانبي مصرات * وبت أفض أغلاق الختام
كأن مفايق الرمان فيه * وبجر غضا قعدن عليه حامي

فقال له سليمان : ويحك يا فرزدق ، أحلت بنفسك العقوبة ، أقررت عندي بالزنا وأنا
إمام ولا بد لي من أن أحلك ؛ فقال الفرزدق : بأي شيء أوجبت علي ذلك؟ قال :
بكتاب الله ؛ قال : فإن كتاب الله هو الذي يدركني الحد ؛ قال : وأين؟ قال : في قوله :
(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَبْتَغُونَ وَأَنْهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)
فأنا قلت يا أمير المؤمنين ما لم أفعل ؛ وقول الشاعر :

وإنما الشاعر مجنون كلب * أكثر ما يأتي على فيه الكذب

٢٠ (١) كذا في لسان العرب في مادة «مزن» والذي في الأصل «المازل» .

(٢) في الأصل «الحيارات» وفي الأغاني «الجبانات» وفي البيان والتبيين «الجنارات» والتصويب عن
الشعر والشعراء لابن قتيبة . والخبارات جمع خبارة وهي ما لان وأسترى من الأرض وساخت فيها القوائم
وفي المثل «من تجنب الخبار أمن العثار» . (٣) القذذ جمع قذذة : ريش السهم .

وقال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ من البليَّةِ بهُضْ ما يُحْكِي عايه
مهما سمعتَ بِكُذْبَةٍ * مِنْ غيرِه نُسِبَتَ إليه

وقال بشار :

وَرَضِيْتُ من طُوبِ العنَاءِ بِبِأْسِهِ * واليأسُ أيسرُ من عِدَاتِ الكاذبِ

والعرب تقول : «أَكْذَبُ من سَالِئَةٍ»^(١) وهي تكذب مخافة العين على سمنها . و«أَكْذَبُ

من مُجَرَّبٍ» لأنه يخاف أن يُطَلَّبَ من هنائه . و«أَكْذَبُ من يَلْمَعِ» وهو السراب . منصور

ابن سامة الخزاعي قال حدثنا شبيب بن شذبة أبو معمر الخطيب قال : سمعت

ابن سيرين يقول : الكلام أوسع من أن يكذب ظريف . وقال في قول الله عز وجل :

(لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ) لم ينس ولكنها من معارض الكلام . وقال القيني : أَصْدُقُ

في صغار ما يضرني لِأَصْدَقَ في كبار ما ينفعني . وكان يقول : أنا رجل لا أبالي

ما استقبلت به الأحرار . نافر رجل من جرم رجلا من الأنصار الى رجل من قريش ،

فقال للجرمي : أيا جاهلية تُفأخره أم بالإسلام ؟ فقال : بالإسلام ، فقال : كيف تُفأخره وهم

آووا رسول الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلام ؟ قال الجرمي : فكيف تكون قلة الأحياء .

وقال آخر : إنما قويت على خصومي بأني لم أستتر قط بشيء من القبيح . وذكر أعرابي

رجلا فقال : لو دُقَّ وجهه بالحجارة لرضها ، ولو خلا بأستار الكعبة لسرقها . قيل لرجل

من بني أسد : بأي شيء غلبت الناس ؟ قال : أهبت الأحياء وأستشهد الموتى .

وقال طريح الثقي يذم قوما :

إِن يَعْلَمُوا الخَيْرَ يُخْفَوهُ وَإِن عَالَمُوا * شَرًّا أَذْيَعَ وَإِن لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا

(١) في جمع الأمثال "السائلة" بالتعريف ، وهي التي تسلا السمن أو تطبخه وتعالجه ، قال الميبداني

في جمع الأمثال : وكذبها أنها تقول : قد ارتجى ، قد احترق . والارتجان ألا يخلص منها .

(٢) الهناء : القطران .

وكان يقال : آثان لا يتفقان أبداً : القناعة والحسد، وآثان لا يفتقان أبداً : الحرص والقامة، وقال الشاعر :

إن يَحْلُوا أو يَغْدِرُوا * أو يَفْخَرُوا لا يَحْفَلُوا
يَغْدُوا عليك مَرَجِلِينَ كَأَنَّهُمْ لم يَفْعَلُوا^(١)
كأبي بَرَأَشِ كُلُّ لو : إن لَوْنُهُ يَتَّخِيْلُ^(٢)

هجا أبو الهول الحميري الفضل بن يحيى ثم أمناه راغبا إليه ، فقال له الفضل : ويملك بأبي وجه تلقاني ! قال : بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر؛ فضحك ووصله .

ومن أمثال العرب في الوقاح «رمتني بدائها وأنسلت» . وقال الشاعر :

أَكُوْلُ لِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ إِذَا شَتَا * صَبُورٌ عَلَى سُوءِ الثَّنَاءِ وَقَاحٌ^(٣)

- ١٠ قال رجل لقوم يغتابون ويكذبون : تَوَضُّؤُوا فَإِنَّ مَا تَقُولُونَ شَرٌّ مِنَ الْحَدِيثِ . وبلغني عن حماد بن زيد عن هشام عن محمد قال : قلت لعبيدة : ما يوجب الوضوء؟ قال : الحدت وأذى المسلم . روى الصلت بن دينار عن عتبة عن أنس بن مالك قال : بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة الى عمر؛ فسألني عن أحوال الناس ثم قال : كيف يصلح أهل بلد جمل أهله هذان الحيان : بكر بن وائل وبنو تميم ، كذب بكر وبنو تميم . ذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزيد البحرين فقال : البحر كثير العجائب ، وأهله أصحاب تزيد ، فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق ، وأدخلوا ما يكون فيما يكاد لا يكون ، وجعلوا تصديق الناس لهم في غريب الأحاديث سلماً الى أدعاء المحال .
- ١٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كان يقال : الصدق أحياناً محرم .

(١) بزم « يمدوا » لأنه بدل من « لا يحفلوا » فان غدرهم سرجلين هو في معنى أنهم لم يحفلوا . كذا يؤخذ من اللسان . وازترجيل : مشط الشعر وإرساله . (٢) أبو براقش : طائر يتلون ألوانا شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فاذا انتفش تغير لونه ألوانا ستي . كذا في اللسان . (٣) كما يستعمل الثناء في ذكر المرء بالخير يستعمل في ذكره بالشر .

حدثني شيخنا لنا عن أبي معاوية قال حدثنا أبو حنيفة عن معن بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود : ما كذبتُ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا كذبةً واحدةً ، كنتُ أرسلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بجاء رجلٍ من الطائف فقلت : هذا يغلبني على الرجال ؛ فقال : أيُّ الرجال أحبُّ إلى رسول الله ؟ فقلت : الطائفية المكيَّة ، فرحل بها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ رَحَلَ لَنَا هَذَا» فقالوا : الطائفية ؛ فقال : «مُرُوا عَبْدَ اللَّهِ فَلْيُرَحَلْ لَنَا» فعدتُ إلى الرجال .

باب سوء الخلق وسوء الجوار والسباب والشر

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خَصَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ سُوءُ الْخُلُقِ وَالْبُخْلُ» .

قال وحدثني أحمد بن الخليل عن أزهر بن جميل عن إسماعيل بن حكيم عن الفضل ابن عيسى عن محمد بن المنكدر عن جابر [قال] : قيل : يا رسول الله ما الشؤم ؟ قال : «سُوءُ الْخُلُقِ» .

قال وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ» .

قال وحدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : حدثني شيخ يمني قال : صحبَ أيوبَ رجلٌ في طريق مكة فأذاه الرجلُ بسوء خلقه ؛ فقال أيوبُ : إني لأرجمه لسوء خلقه .

- قال وحدثني عبدالرحمن عن الأصمعي قال : قال أبو الأسود : لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم . وأوصى بنيه فقال : لا تُجاودوا الله فإنه أجد وأجود ، ولو شاء أن يُوسّع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاج لفعّل ، فلا تَجهدوا أنفسكم في التوسّع فتَهلكوا هزلا . قال : وسمع رجلا يقول : من يُعشى الجائع؟ فقال : على به ، فعشاه ثم ذهب ليخرج ، فقال : أين تريد؟ قال : أريد أهلي ، قال : هيات ، على ألا تؤذي المسلمين الليلة ، ووضع في رجله الأدم حتى أصبح . قال : وأكل أعرابي معه تمرا فسقطت من يد الأعرابي ثمرة فأخذها وقال : لا أدعها للشيطان ، فقال أبو الأسود : لا والله ولا لجبريل . نظر ابن الزبير يوما الى رجل وقد دق في صدور أهل الشام ثلاثة أرماح فقال : اعتزل حربنا فإن بيت المال لا يقوم لهذا . وذكر أبو عبيدة أنه كان يأكل في كل سبعة أيام أكلة ويقول في خطبته : إنما بطني شبر في شبر وما عسى أن يكفيني . وقال أبو وبرة مولى آل الزبير :
- لو كان بطنك شبرا قد شبت وقد * أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
فإن تُصبتك من الأيام جائحة * لأنبك منك على دنيا ولا دين
- وفيها يقول :
- مازلت في سورة الأعراف تدرسها * حتى فؤادك مثل الخز في الدين
- وفيها يقول :
- إن أمرا كنت مولاه فضيغني * يرجو الفلاح لعندي حق مغبون
- وفيه يقول آخر :
- رأيت أبا بكر - ورثك غالب * على أمره - يبغي الخلافة بالتمر

٢٠ (١) أي ابن الزبير كما في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢

(٢) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢ « فؤادي » .

هذا حين قال : أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي . وقال بعض الشعراء :

مِنْ دُونَ سَيْبِكَ لَوْ أَنَّ لَيْلٍ مُّظْلِمٍ * وَحَفِيفُ نَابِخِيَّةٍ وَكَلْبٌ مُّوسِدٌ^(٣)
وَأَخْوَاكَ مُّحْتَمِلٌ عَلَيْكَ ضَغِينَةٌ * وَمِسِيفٌ قَوْمِكَ لَا تَمُّ لَا يَمْتَدُّ^(٤)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ سَاخٍ * لَا بَلَّ أَحْبَبْتُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ^(٥)

وَمَدَحَ أَعْرَابِيٍّ سَعِيدَ بْنِ سَلَمٍ فَقَالَ :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ لَا تَنْخَسُ ضِلَّةً * سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادٍ
لَنَا سَيِّدٌ أَرَبِيٌّ عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ * جَوَادٌ حَتَّى فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ^(٦)

فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ يَهْجُوهُ :

لِكُلِّ أَنْحَى مَدِيحٌ ثَوَابٌ بَعْدَهُ * وَبِئْسَ لِمَدِيحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ
مَدَحْتُ أَبْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِيحُ مَهْرَةٌ * فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ

وَقَالَ فِيهِمُ الْمَزْرُوقِيُّ الْحَضْرَمِيُّ :

إِذَا وَلَدَتْ حَلِيلَةٌ بَاهِلِيًّا * غَلَامًا زَيْدًا فِي عَدَدِ اللَّثَامِ
وَعِرْضُ الْبَاهِلِيِّ وَإِنْ تَوَقَّى * عَلَيْهِ مِثْلُ مَنَدِيلِ الطَّعَامِ
وَلَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ بَاهِلِيًّا * لَقَصَّرَ عَنِ مَسَامَةِ الْكِرَامِ

وَدَخَلَ قُدَامَةُ بْنُ جَعْدَةَ عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، بِالْبَابِ الْأَمُّ
الْعَرَبُ ، قَالَ : وَمَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : سَأَلُوهُ رَسُولُ مُحَارَبِيٍّ إِلَى بَاهِلِيٍّ ، فَضَحِكَ قُتَيْبَةُ . وَقَالَ آخَرُ

(١) السيب : العطاء ، وفي النسختين الفتوغرافية والألمانية : « شيبك » بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) النابخة بالجيم (كما في الألمانية) وبالحاء (كما في الفتوغرافية) : الريح الشديدة فكلاهما صحيحة .

(٣) موسد من أوسد الكلب بالصيد : أغراه به . (٤) المسيف : من هلك ، ماله فافتقر .

(٥) الأسود الساخ : الأفي ، ووصف بالساخ لأنه ينسلخ جلده كل عام . (٦) في النسخة :

الألمانية « جنى » والفتوغرافية « حتى » زكلاهما تحريف والتصويب عن المقد الفريديج ١ ص ١٠٧

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخَفُوا كَلَامَهُمْ * وَأَسْتَوْتُهُو مِنْ رِتَاجِ الْبَابِ وَالتَّارِ
لَا يَقْبِسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ * وَلَا تُكْفُ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائي من أهل حمص :

سُمْتُ الْمَدِيحَ رَجَالًا دُونَ قَدْرِهِمْ * صَدُّ قَبِيحٌ وَلَفْظٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزِ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ * رَجُلٌ الْبَعُوضَةُ مِنْ نَخَّارَةِ اللَّيْلِ

وقال آخر :

أَلَامٌ وَأُعْطِيَ وَالبَخِيلُ مُجَاوِرِي * إِلَى جَنْبِ بَيْتِي لَا يَلَامُ وَلَا يُعْطَى

ونحو هذا قولهم : مَنَعَ الْجَمِيعَ أَرْضِي لِلْجَمِيعِ . وقال بشار :

أَعْطَى الْبَخِيلُ فَمَا أَنْتَفَعْتُ بِهِ * وَكَذَلِكَ مَنْ يُعْطِيكَ مِنْ كَدْرِهِ

- ١٠ قيل لخالد بن صفوان : مالك لا تُتَفَقُّ فَإِنَّ مَالَكَ عَرِيضٌ ؟ قال : الدهرُ أَعْرَضٌ
منه ؛ قيل له : كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله ؛ قال : ولا أخاف أن أموت في أوله .
قال الجاحظ : قلتُ مرَّةً للجزامي : قد رضيتَ بقول الناس : عبدُ الله بخيل ؛ قال :
لا أَعْدَمَنِي اللَّهُ هَذَا الْأَسْمَ ؛ قلتُ : كيف ؟ قال : لأنه لا يقال فلانٌ بخيلٌ إلا وهو ذو مال .
فَسَلَّمْ لِي الْمَالَ وَأَدْعِنِي بِأَيِّ أَسْمٍ شِئْتُ ؛ قلتُ : ولا يقال سخيٌّ إلا وهو ذو مال ، فقد
١٥ جمعَ هَذَا الْأَسْمَ الْمَالَ وَالْحَمْدَ وَجمعَ هَذَا الْأَسْمَ الْمَالَ وَالذَّمَّ ؛ قال : بينهما فرقٌ ؛
قلتُ : هاتبه ؛ قال : في قولهم بخيلٌ تثبیتٌ لإقامة المال في ملكه ، وفي قولهم سخيٌّ
إخبارٌ عن خروج المال عن ملكه ؛ وأسمُ البخلِ أسمٌ فيه حزمٌ وذمٌّ ، وأسمُ السخاءِ أسمٌ
فيه تضييعٌ وحمدٌ ، والمالُ رهنٌ نافعٌ ومكرمٌ لأهله مُعَزٌّ ، والحمدُ ریحٌ وسُخْرِيَةٌ وَأَسْتَمَاعَةٌ

(١) أي دائم باقي .

ضَعْفٌ وَفَسُولَةٌ^(١) ، وَمَا أَقَلَّ وَاللَّهِ غِنَاءَ الْحَمْدِ عَنْهُ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ وَعَرِيَّ جِلْدُهُ وَضَاعَ عِيَالُهُ وَشِمَّتَ عَدُوَّهُ^(٢) ! .

وكان محمد بن الجهم يقول : مِنْ شَأْنِ مَنْ أَسْتَعْنَى عَنْكَ أَلَّا يُقِيمَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْكَ أَلَّا يَذْهَبَ عَنْكَ ، فَمَنْ ضَمَّ بِصَدِيقِهِ وَأَحَبَّ^(٣) الْأَسْتِكْثَارَ مِنْهُ وَأَحَبَّ التَّمَتُّعَ بِهِ أَحْتَالَ فِي دَوَامِ رَغْبَتِهِ بِأَنْ يُقِيمَ لَهُ مَا يَقْوَتُهُ وَيَمْنَعَهُ مَا يُغْنِيهِ عَنْهُ ، فَإِنَّ مِنَ الزُّهْدِ فِيهِ أَنْ تُغْنِيَهُ عَنْكَ وَمِنَ الرَّغْبَةِ فِيهِ أَنْ تُحْوِجَهُ إِلَيْكَ ، وَإِبْقَاؤُكَ مَعَ الضَّنِّ بِهِ أَكْرَمُ مِنْ إِغْنَائِكَ لَهُ مَعَ الزُّهْدِ فِيهِ ؛ وَقِيلَ فِي مَثَلٍ : « أَجْعَ كَلْبَكَ يَتَّبِعُكَ » . فَمَنْ أَغْنَى صَدِيقَهُ فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى الْغَدْرِ وَقَطَعَ أَسْبَابَهُ مِنَ الشُّكْرِ ؛ وَالْمَعِينُ عَلَى الْغَدْرِ شَرِيكُ الْغَادِرِ ، كَمَا أَنَّ مُزَيْنَ الْفَجْجُورِ شَرِيكُ الْفَاجِرِ . قَالَ : وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ وَقَالَ فِي وَصِيَّتِهِ : يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الثَّلَاثُ ، وَالثَّلَاثُ كَثِيرٌ » ؛ وَأَنَا أَزْعَمُ أَنَّ ثَلَاثَ الثَّلَاثِ كَثِيرٌ ، وَالْمَسَاكِينُ حَقُوقُهُمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، إِنْ طَلَبُوا طَلَبَ الرِّجَالِ أَخْذُوهُ ، وَإِنْ جَلَسُوا جَلَسَ النِّسَاءُ مِنْعُوهُ ، فَلَا يُرْغِمُ اللَّهُ إِلَّا أَنْفَهُمْ وَلَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ يَرْحَمُهُمْ .

تَقَدَّمَ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى سَوَّارٍ أَحَدُهُمَا يُنَازِعُ مَوْلَى لَهُ فِي حَدِّ أَرْضٍ أَقْطَعَهَا أَبُوهُ مَوْلَاهُ ؛ فَقَالَ سَوَّارٌ : أَتُنَازِعُ مَوْلَاكَ فِي حَدِّ أَرْضٍ أَقْطَعَهَا أَبُوكَ إِيَّاهُ ! ؛ فَقَالَ : الشُّحُّ أَحَدَرُ مِنَ الظَّالِمِ ؛ فَرَفَعَ سَوَّارٌ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ آرِدْهُ عَلَى قُرَيْشٍ أَخْطَارَهَا .

(١) كذا في النسخة الألمانية ، والفسولة : النذالة وقلة المروءة ، وفي الفتوغرافية "فسولة" وهو تحريف .
 (٢) كتب بهامش الأصل الفتوغرافي بمسبة الدفاع عن البخل ما نصه : « سبحان الله ! ما رأيت أنهض جانباً للبحل والبخلاء رأين كلاماً وأصدق حجة وأبعد من المقدمات الواهية والقضايا المردودة من هذا الرجل ولولا [أن] السخاء سخية من السجاء الراسخة في أنفس الأستخياء كاد والله يهسدم ركنه ويميل عماده ويكدر مورده بل ويمنع السحاب من المطر والبحر من رشخ التقطر وإن هذا لمن إحدى الكبير » ا هـ .
 (٣) في النسختين « تصديقه » وذاهر أنه محرف عما أثبتناه . (٤) الأخطار جمع خطر وهو الشرف ، وبهامش الأصل الفتوغرافي هذه الجملة : « إنما قال ذلك حتى لا يظلموا الناس لقلة ما بيدهم » .

وقال الخزرجي :

إِنَّ جُودَ الْمَكِّيِّ جُودٌ حِجَازِيٌّ وَجُودَ الْمَجَازِ فِيهِ أَقْتَصَادٌ
كَيْفَ تَرْجُو النَّوَالَ مِنْ كَفِّ مُعِيطٍ * قَدْ غَدَّتْهُ الْأَقْرَاصُ وَالْأَمْدَادُ

نظر سليمان بن مزاحم إلى درهم فقال : في شقِّ « لا إله إلا الله محمد رسول الله »

وفي وجه آخر « الله لا إله إلا هو الحي القيوم^(١) » ، ما ينبغي أن يكون هذا إلا
معاذة وقدّفه في الصندوق . أنشدنا عبد الرحمن بن هاني صاحب الأخصش عن

الأخصش للخليل :

كفاه لم تُخْلَقًا لِلنَّدَى * ولم يكُ بخلهما يدعه

فكف عن الخير مقبوضة^(٢) * كما تقصت مائة تسعة

١٠ وكف ثلاثة آلافها * وتسع مئتيها لها شرعة^(٤)

(١) في الأصلين بعد قوله التيميم كلمة « فقال » والسياق بأبي وجودها ، وقد وردت هذه الحكاية في نهاية

الأرب ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ولم تذكرها هذه الكلمة . (٢) كذا في اللسان

مادة شرع . وفي الأصلين « نخلنا » والكف مؤنث لا مذكر . وفي المصباح مادة كفف :

« قال ابن الأنباري » : وزعم من لا يوثق به أن الكف مذكر ولا يعرف تذكيرها من يوثق بعلمه .

(٣) في تاج العروس واللسان مادة شرع : كما حط عن مائة سبعة * ١٥

وقد قيل : بمعرب حسابا خاصا غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلاً منها

بإزاء عدد مخصوص ثم رتبوا لأوصاع الأصابع أحاداً وعشرات ومئات وألوفاً ، فينار عن الواحد متلاً بقبض

الخنصر وعن الاثنين بقبض البصر وهكذا ، فالعدد الذي أراده الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضى قواعدهم

في هذا الحساب بأن قبض الخنصر والبصر والوسطى من اليد اليمنى تدل على عدد ثلاثة وتجعل السبابة حذقة

غير محذوفة لتدل على عدد تسعين ، وهذا يرجع رواية اللسان على رواية الأصل . وكذلك تقضى قواعدهم في عدد

٢٠ الآلاف بأن قبض من اليد اليسرى الخنصر والبصر والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجعل سبابة اليسرى

حلقة غير محذوفة لتدل على عدد تسعمائة . انظر « بلوغ الأرب في أسواق العرب » ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٩

(٤) يقال : هذا شرسة ذئب أي مثاله ؛ عن اللسان .

قال أبو علي الضيرير :

لعمراً بيك ما نُسبُ المَعْلَى * إلى كرم وفي الدنيا كريمٌ
ولكن البلاد إذا أقشعت * وصوّح نبثها رعى أهشيمٌ

وقال آخر :

أمرٌ خوف فقير، تعجلته * وأخرت إنفاق ما تجمَعُ
فصرت الفقير وأنت الغني * وهل كنت تعدو الذي تصنعُ

خوف رجل رجلاً جواداً الفقر وأمره بالإبقاء على نفسه؛ فكتب إليه: إني أكره
أن أترك أمراً قد وقع، لأمر لعله لا يقع. وقال أبو الشَّمَمَقِي :

رأيتُ الخبزَ عزّاً لديك حتى * حسبتُ الخبزَ في جَوِّ السحابِ
وما رَوْحَتنا لِتَسُدَّ عَنّا * ولكن خفتَ مرزبةَ الذبابِ

وقال دَعْبِل :

صَلَّقُ أَلَيْتَهُ إِذْ قَالَ مُجْتَهِدًا * لا والرغيف، فذاك البر من قَسَمَهُ
قد كان يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ * على جَرَادِقِهِ^(٢) كانت على حَرَمِهِ
فَإِنْ هَمَمْتَ بِهِ فَافْتِكْ بِجُبْرَتِهِ * فَإِنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ

وقال الشاعر :

أَرْفُقُ بِمُحْفِصٍ حِينَ تَأْتِي * كُلُّ يَأْمَعَاوِيٍّ مِنْ طَعَامِهِ
الموتُ أيسرُ عنده * مِنْ مَضْعُغِ ضَيْفٍ وَالتَّقَامِهِ
وتراه مِنْ خَوْفِ التَّزْيِيلِ بِهِ يُرَوِّعُ فِي مَنَامِهِ
سِيَّانٌ كَسَّرَ رَغِيفَهُ * أَوْ كَسَّرَ عَظِيمَ مِنْ عِظَامِهِ

(١) كذا في النسخة الألمانية، وفي الفونوغرافية "الخير" بدل "الخير".

(٢) جمع جرذق أو جرذقة، وهو الرغيف، وفي النسخة الألمانية «جرادقه» وهو اللغة الأصلية فيه.

لا تكسرت رغيته * إن كنت ترغب في كلامه
وإذا مررت ببابه * فاحفظ رغيك من غلامه

وقال أبو نواس :

خُبِرُ إِسْمَاعِيلَ كَالوِثْنِيِّ إِذَا مَا أَلْسَقَ يَرْفَا

عَجِبًا مِنْ أثرِ الصَّنِيعَةِ فِيهِ كَيْفَ يَخْفَى

إِنْ رَفَاءَكَ هَذَا * أَحذِقُ الْأُمَّةَ كَفَا^(١)

فَإِذَا قَابَلَ بِالنَّصْفِ مِنَ الْجُرْدِ قِ نِصْفَا

أَحْكَمُ الصَّنِيعَةَ حَتَّى * لَا تَرَى مَوْضِعَ إِشْفَى^(٢) ^(٤)

مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ التَّنْشُورِ مَا غَادَرَ حَرْفَا

وَلَهُ فِي الْمَاءِ أَيْضًا * عَمَلٌ أَبْدَعُ ظَرْفَا

مَرْجُهُ الْعَذْبَ بِمَاءِ الشَّبْرِ كَيْ يَدَادَ ضِعْفَا

فَهُوَ لَا يَشْرَبُ مِنْهُ * مِثْلَ مَا شَرِبُ صَرْفَا^(٤)

باب الحمق

قال الشعبي لرجل أستجهله : يا أحوجك إلى مخرج شديد القتل جيد الجلأز

عظيم الثمرة لدين المهزة يأخذ منك فيما بين عجب الذنب ومغزى العنق فكثرت له رقصاتك

من غير جمل ، فقال : وما هذا ؟ فقال : بعض الأمر .

(١) في النسخة الفتوحرافية : «أرفق» . (٢) في ديوان أبي نواس "مغز" .

(٣) الإشفى : الميتب (٤) في ديوان أبي نواس : "لاستينك" ، وفي هامش النسخة الفتوحرافية

، يوضح الرواية التي هنا ، وهو أن يتقدر بمعمل للتعلم الثاني هو ، البئر ويصير المعنى : لا يشرب من

تمزوج مثل ما يشرب من ماء البئر ، لأن في المزوج من العذب ، يعمل على الحرص والتمتير .

(٥) في هامش النسخة الفتوحرافية "المخرج : السوط ، والجلأز : جودة القتل ، ولدن ، أى ابن" .

(٦) ثمرة السوط : عتد طرفه . (٧) عجب الذنب : العظم الذى فى أسفل الصواب عند العجبر .

قال حدثني القومسي عن محمد بن الصلت الأسي عن أحمد بن بشير عن الأعمش عن سامة بن كهيل عن عطاء عن جابر قال : كان في بني إسرائيل رجل له حمار فقال : يا رب لو كان لك حمار اعلفته مع حمارى هذا ، فهم به نبي ، فأوحى الله إليه : إنما أئيب كل إنسان على قدر عقله .

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش عن أبيه عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين أن رجلا رأى في المنام أن له غنما وكأنه يُعطى بها ثمانية ثمانية ، ففتح عينه فلم ير شيئا ، فغمض عينه ومدّ يده وقال : هاتوا أربعة أربعة .

مر رجل من العباد وعلى عنقه عصا في طرفيها زيبلان قد كادا يخطأانه ، في أحدهما برؤوفى الآخر تراب . فقيل له : ما هذا ؟ قال : عدلتُ البر بهذا التراب ، لأنه كان قد أمالني في أحد جانبي فأخذ رجل زيبل التراب فقلبه وجعل البر نصفين في الزيبلين وقال له : أحيل الآن ، فحمله ، فلما رآه خفيفا قال : ما أعقلك من شيخ ! حفر أعرابي لقوم قبرا في أيام الطاعون بدرهمين ، فلما أعطوه الدرهمين قال : يا بني دعوهما عندكم حتى يجتمع لي ثمن ثوب . كانت أم عمرو بنت جندب بن عمرو بن جماعة السدوسي عند عثمان بن عفان ، وكانت حقااء تجعل الحنفساء في فيها ثم تقول : حاجيتك ما في قمي ؟ وهي أم عمرو وأبان أبن عثمان

إبراهيم بن المنذر قال حدثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : رأيت طارقا وهو وإل لبعض الخلفاء من بني أمية على المدينة يدعوا بالغداء فيتغذى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكون فيه العظم المبخ فينكته على رقانة المنبر فيأكله .

(٤) الزيبل كامبروسكين وتنديل : القفة .

قالت أم غزوان الرقاشي لابنها - ورأته يقرأ في المصحف - : يا غزوان ، أما تجد فيه بعيراً لنا ضل في الجاهلية ؟ فما كهرها ^(١) وقال : يا أمة ، أجد والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً .

سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى قال : قال ابن أبي عتيق لرجل : ما أسمك ؟ قال : وثاب . قال : فما كان أسم كلبك ؟ قال : عمرو ، قال : واخلافاه !

قال أبو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث : العجب ، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه . وأن ينهى عن شيء ويأتيه . أغمي على رجل من الأزدي فصاح النساء واجتمع الجيران وبعث أخوه إلى غاسل الموتى بغاء فوجده حياً بعد ، فقال أخوه : أغسله فإنك لا تفرغ من غسله حتى يقضى . وقال أردشير : بحسبكم دلالة على عيب الجاهل أن كل إنسان يتنهي منه ويتعصب إذا نسب إليه . وكان يقال : لا يغرنك من الجاهل قرابة ولا أخوة ولا إلف فإن أحق الناس يتحريق النار أقربهم منها .

قال عمر بن عبد العزيز : خصلتان لا تعدمانك من الجاهل : كثرة الإنفات وسرعة الجواب . وقال عمر بن الخطاب : إياك وهواخاة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك . وقال بعضهم : لأن أزاويل أحمق أحب إلى من أن أزاويل نصف أحمق . يعني الأحمق المتعاقل . وقال هشام بن عبد الملك : يعرف حمق الرجل بأربعة : بطول لحيته . ولسناعة كنيته ، ونقش خاتمه ، وإفراط شهوته ، فدخل عليه ذات يوم شيخ طويل العثون ، فقال هشام : أها هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين هو من الثلاث بقليل له : ما كنيته ؟ فقال : أبو الياقوت . وقالوا : ما نقش خاتمك ؟ قال : (وجاءوا على

(١) كهر كنع : اتهر . (٢) في النسخة الألمانية : "لا تعد ما بك" ، وفي النسخة العراقية

فَمِيصِهِ بِدِيمِ كَذِبٍ) . وفي حكاية أخرى (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ) ؛
فَقِيلَ لَهُ : أَيَّ الطَّعَامِ تَشْتَهِي ؟ فقال : جَلَنَجَيْنِ ، وفي حكاية أخرى مصاصة .^(٢)

سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً ينادى رجلاً : يا أبا العُمَريْنِ ، فقال : لو كان له عقلٌ
كفاه أحدهما . وقال أبو العَاجِ يوماً لجلسائه - وكان يلى واسِطَ - : إنَّ الطَّوِيلَ لَا يَخْلُو
من أن يكون فيه إحدى ثلاث : أن يفرق الكلاب ، أو يكون في رجله قُرْحَةٌ ، أو يكون
أحمق ، وما زلتُ وأنا صغيرٌ في رجلٍ قُرْحَةٌ ، وما فرَّقَ الكلابَ أحدُ فرَّقِي ، وأما الحقُّ
فأنتم أعلمُ بوالكم . ويقال : الأحمقُ أعلمُ بشأنه من العاقلِ بشأن غيره . وقال بشار :^(٣)

خَلِيلٌ إِنْ العَسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ * وَإِنَّ يَسَارًا فِي غَدِّ الخَلِيقِ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا * صَحَّوتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمَانُ أَمُوتُ
ذَرِينِي أَشْبَهْتِي بِرَاجِ فَاتِنِي * أَرَى الدَّهْرَ فِيهِ كُرْبَةٌ وَمِضِيقُ

وقال رجل : فلانٌ إلى مَنْ يُدَاوِي عقلَه أحوجُّ منه إلى مَنْ يُدَاوِي بدنَه . قيل لبعض
الحكماء : متى يكون الأدبُ شراً من عدمه ؟ قال : إذا كثُرَ الأدبُ ونقصَ العقلُ .

وقرأت في كتاب للهند : من آلمقِ آلتأس الرجلِ الإخوانَ بغيرِ وفاءٍ ، والأجرَ
بالرياءِ ، ومودَّةَ النساءِ بالغلظةِ ، ونفعَ نفسه بضرِّ غيره ، والعلمَ والفضلَ بالبدَّةِ
والخفيضَ ، وفيه : ثلاثةٌ يهزأ بهم : مدعي الحربِ ولقاءِ الرُحوفِ وشدةِ النَّكَايةِ
في الأعداءِ وبدنُه سليمٌ لا أثرَ به ، ومُتَحِلُّ عِلْمِ الدِّينِ والاجتهادِ في العبادةِ وهو غليظُ

(١) في مفردات ابن البيطار ج ١ ص ١٦٦ أنه الورد مرقي بالعدل أو بالسكر . وفي أقرب الموارد أنه
معمون يعمل من الورد والعدل ، فارسي معرب عن «كل» ومعناه ورد و«انكبين» ومعناه عسل .

(٢) لعلها محرفة عن مصوص بفتح الميم وضم الصاد ودوكا في القاموس طعام من لحم يطبخ وينقع
في الخل أو يكون من لحم الطير خاصة .

(٣) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل ، ولعلها : «العاقل بشأن غيره أعلم من الأحمق بشأنه» لأن الكلام
في ذم الحق .

الرقبة أسمن من الأئمة، والمرأة الخلية تعيب ذات الزوج . وفيه : من يعمل بجهل
نحسة : مستعمل الرماد في جتته بدلاً من الزبل ، ومظهر مستور عورته ، والرجل
يتزياً بزى المرأة والمرأة تتزياً بزى الرجل ، والمتملك في بيت مضيفه ، والمتكلم بما
لا يعنيه ولا يسأل عنه . وفيه : الأدب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحق سكرًا ،
كما أن النهار يزيد كل ذي بصر بصرًا ويزيد الخفافيش سوء بصر . وكانوا يكرهون
أن يزيد منطق الرجل على عقله .

قال الشاعر في جاهل :

مالي أرى الناس يأخذون ويعطون ويستمتعون بالنشيب
وأنت يثقل الحمار أبهم لا تشكو جراحات السن العريب

١٠ سمع الأحنف رجلاً يقول : ما أبالي أم دحت أم هجيت ، فقال الأحنف :
أسترحت من حيث تعب الكرام .

كان عامر بن كرز أبو عبد الله بن عامر من حمق قريش ، نظر إلى ابنه عبد الله وهو
يخطب فأقبل على رجل إلى جانبه وقال : إنه والله خرج من هذا وأشار إلى ذكره .

ومن حمق قريش العاص بن هشام أخو أبي جهل وكان أبو لهب قامره
فقمره . آله ثم داره ثم قليله وكثيره وأهله ونفسه فأخذها عبداً وأسلمه قيناً ، فلما كان
١٥ يوم بدر بعث به عن نفسه فقتل ببدر كافراً ، قتله عمر بن الخطاب . وكان خال عمر .
ومن حمق قريش الأحوص بن جعفر بن عمرو بن حريث ، قال له يوماً مجالسوه :

ما بال وجهك أصفر ! أتشتكي شيئاً ؟ وأعادوا عليه ذلك ، فرجع إلى أهله يلومهم
ويقول لهم : أنا شاك ولا تعلمونني ! ألقوا على الثياب وأبعثوا إلى الطبيب . وتمارض

٢٠ مرة فعاده أصحابه وجعل لا يتكلم ، فدخل شراءة بن عبيد الله بن الزندبوذ وكان أمارح

(١) عبارة الأسي « فأسله فيما كان يأخذ منه ضريبة » ج ٤ ص ١٩

أهل الكوفة، فعرف أنه ممرض فقال : يا فلان كذا أميس بالحيرة فأخذنا الخمر ثلاثين قنينة بدرهم، والخمر يومئذ ثلاث قناتي بدرهم، فرفع الأحوص رأسه وقال : كذا مني في كذا من أم الكاذب، وأستوى جالسا، فثر أهله على شراعة السكر؛ فقال له شراعة : آجلس لا جلست وهات شرايك، فشربا يومهما .

ومن حمق قريش بكار بن عبد الملك بن مروان ، وكان أبوه ينهيه أن يجالس خالد بن يزيد بن معاوية لما يعرف من حمق ابنه ، فجلس يوما إلى خالد ، فقال بكار : أنا والله كما قال الأول :

* مرردد في بني الخناء ترديدا *

وكان له باز فقال لصاحب الشرطة : أغلق أبواب المدينة لئلا يخرج البازي .

ومن حمق قريش معاوية بن مروان أخو عبد الملك بن مروان . بينا هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان نظر إلى حمار الطحان يدور الرحا وفي عنقه جمل ، فقال للطحان : لم جعلت في عنق الحمار جملا ؟ فقال : ربما أدركتني سامة أو نعسة فإذا لم أسمع صوت الجمل علمت أنه قام فصاحت به ، فقال معاوية : أرايت إن قام وحرك رأسه ما علمك أنه قائم ؟ قال الطحان : ومن لحماري بمثل عقل الأمير ! .

وقال معاوية هذا لأبي أمرأته : مآلتنا آبتك البارحة بالدم ، فقال : إنها من نسوة يجبان ذلك لأزواجهن . وقال له أيضا يوما آخر : لقد نكحت آبتك بعصبة ما رأيت مثلها قط ، قال : لو كنت عيننا ما زوجناك .

ومن حمق قريش سليمان بن يزيد بن عبد الملك ، قال يوما : لعن الله الوليد أخى فإنه كان فاجرا ، والله لقسد أرادني على أن يفعل بي ؛ فقال له قائل : آسكت فوالله لئن كان هم لقد فعل .

خطبَ سعيدُ بن العاص عائشة بنت عثمان على أخيه ، فقالت : هو أحق
لا أتزوجه أبداً ، له برذونانٍ أشهبانٍ فهو يحتمل مئونة اثنين وهما عند الناس واحدٌ .
وأخبرني رجل أنه كان له صديق له برذونان في شية واحدة فكما لا نظن إلا أن له
برذونا واحداً ، وغلما ن يُسميان جميعاً بفتح ، وكان إذا دعا واحداً قال : يا فتح الكبيرُ ،
وإذا دعا الآخر قال : يا فتح الصغيرُ .

قال أبو عبيدة : أرسل ابن لعجل بن لحيم فرسأله في حلبة بجاء سابقاً ، فقال لأبيه :
يا أبت ، بأى شيء أسميه؟ فقال : آفقا إحدى عينيه وسمه الأعور . وقال الشاعر :
رمتني بنو عجلٍ بداء أبيهم * وأى عباد الله أنولك من عجل !
أليس أبوهم عار عين جواده * فأضحت به الأمثال تُضرب في الجهل

١٠ ومن عجل "دغة" التي يُضرب بها المثل في الجهل ، فيقال : هي دغة بنت مغنج ؛
ويقال : دغة لقب ، وأسمها مارية بنت زمعة . قال أبو اليقظان : ومن عجل حيانُ
ابن غضبان ورث نصف دار أبيه فقال : أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري
النصف الباقي فتصير كلها لي .

١٥ ومن القبائل المشهور فيها الحمق "الأزد" . قال رجل منهم في المهلب بن أبي صفرة :
نعم أمير الرفقة المهلب ، أبيض وضاح كتيس الحلب^(٢)
* ينقض بالقوم أنقضاض الكوكب * .

(١) يقال : "أحق من دغة" أورده الميداني في جمع الأمثال وقال في شرحه : إنها مارية بنت مغنج
بالعين المهملة ورواه صاحب اللسان في مواد «غنج ودغا وجعر» بالعين المعجمة ، وفي شرح القاموس
مادة جعر نقلا عن البكري في شرح أمالي القائل : إن المفضل بن سدة قال : من أعجم العين فتح الميم ومن
أهمها كسر الميم . وها قصة مشهورة أوردها الميداني في جمع الأمثال طبع بولاق ج ٢ ص ١٩٣
٢٠ (٢) يقال تيس حلب وتيس ذو حلب . والحلب بقلة جمعة غرباء في خضرة تنسط على الأرض يسيل
منها اللبن إذا قطع منها شيء . وهي تنبت في القبيظ بالقيعان وشطآن الأودية .

فلما أنشده المهلب، قال : حسبك رحمك الله ! .

ومن أشعارهم :

يأرب جارية في الحى حالية * كأنها عومة^(١) في جوف راقود

وقال آخر منهم :

زياد بن عمرو عينه تحت حاجبه * وأسنانه بيض وقد طرّ شاربه

وقال عمرو بن بلحأ يصف إبلا^(٢) :

تصطك^(٣) الحيا على دلائها * تلاطم الأزدي على عطاءها

وقال أبو حية الثميري :

وكان غلى دنانهم في دورهم * لفظ العتيك^(٤) على خوان زياد

كتب مسامة بن عبد الملك الى يزيد بن المهلب : والله ما أنت بصاحب هذا الأمر، صاحب هذا الأمر مغمور موتور^(٥) وأنت مشهور غير موتور؛ فقام إليه رجل من الأزدي فقال : قدم أبك مخلدا حتى يقتل فتصير موتورا .

قام رجل من الأزدي الى عبيد الله بن زياد فقال : أصلح الله الأمير، إن امرأتى هلكت وأردت أن أتزوج أمتها وأزوج أبني أبتها وهذا عريفي^(٥)، فأعني في الصداق؛ فقال : في كم أنت من العطاء؟ قال : في سبعمائة؛ قال : حطّا عنه أربعمائة، يكفيك ثلثمائة .

(١) ذريرة تسبح في الماء . (٢) ورد بالأصلين «عمرو» والتصويب من الكامل

للبرد ص ٣٢٤، ٦٣٠ طبع لبيسج وأما في النقال ح ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق واللسان مادة «بلحأ» . (٣) ألقها جمع لحي على أفعل، وكسرت الحاء، لمناسبة الياء، والهي : منبت الهيمية .

(٤) العتيك بالألف واللام : نغذ من الأزدي والنسبة إليها عتيكي .

(٥) العريف : القيم أمور القبيلة أو الجماعة من الناس إلى أمورهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم .

ومن حمق الأزدي قبيصة بن المهلب ، رأى جرادا يطير فقال : لا يهولنكم ما ترون فإن عاتتها موتى . وقال يوما : رأيت غُرْفَةً فوق بيت . وقال لغلامه : أذهب إلى بيّاض الملاء .

ومن حمق العرب كلاب بن صعصعة ، خرج إخوته يشترون خيلاً وخرج معهم كلابٌ بغاء يعجل يقوده ؛ فقال له إخوته : ما هذا؟ قال : فرسٌ آشريته ؛ قالوا : يا مائق ، هذه بقرةٌ أما ترى قرنيها ! فرجع إلى بيته فقطع قرنيها ، فأولاده يدعون « بني فارس البقرة » . قال الكميّ :

ولولا أمير المؤمنين وذبه * يحيل عن العجل المبرقع ما سهل^(١)

وكان شدرة بن الزبير قان من الحمقى ، دخل يوم الجمعة المسجد فأخذ بعضادتي الباب^(٢) ثم قال : السلام عليكم ، أبلغ شدرة؟ فقالوا له : هذا يومٌ لا يُستأذن فيه ؛ قال : أبلغ مثل على جماعة مثل هؤلاء ولا يعرف مكانه!

عوانة قال : استعمل معاوية رجلا من كلب ؛ فذكر الجوس يوما فقال : لعن الله الجوس ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف ما نكحتُ أمي ؛ فبلغ ذلك معاوية ، فقال : قبحة الله! أترونه لو زادوه فعل! وعزله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : سأل القوم الحارث بن جران أن يعينهم في تأسيس مسجد ؛ فقال : قيروه وعلى الودع .

خطب وإلى الإمامة فقال : إن الله لا يقار على المعاصي عباده ، وقد أهلك أمة عظيمة في ناقة ما كانت تُساوي مائتي درهم ؛ فسُمي مقوم الناقة .

شرد بعير هبقة ، وأسمه يزيد بن ثروان ، فقال : من وجد بعيرى فهو له ؛ فقبل له : وما ينفعك من هذا؟ قال : إنكم لا تدرون ما حلاوة الوجدان .

(١) المبرقع : الذي أخذت غرته جميع وجهه . (٢) عصادتا الباب : الخشبَان المنصوبان من يمين الداخل منه وشماله .

وقال المنصور للربيع : كيف تعرف الريح؟ قال : أنظر إلى خاتمي فإن كان سليسا فهي شمال وإلا فهي جنوب؛ فسأل القاسم بن محمد الطلحي عن ذلك؛ فقال : أضرب بيدي إلى خصيتي فإن كانتا قد قَلَصَتَا فهي شمال وإن كانتا مُتَدَلَّتَيْنِ فهي جنوب.

قال أبو كعب القاص في قصصه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كيد حمزة ما قد علمتم فادعوا الله أن يطعمنا من كيد حمزة، وكان يقول في قصصه : ليس في خير ولا فيكم، فتبَلَّغُوا بي حتى تجدوا خيرا مني، وقال هو أو غيره في قصصه : كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا؛ قالوا : فإن يوسف لم يأكله الذئب؛ قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال : كان قاص يقص في المسجد فيقول : مثل الكافر مثل قصر الإسكاف خارجة حسن وداخله محرقة، ومثل المؤمن مثل قصر زربي جداره كالح وداخله زهرة . ويقول : وما الدنيا ! أخزى الله الدنيا ! إنما مثلها مثل آير حمار، بينا هو قد أنظ إذ طفي . وقال : المؤمن غداؤه فلقته وسمكته سلقة ودواؤه علقه ومرقته سلقة .

أصاب داود المصاب مصيبة فاغتم؛ فقال له صاحب له : لا تثم الله في قضائه؛ فقال داود : أقول لك شيئا وتكتمه؟ قال : نعم؛ قال : والله ما صاحبي غيره . وأستشاره رجل في حمل أمه إلى البصرة، وقال : إن حملتها في البر خفت عليها اللصوص، وإن حملتها في الماء خفت عليها الغرق؛ فقال : خذها سفتجة .

(١) قصر بالبصرة في سكة المربد لمسلم بن عمرو بن الحصين بن قتيبة بن مسلم، وكان يليه غلام يقال له : زربي . (٢) الفلقة : الكسرة . والشلقى : شيء من خلف السمكة صغيره رجلان سندا ذنبه كرجل الضفدع لا يدين له يكون في أنهار البصرة وليست بعريية . كذا في اللسان . والفلقة : تجري في الشتاء تبلى به الإبل حتى تدرك الربيع . والسلقة : الجراة، لعله يريد أنه يجترى من المرق بالليل منه حتى إنه ليكفيه مرق جراة واحدة . (٣) السفتجة : أن تعطى مالا لرجل له مال في بلد تريد أن تسافر إليه فتأخذ منه خصا لن عنده المال في ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذي دفعته إليه قبل سفرك، وهو معرب سفته بالفارسية ومعناها الشيء المحكم، سمي به هذا القرض لإحكام أمره .

دعا بعضُ السلاطينِ مجنونين ليضحك منهما ، فأسمعهما فغضبَ فدعا بالسيف ؛ فقال أحدهما للآخر : كنا اثنين وقد صرنا ثلاثة . قال رجل لابن سيابة مولى بني أسد : ما أراك تعرفُ الله ؛ قال : أتراني لا أعرفُ من أجاعني وأعراني وأخراني . قيل لأعرابي : كيف بُركَ بأمك ؟ قال : ما قرعتها سوطاً قط . وقيل لآخر وهو يضربُ أمه : ويحك ! تضربُ أمك ! فقال : أحبُّ أن تنشأ على أدبي . وقال بعض الشعراء :

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتَ بِوَأَجِدُ * طَبِيباً يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونٍ

وقال آخر :

وكيف يُفِيقُ الدهرَ كعبُ بنِ نَاشِبٍ * وشيطانُهُ بينَ الأهلَةِ يصرَعُ
وقال أعرابيٌّ وذكر الله عزَّ وجلَّ :

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَهْلَهَا فِي جَمْعَةٍ * وَأَبُوكَ يَمْدُرُ حَوْضَهُ فِي عَامٍ^(١)

كان أبو العاجِ واليَ واسطَ ، وأتاه صاحبُ شرطته بِقَوَادِيهِ فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، هذه قَوَادِيهِ ؛ قال : وأىَّ شَيْءٍ تَصْنَعُ ؟ قال : تَجْمَعُ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ؛ قال : لماذا ؟ قال : للزنا ؛ قال : وإنما أتيتني بها لتعرفها منزلي ! خَلَّ عنها لعنَ اللهُ . وأتاه يوماً مُخَنَّثٌ ؛ فقال له : ما هذا ؟ قال : مُخَنَّثٌ ؛ قال : وما يصنعُ ؟ قال : يَنْكَحُ كَمَا تُنكَحُ الْمَرْأَةُ ؛ قال : يبدُلُ هذا أَسْتَهَ وَأَحْظُرُ أَنَا عَلَيْهِ ! أَذْهَبُ يَا بَنَ أَخِي فَأَرْتَدُّ لَهَا .^(٢)

خطبَ وَكَيْعُ بْنُ أَبِي سُؤْدٍ بِجُرَّاسَانَ فقال : إن الله خلق السموات والأرضَ في ستة أشهرٍ ؛ فقيل له : إنها ستة أيام ؛ فقال : والله لقد قلتها وأنا أستقبلها .

(١) مدت الحوض أمده ، أي أصلحته بالمدد وهو قطع الطين اليابس .

(٢) كذا في الأصل الفتوغرائي ، وفي النسخة الألمانية : «فارتد لها» .

تغذى رجلٌ عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ وليُّ عهدٍ وقُدَّامه جدى ، فقال له سليمان : كُلُّ من كُلتِه فإنها تزيد في الدماغ ؛ فقال : لو كان هذا هكذا كان رأسُ الأمير مثل رأس البغل .

أبو عبيدة : أُجريت الخيلُ فطلعَ منها فرسٌ سابقٌ بفعل رجلٍ من النظارة يُكبرُ ويثبُّ من الفرح ؛ فقال له رجلٌ إلى جانبه : يا فتى ، هذا الفرسُ فرسك؟ قال : لا ولكنَّ الجمام لي . دخل أبو عتاب على عمرو بن هذَّاب وقد كُفَّ بصره والناسُ يُعزونه ، فقال : يا أبا زيد ، لا يسوءنك ذهابهما ، فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن الله قطعَ يديك ورجليك ودقَّ ظهرك . كان رجلٌ يقودُ أعمى يكرأه ، فكان الأعمى ربما عثر فيقول : اللهم أبدلني به قائداً خيراً منه ؛ ويقول القائد : اللهم أبدلني أعمى خيراً منه .

أدعى أبو بكر الشيباني إلى العرب ذات ليلة فأصبح من الغد على الشمس فقعدَ فيها فتارت به مرة ، بفعل يحكُّ جسده بأظفاره نَحْشًا ويقول : إنما نحن إبل ؛ فقال له قائل : والله إنك تُشبهُ العربَ ؛ فغضب وقال : أيقال لي هذا ! أنا والله حرباءٌ تنضبُ^(١) ، يشهد لي سوادُ لوني وغُورُ عيني وحُبِّي للشمس .

قيل لأبي السَّفاح عند موته : أوصيه ؛ فقال : إنا لكرامُ قومٍ طَخْفَةٌ ؛ قالوا : قل خيراً يا أبا السَّفاح ؛ فقال : إن أحببتُ أمرأتى فأعطوها بعيراً ؛ قالوا : قل خيراً ؛

(١) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٩ وفي الأصلين «عمر بن هلاب» وهو تعريف .

(٢) في الأصلين «منضبة» وتصحيح عن لسان العرب في مادة «نصب» وحياة الحيوان ج ١ ص ٢٠١ والتنضبة واحدة التنضب وهو شجر له شوك قصار تألفه الحرابي .

(٣) طخفة بالسر والفتح : جبل أحمر طويل حذاءه آبار ومهل . ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على قايوس بن المنذر بن ماء السماء .

قال : إذا مات غلامى فهو حر . وقيل لرجل عند موته : قل لا إله إلا الله ، فأعرض ،
فأعادوا عليه مرارا . فقال : أخبروني عن أبي طالب أقالها عند موته ؟ قالوا : وما
أنت وأبو طالب ! قال : لا أرغبُ بنفسى عنه . ولما احتضر العجير السلولى قال
لقبوم عنده : أنا فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، والله لئن
وجدت لى عند الله موضعا لأكلمته فيكم . وقيل لأوس بن حارثة عند موته : قل
لا إله إلا الله . فقال : لم يأن لها بعد . وقيل لآخر عند موته : ألا توصى ؟ قال :
أنا مغفورن ؟ قالوا : قل إن شاء الله ، قال : قد شاء الله ذلك ، قالوا : لا تدع
الوصية ، فقال لبنى أخيه :

بني حريث أرفعا وسادى * وأحتفظا بالجللة الجلال

: فإنما حولكما الأعدى *

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان والغيران
والسكران . قالوا : فما تقول فى المنعظ ؟ فضحك وقال :

وما شر الثلاثة أم عميرو * بصاحبك الذى لا تصبَحينا

قال الوليد : ألا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجاج جلدة ما بين

عيني . ألا وإن الحجاج جلدة وجهى كله .

خطب عتاب بن ورقاء عث على الجهاد وقال : هذا كما قال الله تعالى :

كُتِبَ الْقِتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا * وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جِرُّ الدُّيُولِ

وقال آخر فى الربيع والى الإمامة :

شهدت بأن الله حق لقاءه * وأن الربيع العامرى رقيق^(١)

أقاد لنا كلبا بكلب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

(١) كذا : نسخة الألمانية وهو الموافق لما فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٢ والبيان والتبيين للباحظ
ص ١٧ المنبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ وفى الأصل التتومراى : « ربيع » بالفاء وهو تحريف .

دخل شابُّ على المنصور فسأله عن وفاة أبيه ، فقال : مات رحمه الله يوم كذا وكذا ، وكان مرضه رضى الله عنه كذا وكذا ، وترك عفا الله عنه من المال كذا وكذا ؛ فاتهره الربيع وقال : أين يدي أمير المؤمنين توالي الدعاء لأبيك ! فقال الشاب : لا ألومك ، إنك لم تعرف حلاوة الآباء ؛ فما علم أن المنصور ضحك مثل ضحك يومئذ . وكان الربيع لقيطاً .

دخل رجلٌ من بني هاشم على المنصور فاستجلسه ودعا بغدائه فقال للفتى : أدنه ؛ فقال : قد تغديت ؛ فلما خرج استخف به الربيع ودفع في قفاه ، وقال : هذا كان يسلم من بعيد وينصرف ، فلما استدناه أمير المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه الى طعامه تبدل بين يديه فبلغ من جهله بفضيلة المنزلة التي صيره فيها أن قال : قد تغديت ، وإذا ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين إلا سد خلة الجوع .

يونسُ الهجرى قال : مات رجلٌ من جنود أهل الشام فحضر الجحاج جنازته ، وكان عظيم القدر ، فصلى وجلس على قبره وقال : ليتزل قبره بعض إخوانه ؛ فنزل نفر منهم ، فقال أحدهم وهو يسوى عليه : رحمتك الله أبا فلان ! إن كنت ما علمتكم لتجيد الغناء وتسرع رب الكأس ، ولقد وقعت في موقع سوء لا تخرج منه الى الدكة ؛ فما تمالك الجحاج أن ضحك فاكثر ، وكان لا يكتر الضحك في جد ولا هنزل ، ثم قال له : لا أم لك ! هذا موضع هذا ! قال : أصلح الله الأمير ، فرسى حيس لو سمعه يتغنى : * يالبنى أوقدى النارا ، لانتشر الأمير على سعة ، وكان الميت يلقب سعة ، وكان من أوحش خلق الله صورة وأدمهم ؛ فقال الجحاج : إنا لله ! أخرجوه عن القبر ، ثم قال : ما أين حجة أهل العراق في جهلكم يا أهل الشام . ولم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ ضحكاً .

(١) في الأصلين : «وتبدل» والسياق يقتضى حذف الواو .

تبع داودُ بنُ المُعْتَمِرِ امرأةً ظنَّ أنها من الفواسد، فقال لها : لولا ما رأيتُ عليك
 مِنْ سِمْيَا الخَيْرِ لَمْ أَتَّبِعْكَ ؛ فَضَحِكَتِ المرأَةُ وَأَسْنَدَتْ ظَهْرَهَا إِلَى الحَائِطِ ثُمَّ قَالَتْ :
 إِنَّمَا يَعْتَصِمُ مِثْلِي مِنْ مِثْلِكَ بِسِمْيَا الخَيْرِ ، فَإِذَا صَارَ سِمْيَا الخَيْرِ هُوَ الدَّالُّ لِمِثْلِكَ عَلَى مِثْلِي
 فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ . كَانَ بهلُولُ المَجْنُونِ يَتَغَنَّى بِقِرَاطٍ وَلَا يَسْكُتُ إِلَّا بِدَانِيٍّ . وَكَانَ
 رَجُلٌ يَهُودِيٌّ جَارِيَةٌ تَخْتَلِفُ فِي حَوَائِجِ أَهْلِهَا ، وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى السُّوقِ وَلَمْ يَعْلَمْ
 بِخُرُوجِهَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَرَأَاهَا قَالَ وَهُوَ يُسْمِعُهَا : (لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنْ
 الخَيْرِ) ، وَإِنْ وَعَدْتَهُ شَيْئًا فَأَخْلَفْتُ قَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) ،
 فَإِنْ تَغَضَّبْتُ لَشَيْءٍ بَلَغَهَا عَنْهُ قَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
 فَتَبَيَّنُوا) .

١٠ مرَّ بَعْضُ الحَمِقِ بِأَمْرَأَةٍ قَاعِدَةٍ عَلَى قَبْرِ وَهِيَ تَبْكِي ، فَرَفَّقَ لَهَا وَقَالَ : مَنْ هَذَا المِيتُ ؟
 قَالَتْ : زَوْجِي ؛ قَالَ : فَمَا كَانَ عَمَلُهُ ؟ قَالَتْ : يَحْفِرُ القُبُورَ ؛ قَالَ : أَبْعَدَهُ اللهُ
 أَمَا عِلْمُ أَنْ مَنْ حَفَرَ حُفْرَةً وَقَعَ فِيهَا ! أَحَدَثَ رَجُلٌ مِنَ الحَمِقِ لَيْلَةً عَلَى بَابِ رَجُلٍ ،
 فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ زَلِقَ وَوَقَعَ عَلَى ذِرَاعِهِ فَانْكَسَرَتْ ، وَاجْتَمَعَ الجِيرَانُ وَجَعَلُوا يَخْتَصِمُونَ
 وَيُوقِعُونَ الظَّنُونَ وَهُوَ نَاحِيَةٌ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا قَالَ :

١٥ رَأَيْتُ الحَرْبَ يَجْنِيهَا رَجُلٌ . وَيَصَلِّي حَرَّهَا قَوْمٌ بَرَاءُ
 فَأَخَذُوهُ وَقَالُوا : أَنْتَ صَاحِبِنَا . قَالَ دَاوُدُ المِصَابُ : رَأَيْتُ رُؤْيَا نِصْفُهَا حَقٌّ
 وَنِصْفُهَا بَاطِلٌ ، رَأَيْتُ كَأَنَّ عَلَى عُنُقِي بَدْرَةً ^(٢) مِنْ ثِقَلِيهَا أَحَدْتُ فَاسْتَيْقَظْتُ فَرَأَيْتُ
 الحَدِيثَ وَلَمْ أَرِ البَدْرَةَ . رَأَيْتُ أَعْرَابِيَّ يَبْكِي بِكَاءٍ شَدِيدًا ، فُسِّئِلَ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ
 فَقَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ جَالُوتَ قُتِلَ مَظْلُومًا . رَأَى رَجُلٌ أَحْمَقٌ شَيْخًا فِي الحِمَامِ ^(٣) أَعْكَنَ

٢٠ (١) القيراط : نصف الدانق ، والدانق سدس الديار . (٢) البدره : كيس فيه ألف أو عشرة
 آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . لسان العرب . (٣) أعكن البطل ، أى فى بطنه عكن وهى ثناياها .

الوطن، فقال له: يا عم إني أشتهى أن أضع هذا - يعني ذكركه - في سرتك؛ فقال له الشيخ: يا ابن أخي فأين يكون أسنك حينئذ. نزل يهودي على أعرابي فمات عنده، فقام الأعرابي يُصَلِّي عليه فقال: اللهم إنه ضيفٌ وحقُّ الضيف ما قد علمت، فأمهلتنا إلى أن تقضى ذمامه ثم شأنتك والكلب.

وحدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال: كان بين اثنين عبدٌ فقام أحدهما بفعل يضربه، فقال له الآخر شريكه: ما تصنع! قال: إنما أضرب حصتي. قال أعرابي لرجل: ما أسمك؟ قال: عبدالله، قال: ابن من؟ قال: ابن عبيد الله، قال: أبو من؟ قال: أبو عبد الرحمن، قال: أشهد إنك لتلوذ بالله لو أذيتهم جبان. قال بعضهم: رأيت رجلين بالبصرة على باب موسى يتنازعان في العنب النيروزي والرازقي: أيهما أطيب، فخرى بينهما كلامٌ إلى أن تواتبا، فقطع الكوفي إصبع البصري وفقاً البصري عين الكوفي، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى رأيتهما متصافين متناديين.

قال: وقال تمامة: مررت في غيب سماء والأرض نديّة والسماء متغيمة والريح تمال وإذا شيخٌ أصفر كأنه جرادّة، وقد قعد على قارعة الطريق وحجامٌ يحجمه على كاهله وأخذ عيه بمحاجم كأنها قعابٌ وقد مصّ دمه حتى كاد يسنفره؛ فوقفْتُ وقلت: يا شيخ لم تحتجم؟ قال: لمكان الصفار الذي بي. أتى الطمّحان قوماً يعودُ عليهم فعرّاهم به؛ قالوا: إنه لم يمّت به فرجع وهو يقول: يموت إن شاء الله، يموت إن شاء الله.

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال: كان الغاضري من أحمق الناس به فقبل له: ما حقه؟ بفعل يتربث^(٢)، فلما أكثر عليه قال: قال لي مرة: البحر من حفره؟ وها حفر فأين نديته^(٣)؟ أترى أمير المؤمنين بقدر على أن يحفر مثله في ثلاثة أيام؟

(١) في النسخة الألمانية «مونس» .

(٢) يتربث: يتلبث .

(٣) النيثة: تراب البئر والنهر .

دخل رجلٌ من الحمقى من الشعراء على رجل من الأشراف يُقالُ في نسبه، فقال:
إني قد آمتدحتك بشعرٍ لم تمدح قطُّ بأنتفع لك منه؛ قال: ما أحوجني إلى المنفعة
فهايته؛ فقال:

سألتُ عن أصلك فيما مضى * أبناء سبعين وقد نيفوا
فكأنهم يُخبرني أنه * مهذب جوهره يعرف

فقال له: قُم في لعنة الله وفي سُخطه! لعنك الله ولعن من سألته ومن أجابك.
وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمه فقال:
يا عم، إن ولده جارية آل فلانٍ مني فافتده، ففعل؛ ثم جاءه مرةً أخرى فقال له مثل
ذلك؛ فقال له عمه: لو عزلت! قال: بلغني أن العزل مكروه.

قال: وحدثنا الأصمعي قال: بلغني عن شيخٍ جزع على ميتٍ جزعاً شديداً؛ فقيل
له في ذلك؛ فقال: نحن قومٌ لم نتعود الموت.

أبو الحسن الجعفرى قال: قيل لكَرْدَمِ السُّدُوسِيّ: كُلُّ؛ قال: ما أريدُ؛ قيل:
ولم؟ قال: أَكَلْتُ قَلِيلَ أَرْزِ فَأَكْثَرْتُ مِنْهُ. ضَلَّ بَعِيرٌ لِأَعْرَابِيٍّ بِجَعْلٍ يَنْشُدُهُ إِلَى أَنْ
دَخَلَ الْإِمَارَةَ فَأَخَذَ مِنْهَا بَعِيرًا؛ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ بَعِيرَكَ كَانَ أَعْرَابِيًّا؛ قَالَ: إِنَّهُ لَمَّا
أَكَلَ مِنْ مَالِ الْإِمَارَةِ تَبَخَّتْ^(١).

الهيثم عن ابن عباس قال: لما ولي مروان وجه جيش ابن دُبَلَّةَ الْقَيْنِيّ إِلَى الْمَدِينَةِ
وَكَانَ يَصْعَدُ الْمَنْبَرَ وَمَعَهُ الْكُكَاةُ مِنَ التَّمْرِ فَيَأْكُلُهَا ثُمَّ يُلْقِي النَّوَى عَلَى وَجْهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
يَمِينًا وَشِمَالًا، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ فِي حَرَمَتِهِ وَمَوْضِعِهِ

(١) تبخت صار بختاً جمعه بخاق وهو الإبل الخاسانية.

ليس موضع أكل ولا شرب، ولكني أحب أن أريكم هوانكم على الله . قيل لمعلم بن معلم : مالك أحق ؟ قال : لو لم أكن أحق كنت ولد زنا . قال بعض الشعراء :
فإن كنت قد بايعت مروان طائفا * فصرت إذا بعد المشيب معلما

وقال آخر :

وكيف تربي العقل والرأي عند من * يروح على أنثى ويغدو على طفل

ابن المدائني قال : تخول أبو عبد الله الكرخي^(١) إلى الخريبة^(٢) فادعى الفقه وظن أن ذلك يجوز لمكان لحيته وسمته ، فأتى على باب دار البواري وجلس بجلس إليه قوم فقال له رجل منهم : يا أبا عبد الله ، رجل في الصلاة أدخل إصبغته في أنفه فخرج عليها دم ، أي شيء يصنع ؟ قال : يتجم رحك الله ، فقال له السائل : ظننت أنك فقيه ولم أدرك أنك طبيب . قال رجل للشعبي : إني أجد في قفاي حكة فتري لي أن أحتجم ؟ فقال الشعبي : الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الجحامة . وقال له آخر : رجل استمنى في يوم من شهر رمضان هل يؤجر ؟ قال : أو ما يرضى أن يفلت رأسا برأس . نازع التيمي رجل من بني عمه في حائط بينهما فبعث إلى قوم يشهدهم ، فأتاه جماعة من القبائل ، فوقف بهم على ذلك الحائط وقال : أشهدكم جميعا أن نصف هذا الحائط لي . وقدم آخر رجلا إلى القاضي في شيء يدعيه عليه ، فأنكر الرجل ، فقال : أيها القاضي آكثب إنكاره ، فقال القاضي : الإنكار في يدك متى شئت .

قال مسعدة بن طارق الذراع^(٣) : إنا لو قوف على حدود دار انقسمها ونحن في خصومة ، إذ أقبل سيّد بن تميم وموسرهم والمصلي على جنازتهم ، فأمسكنا عن الكلام ، فقال :

(١) الخريبة : موضع بالبصرة . (٢) البواري جمع بارية : الحصر المنسوج .

(٣) في الأصل : الزارع . ولعل الصواب ، أو أثبتناه ما نقلنا عن العقد الفريد فإنه منسوب إلى الذراع وهو القياس بالذراع .

- (١)
 حَدَّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا؟ قَالَ مَسْعَدَةُ: فَأَنَا مِنْذُ
 سِتِينَ سَنَةً أَفَكَّرْتُ فِي كَلَامِهِ فَمَا أَذْرِي مَا عَنَى. أُمَّتٌ جَارِيَةٌ أَبَا ضَمِّمْ فَقَالَتْ: إِنَّ هَذَا
 قَبْلَنِي؛ فَقَالَ: يَا قَتِي، أَذْعِنُ لَهَا بِحَقِّهَا، قَبْلِيهِ عَافَاكَ اللهُ كَمَا قَبْلَكَ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ:
 (وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ).
- ٥ حَدَّثَنِي أَبُو حَاطِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أُلْقِيَتْ عَلَى رَجُلٍ فَرِيضَةٌ فَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ بِفِعْلِ
 يُحْسَبُ غَيْرَهَا؛ فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ تَرَكَ غَيْرَ مَا ذَكَرُوا.
- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنِ ابْنِ كُنَّاسَةَ قَالَ: قَالَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ لِأَشْعَبَ: أَوْ رَوَيْتَ
 الْحَدِيثَ وَتَرَكْتَ النُّوَادِرَ كَانَ أَنْبَلُ لَكَ؛ قَالَ: وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ وَرَوَيْتُهُ؛ قَالَ:
 حَدَّثَنَا؛ قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَلَّتَانِ
 مِنْ كَانَتَا فِيهِ كَانَ مِنْ خَالِصَةِ اللهِ؛ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ فَمَا هُمَا؟ قَالَ: نَسِي نَافِعٌ
 وَاحِدَةٌ وَنَسِيْتُ أَنَا الْآخَرَى. وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ مِنْ وَلَدِ عَتَابِ بْنِ أَسِيدٍ
 كَانَ أَحَدُهُمْ يَمُجُّ عَنِ حَمَزَةٍ وَيَقُولُ: أَسْتَشْهِدُ قَبْلَ أَنْ يَمُجَّ، وَكَانَ الْآخَرُ يُضْحَى
 عَنِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو وَيَقُولُ: أَخْطَأُ السَّنَةَ فِي تَرْكِ الْأُضْحِيَّةِ، وَكَانَ الْآخَرُ يُفْطِرُ عَنْ عَائِشَةَ
 أَيَّامَ التَّشْرِيقِ وَيَقُولُ: غَلِطْتُ فِي صَوْمِهَا أَيَّامَ الْعِيدِ، فَمَنْ صَامَ عَنْ أَبِيهِ وَأُمَّهُ فَأَنَا
 أُفْطِرُ عَنْ أُمِّي عَائِشَةَ.
- ١٥

(٢)
 قَالَ ثُمَامَةُ: كَتَا فِي مَنْزِلِ رَجُلٍ مِنَ الدَّهَاقِينِ وَفِينَا شَيْخٌ مِنْهُمْ، فَأَتَى رَبَّ الْبَيْتِ
 بِدُهْنٍ طَيِّبٍ فَدَهَنَ بَعْضُنَا رَأْسَهُ وَبَعْضُنَا لِحْيَتَهُ وَمَسَحَ بَعْضُنَا شَارِبَهُ وَبَعْضُنَا يَدَيْهِ،
 فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَذْهَبُوا أَسْتَاهَكُمْ تَأْمِنُوا الْحَزَّازَ، وَأَمْرُهَا عَلَى وَجْهِكُمْ؛ فَأَخَذَ شَيْخٌ

(١) في العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٣: هل ضمَّ منها بعضها إلى بعض أحدا.

(٢) الدهاقين جمع دهقان: رئيس الإقليم.

(٣) الحزاز: هَبْيِيَّةٌ فِي الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مُخَالَةٌ، وَاحِدَتُهُ حَزَّازَةٌ.

منهم بطرف إصبعه فأدخله في أنفه ومسح حاجبيه ، فعمد الشيخ إلى بقية الدهن فصبه في أذنه ، فقلنا له : ويحك ! هل رأيت أحدا أتى بدهن طيب فصبه في أذنه ؟ قال : إنه مع هذا يضرني .

قال عبد الله بن المبارك : كان عندنا رجل يُكنى أبا خارجة ، فقلت له : لم كنوك أبا خارجة ؟ قال : لأني وُلِدْتُ يوم دخل سليمان بن عليّ البصرة . قال عمرو بن بحر : ذكر لي ذا كرك عن شيخ من الإباضية أنه جرى ذكر الشيعة عنده فأنكر ذلك وأشدت غضبه ، فقلت له : ما أنكرت ؟ قال : أنكر مكان الشين في أول الكلمة لأني لم أجدها قط إلا في مسخوط عليه مثل سُومٍ وشُرٍّ وشيطانٍ وشُحٍّ وشَغَبٍ وشَيْبٍ وشَكٍّ وشِرْكٍ وشَمٍّ وشيعيةٍ وشَطْرَبَجٍ وشَاكِيٍّ وشَانِيٍّ وشَحِجٍّ وشَوْصَةٍ وشَابَشْتِيٍّ وشَكْوِيٍّ ؛ فقلت : ما تقوم بهؤلاء قائمة أبدا . قال : وسمعت رجلا يقول : عجبت لمن يأخذه النوم وهو لا يزعم أن الاستطاعة مع الفعل ؛ فقلت له : ما الدليل على ذلك ؟ فقال : سبحان الله ! الأشعار الصَّحاح ؛ قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل قول رُوبَةَ :

* ما إن يقعن الأرض إلا وفقا *

وقوله : * يهوين شتي ويقعن وفقا *

وقوله : * ميكر مفر مقيل مدير معا *

وقولهم في المثل : «وقعا كعكمي صير»^(٤) ، ثم قال : هل في هذا تقنع ؟ قلت : بلى وفي دُونِ هذا .

(١) في الأصلين : «في أول كلمة» بالتنكير وظاهر أن السياق يأباه ؛ ففعل الصواب ما ذكرناه أو أن

في الكلام حذفاً . (٢) كذا بالأصلين ولم نجده في مادة «شحج» في اللسان والقاموس مصدرًا

أرغيره . ولعله محزف عن «شجج» وهو أثر الشجة في الجبين .

(٣) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي «بعدها» بدل «أبدا» .

(٤) كذا بالأصلين ، وفي اللسان في مادة عمك : «هما كعكمي العير» والعيم : أعدل مادام فيه المتابع .

وعد رجلٌ رجلاً من الحمقى أن يهْدِي له من مكة نعلًا ، فطال عليه الانتظار ،
فأخذ قارورةً فبال فيها ثم أتى بها الطيب ثم قال : أنظر في هذا الماء هل يهْدِي لي
بعض إخواني نعلًا حَضْرَمِيَّةً؟ . وقال الزِيَادِي : مرَّ أشعبُ برجلٍ يعملُ طبَّاقًا وقال
له : زد فيه طوقًا ؛ قال : ولم ؟ قال : لعلة يهْدِي لي فيه شيء .

- ٥ أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا إبراهيم بن القَعْقَاع قال : رأيتُ أشعبَ بسوق
المدينة معه قطيفةٌ قد ذهب نخلها وهو يقول : مَنْ يَنْتَرِي مِنِّي الرَّمْدَةَ؟ فنادى رجلٌ
فساومه ؛ قال : أبرأ إليك من عيبٍ فيها ؛ قال : وما هو؟ قال : تخترقُ إن أنت لبستها .
سقط أعرابيٌّ من بعيرٍ له ، فانكسرت ضلعٌ من أضلعه فأتى الجاهل يستوصفه ؛
فقال : خذْ تمرًا جيدًا فانزع أفساعه ونواد وأعجنه بسمين ثم أخمده عليه ؛ قال : أى
يأني أنت من داخل أم من خارج؟ قال : من خارج ؛ قال : لا أبا لشانئك هو من
داخل أنفع لي ؛ قال : ضعه حيث تعلم أنه أنفع .

- ١٠ مات ابن صغير لأعرابيٍّ ، فقيل له : ترجو أن يكون لك شفيعًا ؛ فقال :
لا وكلنا الله إلى نفاعته ، حسبُه المسكين أن يقوم بأمر نفسه .
جاء أعرابيٌّ إلى المسجد والإمامُ يخطبُ ، فقال لبعض القوم : ما هذا؟ قال :
يدعون الناس إلى الطعام ؛ قال : فما يقول صاحبُ المنبر؟ قال : يقول ما يرضى
الأعرابُ أن يأكلوا حتى يحمّلوا معهم ؛ فتخطى الأعرابيُّ الناس حتى دنا من الوالى
فقال : يا هذا ، إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤنا .

أخذ الججاجُ لصًا أعرابيًّا فضربه سبعًا سوط فكلما قرعه بسوطٍ قال : اللهم
شكرًا ؛ فأتاه ابنُ عمِّ له فقال : والله ما دعا الججاجُ إلى التمدد في ضربك إلا كثرةُ

- ٢٠ (١) كذا في النسخة الألمانية وفي الأصل الفترغرافي : «الومدة» والرمدة : الكدرة التي صارت كلون
الرماد . (٢) في الأصاين «أر» وسياق الكلام يقتضى «أم» .

شكرك ، لأن الله يقول : (أَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ، فقال : إن هذا في كتاب الله؟
فقال : اللهم نعم ، فأنشأ الأعرابي يقول :

يَا رَبِّ لَا شُكْرَ فَلَا تَرِدْنِي ۖ أَسْرَفْتُ فِي شُكْرِكَ فَاعْفُ عَنِّي

بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

٥ فبلغ الحجاج نخلي سبيله . جاء أعرابي إلى صيرفي بدرهم ، قال : هذا ستوق ، فقال الأعرابي : وما هو الستوق بأبي أنت؟ قال : داخله نحاس وخارجه فضة ، قال : ليس كذلك ، قال : أكسره فإن كان كذلك فأنا منه بريء؟ قال : نعم ، فكسره فلما رأى النحاس قال : بأبي أنت ، متى أموت؟ فأنا أشهد أنك تعلم الغيب .

١٠ لما حضرت الحطيئة الوفاة قال : أحملوني على حمار فإنه لم يمُت عليه كريم قط فلعلي أن أبقى ، ثم تمثّل :

لِكُلِّ جَسَدٍ لَدَّةٌ غَيْرَ أَنِّي ۖ رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَدِيدِ

١٥ المدائني قال : دعا رجلاً بمكة لأمه ، فقال له قائل : فما بال أهلك؟ قال : هو رجل يمتأل لنفسه . قيل لأشعب : رأيت أحداً قط أطمع منك؟ قال : نعم نرجت إلى الشام فزلت أنا ورفيقي لي بذيرفيه راهب ، فتلاحينا في أمر فقلت : الكاذب منا كذا من الراهب في كذا من أمه ، فأتى الراهب وقد أنعظ وهو يقول : بأبي من الكاذب منك؟ . مرة إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي يقاص وهو يقرأ : (يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) ، فتنفس ثم قال : اللهم آجعلنا ممن يتجرعه ويسيفه .

٢٠ الأصمعي عن أبيه : قلت لأعرابي : أفبكم زناً؟ قال : بالحرائر؟ ذلك عند الله عظيم ، ولكن مساعة بهذه الإماء . موسى بن طلحة قال : جاءنا علي بن أبي طالب رحمه الله ونحن في المسجد شباب من شبا قريش ، فتحنينا له عن الأسطوانة

وقلنا : هادنا يا عم ؛ فقال : يا بني أحمى ، أتم لشيوختكم خير من مهرة ^(١) فإنه إذا كبر الشيخ فيهم شدوه عقالا ثم يُقال له : شب فيه ، فإن وثب خلوا سبياه وقالوا : فيه بقية من علالة ^(٢) ، وإن لم يثب قدموه فضربوا علالته وقالوا : لا يصيبك عندنا بلاء .

قيل لبحر بن الأحنف : ما يمنحك أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل . وقال

- ٥ . يوماً لزبراء جارية أبيه : يا زانية ؛ فقالت : لو كنت كذلك جئتُ أباك بمثلك .
أبو الحسن قال : جاء قوم إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جارُك فلان فمُرنا بكفن ؛ فقال : ما عندنا اليوم شيء ولكن تعودون ؛ قالوا : أفنملي إلى أن يتيسر عندك شيء ؛ وأنى رجل رجلا فقال له : أصلحك الله ، تعيرنا ثوبا نكفن فيه مينا ؛ قال قاسم التمار في كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .
١٠ وقال أيضا : رأيتُ إيوان كسرى فإذا هو كأنما رفعت اليد عنه أول من أمس .

كان عبد الملك بن هلال الهينابي ^(٣) له زبيل مملوء حصا للتسبيح ، فكان يسبيح بواحدة واحدة ، فإذا ملّ طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا ، فإذا زاد ماله طرحه قبضة قبضة وقال : سبحان الله عندك ، فإذا صجر أخذ بعري الزبيل وقال : الحمد لله بعدد هذا كله . دخل قوم منزل الرستمي لأمر وقع ، فحضر وقت صلاة الظهر فقالوا :

- ١٥ كيف القبلة في دارك هذه ؟ فقال : إنما نزلناها منذ شهر .

المدايني عن علي بن مجاهد عن حميد بن أبي البخترى ^(٤) أن الشعبي قال : مرضت فلقيت ابن الحزفأمرني أن أمشي كل يوم إلى الثوية ، فكنيت أغدو كل يوم إليها ،

(١) مهرة : حى من العرب ، ولهم تنسب الإبل المهرية .

(٢) العلالة : أهل الرأس وعتق .

(٣) كذا بالأصلين ولم نجد هذه النسبة أصلا في أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان وغيرها .

(٤) كذا في الأصل الفتوغرافي وتؤيده كتب اللغة والأنساب ، وفي الألمانية «البحترى» بإطاء المهملة .

فانصرفت ذات يوم فلما كنت في جُهيبة الظاهرة إذا شيخٌ منهم قاعد على طنفسة
مُتَّكئٌ على وسادة ، فسأمت ثم ألقيت نفسي على الرمل ، فقال : لقد جاستَ جلسة
عاجز أو ضعيف ؛ قلت : قد جمعتهما ؛ قال : أدام الله لك ذلك . ثم قال : إن أهلي
كانوا يتخوفون عليّ ثلاثاً : نقصان البصر وترك النساء والقطاف في المشي ، فوالله إنهم
ليرون الشخص واحداً وأراه اثنين ، ولقد تركت النساء فألى فيهن من حاجة ، وإني
لأمشي فأهملج ؛ قلت : أدام الله لك ذلك .

قال المدائني : ركب يزيد بن زهشل النهشلي بعيراً وقال : اللهم إنك قلت (وما تُكَلِّمُهُ
مُقرِّبين) وإني لبعيرى هذا المُقرِّب ؛ ففتَّره فطرحة وبقيت رجله في الغرز ، بفعل
يضرب برأسه كل حجر ومدرح حتى مات .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : آخضمت الطفاوة وبنو راسب في رجل
يُدعيه الفريقان إلى ابن عيرباض ، فقال : الحكمة بينك وبين من ذلك ، يُلقَى في النهر
فإن طفا فهو لطفافة ، وإن رسب فهو لبني راسب .

المدائني قال : لما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له : أوص ؛ قال : بم أوصي !
مالي للذكر دون الإناث ؛ فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا ؛ فقال : لكنني أمر به .
ثم قال : ويلُّ لاشعر من راوية الشعر ؛ فقيل له : أوص يا أبا مليكة للساكنين
بشيء ؛ قال : أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور . قيل : أعتق عبدك
يساراً ؛ قال : أشهدوا أنه عبد مابق ، قيل : فلان اليتيم مات أوصى فيه ؟ قال : أوصى
أن تأكلوا ماله وتتيكوا أمه ؛ قالوا : ليس إلا هذا ؛ قال : أحملوني على حمار فإنه
لم يميت عليه كريم اعلى أنجوب ؛ ومات مكانه .

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي : «الظاهرة» .

(٢) الطفاوة وبنو راسب : حيان من العرب .

لما حضرت سعد بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بني أوصيكم بالناس شراً .
كلهم نزراً . وأنظروا إليهم شزراً ، ولا تقبلوا لهم عُذراً بقصروا الأئنة ، وأشخذوا الأسيّة ،
تاكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد . ولما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال : يا بني
إني لأعلم أن قوما سيأتونكم قد أفرحوا بجباههم وعرضوا لحاهم يدعون أن لهم على
أبيكم ديناً فلا تقصوهم ، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر الله له لم تضره .
وإلا فهي مع ما تقدم .

تقدم رجل من بني العنبر الى سوار فقال : إن أبي مات وتركني وأخالي ، وخط
خطين ناحية . ثم قال : وهيينا لنا ، ثم خط خطأ آخر ناحية ، ثم قال : كيف ينتسم
المال بيننا ؟ فقال : المال بينكم أثلاثاً إن لم يكن وارث غيركم ؛ فقال له : لا أحسبك
فهمت ، إنه تركني وأخي وهيينا لنا ؛ فقال سوار : المال بينكم سواء ؛ فقال الأعرابي
أياخذ المهجين كما أخذ وياخذ أخي ؛ قال أجل ! فغضب الأعرابي وقال : تعلم والله
أنك قليل الخالات بالدهناء ؛ فقال سوار : إذا لا يضرني [ذلك] عند الله شيئاً .

قال بعض العمال لأعرابي : ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة ؛ فقال :
أرأيت إن أنبأتك بذلك تجعل في عليك مسألة ؛ قال : نعم ؛ قال الأعرابي :
إن الصلاة أربع وأربع ، ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لا تُصعب .

قال : قد صدقت ، فسئل به قال : كم فقار ظهرك ؛ قال : لا أدري ؛ قال : أفتحك
بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك !

أخبرني رجل حضر مجلس محمد بن إبيهم البرمكي أنه دخل عليه رجل يكتب
في حوائج له بفقراها ووعدته قضاءها ؛ فمض وهو يدعو له وقال : أبفالك لله وحفظك
وأتم نعمته عليك ؛ فقال له محمد بن إبيهم : كتّابي إليك وأنا في عافية .

طبائع الإنسان

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه أنه وجد في التوراة:
 إني حين خلقت آدم ركبت جسده من أربعة أشياء ثم جعلتها وراثته في ولده تمي
 في أجسادهم ويمنون عليها الى يوم القيامة: رطب ويابس وسخن وبارد، وذلك لأنني
 خلقتهم من تراب وماء ثم جعلت فيه نفسا وروحا، فيبوسة كل جسد من قبل التراب،
 ورطوبته من قبل الماء، وحرارته من قبل النفس، وبرودته من قبل الروح، ثم خلقت
 الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق الآخروهي مالاك الجسد بإذني
 وقوامه، لا يقوم الجسد إلا بهن ولا تقوم واحدة إلا بهن، الميزة الصفراء والميزة السوداء
 والدم والبلغم، ثم أسكنت بعض هذه الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في الميزة
 السوداء ومسكن الرطوبة في الدم ومسكن البرودة في البلغم ومسكن الحرارة في الميزة
 الصفراء، فأما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع فكانت كل واحدة منهم رُبعا
 لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدل بنيانه، وإن زادت واحدة منهم غلبت
 وقهرت ومالت بهن ودخل على أخواتها السقم من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت
 ناقصة تقل عنهن ملن بها وعلونها وأدخلن عليها السقم من نواحيهن لقلتها عنهن حتى
 تضعف عن طاقتهن وتعجز عن مقاومتهم؛ قال وهب: وجعل عقله في دماغه وشهره
 في كليلته، وغضبه في كبده، وصرامته في قلبه، ورعبه في رثته، وضحكه في طحاله،
 وحرته وفرحه في وجهه، وجعل فيه ثلاثا وستين مفصلا .

(١) في الألمانية: «وإذا كانت ناقصة نقلن عنها وملن...» .

(٢) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ وفي الأصلين: «عن مقاربتين» والفعالان فيهما (تضعف وتعجز)

بالياء والسياق يقتضى تا. التأنيث كما وضعنا .

(٣) في الأصلين ومرة . وما ذكرناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١

- قال : حدثني زيد بن أنحزم ^(١) قال : حدثنا بشر بن عمر عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كُلُّ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضَ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ فِيهِ يُرْكَبُ" ، وقالت الحكماء : الخنث يعترى الأعراب والأكراد والزنج والمجانين وكل صنف إلا الخصيان فإنه لا يكون خصيً مُخنث .
- وقالوا : كل ذى ریح مُنننه وذفر كالنيس وما أشبهه ، إذا خُصي نقص تننه وذهب صنانه غير الإنسان فإن تننه يشتد وصنانه يحد وعرقه يخبث وريجه . وكل شيء من الحيوان يُخصي فإن عظمه يبدق ، فاذا دق عظمه أسترنحى لحمه وتبرأ من عظمه خلا الإنسان فإنه إذا خُصي طال عظمه وعرض . وقالوا : الخصى والمرأة لا يصلحان ، والخصي تطول قدمه وتعظم . وبلغني أنه كان لمحمد بن الجهم رذون رقيق الحافر نخصاه بغاد حافره ، أعتبر ذلك بالإنسان إذا خُصي عظمت رجله . قالوا : والخصي يشتد وقع رجله لأن معاقده عصبه تسترنحى ، ويعتريه الأعوجاج والقدح في أصابعه ، وتُسرع دمعته ، ويتخذ جلدده ، ويُسرع غضبه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتان السر . ويزعم قوم أن أعمارهم تطول لترك الجماع ، قالوا : وتلك علة طول عمر البغل . وقالوا : علة قصر عمر العصفور كثرة سفاده . قالوا : وشأن الغريق إذا كان رجلا ثم ظهر على الماء أن يظهر على قفاه ، وإن كان امرأة أن تظهر على وجهها . والرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه ثم يقلبه ذكوره إذا أنتفخ . قالوا : وفي الغلمان من لا يحتلم أبدا ، وفي النساء من لا تحيض أبدا ، وذلك عيب . وفي الناس من لا يسقط ثغره ولا يستبدل منه . منهم عبد الصمد بن علي ذكروا أنه دخل قبره برؤاضه .

(١) في الأصل : أنحزم . وانصوب عن كتب التراجم .

(٢) كذا في النسخة الفندرية . وفي النسخة الألمانية أربعة أصفار بعد قوله وريجه ، وكتب في التعليق عليه بالغة الألمانية : سقطت كلة . وفي العقد المفرد ج ٣ ص ٣٥١ : وخبث عرقه وريجه .

- (١) والضَّبُّ لا تسقط له سنٌّ . وكذلك الخنزير لا يُلقي شيئاً من أسنانه . ولذلك تقول العرب في مثلٍ لها : «لا آتيك سنُّ الحِسلِ»^(٢) يريدون لا آتيك أبداً . وتقول الأطباء : إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أديم السماء إلا الإنسان ، وذلك لكرامته على الله . ويقول بعضهم : إن الجنين يغتذى دم الحيض يسيل إليه من السرة بغذائه ؛ وقالوا : لذلك لا تحيض الحوامل . وقد رأينا من الحوامل من تحيض . والعرب تقول : حامت فلانة سهواً ، إذا حاضت على الحمل . قال الهذلي يمدح رجلاً^(٣) :
ومبرأً من كلِّ غُبرٍ حيضيةٍ . ورضاعٍ مغيلةٍ وداءٍ مُعضِلِ^(٤)
فأعلمك أنها لم تر عليه دم حيض في حملها ، ودلَّ على أنه قد يكون . قالوا : فإذا نرج الجنين من الرحم دفعت الطبيعة ذلك الدم الذي كان يغتذيه إلى الثديين ، وهما عُضوان تَهْدان عَصَبِيَّان فَيَهْرَاهُ وجعلاه لبناً . يقول الله عز وجل : (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّا خَلْفَهَا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) . قالوا : والإنسان يعيش حيث تحيا النار ويتلف حيث لا تبقى النار . وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على نفق في بطن الأرض أو مغارة قدموا شمعة في طرف قناة فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا في طلب ما يريدون وإلا أمسكوا . والعرب تتشاءم بذكر ولد الرجل إذا كان ذكراً . وكان قيس بن زهير أزرق بكراً بين بكرين .

(١) في الأصلين : «وكذلك ...» وظاهر أن ما ذكرناه هو الأنسب بالسياق . (٢) الحسن ولد الضب . (٣) هو تأبط تراً . (٤) كذا في الأصل ، وفي اللسان في مادة «غبر» والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ وشرح الحماسة للبريزي ج ١ ص ٥٣ :
« وساد مرضعة وداء ، مفيل : وقد أوردته صاحب اللسان كذا ثم ورواه قال هو مصروف على قوله :
« ولقد سريت على الغلام بمغتم » وهو صدر بيت مقدم في التصيد . وفي شرح الحماسة للبريزي :
« يروى مبرأً بالنصب وهو الجرح » فالنصب على قوله « سيره » والجرح نطف على قوله جلد من الفتيان .
والغتر بقايا الحيض . المغيلة : الحبل أو التي تُعشى وهي ترضع ؛ وتكون الذي ورد في اللسان والقاموس :
أعيايت المرأة فهي مفيل . (٥) كذا في الألمانية . وفي التبريرية «بادات» .

حدثني محمد بن عائشة عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : يكر
البيكرين شيطان مخلد لا يموت الى يوم القيامة بايعني من الشياطين ، قالوا : وآبن المذكرة
من النساء والمؤنث من الرجال أخبث ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه
وخصال أمه . والعرب تذكر أن الغيري لا يُنجب . قال عمرو بن معد يكرب
ألسنت تصير^(١) اذا ما نُسبت بين المغارة والأحمق^(٢)

وقال بعض الحكماء : كل امرأة أودابة تُبطن عن الحبل . إذا واقعها الفحل في الأيام
التي يجرى الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله . قال عبيد الله بن الحسن : إذا أردت
أن تذكر المرأة فأغضبها ثم قع عليها . وقال الحارث بن كلدة : إذا أردت أن تحبل المرأة
فشمها في عرصة الدار عشرة أشواط فإن رجمها ينزل فلا تكاد تُخلف . والعرب
تقول : إن المرأة إذا لقحت في قبيل الطهر^(٣) في أول الشهر عند تبليج الفجر ثم أذكرت
جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعاني :

لَقِحت في الهلال عن قبيل الطهر وقد لاح للصباح بشير

ويقولون : إذا أكره الرجل المرأة وهي مذعورة ثم أذكرت أنجبت . قال أبو كبير الهذلي :

حملت به في ليلة مزعودة * كرها وعقد نطقها لم يُحَلل^(٤)

فأتت به حوش الجنان مبطنًا : سهدًا اذا ما نام ليل الهوجل^(٥)

ومبرًا من كل غير حيضة * ورضاع مغسيلة وداء معضل

(١) في الأصل : قصيرا ، والتصويب عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ (٢) المغارة : من أعارها
زوجها بزوجه عليها . (٣) قبل الطهر : أثره . (٤) مزعودة : مذعورة ، وفي تعليقات الشيخ
انشققت على أشعار الهذليين المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٠٠ د ب ش : كان أبو عبيدة ينصب
مزعودة والأصمعي يمزجها بجعل الرزد لليلة . وساق هذا البيت صاحب معنى التسيب في أواخر الكتاب وقال :
يروي بالجر صفة لليلة وبالنصب حالا من الضمير في حملت . وضعف هذا الوجه بأن ذكر الليلة حينئذ لا كبير
فائدة فيه . (٥) حوش الجنان : حديدته . ومبطن : ضامر البطن حميصه . وسهد : قليل النوم .
واهوجل : العطن ، التقين . وقد روي في الأصل التمتوغرافي : . اذا ما قام ليل الهوجل * وهو
تحرىف والتصويب عن النسخة الألمانية ولسان العرب في مادة «حوش» .

يقول : لم تر عليه في حملها دما باقيا من حيضة ولا حملته وهي تُرضع ولا أرضعته وهي حامل ؛ فكانت العرب تكره ذلك وتسببه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد هممتُ أن أنهي عن الغيلة^(١) ثم ذكرتُ أن فارس والروم يفعلونه فلا يضرهم" وفي حديث آخر : "إنه ليدرك الفارس فيدعيره" أي يطرحه .

٥ حدّثني إسحاق بن راهويه قال : أخبرنا يحيى بن آدم عن الحسن قال : رأيت جدّة ابنة إحدى وعشرين سنة . قال : وأول أوقات حمل المرأة تسع سنين ، وهو أول وقت الوطء . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعاشة وهي بنت تسع . وقال عبد الله ابن صالح : حدّثني الليث عن ابن عجلان أن أمراة حملت له مرّة وأقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت له ، وحملت له مرّة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت . قال الليث : وحملت مولاة لعمر بن عبد العزيز ثلاث سنين حتى خافت أن يكون في جوفها داء ثم ولدت غلاما ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتي أهلنا . وفي بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أمه لثمانية أشهر ، ولذلك لا يولد مولود لثمانية أشهر فيعيش . وروى زيد بن الحباب عن ابن سنان قال : حدّثني ثابت بن جابان العجليّ أن الضحّك بن مزاحم ولد وهو ابن ستة عشر شهرا . فأما يزيد بن هارون فإنه روى عن جويبر أن الضحّك ولد لستين . وولد شعبة لستين . حدّثنا الرياشيّ ١٥ أو رجل عنه قال حدّثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مؤمل عن ابن أبي مليكة أن عمر رحه الله قال : يا بني السائب ، إنكم قد أضويتم^(٢) فأنكحوا في النزاع^(٣) . قال : وقال

(١) ورد هذا الحديث في طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٧٧ طبع مدينة ليدن وفيه مخالفة غير جوهرية لرواية الأصل ، وفيها : "قال مالك بن أنس : القبلة أن يمس الرجل أمراة وهي ترضع" .

٢٠ (٢) أضوى الرجل : ولد له غلام ضاوى ، والضاوى : الضعيف . (٣) النزاع جمع نزيمة وهي المرأة التي تُترج في غير عشيرتها .

الأصمعيّ قال رجل : بنات العم أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رءوس الأبطال
كأبن حَجَمِيَّة . والعرب تقول : ^(١)أغتربوا لا تُضوّوا ، أي أنكحوا في الغرائب فإن
القرائب يُضوين الأولاد . قال الشاعر :

إن بِلَالًا لم تَسِينه أُمّه * لم يتناسب خاله وعمّه

وقال آخر :

تَجَبُّهَا لِلنَّسْلِ وهى غَرِيبَةٌ * بَخَاعَتْ بِهِ كَالْبَدْرِ نَحْرًا مَعْمَا ^(٢)

فلو شاتم الفتيان في الحى ظالمًا * لما وجدوا غير التكدب مسالمًا

وكان يقال : أنجب النساء الفروك ^(٣)، لأن الرجل يغلبها على الشبه لزهدها في الرجال .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ أن المنجبة التي تنزع بولدها إلى أكرم الجدين .

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : حدثنا حرب بن قطن قال : يقال : إن الرجل يستفرغ

ولد امرأتين ، يُولد له وهو ابن تسعين سنة . وقالت عائشة : لا تلد امرأة بعد خمسين

سنة . قالت الحكماء : الزنج شرار الخلق وأردوهم تركيا لأن بلادهم سخنت فأحرقهم

الأرحام ، وكذلك من بردت بلاده فلم تطبخه الأرحام ، وإنما فضل أهل بابل لعلّة

الاعتدال ؛ قالوا : والشمس شيطت شعورهم فقَبَضَتْما ، والشعر إذا أدنيتّه إلى النار

تجمد ، فإن زدته تغفل ، فإن زدته أحترق . وقالوا : أطيب الأمم أفواها الزنج وإن لم

تستن ^(٤) ؛ وكل إنسان رطب الفم كثير الريق فهو طيب الفم ؛ وخلوف فم الصائم يكون

لخثورة الريق ؛ وكذلك الخلوف في آخر الليل . وقالت الحكماء : كلّ الحيوان إذا أُلقيَ

في الماء سبح إلا الإنسان والقرد والفرس الأعسر ^(٥) ، فإن هذه تغرق ولا تسبح إلا أن

(١) كذا بالأصلين ، وأورده صاحب النهاية واللسان على أنه حديث . (٢) الخرق : الفقى الحسن

الكريم الخليفة . (٣) الفروك : المرأة تبفض زوجها . (٤) تستن : تستاك .

(٥) الخثورة ضد الرقة . (٦) الأعسر : الذى يعمل بالشمال دون اليمين .

يتعلم الإنسان السباحة . قالوا : والرجل اذا ضربت عنقه فألقى في الماء قام في وسط الماء وانتصب ولم يلزم القعر جاريا كان الماء أو ساكنا ، حتى اذا جيف قلبه وظهر بدنه كله مستلقيا إلا المرأة فإنها تظهر منكبها على وجهها . وقالوا : كل من قطعت يده لم يجِد العدو ، وكذلك الطائر إذا قطعت رجلاه لم يجِد الطيران . قالوا : وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الحُضْر^(١) إلا أخذ عن يساره إلا أن يترك عزمه أو سؤم طبيعته . ولذلك قالوا : بخاءك على وحشيه^(٢) ، وأنحى على سُومى^(٣) يديه . وقالوا : كل ذى عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشية والإنسية فإنما الأشْفَارُ^(٤) بلحفته الأعلى إلا الإنسان فإن الأشْفَارَ — نعى الهدب — بلحفته : الأعلى والأسفل . قالوا : ليس في الأرض إنسان إلا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتريه الغلط في شعره وولده . قال الطائي :

ويُسَىء بالإحسان ظنًا لا كمن^(٤) * هو بأبنه وبشعره مفتون

وقالوا : كل ذى جلد فإن جلده ينسلخ إلا جلد الإنسان ؛ فإنه لا ينسلخ كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي طرفة الهذلي عن جندب بن شعيب قال : إذا رأيت المولود قبل أن يغتذى من لبن أمه فعلى وجهه مصباح^(٥) من البيان ؛ يريد أن ألبان النساء تُغيَّره ؛ ولذلك قوهم : اللبن يُسْتَبه عليه ؛ يراد أنه يتزَعُّ بالمولود في شبه الظئر . قال الشاعر :

لم أرَ ضِعْ الدهرَ إلا تَدَى واحدةٍ : إواضِحِ الوجهِ يجمي ساحةَ الدارِ

(١) الحضر: ارتفاع الفرس في عدوه . (٢) وحشى كل شيء ، شقه الأيسر وفي الأصلين «وحشة» وما وضعناه هو الذي يناسب السياق . (٣) أنحى على سُومى يديه : اعتمد عليها ، وتُسومى اليدين هي اليسرى ، وفي الأصلين «ألحى» بدل «أنحى» . (٤) في الأصل «كل من» والتصويب عن الديوان . (٥) المراد من البيان هنا الصفاء والإشراق .

وحدثني الزيادي قال : حدثنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أن عمر أتى
بأمرأة ولدت لسته أشهر فهمم بها ، فقال له علي : قد يكون هذا ، قال الله عز وجل :
(وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) وقال : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) .

أبو حاتم عن الأصمعي قال : آخضم رجلان في غلامٍ كلاهما يتبعه ، فسأل عمر
أمه ، فقالت : غشيتي أحدهما ثم هرفتُ دما ، ثم غشيتي الآخر ، فدعا عمر قاتنين فسألها ،
فقال أحدهما : أألين أم أسير؟ قال : أسير ، قال : أشتركا فيه ، فضر به عمر حتى أضطجع
ثم سأل الآخر ، فقال مثل قوله ، فقال : ما كنتُ أرى أن مثل هذا يكون . وقد علمتُ
أن الكلبة يسفدها الكلابُ فتؤدى إلى كل فحل نجلة . وركب الناس في أرجلهم
وركب ذوات الأربع في أيديها ، وكل طائر كفه في رجليه .

١٠ ما نقص خلقه من الحيوان

حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : الفرس لا يطحال له ، والبعير لا مَرارة له ،
والظليم لا يُنخ لعظمه . قال زهير :

كأن الرجل منها فوق صعل^(٤) * من الظلمان جوجؤه هواء^(٥)

وكذلك طير المساء وحياتان البحر لا أسنة لها ولا أذمغة . وصفن البعير لا بيضة^(٦)

١٥ فيه . والسمكة لا رئة لها ولذلك لا تتنفس ، وكل ذى رئة يتنفس .

(١) القائف : الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

(٢) كذا في النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما في العقد الفريد . وفي الألمانية : ركه .

(٣) الظليم : الذكر من النعام .

(٤) الصعل : الطويل . وفي الفتوغرافية «صقل» .

(٥) الجوجؤ : الصدر .

(٦) الصفن : رطاء الخسبة .

المشتركات من الحيوان

(١) الراعى بين الورشان والحمامة . والبخاتي (٤) من الإبل بين العراب والفواج (٦) . والحمير
الأخدرية من الأخدر وهو فرس كان لأردشير توحش فحَمَى عانات من الحمير (٧)
فَنُزِبَ فيها ، وأعمارها كأعمار الخيل . والزرافة بين الناقة من نوق الوحوش وبين
البقرة الوحشية وبين الضبعان (٨) ، وأسمها أشتركاو بَلَنك أي بين الجمل والكركنند (١٠) ، وذلك
أن الضبعان ببلاد الحبشة يسفد الناقة فتجىء بولد خَلَقَه بين الناقة والضبع ، فإن كان
ولد الناقة ذَكَرًا عَرَضَ لِلْمَهَاة (١١) فَالْقَحْهَا زَرَّافَةٌ ، ومُتَمِّت زرافة لأنها جماعة وهي واحدة
كأنها جمل وبقرة وضبع ؛ والزرافة في كلام العرب الجماعة . وقال صاحب المنطق :
الكلاب تسفدها الذئاب في أرض سَلُوقِيَّة (١٢) فيكون منها الكلاب السَلُوقِيَّة (١٣) .

- ١٠ (١) الراعى : طائر متولد بين الورشان والحمام كثير النسل يعيش ضويلا . (٢) الورشان : ذكر
التمارى كما في حياة الحيوان . (٣) فى الأصل «الينامة» وما أثبتناه عن العقد الفريد ج ٣
ص ٣٥٣ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٥٥ (٤) البخاتي جمع بختى وهي الإبل الخراسانية .
(٥) العراب : إبل خلاف البخاتي كما فى اللسان . (٦) جمع فاج وهو جمل ضخم ذو سنامين يحمل
من السند للقطعة . (٧) جمع عانة وهي القطيع من حمر الوحش . (٨) هو الذكر من الضبع وهو
مفرد . (٩) كلمة فارسية كما فى القاموس والصحاح مركبة من أشتر أي البعير وكار أي البقر وبلنك أي النمر
١٥ وفى حياة الحيوان ج ٢ ص ٥ وبلنك الضبع ؛ والأول هو المعروف فى الفارسية . (١٠) فى النسخة
الألمانية «الكركن» وهو قريب مما أثبتناه وفى النسخة الفتونغرافية «الكركى» وهو طائر كبير معروف .
والكركنند كما فى حياة الحيوان حيوان طويله مائة ذراع فأكثر وسماه الجاحظ الكركدن ، ومعادنه بلاد
الهند والنوبة وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والفيل . وتفسير المؤلف لكلمة (أشتركار بلنك)
٢٠ يخالف بعض المخالفة تفسير القاموس ، وتفسير صاحب حياة الحيوان . (١١) المهامة : البقرة
الوحشية ، وفى الأصلين : «المهرة» والسياق يحتم ما وضعنا . فلعل ما فى الأصل تحريف من النامح .
(١٢) نسبة الى سلوق وهي قرية باليمن تناسب اليها الدروع والكلاب . (١٣) فى الاصل «بينها»
وما أثبتناه عن العقد الفريد .

المتعاديات

- بين البوم والغراب عداوة . وبين الفأرة والعقرب عداوة . وبين الغراب
 وأبن عرس عداوة . وبين الحداة والغداف^(١) عداوة . وبين العنكبوت وبين العظاءة^(٢)
 عداوة . وبين الحية وبين ابن عرس عداوة . وبين ابن آوى والدجاج عداوة .
 وبين السنور والحمام عداوة . وبين البوم وبين جميع الطير عداوة ، لأن البومة رديّة
 البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يقو عليها شيء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهي
 بالنهار تضربها وتنتف ريشها ، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصبها للطير . وبين
 الحمام وبين عصفور الشوك عداوة ، ومتى نهب الحمام سقط بيض عصفور الشوك .
 وبين الحمام وبين الغراب عداوة . وبين الحية والخنزير عداوة . والغراب مصادق
 للثعلب . والثعلب مصادق للحية . والجمل يكره قرب الفرس أبدا ويقاتله . وبين
 الأسد وبين الفيل عداوة . ويقال : إن الأسد والنمر مختلفان ، والأسد والبير متفقان .^(٤)

الأمثال المضروبة بالطبائع

- يقال : فلان «أسمع من قراد»^(٢) ، والقردان تكون عند المساء فإن قربت الإبل منها
 تحركت وأنتعشت . فيستدلون بذلك على إقبال الإبل . و«أسمع من فرس» . و«أحزم من
 فرخ العقاب» ، وذلك أنه يكون في عرض الجبل فلا يتحرك فيسقط . و«أحلم من

(١) الغداف : الغراب وخص بعضهم به غراب القبيظ الضخم الوافر الجناحين . لسان العرب .
 (٢) هذه لغة أهل العالمة . ولغة بني تميم «العظاية» بالياء . قال صاحب حياة الحيوان نقلا عن الأزهري :
 هي دويبة . المساء تعدو وتتردد كثيرا تشبه ساتم أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذي ، وتسمى شحمة الأرض
 وشحمة الرمل . (٣) ابن آوى : حيوان طويل الخالب والأظفار ، يأكل الطيور ، وخوف
 الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب ، ويذكر التميمي أن ابن آوى إذا مرت تحت الدجاج وهي على الشجرة
 أو الجدار تساقطت وإن كانت عددا كثيرا . (٤) البير مضبوط في اللسان والقاموس بفتح الباء الأولى
 وسكون الثانية وصرح في حياة الحيوان أنه بفتح الأولى وكسر الثانية : نوع من السباع شبيه بأبن آوى .
 (٥) القراد بالضم واحده قرادة وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه .

حية» . و«أهدى من قِطَاةٍ وحمّامة» . و«أخف رأسا من الذئب» . و«أنوم من فهيد» .
و«أظلم من حية» ، وذلك لأنها تدخل بحجرة الحشرات وتخرجها . و«أحذر من
غراب» . و«أصنع من تنوط» ، وهو طائر يصنع عشًا مدلى من الشجر . و«أصنع
من سرفية» ، وهي دويبة تعمل بيتا من قطع العيدان . و«أسرق من زبابة» ، وهي
فأرة برية . و«أسرق من كندش» وهو العققق ، ويقال أيضا : «أحمق من عققق»
لأنه من الطير الذي يضيع فراخه . و«أحرق من حمامة» ، وذلك لأنها لا تجيد
عمل العش فرما وقع البيض فانكسر . قال عبيد بن الأبرص :

عيوا بأمرهم كما .. عيت بيضتها الحمامة
جعلت لها عودين من * تسم وآخر من حمامة^(١)

يقول : قرنت النشم بالثمام وهو ضعيف فتكسر ووقع البيض فانكسر . وفي الإنجيل
أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : كونوا حُماما كالحيات وبلها كالحمام . و«أعق
من صب» ، لأنه يأكل ولده من الجوع . و«أبر من هرة» ، وهي تأكل ولدها من
شدة محبته . و«أروغ من ثعلب» . و«أموق من رنمة»^(٢) . و«أزهي من ذباب»
لأنه يقع على أنف الملك وتاجه . و«أصنع من الدبر» ، وهي النحل . و«أسمح من
لافضة» ، ويقال : هي العنز تسمح بالحلب ، ويقال : الرحا ، لأنها تلفظ ما تطحنه
لا تحبس منه شيئا . و«أصرد من عين حرباء»^(٣) . و«ألح من الخنفساء» . و«أخيل
من مدالة» ، وهي الأمة تُهان وهي تبتخر . و«أحلم من فرخ الطائر» . و«أكيس
من قشبة» ، وهي القردة . و«أجبن من صافير» ، وهو ما صفر من الطير ، ويقال : هو

(١) النشم بالتحريك : شجر جليّ تتخذ منه القسي ، واثمامة واحدة الثمام : نبت ضعيف .

(٢) أموق : أحق ، من الموق وهو الحق . (٣) في مجمع الأمثال لبيداني : الحرباء . بالتحريف ، وعلة
بأن الحرباء تستقبل الشمس أبدا بعينها تستجلب إليها الدفء . وورد فيه بعض هذه الأمثال بالتحريف أيضا .

- (١) الصافر بالمرأة للريبة . و «أنم من صبح» . و «أبعد من بيض الأثوق» ، والأثوق :
الرتحة تبيض في أعالي الجبال والشواهد حيث لا يبلغه سبغ ولا طائر . و «أشجع من
ليث عفرين» ، قال بعضهم : هو الأسد ، كأنه قال : أشجع من ليث ليوث تعفر من
نازعها وتصرعه ، وقال الأصمعي : هو دابة مثل الخرباء يتخدى الراكب ويضربه
بذنبه . و «أحن من شاريف» ، وهي الناقة المسنة . و «أسرع من عدوى الثوباء» .
و «أروى من النقاقة» ، وهي الضفادع . و «أزنى من قرد» ، ويقول بعضهم : إنه
رجل من هذيل كان كثير الزنا . و «أخدع من ضب» . و «أشأم من الزرقاء»
وهي ناقة .

الأنعام

- ١٠ حدثني يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهلي عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما خلق الله دابة أكرم عليه من النعجة»
وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها .

وقال : حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن إهاب بن عمير قال : كان لنا جمل يعرف
كشع الحامل من غير أن يشمها . قيل لأبنة الخس : ما تقولين في مائة من المعز؟

- ١٥ (١) وفي النسخة الألمانية : «بالمرأة المربية» وعبارة الأساس «هو الذي يصفّر لريبه فهو وحل أن
يظهر عليه ، وقيل : هو طائر يكس رأسه ليلا ويتعلق برجليه وهو يصفّر خيفة أن ينام فيؤخذ» .
(٢) في الأصلين «تعقر» والسبق يقتضى ما رصعنا إذ سبق الفعل لبيان الاشتقاق . (٣) في جمع
الأمانال للبداني : «أشأم من ورقاء» وقال : يعنون الناقة وهي مشومة وذلك أن ربهما نقرت فذهبت
في الأرض . وما في الأصل حكاه الميداني عن أبي الندى وقال : الزرقاء ناقة نقرت براكيها فذهبت
في الأرض . (٤) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وقد وردت هذه الكلمة في الأصل الفتوغرافي
٢٠ هكذا «يسها» وفي النسخة الألمانية «يسى» . (٥) أبنة الخس : امرأة من إياد جاءت عنها
الأمثال رأسها حند وكانت معروفة بالفصاحة .

قالت : قِنِّي ؛ قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنِّي ؛ قيل : فمائة من الإبل ؟
قالت : مُنِّي . والعرب تضرب المثل في الصَّرْدِ بِالْمِعْزَى فتقول : « أَصْرَدُ من عَنَزٍ
جَرَبَاءِ » . وسئل دَغْفَلٌ عن بنى مخزوم ، فقال : مِعْزَى مَطِيْرَةٌ ، عليها قَشَعْرِيْرَةٌ ،
إلا بنى المَغِيْرَةِ ؛ فإنَّ فيهم تشادقُ الكلام ، ومُصَاهِرَةٌ الكِرامِ .

وقالت العرب فيما تقول على ألسنة البهائم : قالت المِعْزَى : الأَسْتُ جَهْوَى^(٢) ،
والذَنبُ أَلْوَى ؛ والجِلْدُ رُقَاقٌ ، والشعرُ دُقَاقٌ . قالوا : والضأن تضع مرة في السنة
وتُفَرِدُ ولا تُنْتِمُ ، والماعِزُ قد تلد مرتين في السنة ، تضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنماء
والبركة والعدد في الضأن ؛ وكذلك الخنازير تضع الأثني منها عشرين خنوصاً ولا نَمَاءَ
فيها . ويقال : الجَوَامِيسُ ضَأْنُ البقرِ ، والبُحْتُ ضَأْنُ الإبلِ ، والبراذين ضَأْنُ الخيلِ ،
والجرذان ضَأْنُ الفأرِ ، والدُّلْدُلُ ضَأْنُ القنَافِذِ ، والنمل ضَأْنُ الدُّرِّ . ويقول الأطباء في لحم
الماعِزِ : إنه يورث الهَمَّ ويحرك السَّوداءَ ويورث النسيانَ ويُحَبِّلُ الأولادَ ويُفسد
الدمَ ، ولحم الضأن يضرُّ بمن يُصْرَعُ من المِرَّةِ إِضْرَاراً شديداً حتى يصرَعَهُم في غير
أوان الصَّرْعِ . وأوان الصرع الأَهْلَةُ وأنصافُ الشهورِ ؛ وهذان الوقتان هما وقت مَدِّ
البحر وزيادة الماء والدم . ولزيادة القمر إلى أن يصير بدراً أثر في زيادة الدم والدماغ
وجميع الرطوبات ؛ قال الشاعر :

كَانَ القَوْمُ عَشُّوا لِحْمِ ضَأْنٍ * فَهَمَّ بِعِجُونِ قَدِمَالَتِ طَلَاهُمُ^(٣)

وفي الماعِزَةِ : إنها ترَضَعُ من خَلْفِهَا وهي مُحْفَلَةٌ حتى تأتي على كلِّ ما فيه ؛ قال
أَبْنُ أَحْمَرَ

(١) الصرد: البرد، لأن المعزى لا تدفأ لقلتها شعرها . (٢) جهوى: مكشوفة (٣) الرجل البعج :
الضعيف المثنى كأنه مبعوج البطن ، وفي النسخة الألمانية : « فهم يعجون قدامت طلالهم »
(٤) الخلف بالكسر : حلبة الضرع . (٥) المحفلة : التي ترك حلبها أيا ما ليجمع اللبن في ضرعها .

إني وجدتُ بني أعيًا^(١) وجاملهم^(٢) * كالعنز تعطف روقها فترتضع^(٣)

وإذا رعت الضائنة والماعزة في قصير نبت لم ينبت ما تأكله الماعزة لأن الضائنة تقرضه بأسنانها والماعزة تقتلعه وتجذبه فتثره من أصله . وإذا حمل على الماعزة فحملت أنزل اللبن في أول الحمل إلى الضرع ، والضائنة لا تنزل اللبن إلا عند الولاد ، ولذلك تقول العرب «رمدت المعزى فرث رثق»^(٤) و«رمدت الضأن فرث رثق»^(٥) .
وذكر كل شيء أحسن من إناثه إلا الثيوس فإنها أقبح من الصفايا . وأصوات الذكور من كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها .
قيل لأعرابي : بأي شيء تعرف حمل شاتك ؟ قال : إذا ورم حياؤها ورجت شعرتها وأستفاضت خاصرتها .

قال الأصمعي : لبي عقيل ماعزة لا ترد ، تجترى بالرطب . وقرأت في كتاب من كتب الروم : إن أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة فانظر إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه . وقرأت فيه أن الإبل تنحامي أمهاتها وأخواتها فلا تسفدها .
قالوا : وكل ثور أفتس ، وكل بعير أعلم^(٦) ، وكل ذباب أفرح^(٧) . وقالوا : البعير إذا صعّب وخافه الناس أستعانوا عليه حتى يبرك^(٨) ويعقل ثم يركبه فخل آخر فينل . والعرب تعرف

١٥ (١) كذا في الأصل والصحيح والذي في اللسان في مادة «رضع» : * إلى رأيت بنى منهم وعزهم *
و«أعياء» أبو بطن من أسد كما في اللسان . (٢) الجامل قطع من الإبل معها رعيانها وأربابها .
(٣) الروق : القرو ، يريد أنهم لا يتلبون نياقهم وإنما يرتضعونها خشبة أن يسمع العافون صوت الحلب .
وتلبيون اللبن منهم . (٤) الترميد : أن تعظم الضروع . والترثيق : الانتظار . والمعنى أن عظم ضرع الماعزة لا يدل نمل قرب ولادتها . (٥) أي هي الأولادها الأرباق (جمع ربق بالكسر وهو حمل فيه سدة عمرى ، يشد به البهم . كل عروة ربة بالكسر والفتح) يعنى أن عظم ضروع الضأن يدل نمل قرب ولادتها ، وهو مثل بضرب لما لا ينتظر وقومه انتظارا طويلا على عكس المثل الأول .
(٦) الأفتس : الذي تطامننت قصبة أنفه وأنتشرت أرائشم أنفه في وجهه . (٧) الأعلم : المشقوق المشفر الاعل . (٨) الأفرح : الذي بوجهه قرحة تظهر كالغرة .

البعير المُنْعَدُ بِسِقُوطِ الذَّبَابِ عَلَيْهِ . وَيَقُولُونَ : بَعِيرٌ مَذْبُوبٌ إِذَا عَرَّضَ لَهُ دَاءٌ يَدْعُو
الذَّبَابَ إِلَى السَّقُوطِ عَلَيْهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْقَصَاصِ : مِمَّا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ الْكَبْشَ أَنْ جَعَلَهُ
مَسْتَوْرَ الْعَوْرَةِ مِنْ قُبُلٍ وَمِنْ دُبُرٍ ، وَمِمَّا أَهَانَ بِهِ التَّيْسَ أَنْ جَعَلَهُ مَهْتَوَكَ السَّيِّئِ
مَكشُوفِ الْقَبْلِ وَالدُّبْرِ .

٥ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْمُنْعَمِ عَنْ أُمِّهِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ
فِي مَنَاجَاةِ عَزْرِيِّ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَحْتَرْتِ مِنَ الْأَنْعَامِ الضَّائِنَةَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْحَمَامَةَ ، وَمِنَ النَّبَاتِ
الْحَبْلَةَ ، وَمِنَ الْبَيْوتِ بَكَّةَ^(٢) وَإِيلِيَاءَ^(٣) ، وَمِنَ إِيلِيَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَمْرَأَةَ
أُمَّتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، إِنِّي آتَخَذْتُ غَنِمًا أَبْتغِي
تَسْلِيهَا وَرِسْلَهَا وَإِنِّي لَا تَتَمُّوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَلْوَانُهَا » . فَقَالَتْ :
سُودٌ ، فَقَالَ : « عَفْرِي^(٤) » ، وَبَعَثَ إِلَى الرَّعِيَانِ « مَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ سُودٌ فَلْيَخْلِطْهَا بِعَفْرِ
فَإِنَّ دَمَ عَفْرَاءٍ أَزْكَى مِنْ دَمِ سَوْدَاوَيْنِ » . وَقَالَ : « الْغَنَمُ إِذَا أَقْبَلَتْ وَأَقْبَلَتْ وَإِذَا أُدْبِرَتْ
أَقْبَلَتْ . وَالْإِبِلُ إِذَا أُدْبِرَتْ أُدْبِرَتْ وَإِذَا أَقْبَلَتْ أُدْبِرَتْ وَلَا يَأْتِي نَفْعُهَا إِلَّا مِنْ جَانِبِهَا
الْأَشَامِ^(٥) » . وَالْأَقِطُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْمِعْزَى ، قَالَ أَمْرَأَةُ الْقَيْسِ :

لَنَا غَنَمٌ نُسَوِّقُهَا غِزَارًا * كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتْهَا عِصِيٌّ

فَتَمَلَأُ بَيْتَنَا أَقْطًا وَسَمِنًا * وَحَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ

١٥ وَقَالُوا : شَيْعَةُ الْبَعِيرِ : لَهَا تَه يُخْرِجُهَا . وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْغَنَمِ قَوْلُ مُخَارِقِ
أَبْنِ شِهَابٍ فِي تَيْسِ غَنَمِهِ :

٢٠ (١) أَعْدَ الْبَعِيرُ : أُصِيبَ بِالْفَعْدَةِ ، وَهِيَ طَاعُونُ الْإِبِلِ . (٢) فِي النُّسخَةِ الْأَمْسَانِيَّةِ " فِي مَنَاجَاةِ
عَزْرِيِّ اللَّهُ إِنَّكَ . . . " وَظَاهِرٌ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ . (٣) الْحَبْلَةُ تَطْلُقُ عَلَى بَقْلَةٍ طَيِّبَةٍ مِنْ ذِكْرِ الْبَقْلِ
وَعَلَى الْكُرْمِ وَعَلَى شَجَرِ الْمَضَاهِ . (٤) بَكَّةُ : مَكَّةُ . وَإِيلِيَاءُ : اسْمُ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .
(٥) الرَّسَلُ : اللَّبَنُ . (٦) عَفْرِي : مِنَ الْعَفْرِ وَهُوَ الْبَيَاضُ . (٧) الْأَشَامُ : الشِّمَالُ .

- وراحت أصيلاً ناكثاً ضروعها * دلاء وفيها واتد القرن لبلب^(٢)
 له رعشات كالشئوف وغرة * شديخ ولون كالوذيلة مذهب^(٣)
 وعينا أحمر المقلتين وعصمة^(٤) * يواصلها دان من الظلف مكنب^(٥)
 إذا دوحه من مخرف الضال أذبلت * عطاها كما يعطو ذرى الضال قرهب^(٦)
 أبو الحور والغز اللواتي كأنها * من الحسن في الأعناق جزع مثقب^(٧)
 ترى ضيفها فيها بيت بغبطة * وضيء ابن قيس جائع يتحوب^(٨)
 فوفد ابن قيس هذا على النعمان فقال: كيف المخارق فيكم؟ قال: سيد كريم من رجل^(٩)
 يمدح تيسه ويهجو ابن عمه. قال العجاج في وصف شاة: حمراء المقدم شعراء المؤخر
 إذا أقبلت حسبتها نافرا، وإذا أدبرت حسبتها ناثرا، أي كأنها تعطس، يريد من أي
 أقطارها رأيتها وجدتها مشرقة.

- (١) واند القرن: متصبه. (٢) قال صاحب اللسان: أراد باللباب شفقه على المعزى التي
 أرسل فيها فهو ذر لبلبة عليها أي ذو شفقة. (٣) رعشا الشاة: زيمتها تحت الأذنين. وفي الأصل
 الفتوغرافي: عرئات وهو تحريف. (٤) جمع شنف وهو القرط، وفي الأصل الفتوغرافي
 كالسيوف وهو تحريف. (٥) غرة شادخة وشديخ: غشت الوجه من الناصبة إلى الأنف.
 (٦) المرأة أو قطعة من الفضة مجازة. (٧) العصمة: البياض في ذراعي الظبي أو الوعل.
 (٨) الظلف: ظفر كل ما أجتر، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها.
 (٩) مكنب: غليظ، من الكنب وهو غلظ يد الرجل والخلف والحافر واليد.
 (١٠) المخرف: الذي حان خرافه أي اقتطاف ثمره.
 (١١) من العطو وهو تناول. (١٢) القرهب من الثيران: المسن الضخم.
 (١٣) الجزع بالفتح وبكسر: الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض.
 (١٤) يتحوب: يتوابع. كذلك وردت في كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٤٤ وفي الفتوغرافية: «يتحوب»
 ولم نجد هذا الفعل وإنما ورد الخوبة: المجاعة.
 (١٥) هكذا بالأصول، والذي في كتاب الحيوان لملاحظ ج ٥ ص ١٤٠ «سيد شريف يمدح» الخ
 بدون من رجل.

قال الأصمعي: قال أعرابي يهزأ بصاحبه: اشتري لي شاة فقهاء كأنها تضحك، مندلفة^(٢) خاصرتها، لها ضرع أرقط كأنه جيب، قال: فكيف العطل؟ قال: أتى لهذه عطل! العطل: العنق. يقول: من سمنها يحسب أنه لا عنق لها.

ومما تقوله العرب على السنة البهائم، قالت الضائنة: أولد رُخالا وأجر جُفالا^(٣) وأحلب كُثبا ثقالا ولم ترمثلى مالا حُفالا^(٤). تقول: أجز مرة وذلك أن الضائنة إذا جرت لم يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يوتى عليه؛ والكُثب جمع كُثبة وهي الدفعة من اللبن، تقول: أحلب دفعا ثقالا من اللبن، وذلك لأن لبنها أدمم وأخثر من لبن المعز فهو أثقل.

السباع وما شاكلها

يقال: إنه ليس شيء من السباع أطيب أفواها من الكلاب^(٥)، ولا في الوحوش أطيب أفواها من الطباء، ويقال: ليس شيء أشد بئرا من أسد وصقر، ولا في السباع اسبح من كلب. وليس في الأرض فحل من جميع أجناس الحيوان لذكره حجيم ظاهر^(٦) إلا الإنسان والكلب. والأسد لا يأكل الحاز ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض وكذلك أكثر السباع. وتقول الروم: إن الأسد يدع بصوت الديك^(٧) ولا يدنو من المرأة الطامث^(٨). والأسد إذا بال شغركا يشغركا^(٩) الكلب؛ وهو قليل الشرب للماء، وتجوؤه

(١) الفقم: تقدم الثنايا العليا. (٢) في الأصل الفتوغرا في مندلفة بالذال المعجمة والغاء، وفي الألمانية «مندلفة» بالذال المعجمة والقاف. ولعل الصواب ما أبتناه؛ والاندلاق: الاسترخاء. (٣) الرخال: جمع رخل بالكسرو بها، وككتف: الأثني من ولد الضان. (٤) الحفال كغراب: العظيم. (٥) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٦ وهي أنسب بالسياق، وفي الأصاين: «الكلب». (٦) كذا في العقد الفريد وفي الأصلين: «المحوضة». (٧) كذا في النسخة الألمانية، وفي الفتوغرافية: من صوت «الذئب». وعبارة الدميري «يفزع من صوت الديك ونقر الطست». (٨) من الطمث وهو الحيض، وعبارة الدميري «ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد». (٩) شغركا: رفع إحدى رجليه بال أو لم يبل.

يشبه نجو الكلب ، ودواء عَضَّتْهُ دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب . وقالوا : العيون التي تضيء بالليل عيونُ الأَسَدِ والنُّمُورِ والسَّنَائِرِ والأَفَاعِي . والعرب تقول هو «أحمق من جَهِيْزَة» وهي الذئبة لأنها تدع ولدها وتُرضع ولد الضَّبُع . ويقولون : الضَّبُعُ إذا صيدت أو قُتلت عال الذئبُ أولادها وأتاها باللحم ؛ قال الكُمَيْت :

كما خامرت في بيتها أم عامر^(١) * لدى الحبل حتى عال أوس^(٢) عياها^(٣)

أوس : الذئب .

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع في قبيها : الأَسَدُ والكلب والسَّنُور ، ويقال : الضَّبُّ أيضا . وأمراض الكلاب ثلاثة : الكَلْب وهو جنون ، والذَّبْحَة والنَّقْرَس . والعرب تقول : دماء الملوكة يشفاء من عَضَّة الكَلْب الكَلْبِ والجَنُونِ والحَبْل ؛ قال الفرزدق :

من الدارميين الذين دماؤهم * شفاء من الداء المحبته والحبل

وبلغني عن الخليل بن أحمد أنه قال : دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْبِ الذَّرَارِيحُ والعَدَسُ والشراب العتيق يُصنع ؛ وقد ذكر كيف صنَّعته وكَم يُشْرَبُ منه وكيف يُتعالجُ به ، والكَلْبُ الكَلْبُ إذا عَضَّ إنسانا فر بما أحاله نباحا مثله ثم أحياه وألقحه بأجر صغار^(٤) تراها علقا في صور الكلاب .

(١) أم عامر : كنية الضبع .

(٢) الحبل على هذه الرواية حبل الرمل وروي «لدى الحبل» والمراد بذي الحبل الصائد الذي يعلق الحبل في عرقوب الضبع .

(٣) كذا في الأصلين وفي لسان العرب في مادة عال . وأورده صاحب اللسان أيضا في مادة أوس :

غال أوس بالعين المعجمة وقال في تفسيرها : يمتلأ جوارها .

(٤) الذراريح جمع دروح وهي دويبة حراء مقطعة بسواد أعظم من الذباب شيئا .

(٥) جمع جرر .

قال أبو اليقظان : كان الأسود بن أوس بن الحجرة أتي النجاشي فعلمه دواء الكلب ، فهو في ولده الى اليوم . فمن ولده الحجل ، وقد داوى الحجل عتبية بن مرداس فأخرج منه مثل جراء الكلاب علقاً ، قال ابن فسوة^(١) حين برأ :

ولولا دواء ابن الحجل وعلمه . هـررت اذا ما الناس هـررت كليبها
وأخرج بعد الله أولاد زارِع^(٢) . مؤلعة^(٣) أكتافها وجنوبها^(٤)

الكليب : جمع كلب على غير قياس مثل عبد وعبيد .

وعض رجلا من بني العنبر كلب كلب فبال علقاً في صور الكلاب ، فقالت امرأته :
أبالك أدرأصاً وأولاد زارِع^(٥) . وتلك لعمري نهيئة المتعجب

ويزعمون أنه يطلب الماء أشد طلب ، فاذا أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد
لا أريد ، أو شيئاً في معنى ذلك . قالوا : وتمام حمل الكلبة ستون يوماً ، فإن وضعت
في أقل من ذلك لم تكد أولادها تعيش . وإناث الكلاب تحيض في كل سبعة أيام ،
وعلاوة ذلك أن يرم^(٦) ثفر الكلبة ولا تُريد السفاد في ذلك الوقت . وذكور السلوقية
تعيش عشرين سنة ، والإناث تعيش اثنتي عشرة سنة . وليس يلتق الكلب شيئاً من
أسنانه سوى النابين .

قالوا : وعلاوة سرعة الكلب أن يطول ما بين يديه ورجليه ويكون قصير الظهر .
ويوصف الكلب بصغر الرأس وطول العنق وغلظها وإفراط الغضيف^(٧) وزرق العينين

(١) ابن فسوة كنية عتبية بن مرداس ، وظاهر ما في الأصل أن البيت لعتبية نفسه ولكن المؤلف
في كتابه الشعر والشعراء قال : فقال فيه الشاعر ، ثم ساق البيت . (٢) زارع : اسم كلب ، ومنه
قبيل للكلاب أولاد زارع . (٣) التوليع أن يكون في الدابة ضروب من الألوان .
(٤) في النسخة الألمانية : «أكتافها» . (٥) جمع درص — بالفتح ويكسر — وهو ولد المتنفذ
والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها . (٦) في النسخة الفنتوغرافية « وأيام » .
(٧) الثفر — بالفتح ويضم — اللباع والمخالب كالحياء للناقة . (٨) الغضف : استرخاء الأذن .

وعِظَمِ المقلتين وطول الخَطْمِ مع اللطافة وسعة الشَّدقين وتُتَوُّعُ الحُدقة وتُتَوُّعُ الجَبْهة وعِرَضُها، وأن يكون الشَّعر الذي تحت حَنَكه طاقَةً طاقَةً ويكونَ غليظاً، وكذلك شعر خَدَّيه . ويكونَ قصيرَ اليدين طويلَ الرجلين عريضَ الظهر طويلَ الصدر، في ركبته آفئحاء . ويكره للذكور طول الأذنان . ومن علامة الفَراهة التي لا تكاد تَحَلَّفُ أن يكون على ساقيه أو على أحدهما أو على رأس الذنب مَحَلَّبٌ . وينبغي أن يُقَطَّعَ من الساقين . وسودُّ الكلاب أعقرها، ولذلك أمر بقتلها .

قالوا : وإذا هَرِمَ الكلبُ أُطِعمَ السَّمَنَ مراراً فإنه يعود كالشَّابِّ ، وإذا حَفِيَ دُهِنَتِ آسته وأُجِمَّ^(١) ومُسِحَ على يديه ورجليه القَطِرَانُ . وإذا بلغ أن يَشَغَرَ فقد بلغ الإلحاق . والكلب من الحيوان الذي يحتمل . قالوا في الكلبة : إنه يسفدها كلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدى الى كلِّ سافِدٍ شكَّله وشبهه .

قعد جماعة من أصحابنا يعدون ما جاء في الكلب من الأمثال فحفظت منه : «الأمُّ من كلبٍ على عَرَقٍ»^(٢) و«أَجْعُ كَلْبِكَ يَتَبَعُكَ» و«نَعِيمُ كَلْبٍ فِي بُؤْسِ أَهْلِهِ» و«أَسْمِنُ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ» و«أَحْرُصُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى عَيْقِي صَبِيٍّ»^(٣) و«أَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ»^(٤) و«أَبُولُ مِنْ كَلْبٍ» و«جَلَسَ فُلَانٌ مَرَجَرَ الكَلْبِ» و«الكَلابُ عَلَى [البقر]»^(٥) و«الكَلْبُ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ الظاعن» و«هو كالكلب في الأذى لا يعنلف ولا يدع الدابة تعنلف» .

(١) كذا في الأصل الفتيغرافي، وفي النسخة الألمانية : «أرحم» . وأجِمَّ : تَرَكَ لِيَسْتَعِيدَ قُوَّتَهُ .

(٢) في الأصلين : «قالوا في الكلبة» وظاهر أن الراوزائدة .

(٣) العرق : العظمُ أَكْلُ لُحْمِهِ ، أَوِ العظمُ بِأَحْمٍ .

(٤) العَيْقُ : أَوَّلُ حَدَثِ الصَّبِيِّ .

(٥) الزيادة من جمع الأمثال، وهو مثل يصرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة .

الذئب

الذئب إذا سفد الذئبة فالتحم الفرجان وهجم عليهما هاجم قتلها كيف شاء، إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك، لأن الذئب إذا أراد السفاد توخى موضعاً لا يطؤه أنيس خوفاً على نفسه . وتقول الروم: إن الذئب إذا نهش شاة ثم أفلتت منه طاب لحمها وخفّ وسلمت من القردان . قالوا : والذئب إذا رأى إنساناً قبل أن يراه الإنسان أبحّ الذئب صوت ذلك الإنسان . وقالوا : في طبع الذئب محبة الدم، ويبلغ به طبعه أنه يرى الذئب مثله قد دمي فيئب عليه فيمزقه؛ قال الشاعر^(١) :
وكننت كذئب السوء لما رأى دمًا * بصاحبه يوماً أحال على الدم^(٢)

قالوا : والفرس إذا وطئ أثر الذئب ثقلت قائمته التي وطئ بها . وفي كتاب علي رضي الله عنه إلى ابن عباس: لما رأيت العدو على ابن عمك قد حرب، والزمان قد كلب، قلبت لابن عمك ظهر الميخن بفراقه مع المفارقين، وخذلانه مع الخاذلين، واختطفت ما قدرت عليه من الأموال اختطاف الذئب الأزل^(٣) دامية المعزى . ويقولون : إن الذئب ربما نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى؛ وقال حميد بن ثور:
ينام بإحدى مقلتيه ويتقى * بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع^(٤)

والذئب أشد السباع مطالبة، وإذا عجز عوى عواء استغاثة فتسامعت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله؛ وليس شيء من السباع يفعل ذلك .

(١) هو الفرزدق (راجع ص ٢٦ من ديوانه طبع باريس سنة ١٨٧٠) .

(٢) أحال على الدم : أقبل عليه .

(٣) الذئب الأزل : الأرمع (الخفيف الوركين) يتولد بين الضبع والذئب .

(٤) في العقد الفريد وغيره :

* بأخرى الأعادى فهو يقظان نام .

الفيل

قالوا: لسان الفيل مقلوبٌ طَرَفُهُ إلى داخل . والهند تقول: لولا أن لسانه مقلوبٌ لتكلم . والفيل إذا ساء خُلِقَهُ وَصَعِبَ عَصَبُوا رجليه فسكن . وليس في جميع الحيوان شيءٌ لذكوره تَدَى في صدره إلا الإنسانُ والفيلُ . والفيل المغتلم إن سمع صوت خنوص من الخنازير ارتاع ونفر . والفيل يفرع من السنور . وتزعم الهند أن نأبى الفيل هما قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحنك ويخرجا أعقفين . وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعائة سنة . وقال حدثنى شيخ لنا قال : رأيت فيلا أيام أبي جعفر قيل : إنه سجد لسابور ذي الأكتاف ولأبي جعفر ، والفيلة تضع في سبع سنين .

الفهد

١٠

قالوا: السباع تستهي رائحة الفهد، فإذا سمن الفهد عرف أنه مطلوب وأن حركته قد ثقلت فأخفى نفسه حتى ينقضى الزمان الذي تسمن فيه الفهود . ويعتري الفهد داء يقال له خائفة الفهود، فإذا آتراه أكل العذرة فبراً . والوحشي المسمن منها في الصيد أنفع من الجرو المريب^(٢) .

الأرنب

١٥

قالوا : الأرنب تحيض ولا تسمن إلا بزيادة اللحم . وقضيب الذكر من الأرناب ربما كان من عظم، وكذلك قضيب الثعلب . والأرنب تنام مفتوحة العين . وإنفحة الأرنب إذا شربتها المرأة من بعد أن تطهر من الحيض منعت من الحمل . والكلف^(٣) إن طلي بدم الأرنب أذهب .

٢٠ (١) بالأصلين : « وصعف » وظاهر أن ما أثبتناه هو الذي يلائم السياق . (٢) المريب : الذي يربوه لأن الجرو يخرج حياً ويخرج المسمن على أناديب صبورا غير حب . كذا في كتاب الحيوان لمجاهد (ج ٦ ص ١٦٠) . (٣) الكلف بالتحريك : شيء، يعلو الوحه كالسسم ويعرف بالشمش .

القرود والدب

قال : حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثني سلم بن قتيبة عن هشام عن حصّين وأبي بلج عن عمرو بن ميمون قال : زنت قرودة في الجاهلية فرجمها القروء ورجمها معهم . قالوا : وليس شيء يجتمع فيه الزواج والغيرة إلا الإنسان والقرود ؛ قالوا : والدبّس حرو الدبّ تضعه أمه وهو كقدره لحم فتهرب به في المواضع العالية من الذرّ والنمل حتى تستند أعضاؤه .

مصايد السباع العادية

السباع العادية : تُصطاد بالزبي^(١) والمغويات^(٢) وهي آبار تُحفر في أنساز الأرض ، فلذلك يقال : قد «بلغ السيلُ الزبي»^(٣) ، قال صاحب الفلاحة : ومما تُصاد به السباع العادية أن يؤخذ سمك من سمك البحر الجبار السمان فتقطع قطعاً ثم تُشرح ثم تُكَلَّلُ كُكَلًا ثم تُوجج نار في غائط من الأرض يقرب فيه السباع ثم تقذف تلك الكُكَل في النار واحدة بعد واحدة حتى ينتشر دخان تلك النار وتنتار تلك الكُكَل في تلك الأرض ثم تُطرح حول تلك النار قطعاً من لحم قد جعل فيها الخربق الأسود والأفيون وتكون تلك النار في موضع لا تُرى فيه حتى تقبل السباع لريح القنار وهي آمنة فتأكل من قطع اللحم ويُغشى عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا .

(١) المغويات بفتح الواو مشددة : جمع المغواة وهي حفرة كالزبية تُحفر للأسد .

(٢) أنساز جمع نسر وهو المكان المرتفع .

(٣) الزبي جمع زبية وهي الراية لا يعلوها ماء ، وهي كذلك حفرة للأسد .

(٤) الغائط : المطنن الواسع من الأرض .

(٥) القنار : ریح الشواء .

(٦) الخربق بكسر : نبت كالسم يُغشى على آكله ولا يقتله .

النَّعَام

- قالوا في الظَّليم : إن الصَّيف إذا أقبل وأبتدأ البُسر في الحمرة أبتدأ لون وظيْفِيهِ^(١)
 بالحمرة ولا يزالان يتلونان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهي حمرة البسر، ولذلك قيل له :
 خاضب . وفي الظَّليم : إن كل ذى رجلين إذا أنكسرت إحدى رجله قام على الأخرى
 وتحامل على ظَلْعٍ غيرِه فإنه إذا أنكسرت إحدى رجله جَثَمَ ، ولذلك قال الشاعر
 في نفسه وأخيه :

فَأَنَّى وإبَاهُ كِرْجَلِي نَعَامِي * على ما بنا من ذى غَنِيٍّ وفقير

يقول : لا غنى بواحد منا عن الآخر . وقال آخر :

إذا أنكسرت رجل النعامة لم تجد . على أختها نهضا ولا باستها حبوا^(٢) ^(٣)

- قالوا : وعلة ذلك أنه لا تُنخَّ له في ساقه ، وكلُّ عظم فهو ينجر إلا عظما لا تخ فيه ؛
 وزمانه^(٤) الشاء لا تنجر ؛ قال الشاعر :

أجْدَكَ لم تَطْلَعُ بِرِجْلِ نَعَامِي * ولست بنهاض وعظْمُكَ زَمَحْرُ

أى أجوف لا تخ فيه . والظلم يغتذى المرو والصخر فتذيبه قانصته^(٥) بطبعها حتى
 يصير كالماء ؛ قال ذو الرمة يذكره :

(١) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها والجمع أوظفة ووظف .

(٢) في العقد التمريد : ولا دوسها صبرا .

(٣) كذا في حياة الحيوان (ج ٢ ص ٢٠) وفي الأصل : «حبرا» .

(٤) الزمان جمع زَمَحْرَة وهي كل عظم أجوف لا تخ فيه .

(٥) القوانص لطيور كالمصارين وغيرها .

ألهاه آء وتقوم وعقبته^(٢) * من لائح المرو والمرعى له عقب^(١)

قال أبو النجم :

والمرو يُلقيه الى أمعائه^(٤) * في سرطم^(٤) هادي على آتوائه

والظلم يتلع الجمة وربما ألقى الحجر في النار حتى إذا صار كأنه جمة قذف به بين يديه فيبتلعه وربما آبتلع أوزان الحديد . وفي النعامة إنها أخذت من البعير المنسجم والوظيف والعنق والخزامة ؛ ومن الطائر الريش والجناحين والمنقار فهو لا يعير ولا طائر ؛ وقال أوس بن حجر :

وتنهي ذوى الأحلام عن حلومهم * وأرفع صوتي للنعام المخزّم

جعله مخزّمًا للفرخين اللذين في عرض أنفسه في موضع الخزامة من البعير . قال يحيى بن نوفل :

ومثل نعامة تُدعى بعبرا * تُعاصينا^(٥) إذا ما قيل طيرى
فإن قيل آحلى قالت فإني * من الطير المريبة في الوكور^(٦)

وتقول العرب في المثل : هذا «أموق من نعامة» وذلك أنها ربما خرجت لطلب الطعم فمزت ببيض نعامة أخرى فحضنته وتركت بيضها ؛ ولذلك قال الشاعر وهو ابن هرمة :

(١) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . (٢) قال ابن سيده : التقوم : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ؛ وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق ، وواحدة تنومة . (٣) قال في اللسان : وعقبة الماشية في المرعى أن ترعى الخلة عقبها ثم تعول الى الخوض ، فالخوض عقبها ، وكذلك إذا حوت من الخوض الى الخلة ، فالخلة عقبها . (٤) لسرطم : البلوم . (٥) كذا في حياة الحيوان للدميري . وفي الاصل «تعاظمها» . (٦) المريبة : المقبحة ؛ وفي حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤١٨) «المرفة» .

وإني وتركي ندى الأكرمين * وقدحى بكفى زندا شحاحا
كتاركة بيضا بالعراء * ومليسة بيض أخرى جناحا

وقال سهم بن حنظلة :

إذا ما لقيت بني عامر^(١) * رأيت جفء ونوكا كبيرا
نعام^(٢) تمد بأعناقها * ويمنعها نوكها أن تطيرا

ويضرب بها المثل في الشراء والنفاق؛ قال بشر بن أبي خازم :

وأما بنو عامر بالنسار^(٣) * فكانوا غداة لقونا نعاما

يريد: مروا منهزمين . وربما حضنت النعامة أربعين بيضة أو نحوها وأخرجت

ثلاثين رأيا؛ قال ذو الرمة :

كأنه خاضب بالسى^(٤) مرته * أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب

والبواقي من بيضا الذي لا تنفقه^(٥) يقال لها : الترائك . وأشد ما يكون الظلم عدوا

إذا استقبل الريح لأنه يضع عنقه على ظهره ثم يخرق الريح وإذا استدبرها كبته من

خلفه . والنعامة تضع بيضا طولا ثم تغطيها كل بيضة بما يصيبها من الحزن ؛

قال ابن أحرر :

* وُضِعْنَ وَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ *

وقال آخر :

* عَلَى غِرَارٍ كَأَسْتَوَاءِ الْمِطْمَرِ *

(١) النوك : الخنق . (٢) النسار : موضع ، وقيل : هو ماء لبني عامر ، ومنه يوم النصار لبني أسد

وذبيان على جشم بن معاوية . (٣) كذا في الأصل الفنوغرافي . وفي لسان العرب في مادة «خضب»

«أذاك أم خاضب ... الخ» وهي رواية الديوان ، يعني : أذاك الثور الذي وصفته يشبه ناقى في سرعتها

أم ظلم هذه صفة . (٤) السى : الفلاة . (٥) نفقت النعامة البيضة : ثقبها وأستخرجت ما فيها .

والمِطْمَر خِيطُ البَنَاءِ، إلا أن ثعلبة بن صُعيْر خالف ذلك فقال يذكر الظلم
والنعامة :

فتذكراً ثقلاً رثيداً بعد ما * ألفت ذكاً يمينها في كافر^(٢)

والرثيد : المنضود بعضه على بعض . قالوا : الوحش في الفلوات ما لم تعرف

الإنسان ولم تره لا تنفر منه إذا رآته خلا النعام فإنه شارد أبداً ؛ قال ذو الرمة :

وكل أحسم المقلتين^(٣) كأنه * أخو الإنس من طول الخلاء المغفل^(٤)

يريد : أنه لا ينفّر من الناس لأنه في خلاء ولم ير أحداً قبل ذلك . وقال الأحمير

السعدى : كنت حين خلعتي قومي وأطلّ السلطان دمي وهربت وترددت في البوادي

ظننت أني قد جرت نحل وبار أو قريب منها ، وذلك أني كنت أرى النوى في رجع

الذئاب وكنت أغشى الطباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني ؛ لأنها لم تر أحداً

قبلي وكنت أمشي إلى الظبي السمين فأخذه ، وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش

إلا النعام فإنه لم أره قط إلا نافرًا فرّعا .

الطير

قال حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو عتّاب قال حدثنا طلحة بن يزيد الشامي

عن ببيعة بن الوليد عن عبد الله بن أبي كبشة عن أبيه قال : كان النبي عليه السلام

يُعبّجه أن ينظر إلى الأترج وإلى الحمام الأحمر .

حدثني الرياشي قال : ليس شيء بغيب أذناه إلا وهو يبيض ؛ وليس شيء يظهر

أذناه إلا وهو يلد ، وروى ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام .

(١) الثقل بالتحريك : مناع المسافر وحشمه . (٢) ذكاء : هي الشمس ، والكافر هو

الليل ، من الكفر وهو الستر والتغطية ، يريد أنهما تذكرتا معاً بعد الغروب . (٣) أحسم :

أسود . (٤) المغفل : المجهول ، وفي الأصلين «المغفل» والتصويب عن الديوان .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن جريح قال آبن شهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أربع لا يُقتان النملة والنحلة والهُدُودُ^(١) والصدرد". بلغني عن مكحول قال : كان من دعاء داود النبي عليه السلام : يا رازق النَّعَابِ في عُشِّه . وذلك أن الغراب إذا فَقَصَ عن فراخه خرجت بيضا فإذا رآها كذلك نفر عنها فتفتح أفواهها ويرسل الله لها ذبابا فيدخل في أجوافها فيكون غذاءها حتى تسود ، وإذا أسودت عاد الغراب فغذاها ويرفع الله عنها الذباب .

قال حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك ابن يحيى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تطرقوا الطير في أوكارها فإن الليل أمان الله".

حدثني أبو سفيان الغنوي عن معاوية بن عمرو عن طلحة بن زيد عن الأحوص ابن حكيم عن خالد بن معدان عن رجل من الأنصار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الديك الأبيض صديقٌ وصديقٌ صديقٌ وعدوٌ عدوٌ الله يحرس دار صاحبه وسبع أدور"^(٢) . وكان النبي عليه السلام يبيته معه في البيت .

قالوا : الطير ثلاثة أضرب ، بهائم الطير وهو ما لقط الجبوب والبزورب وسباع الطير وهي التي تغتذي اللحم ، والمشارك وهو مثل العصفور يشارك بهائم الطير في أنه ليس بذي مخب ولا منسير وإذا سقط على عود قدم أصابعه الثلاث وأخر الدابة . وسباع الطير تقدم إصبعين وتؤخر إصبعين ويشارك سباع الطير بأنه يلقم فراخه ولا يزق وأنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل .

(١) الصدرد : طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضخيم الرأس والمتنارله مخلب يصطاد المصافير وصغار

الطير ويكنى بأبي كثير . (٢) هذا الحديث موضوع وقد نه عليه ابن الجوزي وملا على القاري في موضوعاتهما (راجع موضوعات ملا على القاري ضمن مجموعة مخطوطة محفوظه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٤ حديث) .

قالوا: والعصفور شديد الوطء، والفيل خفيف الوطء، والورشان يُصرع في كل شهر مرة. قالوا: وأسوأ الطير هداية الأسود، والأبيض لا يجيء من الغاية لضعف قوته وأجودها هداية الغبر والنمر.

قال صاحب الفلاحة: الحمام يُعجب بالكمون ويألف الموضع الذي يكون فيه الكمون، وكذلك العدس ولا سيما إذا أُنقعا في عصير حلوى، ومما يصان عن عليه ويكثر أن تدخن بيوتهم بالعلك؛ وأسلم مواضعها وأصلحها أن يُبنى لها بيت على أساطين خشب ويُجعل فيه ثلاث كوى: كوة في سمك البيت وكوة من قبل المشرق وكوة من قبل المغرب، وبابان من قبل مهب الجنوب. قال: والسذاب إذا أُلقي في البرج تحامته السنابير البرية.

حدثني ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن أبي المنذر هشام بن محمد قال: حدثني الكلبي أن أسماء تكائن نوح إذا كتبت في زوايا بيت حمام نمت الفروخ وسلمت من الآفات. قال هشام: قد جرّبته أنا وغيري فوجدته كما قال أبي. قال: وأسم امرأة سام بن نوح «محلث نحو»، واسم امرأة حام «أذنف نشا»، واسم امرأة يافث «زذقت نبث».

قالوا: وأمراض الحمام أربعة: الكجاء والخنان والسل والقمل، فدواء الكجاء الزعفران والسكر الطبرزد وماء الهندباء يُجعل في سكرجة ثم يمجج في خلقه قبل أن يلتقط شيئا.

(١) في الأصلين: الغابة، والتصويب عن كتاب الحيوان للمصنف. والغاية الموضع الذي يرسل إليه الحمام المدرب على إبلاغ الرسائل. (٢) السذاب: اسم نبات له خواص وطبائع ذكرها ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٣ ص ٥). (٣) الكائن: جمع كنة بالفتح، وهو جمع نادرة كأنهم توهّموا فيه فعيلة ونحوها، ما يكثر على فعال. والكنة امرأة الأبن أو الأخ. (٤) عذارة العقسد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٥) وأسم امرأة سام بن نوح «محلث نحو» وأسم امرأة حام «أذنف نشا» وأسم امرأة يافث «قالر». (٥) الكجاء كغراب: وجع الكبد. (٦) الخنان: داء يأخذ الطير في حلقها. (٧) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب. (٨) الهندباء: بقل معروف يؤكل، له مضار ومنافع ذكرها ابن البيطار في مفرداته، وداود الأنطاكي في تذكرته. (٩) السكرجة: الصفحة.

ودواء الحنَّان أن يُلين لسانه يوماً أو اثنين بدهن البنفسج ثم بالرماد والملح ويدلك بهما حتى تنسلخ الجلدة العليا التي غشيت لسانه ثم يُطلى بعسل ودهن ورد حتى يبرأ .
 ودواء السَّل أن يُطعم الماش^(١) المقشور ويُمج في حلقه لبن حليب ويقطع من وظيفيه عرقان ظاهران في أسفل ذلك مما يلي المفصل . ودواء القمل أن تُطلى أصول ريشه بالزيت^(٢) المخلوط بدهن البنفسج ، يُفعل به ذلك مرارا حتى يستقط قملُه ، ويكلس مكانه الذي يكون فيه كنسا نظيفا .

قالوا : والطير الذي يخرج من وكرة بالليل البومة والصدى والجمامة والضوع^(٣) والوطواط والخفاش وغراب الليل . قالوا : إذا خرج فوخ الجمامة نفخ أبواه في حلقه الريح لتتسع الحوصلة من بعد اتحماتها وتنبثق ، فإذا آتست زقاه عند ذلك اللعاب^(٤) ثم زقاه سورج أصول الحيطان ليدبغا به الحوصلة . ثم زقاه بعد الحب .

قال المشنى بن زهير : لم أر شيئا قط في رجل وأمرأة إلا وقد رأيتَه في الحمام ، رأيت حمامة لا تريد إلا ذرّها ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكور ، ورأيت حمامة لا تزيّف^(٥) إلا بعد شدة طلب ، ورأيت حمامة تزيّف للذكر ساعة يطلبها ، ورأيت حمامة وهي تُمكن آخر ماتعدوه ، ورأيت حمامة تقمط حمامة ، ورأيت حمامة تقمط الذكر ، ورأيت ذكرا يقمط الذكر ، ورأيت الذكر يقمط مالتى ولا يُزواج ، ورأيت ذكرا له أنثيان يحضن مع هذه وهذه ويزق^(٦) [مع] هذه وهذه .

(١) الماش : حب مدور أصفر من الحصى أسمر اللون يميل إلى الخضرة يؤكل مطبوخا وأجوده الهندي ثم اليمنى وأردوه الشامى . (٢) الزيت بالنون : دهن الياسمين . وفي النسخة الألمانية « الزيتق » بالياء . (٣) الضوع : صائر من طير الليل ، قيل هو الكوران ، وقيل هو ذكر اليوم . (٤) كذا بالأصلين ، ولعله « الصاروج » وهو الكلس تبنى وتطلى به حيطان البيت . وفي « كتاب الحيوان » للمجاهد (ج ٣ ص ٤٧) « فياكلان من صروح الحيطان وهي شئ من الملح والحض وبين التراب الخالص فيزقان الفرخ... الخ » . (٥) في اللسان : الحمامة تزيّف بين يدي الحمام الذكر ، أى تمتى مدلة . (٦) الزيادة عن « كتاب الحيوان للمجاهد » .

البيض

قالوا : والبيض يكونُ من أربعة أشياء : منه ما يكونُ من السفاد ؛ ومنه ما يكونُ من التراب ؛ ومنه ما يكونُ من نسيم الريح يصل إلى أرحامها ؛ ومنه شيء يعترى ^(١) الجمل وما شاكله في الطبيعة ، فإن الأنثى منه ربما كانت على سفالة الريح التي تهبُّ من شقِّ الذكر في بعض الزمان فتحتشئ من ذلك بيضا ، وكذلك النخلة تكونُ يجنب ^(٢) الفحال وتحت ريحه فتلقحُ بتلك الريحة وتكتفى بذلك ، والدجاجة إذا هيرمت لم يكن لبيضاها ملح ، وإذا لم يكن للبيضة ملح لم يُخلق فيها فرخٌ ، لأنه لا يكون له طعام يغذوه ؛ والفرخ والفرج يُخلقان من البياض وغذاءهما الصفرة ، وإذا باضت الدجاجة بيضتين في اليوم كان ذلك من علامات موتها ؛ والطائر إذا تفت ريشه آحتبس بيضه وإذا سمع صوت الرعد الشديد .

الخفاش

قالوا : عجائب الخفاش ^(٣) أنه لا يبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة وتحمّل وتلد وتبيض وتضع وتطير بلا ريش ، وتحمّل الأنثى ولدها تحت جناحها وربما قبضت عليه بفيها خوفا عليه ، وربما ولدت وهي تطير ، ولها أذنان وأسنان وجناحان متصلان برجليها ، وأبصارها تصح على طول العمر ، وإنما يظهر في القمر منها المستات ؛ وقال بعض الحكماء : الخفاش فأر يطير .

(١) الجمل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر . (راجع

حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٢٨٤) .

(٢) الفحال : ذكر النخل خاصة .

(٣) الخفاش مشتق من الخفش وهو ضعف في البصر ، وصيق في العين ، وقيل : هو فساد في جفن

العين وأحمرار تضيق له العيون من غير وجع ولا فرج .

الْحُطَّافُ وَالزُّرْزُورُ

قالوا : ^(١) الحُطَّافُ وَالزُّرْزُورُ ^(٢) يتبعُ الربيعَ حيثُ كان . قالوا : وتُقَلَعُ إحدى عينيه
فترجعُ . وَالزُّرْزُورُ لا يَمْشِي ومتى وقع بالأرض لم يَسْتَقِلَّ ^(٣) وأخذ ، وإنما يُعَشِّشُ
في الأماكن المرتفعة فإذا أراد الطيران رمى بنفسه في الهواء فطار ، وإذا أراد أن
يشربَ الماءَ أنقضَّ عليه فشرب منه اختلاصاً من غير أن يسقط بالأرض .

العُقَابُ وَالْحِدَاةُ

قالوا : العُقَابُ تبيضُ ثلاثَ بيضاتٍ في أكثر حالاتها فإذا فرخت غدت آثنين
وباعدت عنها واحداً فيتعهدُ فرخها طائرٌ يقال له : كاسرُ العظامِ ، ^(٤) ويغذوه حتى يكبرَ
ويقوى . وقال صاحب الفلاحة : العُقَابُ وَالْحِدَاةُ يتبدلانِ فتصيرُ العُقَابُ حِدَاةً
وَالْحِدَاةُ عُقَاباً ، قال : وكذلك الأرنبُ ^(٥) يتبدلُ فيصيرُ الذكرُ منها أنثى وتصيرُ الأنثى ذكراً .
قال صاحب المنطق : العُقَابُ إذا آشتت كبدَها من رُفمها الثعلبِ والأرنبِ
في الهواء وحطَّها لذلك وأشباهه تعالجت بأكل الأجداد حتى تبرا .

(١) الحطاف : المصنور الأسود . وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة .

(٢) الزرزور بضم الزاي : طائر من نوع المصنور سمي بذلك لزرزرتة أى تصويته .

(٣) أى لم ينقض .

(٤) كاسر العظام : طائر يسمى « المكلفة » لأن العقاب لما كانت سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات

فتخرج فراخها وتلق واحد منها فأخذه هذا الطائر الذي يتكلف به . (راجع حراسة الحيوان للدميري

ج ٢ ص ٣٨٧) .

(٥) فى الأصلين « يتبدلان » .

الغراب

الغِرْبَانُ لَا تَقْرَبُ النَّخْلَ الْمَوَاقِيرَ وَإِنَّمَا تَسْقُطُ عَلَى النَّخْلِ الْمَصْرُومَةِ فَتَلْقُطُ مَا يَسْقُطُ^(٢)
 مِنَ التَّمْرِ فِي الْقَلْبَةِ وَأُصُولِ الْكَرْبِ^(٣)، وَعَلَى إناثِ الْغِرْبَانِ الْحَضْنُ وَعَلَى الذَّكُورِ أَنْ تَأْتِيَ
 الْإناثَ بِالطَّعْمِ^(٤)، وَالْإِوَزَةُ دُونَ الذَّكْرِ^(٥) * وَالغِرْبَانُ أَكْثَمُ شَيْءٍ لِلسَّفَادِ .

القَطَا

قالوا : والقطا لا تضع بيضها أبدا إلا أفرادا ؛ قال أبو وجرة :
 وَهِنَّ يَنْسُبْنَ وَهَنًا كُلَّ صَادِقَةٍ * باتت تُبَاشِرُ عُرْمًا^(٦) غَيْرَ أَزْوَاجِ^(٧)
 الْحَيَوانِ الَّذِي لَا يَصْلُحُ شَأْنُهُ إِلَّا بِرئيسٍ أَوْ رَقِيبٍ : النَّاسُ ، وَالغِرَانِيقُ^(٨) ، وَالكَرَاكِي
 وَالنَّحْلُ ؛ فَأَمَّا الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْحَمِيرُ فَتَتَّخِذُ رِيسًا مِنْ غَيْرِ رَقِيبٍ .

باب مصيد الطير

قال صاحب الفسلاحة : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِلطَّيْرِ وَالذَّجَاجِ حَتَّى يَتَحَيَّرَ وَيُغْشَى
 عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَصِيدَهُنَّ عَمَدًا إِلَى الْحَلِيتِيتِ فِدَافَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ جَعَلَ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ شَيْئًا^(٩)
 مِنْ عَسَلٍ ثُمَّ أَتَقَعَ فِيهِ بُرًّا يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ أَلْقَى ذَلِكَ الْبُرَّ لِلطَّيْرِ فَإِنِهَا إِذَا أَلْتَقَطَتْهُ تَحَيَّرَتْ

- (١) النخل المواقير: الكثرة الحمل . (٢) المصرومة من صرم النخل إذا جره وقطعه . (٣) القلبة جمع قلب وهو شمة النخل وله أو أجود حوصه . وفي التهذيب : القلب بالضم : السعف (جريد النخل أو ورقه) الذي يطلع من القلب (راجع شرح القاموس مادة «قلب») . (٤) الكرب بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض . (٥) وردت هذه الجملة في الأصلين هكذا ولا علاقة لها بالسباق . ولعلها زائدة من النسخ . (٦) كذا في الأصلين ، وفي اللسان في مادة «عرم» وفي كتاب الحيوان لملاحظ (ج ٥ ص ١٦٦) : ما زلت . (٧) العرم : بيض القطا . (٨) الغرانيق : الذكور من طيور الماء سود وقيل بيض وهي في قدر البط . (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١٥) . (٩) الحليتييت : صمغ الأنجذان بفتح الهمزة وضم الجيم وهو نبات أسود وأبيض وأصله أعظم من الإصبع يتفرع كثيرا وله قرون كقرون اللوبية ، فيها بدر كالعُدس أسود حار وأبيض لطيف .

وغيشى عليها فلم تقدر على الطيران إلا أن تُسقى لبنا خالطه سمن^١. قال : وإن عُمد إلى طحين برّ غير منخول فعجن بخر ثم طرّح للطير والمجل فأكلن منه تحيرن. وإن جعل نحر في إناء وجعل فيه بنج فشربن منه غيشى عليهن. قال : ومما يُصاد به الكراكي وغيرها من الطير أن يُوضع لهن في مواقعهن إناء فيه نحر وقد جعل فيه نحر أسود وأنقع فيه شعير فإذا أكلن منه أخذهن الصائد كيف شاء .

قال غيره : ومما تُصاد به العصافير بأسهل حيلة أن تُؤخذ شبكة في صورة المحبرة اليهودية المنكوسة ويجعل في جوفها عصفور فتقض عليه العصافير ويدخل عليه وما دخل منها لم يقدر على الخروج فيصيد الرجل في اليوم الواحد مائتين وهو وادع^١. قال : ويصاد طير الماء بالقرعة وذلك أن تُؤخذ قرعة يابسة صحيحة فيرمى بها في الماء فإنها تتحرك فإذا أبصرها الطير تتحرك فترع فإذا كثر ذلك عليه أس حتى لربما سقط عليها، ثم تُؤخذ قرعة فيقطع رأسها ويحرق فيها موضع عينين ثم يدخل الصائد رأسه فيها ويدخل الماء فيمشي إليها مشياً رويداً فكلما دنا من طائر أدخل يده في الماء فقبض على رجله ثم غمسه في الماء ثم دق جناحه وخلاه فبقى طافياً فوق الماء يسبح برجله ولا يطيق الطيران، وسائر الطير لا يمكن أنغاسه فإذا فرغ من صيد ما يريد رمى بالقرعة ثم يلتقطها ويحملها .

الحشرات

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا عبد الله بن الربيع قال : أخبرنا هشام بن عبد الله عن قتادة عن عبد الله بن عمرو أنه قال : الفأرة يهودية ولو سقيتها ألبان الإبل ما شربتها، والفأرة أصناف : منهن الزباب وهو أصم^(٢)؛ قال الحارث بن حنظلة :

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٥٨) وفي الأصلين : «تؤخذ سلة في صدرها المحبرة» وفي كتاب الحيوان للمحقق (ج ٥ ص ٧٦) «يعملون لها مصيدة ويعملون لها بنية في صورة المحبرة التي يقال لها اليهودية المنكوسة الأنبوبة» . (٢) جمع زبابة وهي كما قال الدميري في حياة الحيوان : فأرة برية تسرق ما تحتاج إليه وما تستغنى عنه .

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ * لَا تَسْمَعُ الْآذَانُ رَعْدًا^(١)

وَالْحُلْدُ هُوَ أَعْمَى ؛ وَتَقُولُ الْعَرَبُ : هُوَ «أَسْرَقٌ مِنْ زَبَابِيَّةٍ» ، وَفَأَرَةُ الْبَيْشِ ، وَالْبَيْشُ سَمٌّ قَاتِلٌ ؛ وَيُقَالُ : هُوَ قَرُونُ السَّنْبِلِ ، وَلَهُ فَأَرَةٌ تَغْتَذِيهِ لِأَنَّهُ تَأْكُلُ غَيْرَهُ ، وَمِنْ غَيْرِ هَذَا فَأَرَةُ الْمِسْكِ وَفَأَرَةُ الْإِبِلِ [فَاحَتْ^(٢) أُرْوَأَحُهَا إِذَا عَرِقَتْ ، قَالُوا : وَمِنْ الْحَيَاتِ مَا يُقْتَلُ وَلَا يَنْحَطِي] :
الثُّعْبَانُ وَالْأَفْعَى وَالْهِنْدِيَّةُ ؛ فَأَمَّا سِوَى هَذِهِ فَمَا يُقْتَلُ بِمَا يَمْتَدُّ مِنَ الْفَرْعِ ، لِأَنَّهُ إِذَا فَرَزَ تَفْتَحَتْ مَنَافِسُهُ فَوَغَلَ السَّمُّ إِلَى مَوَاضِعِ الصِّمِيمِ وَعَمَّقَ الْبَدَنَ . فَإِنْ نَهَشَتْ النَّائِمَ وَالْمُنْعَمَى عَلَيْهِ وَالطِّفْلَ الصَّغِيرَ وَالْمَجْنُونَ الَّذِي لَا يَعْقِلُ لَمْ تَقْتُلْ .

وَأُذُنَابُ الْأَفَاعِي تُقَطَّعُ فَتَنْبِتُ وَنَابَهَا يُقَطَّعُ بِالْعُكَّازِ فَيَنْبِتُ حَتَّى يَعُودَ فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ ؛ وَالْحَيَّةُ إِنْ نَفِثَتْ فِيهَا حُمَاضُ الْأُتْرُجِ وَأُطْبِقَ لَحْيَهَا الْأَعْلَى عَلَى الْأَسْفَلِ لَمْ تَقْتُلْ بَعْضَهَا أَيَّامًا صَالِحَةً . وَمَنِ النَّاسُ مِنْ يَبْصُقُ فِي فَمِ الْحَيَّةِ فَيَقْتُلُهَا بِرَيْقِهِ ، وَالْحَيَاتُ تَكْرَهُ رِيحَ السَّدَابِ وَالشَّيْحِ ، وَتُعْجَبُ بِاللَّفَّاحِ وَالْبَيْطِيخِ وَالْجُرْفِ وَالْخَرْدَلِ الْمُؤَخِّفِ وَاللَّبَنِ وَالخَمْرِ ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ حَيْوَانٌ أَصْبَرُ عَلَى جُوعٍ مِنْ حَيَّةٍ ؛ ثُمَّ الضَّبُّ بَعْدَهَا ، فَإِذَا هَرِمَتْ صَغُرَتْ فِي بَدَنِهَا وَأَقْنَعَهَا النَّسِيمُ وَلَمْ تَشْتَهَ الطَّعَامَ ، وَلِذَلِكَ قَالَ الرَّاجِزُ :

* حَارِيَّةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ *^(٨)

١٥ (١) أَيْ لَا تَسْمَعُ آذَانُهُمْ صَوْتَ الرَّعْدِ . (٢) اِخْتَلَفَ فِي فَاةِ الْإِبِلِ وَفَاةِ الْمِسْكِ ؛ هَلْ يَسْمَعَانِ أَوْ لَا يَسْمَعَانِ ؟ فَذَكَرَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ فَاةَ الْمِسْكِ فِي «ف أ ر» وَقَالَ : أَوْ الصَّوَابُ إِيرَادُهَا فِي «ف و ر» لِقَوْلِ الرَّاجِزِ رَأَيْتُهَا . وَفَاةُ الْإِبِلِ فِي «ف و ر» وَطَلَّهَ الصَّانِعَانِي أَنَّ فَاةَ الْإِبِلِ مِنْ الْقَوْلِ قَطْعًا ؛ وَأُورِدَ الْمُرْتَضَى فَاةَ الْإِبِلِ فِي «ف أ ر» ، فَتَدْرِكُ بِهِ عَلَى صَاحِبِ الْقَامُوسِ . (٣) زِيَادَةٌ فِي النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ ، وَهِيَ سَائِطَةٌ فِي الْأَصْلِ الْفَتْوَاغِرَافِيِّ ، وَلَعَلَّهَا «فَوْحٌ» ، فِي الْقَامُوسِ وَاللُّسَانِ ، دَقَّةُ «ف و ر» : «وفاة الإبل فَوْحٌ جُلُودُهَا إِذَا بَدَيْتْ بَعْدَ الْوَرْدِ» أَيْ فَاحَتْ مِنْهَا رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ . (٤) الْمَكَّازُ : عَصَا ذَاتُ زُجْجٍ . (٥) الْفَاحُ : نَبَاتٌ يَقْطِطِي أَصْفَرَ شَبِيهِ بِالْبَاذَنْجَانِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ . (٦) الْحَرْفُ بِالضَّمِّ : حَبُّ الرَّسَادِ . (٧) الْمُوخَفُ : الْمَعْجُونُ . (٨) فِي الْأَصْلِ جَارِيَةٌ ، وَالنُّصُوبُ عَنِ الْمُخْصَصِ (ج ٨ ص ١٠٩) وَالْحَارِيَّةُ اسْمٌ لِلْأَفْعَى ، لِأَنَّ جِسْمَهَا قَدْ حَرَى أَيْ نَقَصَ مِنْ سَوَالِ الْعُمُرِ .

وقال صاحب الفلاحة : إن الحية إن ضربتها بقصبة مرة أو هنتها القصبه في تلك الضربة وحيرتها ، فإن ألمحت عليها بالضرب أنسابت ولم تكترث . قال : ومن جيد ما يعالج به الملسوع أن يسق بطن الضفدع ثم يرفد به موضع لسعة العقرب ، والصفدع لا يصيح حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء ، فإذا صار في فيه بعض الماء صاح ، ولذلك لا تسمع للصفدع تقيقا إذا خرج من الماء ، قال الراجز :

يُدخلُ في الأشداق ماءً يُصِفُه ^(١) حتى ينقِّ والنقيقُ يُتلفُه

يريد أن النقيق يدل عليه حية البحر ، كما قال الآخر :

صفادع في ظلماء ليل تجاوبت ، فدل عليها صوتها حية البحر

وقال في السبخ : إنه إن أنخرق فيه نرق بمقدار منخر الثور حتى تدخله الريح أستحال

ذلك السبخ صفادع ، والصفادع لا عظام لها ، ويضرب بها المثل في الريح ^(٢) ، فيقال : «أرسي من صفدع» و«أجمظ عينا من صفدع» .

قالوا : وكل شيء يأكل فهو يحرك فكذلك الأسفل إلا التماسح فإنه يحرك فكذلك

الأعلى . وبمصر سمك يقال له الرعاد ، من صاد منه سمكة لم تزل يده ترعد وتنفض مادام في شبكته أو شصه ^(٣) ، والجعل ^(٤) إذا دفنته في الورد ساكنت حركته حتى يتوهم

من رآه أنه قد مات ، فإذا أعدته إلى الروث تحرك ورجع في حسه . والبعير إذا ابتلع

(١) في الأصلين "ينصفه" والنصوب عن حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ١٠٢) قال : وليس

المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكذلك الأعلى . (٢) الريح : خفة لحم العجز والمنحذين .

(٣) الشص بالكسر والفتح : حديدة عفا ، يصاد بها السمك | وهي المعروفة بالصارة | . (٤) الجعل

كصرد ، والناس يسمونه «أبا جهران» وهو دويصة تعيش البهائم في فروجها فتهرب ، وهو أكبر من

الخنفساء ، شديد السواد ، في بطنه لون حمر ، يوجد كثيرا في مراح البقر والجواميس ، وهو واضع الروث ،

ويتولد غالبا من أخشاء البقر ، ومن شأنه جمع النجاسة وأذخارها . ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد

وريح الطيب فإذا أعيد إلى الروث عاش (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٢٤٤) .

في علقه خنفساء قتلته إن وصلت إلى جوفه حية . وأطولُ شيءُ ذمَاءُ الخنفساءُ فإنها يسرج على ظهرها فتصبرُ وتمشي .

والضبُّ يُذبحُ فيمكثُ ليلةً ثم يُقربُ من النار فيتحرك . والأفعى إذا ذُبحت تبقى أياماً تتحرك وإن وطئها واطئ نَهَشْتَه ، ويُقطعُ ثلثها الأسفلُ فتعيشُ وينبتُ ذلك المقطوعُ . والكلبُ والخنزيرُ يُجرحانِ الجرحَ القاتلَ فيعيشانِ .

قالوا : وللضبِّ ذكرانٍ وللضبةِ حِرانٍ ، خبرني بذلك سهل عن الأصمعيّ أو غيره . قال : ويقال لذكره نَزْكٌ وأنشد :

سَبَحَلٌ لَهُ نَزْكَانِ كَانَا فَضِيلَةً * عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْبِلَادِ وَنَاعِلٍ^(٥)

وكذلك الحردونُ . والذبابُ لا تقربُ قِداراً فيها كَمَاةٌ . وسامٌ أبرصٌ لا يدخل بيتاً فيه زعفرانٌ . ومن عَضَّه الكلبُ الكلبُ آحتاجُ إلى أن يستر وجهه من الذبابِ لئلا يسقطَ عليه . وتخرطومُ الذبابِ يده ، ومنه يُغنى ، وفيه يُجري الصوتُ كما يُجري الزامرُ الصوتُ في القصبةِ بالنفخ .

(١) وعبارة الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ١٦٠) : «وقال لي الفضل العنبري : يقولون للضب أطول

شيء ذمء ، والخنفساء أطول منه ذمء ؛ وذلك أنه يمرز في ظهرها شوكة ناقبة وفيها ذبالة تستوقد وتصيح

لأهل البرار وهي تدب بها وتجول» . (٢) الذمء ممدود : بقية النفس . (٣) يسرج : يوقد .

(٤) السبحل كقمطر : الضخم . (٥) في اللسان مادة نرك «في الأناج» . وذكر هذا البيت ضمن

أبيات قالها سُحرانُ ذر الفصّة يصف بها ضباباً أهداها لخالد بن عبد الله القسري .

(٦) الحردون بكسر الحاء وبالذال المعجمة : دويبة شبيهة بالضب ، وقيل هو ذكر الضب ، لأن له ذكرين

مثله وهو من ذوات السموم له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع إلى الأناج (راجع حياة الحيوان) .

(٧) جمع الذباب . (٨) الكامة : نبات يقال له شحم الأرض ، والعرب تسميه : «جدري الأرض»

وقيل هو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه إلى الحمرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض

وهو عديم الطعم ، وأنواعه كثيرة ، يؤكل نيته ومطبوخه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٧٨) .

- قالوا : ليس شيء يذخر إلا الإنسان والنملة والفأرة . ^(١) والذرة تذخر في الصيف
للشئاء فإذا خافت العفن على الحبوب أخرجتها الى ظاهر الأرض فشررتها ، وأكثرت ^(٢)
ما تفعل ذلك ليلا في القمر . فإن خافت أن ينبت الحب نقرت وسط الحبة لثلاثتبت .
والسحفاة اذا أكلت أفعى أكلت سعترا جبليا . ^(٣) وأبن عريس إذا قاتل الحية أكل
السذاب . ^(٤) والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبيل القمح . ^(٥) والأيل إذا
نهشته الحية أكل السراطين . ^(٦) قال ابن مسويه : فلذلك يظن أن السراطين صالحة
لمن نهش من الناس . ^(٧) والوزغ يراق الحيات ويقار بها ، ^(٨) ويكرع في اللبن والمرق ثم يمجج
في الإناء . وأهل السجين يعملون من الوزغ سما أنفذ من [سم] البيش ومن ريق الأفاعي ، ^(٩)
وذلك أنهم يدخلون الوزغة قارورة ثم يصبون فيها من الزيت ما يغمرها ويضعونها
في الشمس أربعين يوماً حتى تتهزأ في الزيت ، ^(١١) ^(١٢) فإن مسحت على اللقمة منه مسحة
وأكله آكل مات من يومه .

- (١) الذرة واحدة الذروهي صغار النمل . (٢) شررتها : نشرتها في الشمس لتحف .
(٣) السعتر نبات طيب الرائحة حريف ، زهره أبيض الى الغبرة ، ويقال له الصعتر ، لصاد ، وهي اللغة
الجيدة ، والعامية تبدل السين زايا . (٤) في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « دا » .
(٥) الأيل بتشديد الياء المكسورة : ذكر الأوغال وهي التيوس الجبلية . (٦) جمع سرطان وهو
حيوان مائي ويعيش في البر أيضا ، وهو جيد المشى سريع العدو ذوفكين ونخالب وأطوار حداد (راجع
حياة الحيوان) . (٧) الوزغ جمع وزعة بالتحريك : حشرة من جنس «سم أبرص» .
(٨) في الأصل الفتوعرافى « ويقارها » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية والحيوان للمحافظ
(ج ٤ ص ٩٧) . (٩) كذا في الأصل ، وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « وبعض الناس »
وفي الحيوان للمحافظ ج ٤ ص ٩٧ « وأهل السحر » . (١٠) الزيادة عن الحيوان (ج ٤
ص ٩٧) والبيش بالكسر نبات كالزنجبيل رطبا ويابساً وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان .
(١١) كذا في الحيوان للمحافظ ج ٤ ص ٩٧ وفي الأصلين : « ليلة » (١٢) من تهزأ
الحم إذا طبخ حتى يتسخ .

والجراد إذا طلع فعمد إلى التمس والحنظل فطبخا بماء ثم نضح ذلك الماء على
 زرع تنكبه الجراد . وإذا زرع تحردل في نواحي زرع نجا من الدبى ^(١١) . وإذا أخذ
 المراداسنج فعجن بعجين ثم طرح للفار فأكلته مؤتمن عنه ، وكذلك برأية الحديد . وإذا
 أخذ الأفيون والشونيز والبارزد وقرن الأيل ^(٤) وبابونج ^(٣) وظلف من أظلاف المعز خيط
 ذلك جميعا ثم دق ^(٥) وعجن بنخل عتيق ثم قطع قطعاً فدخن بقطعة منه نفرت لذلك
 الحيات والهوام والنمل والعقارب ، وإن أحرق منه شيء ودخن به هرب ما وجد
 منها تلك الرياح . والنمل تهرب من دخان أصول الحنظل . وإن عمده إلى كهريت
 وسذاب ^(٦) ونحرق فدق ذلك جميعا وطرح في قرية النمل قتلها ومنعها ظهورهن من
 ذلك الموضع ذهبن . والبعوض تهرب من دخان القلقديس ^(٧) إذا دخن به ومعه حب ^(٨)
 السوس ، وتهرب من دخان الكهريت والعلك . ^(٩)

وقالت الأطباء : لحم ابن عرس نافع من الصرع . ولحم القنفذ نافع من الجذام
 والسّل والتشنج ووجع الكلى ، يجفف ويشرب ويطعمه العليل مطبوخا وهشويا
 ويضمده به المتشنج ^(١٠) . والعقرب إذا شق بطنها ثم شدت على موضع اللسعة نفعت . وقد

- (١) كذا في النسخة الألمانية ، والدبى : أصغر الجراد داخل . وفي الأصل الفئوغرافى (الوربا) .
 (٢) كذا بالأصل ، ومفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ١٥٠) وقال هو المرتك وفي القاموس :
 المراداسنج معروف وقد تسقط الراء . معرب مردارسنك ومعاد الحجر الخبيث . (٣) الشونيز :
 الحبة السوداء . (٤) البارزد في القاموس : « بيرزد » بكسر الباء الفارسية : صمغ نبات يشبه
 القنا في شكله ، وينبت في أرض سورية ، وهو من النباتات النافعة لأمراض عدة . وقد ذكر خواصه ومنافعه
 ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٤ ص ٣٧) . (٥) في الأصل الفئوغرافى : نقيف ، وفي النسخة
 الألمانية نقيف ، والتصويب عن المغد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٧) . (٦) السذاب : اسم نبات .
 (٧) كذا في الأصل ، والمراد من العبارة ظاهر . (٨) القلقديس كلمة يونانية معربة معناها
 في الكيمياء الحديسة : كبريتات الحديد ، وقيل معناها : الصبغة السوداء لصانعي الأحذية .
 (٩) السوس : شجر في عروفه حلاوة وفي فروته مرارة . (١٠) كذا في النسخة الألمانية .
 وفي الأصل الفئوغرافى «التشنج» .

- تجعل في جوف نخار مشدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع الفخار في تنور، فإذا صارت العقرب رهادا سقى من ذلك الرماد من به الحصاة مقدار نصف دانق وأكثر فيفتت الحصاة من غير أن يضر بشيء من سائر الأعضاء والأخلاق، وقد تلسع العقرب من به حمى عتيقة فتقلع وتلسع المفلوج فيذهب عنه الفالج، وتلق في الدهن وتترك فيه حتى يأخذ الدهن منها ويبتذب قواها فيكون ذلك الدهن مفرقا للأورام الغليظة .
- ومن طبع العقرب أمك إن أقيمت في ماء غمر بقيت في وسط الماء لا تطفو ولا ترسب؛ وهي من الحيوان الذي لا يسبح، وعين الجراد وعين الأفعى لا تدوران، وإنما تنسج من العناكب الأنثى، والذكر هو الخدرنق . وولد العنكبوت ينسج ساعة يولد، والقمل يخلق في الرأس على لون الشعر إن كان أسود أو أبيض أو مخضوبا بالحناء . الخلكاء^(٢) دويبة تفوص في الرمل كما يفوص طائر الماء في الماء . وبنات النقا كذلك، وهي التي يقال لها: شحمة الأرض . وأم حبين^(٣) لا تقيم بمكان تكون فيه السرفة^(٤)، والسرفة دويبة يضرب بها المثل في الصنعة فيقال : «أصنع من سرفة» .
- ومن أحسن ما قيل في الأفعى قول امرأة من الأعراب :

(١) أخلاط الإنسان عند الأطباء : الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

(٢) الخلكاء : دويبة تسكن الرمل كأنها سمكة ، ملساء فيها بياض وحمرة ؛ والسرب سميها : « بنات النقا » .

(٣) أم حبين : دويبة على خلفة الحرباء، عريضة الصدر عظيمة البطن ؛ وقيل : هي دويبة على قدر الحنساء يلعب بها الصبيان .

(٤) السرفة بالضم : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان على

مثل الياورس بعضها الى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٤) .

(٥) في اللسان مادة «فرطح» أن القائل لهذه الأبيات أحد شعراء العرب ، ونص على ذلك بقوله : « وأنشد لرجل من بلحارث بن كعب يصف حبة ذكرا وهو ابن أحر الجبلي ليس الباهلي :

خلفت لها زمه عزيز ورأسه كالفقرص فرطح من طحين شعير »

خَالَقَتْ طَائِرَهُ عَزِيزِينَ وَأَسْمَهُ * كَالْقُرْصِ فُرْطَحَ مِنْ دَقِيقٍ شَعِيرٍ
 وَكَانَ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَسْوِفَةٍ * مَلَقَاكَ كَكَفَّةٍ مَنَجَلٍ مَاطُورٍ
 وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوِقَاعِ كَأَنَّهَا * سَمْرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيسِ بَرِيرٍ

قبل لمسرجويه : تجدد مسوع العقرب يعالج بالاسفيوش فينفعه ، وآخر يعالج
 بالبندق فينفعه ، وآخر يشرب الأنفاس فتنفعه ، وآخر يأكل التفاح الحامض فينفعه ،
 وآخر يطليه بالقبأ^(١٢) والخل فيحمده ، وآخر يعصب عليه الثوم الحار المطبوخ ، وآخر يدخل
 يده في مرجل حار لا ماء فيه فيحمده ، وآخر يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدها ، وآخر يهجم
 ذلك الموضع فيحمده ، ثم رأينا يتعالج بعد ذلك الشيء للسهة أخرى فلا يجده !

- (١) اللهازم : أصول الحنكين واحدها لزمة بالكسر ؛ وقيل إنها عظام ناتان في الحيين تحت الأذنين .
 (٢) عزيزين : متفرقة . (٣) وردت هذه الكلمة في اللسان في مادة « فرطح » بالراء ، وفي مادة
 « فطح » باللام ، وأستشهد بالبيت في المادتين ، وجاء فيه : « وكل شيء ، عرضته فقد فطحته وفرطحته »
 ووردت في الأصل الفتوغرافي « قطع » وفي النسخة الألمانية « أقطع » وفي كتاب الحيوان للمحافظ (ج ؛
 ص ٦٠) « أفطح » . (٤) التثوقة : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . (٥) المنجل بالكسر :
 آلة حديد معوجة يقطع بها الزرع وغيره ، وفي الأصل الفتوغرافي « منخل » وما أثناه عن النسخة الألمانية
 والحيوان للمحافظ . (٦) ماطور من الأطر وهو عطف الشيء ، تقبض على أحد طرفيه فتعوجه .
 (٧) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي اللسان « لوداع » ، وفي النسخة الألمانية وكتاب الحيوان
 للمحافظ : « للوقاح » . (٨) النفيض فعيل من النفض وهو التحريك ، ورواية اللسان في مادة
 « فرطح » تقبض بالقاف والصاد . (٩) البرير : ثمر الأراك عامة . وفي اللسان بعد هذا البيت :
 وكان شدقيه إذا استقبلته * شدقا بجوز مضمضت لظهور
 (١٠) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي « بالاسفيون » بالنون ولعله محرف ، لأن
 هذا الاسم ورد في مفردات ابن البيطار هكذا « الاسفيوس » بالسین المهملة في آخره ، وورد في تذكرة داود
 « الاسفيوش » بالسين المعجمة في آخره ، وهي كلمة فارسية معناها « بزرقطونا » . (١١) الأنفاس :
 الحوامض وفي النسخة الألمانية « الأنفاس » بالفاء . (١٢) القل بالكسر : شب العصفرو له منافع
 كمنافع الملح إلا أنه أهد منه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٣١) .

فقال : لما اختلفت السموم في أنفسها بالجنس والقدر والزمان ، وباختلاف ما لاقاه
اختلف الذي يوافقها على حسب اختلافه . قالوا : وأشد ما تكون لسعتها إذا خرج
الإنسان من الحمام ، لتفتح المنافس وسعة المجارى وتُخَوِّنة البدن .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال أبو بكر البحرى^(١) : ما من شيء يضر

- إلا وفيه منفعة . وقيل لبعض الأطباء : إن قائلًا قال : أنا مثل العقرب أضرت
ولا أنفع . فقال : ما أقل علمه بها ، "إنها لتتفع إذا شق بطنها ثم شدت على موضع"
"اللسعة ؛ وقد تجعل في جوف نحر مشدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع الفخار"
"في ثور فإذا صارت العقرب رمادا سقى من ذلك الرماد مقدار نصف دانق أو أكثر"
"قليلا من به الحصاة ففتها من غير أن يضر بشيء من سائر الأعضاء والأخلاق ."
"وقد تلسع العقرب من به الحمى العتيقة فتقلىع عنه . ولسع العقرب رجلا مفلوجا"
"فذهب عنه الفالج . وقد تلىع العقرب في الدهن وترك فيه حتى يأخذ الدهن منها"
"ويجذب قواها فيكون ذلك الدهن مفترقا للأورام الغليظة" .

قال أبو عبيدة : ولسعت أعرابيا عقرب بالبصرة ، وخيف عليه فاشتد جرحه ،

فقال بعض الناس له : ليس شيء خيرا من أن تغسل له خصية زنجي عرق ففعلوا ،

- وكان ذلك في ليلة ومدة^(٢) ، فلما سقوه قطب ؛ فقيل له : طعم ماذا تجد؟ قال : أجد
طعم قربة جديدة .

قال المأمون : قال لي بختيشوع وسلمويه وآبن ماسويه : إن الذباب إذا دلك على

موضع لسعة الزنبور هدأ وسكن الألم ، فلسعني زنبور فحككت على موضعه أكثر

(١) كذا بالأصلين ، وفي المقدم الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) : « المهجرى » ولم نجد هاتين النسبتين

في كتب الأنساب التي تحت أيدينا . (٢) السطور المحصورة بين هذه " " مكررة لأنها تقدمت
في ص ٩٥ من هذا الجزء بكلماتها وألفاظها مع اختلاف بسيط وقد أبقيناها هنا لورودها في الأصلين ،
وأكتفينا بهذه الإشارة تنبها للقارئ . (٣) ليلة رعدة : شديدة الحر .

من عشرين ذبابة فما سكن الأثم إلا في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج ، فلم يبق في يدي منهم إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبور حثفا قاضيا ، ولولا ذلك العلاج قتلك . قالوا : وما ينفع من الاسعة أن يُصيروا على موضعها قطعة رصاص رقيقة وتشد عليه أياما . وقد يموت بهذا قوم فيجعلونه خائما فيدفعونه إلى المسوع إذا نُشِش في إصبه .

قال محمد بن الجهم : لا تنهونوا بكثير مما ترون من علاج العجائز ، فإن كثيرا منه وقع اليهن من قدماء الأطباء ، كالذبان يلقى في الإثمد فيسحقُ معه ، فيزيد ذلك في نور البصر ونفاذ النظر وتشديد مراكر الشعر في حافات الجفون . قال : وفي أمة من الأمم قوم يأكلون الذبان فلا يمدون ، وليس لذلك يأكلونه ، ولكن كما يأكل غيرهم فراخ الزناير .

وقال ابن ماسويه : المجرب للسع العقرب أن يسقى من الزراوند المدحرج^(١) ويُسرب عليه ماء بارد ، ويُمضغ ويوضع على السعة . قال : وللسع الأفاعى والحيات ويرق الآس^(٢) الرطب يعصر ويسقى من مائه قدر نصف رطل ، وكذلك ماء المرزنجوش^(٣) وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور مع المطبوخ ، ويُضمد الموضع بورق التفاح المدقوق . وللأدوية والسموم القاتلة البندق والتين والسذاب يُطعم ذلك العليل . قال والثوم والملح وبقر

(١) الزراوند المدحرج وهو أردأ أنواعه : نبت غصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشئ ، أحمر قليل الرائحة ، وهو كثير بأرض الشام ، كما في تذكرة دارد ؛ وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

(٢) الآس : نبات يزرع كثيرا بأرض العرب بالسهل والجبل ، ونخضته دامة ، ويسمو حتى يكون شجرا عظما وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمره سوداء إذا أبيضت تحمل فيها مع ذلك تلحمة .

(٣) المرزنجوش ويقال له مرزجوس ومردقوس : فارسي ، والعرب تسميه : السمق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان ينبت في نباته ، وله ورق مستدير ، وهو طيب الرائحة جدا . له منافع وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

(٤) في النسخة الألمانية «البيش» .

الغيم نافع جدًا إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحية إلا أن تكون أصلاً، فإن الأصلة تُوضَعُ
على لسعها الكُتَيْتَانِ جميعاً بالزيت والعسل . والحطمي^(٢) إذا أُخِذَ ورقه فدُقَّ ثم وُضِعَ
على لسع قملة النسر كان دواء له . وإن طَلِيَ أحد به يديه أو جسده لم يلدغ ذلك الموضع^(٣)
منه زُنبور . وإن لدغ أحدًا زنبور فأذاه فشرِبَ من مائه نفعه . والبشكول وهو
الطرشقوق إن دُقَّ فُضِمَده لسعة العقرب نفع إذا أُغلى أو شُرِبَ من عصيره . قالوا :
وإن أُخِذَ من حذر على نفسه السموم القائمة التين مع الشونيز على الريق وقاه .

النبات

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن
كليب أبي وائل رجل من المطوعة قال : رأيت ببلاد الهند شجرة له ورد أحمر مكتوب
فيه بياض «محمد رسول الله» . والعرب تقول في مثل هذا هو : «أشكر من البروقة»^(٥) ،
وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم . ويزعم قوم أن النارجيل هو نخل المقل قلبه طباع
البلد . وقال صاحب الفلاحة : بين الكرنب وبين الكرم عداوة ، فإذا زرع الكرنب
بمحضرة الكرم ذبل أحدهما وتسنج ، ولذلك يُطَيء السكرعمن أكل منه ورقات على ريق
النفس ثم شرب . وقضبان الرمان إذا ضرب بها ظهر رجل اشتد عليه الألم . قالوا :

- ١٥ (١) الأصلة بفتح الهمزة والصاد واللام : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تنب على الفارس فتقله ،
كذا في حياة الحيوان للذميري نقلاً عن ابن الأباري . (٢) الحطمي بالكسر ويفتح : نبات محلل
ملين نافع لعسر البول والحصى ، وهو مع الخل مفيد لوجع الأسنان مضمضة ونهش الحوام .
(٣) قملة النسر : دويبة أعظم من القمل وإذا عضت قتلت ؛ وتكون في بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان
وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وسميت قملة النسر ، لأنها تخرج منه .
٢٠ (٤) كذا في الأصلين . وفي مفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ٢٠٠) : «البخشكوك» ، وخاصيته
النفع من لسع الحوام إذا أكل أو شرب مائه . (٥) في جمع الأمثال والقاموس واللسان «بروقة»
وهي كما قال الميداني : شجرة تخضر من غير مطربل تنبت بالسحاب إذا نشأ فيها يقال :

وكل زهر ونور فإنه ينحرف مع الشمس ويحول إليها وجهه ؛ ولذلك يقال : هو
يضاحك الشمس . قال الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها مسيل هطل^(٣)
يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر يعميم النبت مكتهل^(٤)

وقال آخر :

* فنواره ميل إلى الشمس زاهره^(٥) *

والخبازي ينضم ورقه بالليل وينفتح بالنهار . والنيلوفر ينبت في الماء فيغيب
الليل كله ويظهر إذا طلعت الشمس . وقالوا في الطحلب : إن أخذ بحفف^(٦)

(١) الحزن : ما ارتفع من الأرض . (٢) مسيل : مطر ، من السيل بفتحين وهو المطر .

(٣) هطل ، من الهطل بالسكون وهو ثابع المطر المتفرق العظيم القطر . (٤) الكوكب : ما طال

من النبات ، والشرق : الريان . (٥) مؤزر : ملف . (٦) مكتهل : تام الطول .

(٧) النوار : واحدة نواره بالضم ، وهي الزهرة المشرقة . (٨) مجزيت مخطئة ، مصدره :

* بمسأسد القران حق نباته *

وقبله عفا مسلمان من سلبى فحاصره * تمشى به ظلمانه وجاهره

(راجع ص ٦٢ من ديوان الخطيطة طبع ليبسك سنة ١٨٩٣ م) . ونسب الجاحظ في كتاب الحيوان البيت
(بمسأسد ... الخ) الى قطران العيسى (راجع ج ٥ ص ٣٥) .

(٩) الخبازي ويقال : الخبيزي : اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ؛ ويطلق في العرف
الشائع على نبت برى مستدير الورق في وسط أوراقه شئ ، مجوف دقيق ، له زهر الى الصفرة ويزر الى السواد
مفرطح ، كذا قال دارد الأنطاكي في تذكرته . (١٠) النيلوفر : نبات هندي سمي بلغتهم وأكثر

ما ينبت في مستنقعات المياه وراكدها والآجام ، ولا ينبت إلا في الماء العذب القائم في أرض طيبة تربة
سليمة من كل الفساد . ومن عاداته أنه يحول وجهه الى الشمس اذا طلعت وارتفعت ، فإذا وقع شعاعها
عليه أو لم يقع افتتحت وردته كلها ، ولا يزال تفتحه يزيد بزيادة الشمس الى أن تقرب من أول العصر

وتطلب الغروب فيبتدى ينضم على ذلك ترتيب الذي كان تفتح حتى تغرب الشمس فيضم في كرة ويبقى مضموما
الليل كله الى الصباح . راجع الجزء الأول من كتاب الفلاحة النبطية لأبن وحشية ص ٣٢ من النسخة الخطية
المحفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ زراعة) . (١١) الطحلب : الخضرة التي تملو المياه

الراكدة ، وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

في الظل ثم سقط في النار لم يحترق . وذكروا أن قساً راهن على صليب في عنقه من خشب أنه لا يحترق ، وقال : هو من العود الذي صلب عليه المسيح ، فكاد يفتن بذلك خلقاً حتى فطن له بعض أهل النظر فاتاهم بقطعة عود تكون بكرمان فكان أبق على النار من صليبه . والطلق كذلك لا يصير جرمًا . وطلاء النفاطين طلق وخطمي ومغرة . وقالوا : إذا أخذ زر السذاب البري وزرع وطال به ذلك تحول حرملًا ، والنمام إذا اعتق تحول حبقًا . قالوا : والقسط إنما هو جزر بحري . قالوا : بالسند نبت من الحشيش يسمى تريبة ، إذا أخذ فطبخ ثم صفي ماؤه فجعل في وطاء لم يلبث إلا يسيرا حتى يشتد ويسكر شاربه إسكار الخمر .

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يضر بمبقلة عمده إلى شيء من حرق الباطن فحافظ به مثله من ملح ثم طرّحًا في ماء فديفًا فيه فينضح ذلك الماء على البقل فإنه يفسد . قال : ومن أراد إفساد الرمان الكثير ألقى في أضعافه نوى التمر والملح والجريش . ومن أراد قتل السمك في الماء القائم عمده إلى نبت يسمى "ما هي زهره" فدق وطرح في الماء فإنه يموت سمك ذلك الماء ؛ والمازريون يفعل ذلك . قال : ومما يجف له الشجر أن يعمد إلى مسمار من حديد فيجمل بالمار حتى تشتد حموته ثم يدق في أصل الشجرة ، وأن يعمد إلى وتد من طرفاء فيثقب أصل الشجرة بثقب حديد

(١) الطلق : حجر براق يتخذ منه مضاري للهامات بدلا عن الزجاج . (٢) النفاطون : الرأة بالنقط وهو القطران . (٣) النمام : نبت وردة كالسذاب ، له زركالريمان عطري قوي الرائحة سمي بذلك لسطوع رائحته ، الواحدة نمامة . (٤) الحبق : نبات يشبه النمام ، ويكثر نباته على الماء ، ويسمى بالفارسية الفودنج . (٥) القسط : عقار من عقاقير البحر ، والعقار : العشب . (٦) لفظ فارسي وتعريبه سم السمك . (٧) المازريون : نبت له أخصان طولها شهر ، ورقه شبيه بورق الزيتون إلا أنه أدق منه ، وهو يلدغ اللسان ؛ له فوائد ومنافع ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

ثم يُجَعَلُ ذلك العودُ على قدر الثَّقَبِ في المِنْتَقَبِ فتجفُّ الشجرةُ إن كان غِلظُ العودِ على قدر الثَّقَبِ .

قيل لِماسرجويه : ما بأل الأَكْرَةَ وسُكَّانِ البساتينِ مع أكلهم الكُرَّاتِ والتمسَّـ
وشرَّهم الماءَ الحارَّ على السمكِ المالحِ أقلَّ عُثْمَانًا وَعُورَانًا وَعُمَشَانًا؟ قال : فَكَّرْتُ
في ذلك فلم أجدْ عِلَّةً إلا طولَ وَقُوعِ أبصارهم على الخصرة

الحجارة

قال أرسطاطاليس : حجرٌ سقيمٌ إذا رُبِطَ على بطنِ صاحبِ الاستسقاءِ نَشَفَ
منه الماءُ، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجدُ قد زاد في وزنه ؛
وذا كَرَّتْ بهذا رجلاً من علماء الأطباءِ فعرفه ، وقال : هذا الحجرُ مذكورٌ في التوراة .
وحجر المغناطيس يجذبُ الحديدَ من بُعدٍ [و] إذا وُضِعَ عليه عَلِقَهُ ، فإن ذلكَ بالثَّومِ بطلَ
عمله . قالوا : والزمانُ والقليُّ يدبران فيستحيلان حجارةً سوداً تصلحُ للأرحاء . ومن
الحجارة حصاةٌ في صورة النواة تَسْبِجُ في الخَلِّ كأنها سمكةٌ . ومنها حَرَّةُ العقرانِ
كانت في حَقْوِ المرأةِ فلا تَحْبَسُ . وحجرٌ يُوضَعُ على حرفِ التنويرِ فيساقطُ خبزُ التنويرِ
كله . وبمصر حجرٌ من قبضِ عليه بجميعِ كَفَيْهِ فأكل شيئاً في جوفه فإن هو لم يَبْدُ
من كَفَيْهِ خَيْفٌ عليه . ومن الحجارةِ النَّشْفُ ، ليس شيءٌ من الحجارةِ يَطْفُو على الماءِ
غيره وفيه حفرٌ صَغَارٌ .

- (١) كذا بالنسخة الألمانية ؛ وفي الأصل الفلورنسي : « على قدر في المنقب » .
(٢) الأكرة جمع أكار وهو الحزاز الحفرة الأرض ، كأنه جمع آكر في التصدير . (٣) كذا
بالأصلين ؛ ولم نجد ذكر هذا الحجر ضمن الأحجار المذكورة في مفردات ابن البيطار ، ولا في تذكرة داود ،
ولا في عجائب الخليفة للقريني . (٤) العقر : العمق ، وهو استقام رسم المرأة فلا تحبل .
(٥) الحقر : الخصر . (٦) النشف : حجارة سود كأنها محترقة ، وهي التي ينق بها الريح في الحمامات .

قالوا : الرصاص قد يدبر فيستحيل مُردَّاسنجا^(١) . وإقليمياء النحاس يدبر فيصير^(٢)
توتياء . وحجر البازهر يُفرَّق الأورام . وباليمن جبل يقطر منه ماء ، فإذا صار إلى الأرض
وييس آستحال وصار شبا ، وهو هذا الشب اليماني .

حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا
باليمن : الورد^(٣) والكندر^(٤) والخطر^(٥) والعصب^(٦) . وبمصر حجر يُحركه فتسمع في جوفه
شيئا يتقلقل كالنواة .

حدثني شيخ لنا عن علي بن عاصم عن خالد الحذاء عن محمد بن سيرين قال :
أختصم رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : إني آستودعتُ هذا وديعة فإني أن
يدها علي ؛ فقال له شريح : ردَّ علي هذا الرجل وديعته ؛ قال : يا أبا أمية ، إنه حجر
إذا رأته الجبلي ألفت ولدها ، وإذا وقع في الخلق غلى ، وإذا وُضع في التنور برد ،
فسكت شريح ولم يقل شيئا حتى قاما .

الجن

قالوا : الشياطين مُردَّة الجن ، وإلحاق ضَعْفَةُ الجن . وبلغني عن يحيى بن آدم
عن شريك عن ليث عن مجاهد قال قال — يعني إبليس عليه لعنة الله — : أُعطينا
أنا نرى ولا نرى ، وأنا ندخل تحت الثرى ، وأن شيخنا يرد قتي .

(١) الإقليمياء بالكسر : نُقل يعلو السبب أوردخان . (٢) البازهر معرب بادزهر : حجر تنسب
إليه قوى غريبة في مقاومة السموم ، فارسي مركب من باد ومعناه : روح أرضد ، وزهر ومعناه : سم ؛
وله منافع وخواص ذكرها ابن البيطار في مُرداته . (٣) نبات الورد — كما في مفردات ابن البيطار —
كنبات السسم ، فإذا جف عند إدراكه تفتت سفته (وعاء ثمرته) فينتفض منه الورد ، يبت كل سنة
ويثمر ، وأجوده حديته . وهو أنواع : بعضه يخرج صبغه أصغر خالص الصفرة ، وبعضه في صبغته حمرة .
(٤) الكندر كلمة فارسية معناها : اللبان . (٥) الخطر بالكسر : نبات يختضب به .
(٦) العصب : صمغ لا ينبت إلا باليمن . وكتب بهامش الأصل الفتوغرافي مانصه : « قلت : وعصرنا
زاد خامسا وهو القهوه » .

حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال : حدثني يعلى بن عتبة - شيخ من أهل المدينة مولى لآل الزبير - : أن عبد الله بن الزبير بات بالقفر ، فقام ليرحل فوجد رجلا طوله شبران عظيم اللحية على الولية^(١) ، فنفضها فوقه ثم وضعها على الراحلة ، وجاء وهو بين الشرخين^(٢) ، فنفض الرجل ثم شده ، وأخذ السوط ثم أتاه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا أرب قال : وما أرب ؟ قال : رجل من الجن ، قال : أفتح فاك أنظر ، ففتح فاه ، قال : أهكذا حلوقكم ! لقد شوّه حلوقكم ! ثم قلب السوط فوضعه في رأس أرب حتى شقه .

حدثني خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا عمر بن يونس قال حدثنا عكرمة ابن عمار قال حدثنا إسحاق بن أبي طلحة الأنصاري قال حدثني أنس بن مالك قال : كانت بنت عوف بن عفراء ، مضطجعة في بيتها قائلة إذ استيقظت وزنجد على صدرها آخذًا بحلقها ، قالت : فأمسكني ما شاء الله وأنا حينئذ قد حرمت على الصلاة ، فبينما أنا كذلك نظرت إلى سقف البيت ينفرج ، حتى نظرت إلى السماء فإذا صحيفة صفراء تهوى بين السماء والأرض حتى وقعت على صدرى ، فنشرها وأرسل حلقى نقرأها ، فإذا فيها : من رب لكيز إلى لكيز ، اجتنب آنية العبد الصالح إنه لا سبيل لك عليها ، ثم ضرب بيده على ركبتي وقال : لولا هذه الصحيفة لكان دم ، أى لذبحتك ، فاسودت ركبتي حتى صارت مثل رأس الشاة ، فاتيت عائشة ، فذكرت لها ذلك ، فقالت لي : يا بنسة أنحى ، إذا حضت فالزمي عليك ثيابك فإنه لا سبيل له عليك إن شاء الله . فحفظها الله بأبيها وكان أسستهد يوم بدر .

أبو يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير عن الشعبي عن زياد بن النضر أن عجوزا سألت جنيًا فقالت : إن بنتي عروس وقد تمرط شعرها من حمى ربع بها ، فهل

(١) في الأصل الفتوراني «الوية» وفي النسخة الألمانية «الوية» والتصويب عن لسان العرب ، والولية : البرذعة . (٢) شرخا الرجل : حرفاه وجانباه ، وقيل : خشبناه من وراءه ومقدم . (٣) في الأصلين : «لها» والسيان يقتضى ما أثبتناه . (٤) تمرط الشعر : تسقط وتحات .

عندك دواء؟ فقال: أعجمي إلى ذباب الماء الطويل القوائم الذي يكون بأفواه الأنهار فاجعله في سبعة ألوان من العهن^(١): أصفر وأحمر وأخضر وأزرق وأبيض وأسود وأخبر، ثم اجعله في وسطه وأفتليه بأصبعك هكذا ثم أعقديه على عضدها اليسرى؛ ففعلت فكانت أنشطت من عقالي .

٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: أخبرني محمد بن مسلم الطائفي في حديث ذكره أن الشياطين لا تستطيع أن تغير خلقها ولكنها تسخر .

وقال الأصمعي: حدثنا أبو عمرو بن العلاء قال حدثنا النحاس بن قهم^(٢) قال: دخلت مريدا لنا فإذا فيه شيء كالعجول^(٣) له قرنان وله ريش ينظر إلى كأنه شيطان .

١٠ حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال: سمع رجلا بأرض ليس بها أحد قائلا من تحته يقول: من يحرك شعيراتي؟ ذاك مقبلي، وظل مظلي، حاشا الغزير وعبد الملك وجمعه الأدم؛ وكانوا يرون أن الأصمعي سمع هذا، وذلك أنه كان في آخر عمره وقد أصابه مس ثم ذهب عنه .

١٥ حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرنا عمر بن الهيثم عن عمير بن ضبيعة قال: بينا أنا أسير في فلاة أنا وابن ظبيان - أوريقي له آخر ذكره - عرضت لنا عجوز - كذا سمعته يقول، إن شاء الله - أو شيخ - ورأيت في كتاب محمد آينه - وصبي يبكي؛ فقال: إني منقطع بي في هذه الفلاة فلو تحلمتاني! فقال صاحب عمير: لو أردفته! فحمله خلفه؛ فكشنا ساعة فنظر في وجه عمير وتنفس فخرج من فيه نار

(١) العهن: الصوف أو المصبرغ ألوانا . (٢) كنا بالأصل الفتوغرافي، وفي النسخة

الألمانية « اقلية » ما لقا . (٣) في النسخة الألمانية « المناسب » وهو تحريف .

(٤) في الأصلين: فهم بالفاء، وهو تحريف، والتصويب عن تقريب التهذيب وشرح القاموس .

(٥) العجول: العل . (٦) كنا في الأصل الفتوغرافي، وفي النسخة الألمانية: « الغريد » .

مثل نار الأتون فأخذ له عمير السيف ؛ فبكى وقال : ما تريد مني ؟ فكف عنه ولم يعلم صاحبه بما رأى ؛ فمكث هنيهة ثم عاد ، فأخذ له السيف ؛ فبكى وقال : ما تريد مني ؟ وبكى ؛ فتركه ولم يعلم صاحبه ؛ ثم عاد الثالثة ففغر في وجهه ؛ فحمل عليه بالسيف ؛ فلما رأى الحد وثب وقال : قاتلك الله ما أشد قلبك ! . ففعلته قط في وجه رجل إلا ذهب عقله .

بلغني عن محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن عن أبي أيوب الأنصاري أنه كان في سفرة له وكانت الغول تجيء ، فشكاها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : « إذا رأيتها فقل باسم الله أجيب رسول الله » ؛ فجاءت فقال لها ذلك ؛ فأخذها فقالت : لا أعود ؛ فأرسلها ؛ فقال له النبي عليه السلام : « ما فعل أسيرك » ؟ فأخبره ؛ فقال : « إنها عائدة » ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا ، وقالت في آخرها : أرسلني وأعلمك شيئا تقوله فلا يضرك شيء ؛ آية الكرسي ؛ فأتى النبي عليه السلام فأخبره ؛ فقال : « صدقت وهي كذوب » .

حدثني زيد بن أنعم قال : حدثنا عبد الصمد عن همام عن يحيى بن أبي كثير أن عامر عثمان كتب إلى عمر بن عبدالعزيز : إنا أتينا بساحرة ألقيناها في الماء فطقت ؛ فكتب إليه عمر : لست من الماء في شيء . إن قامت البينة وإلا نخل عنها .

حدثني زيد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا ابن جريح عن ابن أبي الحسين المكي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعِمَّتِ الدُّخْنَةُ اللَّبَانُ وَاللَّبَانُ دُخْنَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَلَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا دُخْنٌ فِيهِ يَلْبَانٌ سَاحِرٌ وَلَا كَاهِنٌ » .

حدثني عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني عبد الله بن مروان بن معاوية من ولد أسماء بن خارجة قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت أعرابية تقول : من

(١) ففغر في وجهه ؛ فتح له فاه .

يشتري مني الحزأ؟ فقلت: وما الحزأ؟ قالت: يشتريه أكليس النساء للطشة والحافية والإقلايت؛ قال عبد الله: سألت ابن مناذر فقال: الطشة: شيء يصيب الصبيان كالزكام. والحافية: الحز. والإقلايت: قلة الولد. يريد أن المرأة إذا ولدت يموت أولادها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: امرأة مقلات.

- بلغني عن شيخ من بني نُمير أنه قال: أضللت أبا عمر لي بالشريف^(١) فخرجت في بغايا فدابت أياها فأمسيت عشية بوادي موحش وقد كدّدت راحتي فاخليت لها من الشجر وأصبت لها من الماء ثم قيدتها وأضطجعت مغموما، فلما جرى وسن النوم في عيني إذ همس قدم قريبا مني، فانتبهت فزعا وإذا شيخ يتنحج وهو يقول: لا ربيعة عليك! ثم سلم وجلس؛ ثم جاء آخر وآخر حتى تألفوا أربعة فقالوا: ما بك أيها المسلم؟ فقلت: أضللت أبا عمر لي وأنا في طلبها منذ أيام؛ فقال لي الأول منهم: كُنْ لك ما كن، وقد ودعن فين، وصرن حيث صرن، فلا تتعنين؛ فاجترأت على المسئلة فقلت: أمين الحافية أتم نشدتكم باللهم؟ قالوا: نعم وإلهنا وإلهكم واحد؛ فقلت: علموني مما علمكم الله شيئا أنتفع به؛ قالوا: إذا أردت حفظ مالك فأقرأ عليه: (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) إلى آخر ثلاث الآيات، وآية الكرسي، وإذا أمسيت في خلأ وحدك فأقرأ المعوذتين، وإن أحببت ألا يعبت بك ولا بأهلك وولدك عابت منا فعليك بالديك الأبيض؛ وأجعل في حجور صبيانك بريما، يعني خيطا من صوف أبيض وأسود، وأحتشوا بالإذخر^(٤) ينشر في الصوف، فحادثوني كحديثنا تلك الليلة، فلما أصبحت رجعت.

٢٠ (١) الشريف: اسم، بنى نُمير. (٢) اخليت من الاختلاء، وهو اجتزاز الخلى وهو الحشيش تعلق به الدواب. (٣) لاربعة: لافزع، من راع يربع إذا فزع. (٤) الإذخر بالكسر: نبات مزهر طيب الرائحة.

قال المدائني : كانت وفاة زياد بالعرفة^(١) ظهرت في إصبعة ، وأشتد عليه الوجع
 فجمع الأطباء فشاورهم في قطع إصبعة ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم :
 أتجد الوجع في الإصبع أم تجده في قلبك والإصبع ؟ قال : في قلبي وفي إصبعي ؛ قال :
 عيش سليما ومث سليما ، وأمره أن يغمسها في الخل ، فكان ذلك يُخفف عنه بعض الوجع ،
 فكث بذلك سبعة عشر يوما ثم مات ؛ وسمِع أهل الحبس ليلة مات قائلا يقول : أنا
 النقاد ذو الرقية قد كفيتم الرجل . والعرب تدعو الطاعون رماح الجن . وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم «إنه ونحو من الجن» يعني الطاعون . والله أعلم .

(١) العرفة : قرحة تخرج في بياض الكف .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي]

تم كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لابن قتيبة ويتلوه في الكتاب
 الخامس كتاب العلم . والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي
 وآله وصحبه وأهل بيته أجمعين .

وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ؛
 وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسة هجرية .

الى هنا ينتهي آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمدينة جوتجين سنة ١٨٩٩ م .
 وسنعمد في مراجعة الجزء الخامس الى آخر الكتاب على الأصل الفتوغرافي وعلى
 المصادر التي يعول عليها في تصحيح الكتاب .

[جاء بعد خاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطيطة

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :]

كان سديف مولى بنى هاشم يقول : اللهم إنه قد صار فينا دولة بعد القسمة ، وإمارتنا غلبة بعد المشورة ؛ وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة ، وأشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة ؛ وحكم في إظهار المسلمين أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل ، وبلغ نهيبته ، واستجمع طريده ، اللهم فافتح له من الحق يداً حاصدةً تُبدد شمله ، وتُفترق نامته ، ليظهر الحق في أحسن صورته ، وأتم نوره ، والسلام .

وقيل : كانوا يتوقون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هذا الدعاء :

« باسم الله ، إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . اِحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون . أخذت سمعك وبصرك بسمع الله وبصره . وأخذت قوتك بقوة الله ، بيني وبينك ستر النبوة الذي كانت الأنبياء تستتر به من سَطَوَاتِ الْفِرَاعَةِ ؛ جبريلُ عن يمينك ، وميكائيلُ عن شمالك ، ومحمدُ أمامك ، والله مطلق عليك يحجزك مني ويمنعني منك . والسلام » .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : « أما بعد ، فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكر قدرة الله عليك ونقادة ما تأتي إليهم ، وبقاء ما يأتون إليك . والسلام » .

(١) إظهار : جمع بشر ، والبشر : الخلق والشخص يطلق على الأنثى والذكر والائنين والجمع وقد يثنى

على بشرين ويجمع على إظهار (اللسان) . (٢) النامة والنائمة : الحس والحركة وحياة النفس .

(٣) في الأصل « التي » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ النَّوَاحِي فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ ؟ قَالَ : مَظْلُومًا
لَا يَتَّصِرُ ، وَظَالِمًا لَا يُتَمَرَّرُ ، وَالسَّلَامَ .

فِي الْحَبْسِ :

مَا يَدْخُلُ السَّجْنَ إِنْسَانٌ قَسَأَهُ * مَا بَالُ سَجْنِكَ إِلَّا قَالَ مَظْلُومٌ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

إِنَّ اللَّيَالِيَّ الَّتِي سُغِفَتْ بِهَا * غَيَّبَهَا الدَّهْرُ فِي تَقَلُّبِهِ
لِلَّهِ أَمْرِي مَا مَلْتُ قَطُّ إِلَى * شَيْءٍ بَقَلْبِي إِلَّا جُمِعْتُ بِهِ
عَرَفْتُ حَقِّي مِنَ الزَّمَانِ فَلَا * أَلُومَ خَلَقًا عَلَيَّ تَجَنُّبِهِ
وَكُلَّ سَهْمٍ أَعْدَدْتُهُ وَقَفْتُ * بِهِ اللَّيَالِيَّ حَتَّى رُمِيْتُ بِهِ

وَحَكَى أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ أَتَوْهُ بِرَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ فَأَرَادَ قَتْلَهُ ، فَأَدْخَلَ ١٠

عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنَ لَهُ صَغِيرًا وَهُوَ يَبْكِي ، فَقَالَ الْخَارِجِيُّ : دَعِهِ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ أَرْحَبُ لَشِدْقِهِ ، وَأَصَحُّ لِدِمَاغِهِ ، وَأَذْهَبُ لَصَوْتِهِ ، وَأَحْرَى أَلَّا تَأْبَى عَلَيْهِ عَيْنُهُ
إِذَا حَفَزَتْهُ طَاعَةُ اللَّهِ فَاسْتَدْعَى عَهْرَتَهَا ، فَأَعْجَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِقَوْلِهِ وَقَالَ لَهُ مَتَعَجَّبًا :
أَمَا يَشْغَلُكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : مَا يَنْبَغِي أَنْ يُشْغَلَ الْمُؤْمِنَ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ

شَيْءٌ ، فَأَمَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ بِحَبْسِهِ ، وَصَفَّحَ عَنْ قَتْلِهِ . ١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب العلم والبيان

العلم

حدثني الزياتي قال حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن عبد الله بن سعد عن الصنابحي^(١) عن معاوية بن أبي سفيان قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأغلوطات ، قال الأوزاعي : يعني صعاب المسائل .

حدثني سهيل بن محمد عن الأصمعي قال سمعت عمران بن حدير يحدث عن رجل من أهل الشام قد سماه ، قال : قال كعب الأحبار لقوم من أهل الشام : كيف رأيكم في أبي مسلم الخولاني^(٢) ؟ فقالوا : ما أحسن رأينا فيه وأخذنا عنه ! فقال : إن

- ١٠ (١) في الأصل «الصنابحي» (بباء مائة ووجيم بعد الألف) وهو تحريف ، إذ هو عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي (بباء موحدة وجاء بعد الألف) ، نسبة إلى صنابج من حير ، كما ذكر المؤلف في كتابه (المعارف) (ص ٣١٥) طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ م والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ٢٢٥) . (٢) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث ، لأنه لا معنى لأن ينهى النبي عن صعاب المسائل ، والأوجه ما فسرها به الزنجشري إذ قال في الأساس : «وهي المسائل التي يغالط بها» ؛ ويؤيد هذا التفسير ما جاء بالعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) : «وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك «إبليس» . (٣) هو عبد الله بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو بعدها موحدة وقيل باشباع وقيل ابن أثوب وزن أحر : عابد رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يدركه ، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية (تقريب التهذيب) .
- ١٥

أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الْحَاكِمِ أَهْلُهُ ، وَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ مِثْلَ الْجَاهِلِيَّةِ تَكُونُ فِي الْقَوْمِ فَيَرْغَبُ فِيهَا
الْغُرَبَاءُ ، وَيَزْهَدُ فِيهَا الْقُرَبَاءُ ، فَبَيْنَا ذَلِكَ غَارَ مَاؤُهَا ، وَأَصَابَ هَوْلًا مَنَفَعَتْهَا ، وَبَقِيَ
هَوْلًا يَتَفَكَّنُونَ ، أَيْ يَتَنَدَّمُونَ .

وفي الإنجيل أن عيسى صلى الله عليه وآله لما أراه العجائب ، وضرب لهم الأمثال
والحكمة ، وأظهر لهم هذه الآيات ، قالوا : أليس هذا ابن النجار ! أَوَلَيْسَتْ أُمُّهُ
مَرْيَمَ وَأَخُوهُ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَشَمْعُونَ وَيَهُوذَا وَأَخَوَاتِهِ كُلَّهُنَّ عِنْدَنَا ! فَقَالَ لَهُمْ
عيسى : إِنَّهُ لَا يُسَبُّ النَّبِيَّ وَلَا يُحَقَّرُ إِلَّا فِي مَدِينَتِهِ وَبَيْتِهِ .^(٣)

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : قيل لدغفل النسابة : بم أدركت
ما أدركت من العلم؟ فقال : بلسان سؤول وقلب عقول ، وكنت إذا لقيت عالماً
أخذت منه وأعطيته . ١٠

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا العلاء بن أسلم عن رؤبة بن العجاج
قال : أتيت النسابة البكري فقال لي : من أنت ؟ فقلت أنا ابن العجاج ،
قال : قصرت وعرفت ، اهلك من قوم إن سكت عنهم لم يسألوني ، وإن تكلمت لم
يعوا عني ، قلت : أرجو ألا أكون كذلك ، قال : ما أعداء المرءة؟ قلت : تُخبرني ،
قال : بنو عم السوء إن رأوا حسناً ستره ، وإن رأوا سيئاً أذاعوه ، ثم قال : إن للعلم
آفةٌ وهجنةٌ ونكدٌ ، فأفته نسيانه ، ونكده الكذب فيه ، وهجته نشره عند غير أهله .
كان يقال : لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أن قد علم فقد جهل . ١٥

(١) لعلها الجمة قال في اللسان : والجحوم : البئر الكثرة الماء ، وشرجة وجحوم : كثيرة الماء .

(٢) في الأصل «ليس» بغير تاء التانيث .

(٣) في هامش الأصل الفتوغرافي عن نسخة أخرى : بيته . ٢٠

حدثني شيخنا عن محمد بن عبيد عن الصلت بن مهران عن رجل عن الشعبي عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلم العلم لأربعة دخل النار لبياهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو ييل به وجوه الناس أو يأخذ به من الأمراء » .

وحدثني عن أبي معاوية عن حجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يُخلص العبادة لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » . وقرأت في حِكْم لُقْمَان أَنه قال لابنه : يَا بُنَيَّ ، اغدُ عالماً أو متعلماً أو مُستمعاً أو مُجِبّاً ، ولا تكن انجاس قهلك .

حدثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن إسماعيل عن ابن عيَّاش عن معاذ ابن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين^(١) وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال قال علي عليه السلام : كَلِمَاتٌ لَوْ رَحَّتْهُمُ الْمَطِيُّ فِيهِنَّ لَا تُصِيبُوهُنَّ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكُوا مِثْلَهُنَّ : لَا يَرْجُونَ عَبْدَ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَخَافُنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ ، وَلَا يَسْتَحِيُّ مِنْ لَا يَعْلَمُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَلَا يَسْتَحِيُّ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُ أَعْلَمُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ مِزْلَةَ الصَّبْرِ مِنَ الْإِيمَانِ كَمِزْلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، فَإِذَا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ ، وَإِذَا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الْإِيمَانُ ، وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ حَقَّ الْعَالِمُ عَلَيْكَ إِذَا أَتَيْتَهُ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً وَتُخَصِّصَهُ بِالْتَّحِيَّةِ ، وَأَنْ

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧) طبع بولاق ١٢٠١ في الأ. ١ « به » . (٢) كذا في الأصل

ومثله في أدب الدنيا والدين . وفي العقد الفريد (ح ١ ص ٢٠١) « تحريف القائلين » .
(٣) في أدب الدنيا والدين (ص ٦٧) ما نصه : « وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : نحس خذوهن عنى ، فلوركنتم الفلك ما وجدتموهن إلا عندى : ألا لا يرجون أحد إلا ربه ... الخ » .

تَجْلِسَ قَدَّامَهُ وَلَا تُشِيرَ بِيَدِكَ ، وَلَا تَغْمِزَ بَعِينِكَ ، وَلَا تَقُولَ قَالَ فُلَانٌ خِلَافًا لِقَوْلِهِ ،^(١)
 وَلَا تَفْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تَسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذَ بِثَوْبِهِ ، وَلَا تُلَحَّ عَلَيْهِ إِذَا
 كَسَلَ ، وَلَا تَعْرِضَ^(٢) مِنْ صَحْبَتِهِ لَكَ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا
 شَيْءٌ . وَفِيمَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا كَمِيلُ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يَحْرُسُكَ
 وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَزُكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ . وَقَالَ : قِيمَةُ
 كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ . وَيُقَالُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَبْدًا حَظْرَ عَلَيْهِ الْعِلْمِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
 يَعْدُ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَالِمًا * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبٍ^(٣)
 وَإِنْ حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعِلْمِهِ * وَمَا عَالِمٌ فِي بَلَدَةٍ بِغَرِيبٍ

قَالَ بُرْزُجْمَهُرُ : مَا وَرَّثَ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْأَدَبِ ، لِأَنَّهَا تَكْتَسِبُ
 الْمَالَ بِالْأَدَبِ وَبِالْجَهْلِ تُتْلَفُ فَتَقْعُدُ عُدْمًا مِنْهُمَا . قَالَ رَجُلٌ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ :
 مَا لِي إِذَا رَأَيْتُمْ تُتَذَاكَرُونَ الْأَخْبَارَ ، وَتُنَادِرُونَ الْآثَارَ ، وَتُنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ ، وَقَعَ
 عَلَى النَّوْمِ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ حِمَارٌ فِي مَسْلَاحِ^(٤) إِنْسَانٍ .

نَحْرَجُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ حَاجًا وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَكَانَا
 بَعْضَ الطَّرِيقِ يَلْعَبَانِ بِالشُّطْرَيْجِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ تَقِيفٍ فَأُذِنَ لَهُ وَسَتَرَ

١٥ (١) عبارة العقد الفريد «حلاف قولك» . (٢) لا تفرض : لا تضجر . وفي الأصل «تفرض»
 بالفاء وهو تحريف . وعبارة العقد «ولا تلح عليه في السؤال» ، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التي لا يزال
 يسقط عليك منها شيء . (٣) في الأصل : «تكميل العلم خير من المال» وهو تحريف ،
 والصواب ما أثبتناه ، فقد جاء في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٠) نصه «عن كميل النخعي قال : أخذ
 بيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فخرجني إلى ناحية الجبانة فلما أصحرت تنفس الصعداء ثم قال :
 يا كميل ، إن هذه القلوب أوعية نغيرها أوعاها فأحفظ عني ما أقول لك ... الخ» وكذلك وردت العبارة
 في الإحياء (ج ١ ص ٧) طبعة بولاق . (٤) أرذله الله : لم يرض عنه . (٥) في العقد
 الفريد «عاقلا» . (٦) المسلاخ : الجلد .

الشَّطْرِيَّجَ بِمَنْدِيلٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ فَسَأَلَهُ حَاجَتَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ ؟
 قَالَ : لَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! شَغَلْتَنِي عَنْهُ أُمُورٌ وَهَنَاتٌ ، قَالَ : أَفْتَعْرِفُ الْفِقْهَ ؟
 قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَرَوَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَعَلِمْتِ مِنْ أَيَّامِ
 الْعَرَبِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَكَشَفَ الْمَنْدِيلَ عَنِ الشَّطْرِيَّجِ وَقَالَ : شَاهَكَ ،
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : اسْكُتْ فَمَا مَعْنَى أَحَدٍ .

وفي كتاب للهند : العالم إذا اغترب فمعه من علمه كاف ، كالأسد معه قوته
 التي يعيش بها حيث توجه . وكان يقال : العلم أشرف الأحساب ، والمودة أشد
 الأسباب ، قال الشاعر :

١٠ الحِلْمُ وَالْعِلْمُ خَلْتَا كَرِيم * لِلرَّءِزِينَ إِذَا هُمَا اجْتَمَعَا
 صِنْوَانٌ لَا يَسْتَتِمُ حَسْنُهُمَا * إِلَّا يَجْمَعُ لَذَا وَذَاكَ مَعَا
 كَمِ مِنْ وَضِيعِ سَمَا بِهِ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ فَنَالِ الْعِلَاءَ وَأَرْتَفَعَا
 وَمَنْ رَفِيعِ الْبِنَا أَضَاعَهُمَا * أَنْحَلَهُ مَا أَضَاعَ فَاتَّضَعَا

قال الأحنف : كاد العلماء أن يكونوا أربابا ، وكلُّ عزٍّ لم يُؤكَّدْ بِعِلْمٍ فَإِلَى ذَلِكَ
 مَا يَصِيرُ . وقال ابن المقفع : إذا أكرمك الناس لمالٍ أو سلطانٍ فلا يُعجِبَنَّكَ ذَلِكَ ،
 فَإِنَّ زَوَالَ الْكِرَامَةِ بَزْوَالِهَا ، وَلَكِنْ يُعجِبُكَ إِنْ أَكْرَمَكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ . وفي بعض
 ١٥ الحديث المرفوع : «مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَلُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ» . وكان يقال :
 اسْتَدِلَّ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُحِبُّ أَنْ لَهُ بِحِظِهِ مِنْهُ خَطَرًا . قال يونس بن
 حبيب : عِلْمُكَ مِنْ رُوحِكَ ، وَمَالُكَ مِنْ بَدَنِكَ . قال أبو الأسود : الْمَلُوكُ حُكَّامٌ
 عَلَى النَّاسِ ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمَلُوكِ .

قيل لُبْرُ جِهْرٍ : العلماءُ أفضلُ أم الأَغْنِيَاءُ؟ فقال : العلماءُ ، فقيل له : فما بَالُ
 العلماءِ بأبوابِ الأَغْنِيَاءِ أَكْثَرَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ بأبوابِ العلماءِ؟ فقال : لمعرفة العلماءِ بفضلِ
 الغِنَى وَجَهْلِ الأَغْنِيَاءِ بفضلِ العلمِ . وفي الحديث : «ليس المَلَقُ من أخلاقِ المؤمنِ
 إلَّا في طلبِ العلمِ» . قال ابنُ عباسٍ : ذَلَلْتُ طالباً ، فعزَّزْتُ مطلوباً ؛ وكان يقول :
 وجدتُ عامَّةَ علمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحى من الأنصارِ ، إن
 كنتُ لأَقِيلُ ببابِ أحدهم ولو شئتُ أُذِنَ لى ، ولكن أبتغى بذلك طيبَ نفسه .
 وكان يقال : أوَّلُ العلمِ الصَّمْتُ والثانى الإِستماعُ ، والثالثُ الحِفْظُ ، والرابعُ العقلُ ،
 والخامسُ نشرُه . ويقال : إذا جالستَ العلماءَ فكن على أن تسمعَ أحرصَ منك
 على أن تقول . قال الحسنُ : مَنْ أَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ فى شَبِيبَتِهِ لَقَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ
 فى سِنِّهِ ، وذلكَ قولُه : **رَبِّهِمْ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ** قال بعضُ الحكماءِ من الصحابةِ : تقولُ الحِكْمَةُ : مَنْ آتَمَنى فلم يَجِدْنى
 فليَفْعَلْ بأحسنِ ما يعلمُ ، وليَتْرِكْ أقبحَ ما يعلمُ ، فإذا فَعَلَ ذلكَ فأنا معه وإن لم يَعْرِفْنى .
 وكان يقال : لا يكونُ الرجلُ عالماً حتى يكونَ فيه ثلاثٌ : لا يَحْقِرُ مَنْ دُونَهُ فى العلمِ ،
 ولا يَحْسُدُ مَنْ فَوْقَهُ ، ولا يأخُذُ على علمه ثَمَنًا . وقال ابنُ عُيَيْنَةَ : يُسْتَحَبُّ للعالمِ إذا
 عَلمَ ألا يَعْتَفَّ ، وإذا عَلمَ ألا يَأْتَفَّ . وفي كلامِ اغِيلانِ . لا تكن كعلماءِ زمنِ الهرج^(١)
 إن عَلموا أنفوا وإن عَلموا عَنفوا . وفي حِكْمَةِ ثِقَّانِ : إن العالمَ الحَكِيمَ يدعُو الناسَ
 إلى علمه بالصَّمْتِ وَالوَقَارِ ، وإن العالمِ الأَثَرِقَ يَطْرُدُ الناسَ عن علمه بالهَدَرِ
 والإسْكَارِ . قال إبراهيمُ بنُ المنصورِ : سَلْ مسألةَ الحَقِّ وَأحْفَظْ حِفْظَ الأَيَّامِ .
 وأشدُّ ابنِ الأعرابى :

ما أقرب الأشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها إذا لم تُقدر
 فسلي الفقيه تكن قفيها مثله * من يسع في عمل بفقه يمهر
 وتدبر الأمر الذي تُعنى به * لاخير في عمل غير تدبر
 فلقد يجتد المرء وهو مقصر * ويحجب جده المرء غير مقصر
 ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
 وبقيت في خلف يزين بعضهم * بعضا ليدفع معور عن معور^(١)

وقال الشاعر^(٢) :

شفاء العمى طول السؤال وإنما * تمام العمى طول السكوب على الجهل

- وقال بعضهم : خير خصال المرء السؤال ، ويقال : إذا جلست إلى عالم فسلي تفقها
 ١٠ ولا تسأل تعنتا ، قال الحسن : من استتر عن الطلب بالحياء لیس للجهل سر باله ، فقطعوا
 سراويل الحياء ، فإنه من رقى وجهه رقى علمه ؛ وقال : إني وجدت العلم بين الحياء
 والستر . وقال الخليل : منزلة الجهل بين الحياء والأنفة . وقال علي بن أبي طالب
 عليه السلام : قرنت الهيبة بالخبية ، والحياء بالحرم ، والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها
 ولو في يدى أهل الشرك . وقال عروة بن الزبير لبيه : تعلموا العلم فإن تكونوا صغار
 ١٥ قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين ، فياسوءتأ ماذا أقبح من جهل بشيخ ! وكان
 يقال : علم علمك من يجهل ، وتعلم ممن يعلم ، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت
 وحفظت ما علمت .

قيل لبزرجمهر : يم أدركت ما أدركت من العلم؟ فقال : يسكوب كسكوب
 الغراب ، وحرص كحرص الخنزير ، وصبر كصبر الحمار . وقال الحسن : طلب العلم

- ٢٠ (١) معور من أعور الشيء ، إذا بدت عورته . (٢) هو بشار بن برد كما في أدب الدنيا والدين
 (ص ٤٩ طبعة بولاق) وبعد البيت :

فكن سائلا عما عناك وإنما * دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

في الصغر كالنقش في الحجر، وطلب العلم في الكبر كالنقش على الماء. ويقال: التفقه على غير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح. وفي الحديث المرفوع «ارحموا عزيزاً ذلّ ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالماً ضاع بين جهّال» ويقال: أحق الناس بالرحمة عالمٌ يجوز عليه حكم جاهل .

قال المسيح عليه السلام : يا بني إسرائيل لا تُلْقُوا اللُّؤْلُؤَ إِلَى الخنازير، فإنها لا تصنع به شيئاً، ولا تُعْطُوا الحِكْمَةَ مَنْ لا يُريدها، فإن الحكمة أفضل من اللؤلؤ، ومن لا يريدونها شر من الخنازير. قال ديمقراط : عالمٌ معاندٌ خيرٌ من مُنصف جاهل . وقال آخر : الجاهل لا يكون مُنصفاً، وقد يكون العالم معانداً . قال سُفيان : تَعَوَّدُوا بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر . قيل للحسن : الحِرْفَةُ في أهل العلم؛ ولغيرهم التَّروَةُ ، فقال : إنك طلبت قليلاً في قليل فأعجزك، طلبت المال وهو قليل في الناس، في أهل العلم وهم قليل في الناس . وقال الخزيمي :

لا تَنْظُرَنَّ إِلَى عَقْلِ ولا أدب * إِنْ الْجُدُودَ قَرِينَاتُ الحِمَامَاتِ

وقال آخر :

ما أزددتُ من أدبي حَرْفاً أُسْرِبُهُ * إِلا تَزِيدْتُ حَرْفاً تحته سُومُ
إِنْ المُقْسَمُ فِي حِدْقِي بَصْنَعْتَهُ : أَلَيْ تَوَجَّهَ مِنْهَا فَهُوَ مُحْرَمُ

وقال الطائي لمحمد بن عبد الملك :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهَّالَةَ أُمَّهَا * وَوُلُودُ وَأُمُّ الْعِلْمِ جَذَاءُ حَائِلُ^(١)^(٢)

(١) في الأصل : «العالم» وظاهر أنه تحريف .

(٢) جذاء : من الجذ وهو القطع ، والمراد أنها مقطوعة النسل .

(٣) الحائل : كل أنثى لا تحمل . ٢٠

قال الثوري^(١) : مَنْ طلب الرياسة بالعلم سريعا فاته علم كثير؛ وقال : يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل . قال بعض أهل العلم : يُغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يُغفر للعالم ذنب واحد . قال بلال بن أبي بردة : لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون . وقال الخليل بن أحمد :

اعْمَلْ بَعْلِي وَلَا تَنْظُرْ إِلَى عَمَلِي * يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

كتب رجل إلى أخ له : إنك قد أوتيت علما فلا تُظفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقي في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم .

وقال بعض الحكماء : لولا العلم لم يُطلب العمل ، ولولا العمل لم يُطلب العلم ، ولأن أدع الحق جهلا به أحب إلى من أن أدعه زهدا فيه . وقال مالك بن دينار : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا^(٢) . ونحوه قول زياد : إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب ، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان .

ويقال : العلماء إذا علموا يملوا ، فإذا عملوا سُغِلوا ، فإذا سُغِلوا فُقدوا ، فإذا فُقدوا طُلبوا فإذا طُلبوا هربوا . قال الحسن : ما أحسن الرجل ناطقا علما ومستمعا وإعيا وواعيا عاملا . وقال ابن مسعود : إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة بعملها . وقال ابن عباس : إذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

إذا ما تحدثت في مجلس * تنأى حديثي إلى ما علمت

ولم أعيد علمي إلى غيره * كان إذا ما تنأى قصرت

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٦٩ طبعة بولاق) وفي الأصل : "نهيف" وظاهر أنه تحريف . (٢) ورواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢١١) «اعمل بعلمى وإن قصرت في عملي» وفي أدب الدنيا والدين «اعمل بقوى...» (٣) الصفا جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم لا يثبت .

وقال آخر: ^(١)

إذا ما انتهى علمي تناهيتُ عنده * أطال فأملِي أم تناهى فأقصرا
ويُخبرني عن غائب المرء فعلمه * كفى الفعل عما غيب المرء مُحيرا

قال عمر بن الخطاب: لا أدركتُ لأنا ولا أنت زمانا يتغيرُ الناس فيه على العلم
كما يتغيرون على الأزواج . قال سلمان : علمٌ لا يُقال به ككثرة لا يُنْفَق منه .
وفي الحديث المرفوع : «العلم علمان علمٌ في القلب فذلك العلم النافع وعلمٌ على اللسان
فذلك مُجَّةُ الله على ابن آدم» قال عمر بن عبد العزيز : ما قرِنَ شيءٌ إلى شيءٍ أحسن
من حِلْمٍ إلى علمٍ ومن عَفْوٍ إلى قُدرةٍ : قال أبو الدرداء : من يزددُ علما يزددُ
وجعا .

قال أفلاطون : لولا أن في قولٍ لا أعلم سبباً لآني أعلم لقلتُ إنِّي لا أعلم .
وقال آخر : ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي بأني لستُ أعلم .

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجلٌ يدري ويدري أنه يدري فسأوه ،
ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذاك ناسٌ فذكروه ، ورجل لا يدري ويدري أنه
لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك
جاهل فارفضوه .

كتب كسرى إلى بزرجمهر وهو في الحبس : كانت ثمرةُ علمك أن صرْتَ بها
أهلاً للحبس والقتل ، فكتب إليه بزرجمهر : أما ما كان معي الجَدُّ فقد كنتُ أنتفعُ
بثمرة العلم فالآن إذ لا جدَّ فقد صرْتُ . أنتفع بثمرة الصبر مع أني إن كنتُ فقدتُ كثيرَ
الخير فقد استرحت من كثير الشر .

(١) هو زيادة بن زيد كما في أدب الدنيا والدين (ص ٦٦) .

قال بزرجيه: من صلح له العمر صلح له التعلم . وقيل لبعض الحكماء :
أيحسن بالرجل أن يتعلم ؟ فقال : إن كانت الجهالة تقبح به فإن العلم يحسن به .
ويقال : التودد زين العلم .

قال عمر بن الخطاب : ما من غاشية أدوم أرقاً ، وأبطأ شيباً من عالم . قال
مالك بن دينار : من طاب العلم لنفسه فالقليل منه يكفي ، ومن طابه للناس
فخوائج الناس كثيرة .

قال إِبْرَاهِيمُ : العلم كثير ، والأمر قصير ، والصنعة طويلة ، والزمان جديد ،
والتجربة خطأ .

قال المسيح عليه السلام : إلى متى تصفون الطريق للذبلين ، وأتم مقيمون مع
المتحيرين ؛ إنما ينبغي من العلم القليل ، ومن العمل الكثير . قال سلمان : لو حدثت الناس
بكل ما أعلم لقالوا رَحِمَ اللهُ قَاتِلَ سَلْمَانَ . كان يقال : لا تقل فيما لا تعلم فتتهم فيما تعلم .
وكان يقال : العلم قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون ، فإذا كان قائد بلا سائق بلدت
وإذا كان سائق بلا قائد عدت يمينا وشمالا . فإذا اجتمعا أنابت طوعا وكرها . قال
أيوب : لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يعرف الاختلاف . ويقال : غريزة
العقل أنثى وما يستفاد من العلم ذكر ولن يصلحا إلا معا .

قال المسيح عليه السلام : إن أبغض العلماء إلى الله رجل يحب الذكْرَ بالمغيب ،
ويوسع له في المجالس ، ويدعى إلى الطعام ، وتفرغ له المزاد ، بحق أقول لكم : إن
أولئك قد أخذوا أجورهم في الدنيا ، وإن الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة .

(١) العاشية : السُّؤال الذين يفتنون يرجون فصلك ومعرفتك . (٢) وفي العقد الفريد
(ج ١ ص ١٩٨) : «وقد قالت الحكماء : نعت قائد والعقل سائق والنفس ذرد إن كان قائد بلا سائق
هتكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا وإذا اجتمعا أنابت طوعا وكرها» .
(٣) المزاد جمع مزود كبير وهو رعاء الزاد .

لما دُلِّيَ زيد بن ثابت في قبره قال ابن عباس : من سرَّه أن يرى كيف ذهب العلمُ فهكذا ذهابُ العلم .

ويقال : إذا أردت المحبة من الله فكن عالماً بجاهل . وقال بعض الشعراء في تَلَاقي العلماء :

إذا تَلَاقَى الْفُيُوكُ^(١) وَأَزْدَحَمْتُ * فكيف حالُ الْبَعُوضِ فِي الْوَسَطِ

وقال ابن الرِّقَاع :

ولقد أصبتُ من المعيشة لَذَّةً * ولقيتُ من شَطَفِ الْخُطُوبِ شِدَادَهَا
وعلمتُ حتى لستُ أسألُ عالِماً * عن حَرْفٍ واحدةٍ لكي أزدادَهَا

ويقال : أربعٌ لا يأنفُ منهنَّ الشريفُ : قيامه عن مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وقيامه على فرسه وإن كان له مائةٌ عبيد ، وخدمته العالم ليأخذ من علمه .

قيل لعطاء بن مُصعب : كيف غلبت على البرامكة وعندهم من هو أدب منك؟ قال : ليس للقرباء ظرافةُ الغُرباء ، كنتُ بعيد الدار ، غريب الأسم ، عظيم الكبر ، صغير الحرم ، كثير الإلتواء ، شحيحاً بالإملاء ، فقربني إليهم تباعدى منهم ، ورغبهم في رغبتي عنهم .

قال أبو يعقوب الخزيمي^(٢) : تلقاني سعيد بن وهب مع طلوع الشمس فقلت : أين تريد؟ قال : أدورُ لعلِّي أسمع حديثاً حسناً ، ثم تلقاني أنس بن أبي شيخ فقلت : أين تريد؟ قال : عندي حديثٌ حسنٌ فأنا أطلبُ له إنساناً حسنَ الفهم حسنَ الاستماع ، قلت : حدثني به قال : أنت حسنُ الفهم سيِّئُ الاستماع ، وما أرى لهذا الحديث إلا إسماعيل بن غزوان . وقال الطائي في نحو هذا :

(١) جمع فيل . (٢) هو إسحاق بن حسان ويكنى أبا يعقوب الخزيمي [بالراء المهلهلة] كما ذكره المؤلف في كتابه : «الشعر والشعراء» (ص ٥٤٢) طبع . دسة «لندن» سنة ١٩١٢ م .

وَكُنْتُ أَعَزُّ عِزًّا مِنْ قُنُوعٍ * تَعَوَّضَهُ صَفُوحٌ مِنْ مَلُولٍ^(١)
فِيصْرَتْ أَذَلُّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ * بِهِ قَفَّرٌ إِلَى فَهِيمٍ جَلِيلٍ

كان يقال : إذا أردت أن تكون عالما فاقصد لفن من العلم ، وإذا أردت أن

تكون أديبا فخذ من كل شيء أحسنه . قال إبراهيم بن المهدي :

٥ قد يُرْزَقُ المرءُ لم تُتَّعِبْ رِوَايَهُ * وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤْتِ مِنْ تَعَبِ
مَعَ أَنِّي وَاحِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةٌ * الرِّزْقُ أَرْوَعُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ
وَخَلَّةٌ لَيْسَ فِيهَا مَنْ يُخَالَفُنِي * الرِّزْقُ وَالنُّوْكَ مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ^(٢)
يَا ثَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا حُمُقٍ * الرِّزْقُ أَغْرَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الْجَرْبِ

قال أنوشروان للموبذ : ما رأسُ الأشياءِ؟ قال : الطبيعة النقية تكتفى من الأدب

١٠ برائحته ، ومن العلم بالإشارة إليه ، وكما يذهب البدر في السباح ضائعا ، كذلك الحكمة
تموت بموت الطبيعة ، وكما تغلب السباح^(٤) طيب البدر إلى العفن ، كذلك الحكمة
تفسد عند غير أهلها ؛ قال كسرى : قد صدقتَ وبحقِّ قَلْدَانِكَ مَا قَلْدَانِكَ .

١٥ قال بعضُ السلفِ^(٥) : يكون في آخر الزمان علماء يُزهدون في الدنيا ولا يزهدون ،
ويرغبون في الآخرة ولا يرغبون ، ينهون عن غشيان الولاية ولا ينتهون ، يقربون

١٥ (١) كذا في الأصل الفتوغرافي ، وفي نسخة ديوان أبي تمام الخطبة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٦ أدب ص ٢٣٤ وفي ديوانه المطبوع : «عن جهول» .

(٢) كذا في المحاسن والأضداد لملاحظ : (ص ١٣٤ طبع مدينة ليدن) والسبب : الحبل .
وفي الأصل الفتوغرافي : «نسب» .

(٣) الموبذ بضم الميم وفتح الباء ومثله الموبذان : فقه الفرس وحاكم المجوس .

٢٠ (٤) السباح جمع سبعة محرّكة ومسكته وهي الأرض ذات النثر والملح .

(٥) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبع بولاق) «قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون... الخ» .

الأغنياء ويُباعدون الفقراء، وَيَنْقَبِضُونَ عند الحُقَرَاءِ، وَيَنْبَسُطُونَ عند الكُبَرَاءِ^(٢) :
أولئك الجَبَّارُونَ أعداءُ الرحمن .^(٣)

نافع عن ابن عمَّر قال : العلم ثلاثة : كتاب ناطق ؛ وسنة ماضية ؛ ولا أدرى .

الْكُتُبُ وَالْحِفْظُ

٥ حدَّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدَّثني قريش بن أنس قال سمعت الخليل بن أحمد يقول : اسلم من الوحدة - فقليل له : قد جاء في الوحدة ما جاء، فقال : ما أفسدها للجاهل ! . قال بعض الشعراء في قوم يجمعون الكُتُبَ ولا يعلمون :

زواميلٌ للأسفارِ لا علمَ عندهم : يجيئها إلا كعلمِ الأبايع^(٤)
لعمرك ما يدرى المطيُّ إذا غدا * بأحماها أوراخ ما في الفرائر^(٥)

١٠ قال يحيى بن خالد : الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون . قال الشعبي : لو أن رجلاً حفظ ما نسيته كان عالماً . ووصف رجل رجلاً فقال : كان يغلط في علمه من وجوه أربعة : يسمع غير ما يقال له ، ويحفظ غير ما يسمع ، ويكتب غير ما يحفظ . ويُحدث بغير ما يكتب .

١٥ قيل لأبي نواس : قد بعثوا إلى أبي عبيدة والأصمعي ليجمع بينهما ، فقال : أما أبو عبيدة فإن أمكنوه من شقره^(٦) قرأ عليهم أساطير الأولين ؛ وأما الأصمعي فبأبل في قفص يطربهم بنغماته .

(١) في العقد الفريد « ويعدون » . (٢) في العقد الفريد « وينبسطون للكبراء ، وينقبضون

عن الحقراء » . (٣) في العقد الفريد « أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن » . (٤) زواميل جمع

زاملة وهي التي يحمل عليها من الإبل وغيرها . (٥) الفرائر جمع غرارة بالكسر وهي ما يحمل فيه اللبن ونحوه .

(٦) الشقر كسر : الكذب . وفي المثل : « جاء بالشقر والبقر » أي جاء بالكلام المقير عن وجه الصدق .

القرآن

- حدثني الزياتي قال : حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريزي عن عبد الله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون بيع المصاحف ويرونه عظيماً، وكانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم الغلمان شيئاً .
- ٥ حدثني محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهلي عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عليه السلام قال : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ؛ ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ؛ ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ؛ ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها .
- ١٠ وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أمية وليث بن أبي سليم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو فإني أخاف أن يتآله العدو » .
- حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثنا عمير بن عمران العلاف قال : حدثنا خزيمة ابن أسد المرّي قال : كان سعيد بن المسيّب يستفتح القراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) ويقول : إنها أول شيء كتبت في المصحف ، وأول الكتّاب ، وأول ما كتبت به سليمان بن داود إلى المرأة .

(١) ورد في الأصل «أبيه» وهو تحريف لأن إسماعيل بن أمية المذكور من روى عنه «أبو إسحاق

الغزاري» ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق الغزاري أيضاً فنعين ما ورد في الأصل أن «أبا إسحاق» هو المقصود في هذه الرواية راجع تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٨٣ ،

ج ١٠ ص ٢١٥) . (٢) هي بلقيس بكسر الباء، والقاف : ملكة سبا وقصتها معروفة .

وحدثني أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعي قال : حدثنا رجل عن عمران بن حدير قال : قرأت على أعرابي آخرة سورة « براءة » فقال : كان هذا من آخر ما نزل . قالوا : كيف ؟ قال : أرى أشياء تُقضى وعهوداً تُبَدُّ . قال : وقرأت عليه سورة الأحزاب فقال : كأنها ليست بتامة .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قال ابن مسعود : (حم) ديباج القرآن . قال : وزاد فيه مسعر^(١) قال عبد الله : إذا وقعت في آل (حم) وقعت في روضات دمنات أتأنيق فيهن .

حدثني شيخ لنا عن الحارثي قال : حدثنا بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن الحسن قال : قرأ القرآن ثلاثة : رجل آتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر ، يطلب به ما عند الناس ؛ وقوم حفظوا حرفه ، وضيعوا حذوده ، وأستدروا به الولاية ، وأستطالوا به على أهل بلادهم — وقد كثر الله هذا الضرب في حملة القرآن لا كثرهم الله — ورجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه ، فسهر ليله وهملت عيناه ، تسربلوا الخشوع ، وآرتدوا بالحزن ، وركدوا في محاريبهم ، وجثوا في برانسهم ، فبهم يسقى الله الغيث ، ويُنزل النصر ، ويرفع البلاء ، والله لهذا الضرب

(١) هو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي ، أحد الأعلام (راجع تهذيب التهذيب ج ١ ص ١١٣) . (٢) في النهاية لابن الأثير مادة «دمت» : إذا قرأت «آل حم الخ» . وفي مادة «أنق» : إذا وقعت «في آل حم الخ» . (٣) دمنات : سهلة لينة . (٤) بالمعجمة والنون آخره سين مهملة مصغرا كذا في تهذيب التهذيب والتعريب والخلاصة . وفي الأصل «خنيش» بالمعجمة في آخره وظاهر أنه تحريف . (٥) كذا في الأصل بواو الجماعة ، المقام يقضى الأفراد لقوله : «ورجل قرأ القرآن... الخ» ويؤيد هذا ما ورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠٩ : طبعة بولاق) ونصه : «... ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليله وهملت عيناه وتسربل الخشوع وآرتدى الوقار واستشعر الحزن وواقه... الخ» . (٦) في الأصل : خثوا . (٧) البرانس جمع برنس بالضم وهو قلسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام ، وكل ثوب رأسه ملتزق به .

في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر . روى الحارث الأعور عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي لا تُزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين والذکر الحكيم والصراط المستقيم " ؛ خذها إليك يا أعور .

المحارب قال : حدثنا مالك بن مغول عن عمن أخبره عن المسيب بن رافع عن عبد الله ابن مسعود قال : ينبغى لحامل القرآن أن يُعرف بليته إذ الناس نائمون ، ويحزنه إذ الناس يفرحون ، ويبكائه إذ الناس يضحكون ؛ وينبغى لحامل القرآن أن يكون ^(٢) علما حكيما لينا مستكينا .

وكيع عن أبي معشر المديني عن طلحة بن عبيد الله بن كرز قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من تعظيم جلال الله إكرام ذى الشئبة في الإسلام وإكرام الإمام العادل وإكرام حامل القرآن " . قال بعض المفسرين في قول الله عز وجل : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) أحرِمهم فهم القرآن .

- ١٥ (١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) «عل» . (٢) ورد في الأصل «معول» بالعين المهملة وهو تحريف . وصوابه بالمعجمة كما في الخلاصة وتهذيب التهذيب .
- (٣) في الأصل «سكينا» وما أثبتناه من الإحياء (ج ١ ص ٢٦٠) طبعة بولاق ، وعبارة الإحياء عن ابن مسعود « ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس ينامون ، وبناؤه إذا الناس يفرطون ، ويحزنه إذا الناس يفرحون ، ويبكائه إذا الناس يضحكون ، وبصته إذا الناس يخوضون ؛ وبجشوعه إذا الناس يخنلون ، وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا مارييا ولا صياحا ولا صخاها ولا حديدا » . (٤) ذكره ابن حبان في الثقات وقال : كل ما يجي في الأخبار «كرز» يعنى بضم الكاف إلا هذا تهذيب .
- ٢٠

سَمِعَ أَعْرَابِيَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَقْرَأُ (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَنْقَذَهُمْ مِنْهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَهُمْ فِيهَا ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : خُذْهَا مِنْ غَيْرِ فَقِيهِ .

الحديث

- ٥ حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال : حدثنا محمد بن فضيل عن الأعمش قال : كان إسماعيل بن رجاء يجمع صبيان الكتاب فيحدثهم كيلا ينسى حديثه . وحدثني إسحاق الشَّهيد^(١) قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش قال : قال لي حبيب بن أبي ثابت : لو أن رجلا حدثني عنك بحديث ما باليت أن أرويّه عنك .
- ١٠ حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن نافع عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : ألف عن ألف خير من واحد عن واحد إن فلانا عن فلانٍ ينترع السنة من أيديكم .
- حدثني الرياشي قال : روى عن محمد بن إسماعيل عن معتمر قال : حدثني منقذ عن أيوب عن الحسن قال : ويح : رحمة .
- حدثنا الرياشي قال : روى ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد ؛ قال ربيعة : ثم ذا كرتُ سهيلاً بهذا الحديث فلم يحفظه ، فكان بعد ذلك يرويّه عنّي عن نفسه عن أبيه عن أبي هريرة .
- حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن شعبة قال : كان قتادة إذا حدث بالحديث الجيد ثم ذهب يجيء بالثاني غدوة .

٢٠ (١) هو إسحاق بن إبراهيم بن حبيب المذكور قبله .

بلغنى عن ابن مهدي قال: سئل شعبة: من الذى يترك حديثه؟ فقال: الذى يتهم بالكذب، ومن تكثر بالغلط، ومن يخطئ فى حديث يجمع عليه فلا يتهم نفسه ويقيم على غلظه، ورجل روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون .

وعن مالك أنه قال: لا يؤخذ العلم من أربعة: سفيه معتن بالسفه، وصاحب هوى، ورجل يكذب فى أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه فى الحديث، ورجل له فضل وتعفف وصالح لا يعرف ما يحدث .

حدثنى عبد الرحمن عن الأصمعي أنه روى سفيان بن عيينة فقال: ^(١)
 فليبك سفيان باغى سنة درمت * ^(٢) ومستيت أثارا ^(٣) وآثار ^(٤)
 ومبتغى قرب إسناد وموعظة * ^(٥) وأفقيون من طار ومن طار
 أمست مجالسه وحشا معطلة * ^(٦) من قاطنين ومجاج وعمار
 من الحديث عن الزهرى حين توى * ^(٧) أول الأحاديث عن عمرو بن دينار
 لو يسمعوا بعده من قال حدثنا الزهرى من أهل بلد أو بإحضار
 لا يهنا الساميت المسرور مصرعه * من مارقين ومن مجاهد أقدار

(١) قال ابن خلكان: كان إماما عالما ثبتا زاهدا ورعا مجما على صحة حديثه وروايته؛ توفى آخر يوم من جمادى الآخرة سنة ١٩٨ هـ (٢) المستيت: الفقير، والمراد به هنا الطالب. (٣) جمع أثاراة وهى البقية من العلم تؤثر. (٤) جمع أتر وهو الخبر. (٥) أفقيون جمع أفقي أو أفقي (نسبة الى الأفق أو الى الأفق). (٦) هو أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة رأى عشرة من أصحابه وروى عنه جماعة من الأئمة. منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري. توفى سنة ١٢٤ هـ لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان (راجع بن خلكان). (٧) هو عمرو بن دينار المكي. كان من أشد الناس إتقانا للحديث روى عن ابن عباس وابن الزبير وأبي هريرة؛ توفى سنة ١٢٥ هـ أو ١٢٦ هـ.

وَمِنْ زَنَادِقَةٍ ، جَهَنَّمُ يُقُودُهُمْ * قَوْدًا إِلَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ وَالنَّارِ
وَمُلْحِدِينَ وَمُرْتَابِينَ قَدْ خَلَطُوا * بِسُنَّةِ اللَّهِ أَهْتَارًا بِأَهْتَارِ^(٢)

وقال آخر في مالك بن أنس الفقيه :

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِ الْأَذْقَانِ
هَدَى التَّقَى وَعِزُّ سُلْطَانِ التَّقَى * فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا محمد بن سوار قال حدثنا هشام بن حسان قال :
كان الحسن يُحدثنا اليوم بالحديث ويرده الغد ويزيد فيه وينقص إلا أن المعنى
واحد .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال :
قال حذيفة بن اليمان : إنا قوم عرب فنقدم ونؤخر ونزيد وننقص ، ولا نريد
بذلك كذبا .

أبو معاوية قال : قال أبو إسحاق الشامي : لو كان هذا الحديث من الخبر نقص .
أبو أسامة قال : قال مسعر : من أبغضني بفعله الله محذنا . أبو معاوية قال :
سمعت الأعمش يقول : والله لأن أتصدق بكسرة أحب إلي من أن أتحدث
بستين حديثا .

أبو أسامة قال : سمعت سُفْيَانَ يَقُولُ : لَوِ دِدْتُ أَنَّهَا قُطِعَتْ مِنْ هَامَتِي ، وَأَوْمَأَ
إِلَى الْمُنْكَبِ ، وَأَنَّى لَمْ أَسْمَعِ مِنْهُ شَيْئًا .

(١) هو جهنم بن صفوان صاحب الجهمية وهو من الجبورية الخالصة ظهرت بدعته بترمه وقتله سالم
ابن أحوذ المازني بمرور في آخر ملك بني أمية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ذكرها
الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٦٠) .
(٢) جمع هتر وهو السقط .

قال ابن عيينة : ما أحب لمن أحب أن يكون أحفظ الناس للحديث . قال بعضهم : إنني لأسمع الحديث عطلا فأشغفه وأقرطه وأقلده فيحسن ، وما زدت فيه معنى ، ولا نقصت منه معنى .

أبو أسامة قال : سأل حفص بن غياث الأعمش عن إسناد حديث فأخذ يحلقه وأسنده الى الخائط وقال : هذا إسناده .

وحدث ابن السكك بحديث فقال له رجل : ما إسناؤه ؟ فقال : هو من المرسلات عرفنا . وحدث الحسن بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد ، عمن قال وما يصنع بعمن ؟ أما أنت فقد نالتك موعظته ، وقامت عليك حجته .

يعلى قال : قال الأعمش : إذا رأيت الشيخ لم يطلب الفقه أحببت أن أضعفه .

ابن عيينة قال : قال الأعمش : لولا تعلم هذه الأحاديث كنت كبعض بقالي الكوفة .

ازدحم الناس يوماً على باب ابن عيينة أيام الموسم وبالقرب منه رجل من حاج نخراسان قد حط بجملته فديس وكسر ما كان معه وأتته كعكه وسويقه : فقام يسير إلى سفيان ويدعو ويقول : إني لا أحل لك ما صنعت ؛ فقال سفيان : ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا في السماء رحمتك الله .

أنشدني أبو حاتم عن الأصمعي للعلاء بن المنهال الغنوي في شريك^(١) :

(١) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي . تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي

ثم عزله موسى الهادي ، وكان عالماً فقيهاً فهما ذكياً فظناً . توفي سنة ١٧٧ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٣١٧ طبعة باريس سنة ١٨٣٨) . وقد ورد هذان البيتان مع أبيات أخرى للنهال فالها في شريك أيضاً في المجلد

الأول من هذا الكتاب (ص ٦٧ و ٦٨) .

(١) لَيْتَ أبا شَرِيكَ كَانَ حَيًّا * فَيُقَصِّرَ حِينَ يُبْصِرُهُ شَرِيكَ
وَيَتْرَكَ مِنْ تَدْرِيهِ عَلَيْنَا (٢) * إِذَا قَلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَ

وقال آخر :

تَحْتَرِزُ سُفْيَانٌ وَفَرَّ بَدِينِيهِ * وَأَمْسَى شَرِيكَ مَرُصِدًا لِلدَّرَاهِمِ

وقال آخر في شهر بن حوشب :

لَقَدْ بَاعَ شَهْرُ دِينِهِ بِحَرِيْطَةٍ * فَمَنْ يَأْمَنُ الْقُرَاءَ بِعَدْلِكَ يَا شَهْرُ

وذلك أنه كان دخل بيت المال فسرق خريطة، ورافق رجلا من أهل الشام
فَسَرَقَ عَيْبَتَهُ . وَقَالَ ابْنُ مَنَازِرٍ (٣) :

(١) هكذا وردت في الأصل ، وفي اللسان (ج ١ ص ٦٦) و(ج ٢٠ ص ٧١) ووردت في المجلد
الأول من هذا الكتاب (ص ٦٨) : « فليت » . ١٠

(٢) في الأصل : « تدرّبه » بالذال المعجمة والماء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان
(ج ١ ص ٦٦ و(ج ٢٠ ص ٧١ و(ج ٧٢) وجاء في اللسان (ج ١ ص ٦٦) « قال ابن سيده : إنما أراد
من تدرّبه (أي من تطاوله وتكبره) فأبدل الهمزة إبدالا صحيحا حتى جعلها كأن موضوعها الياء وكسر الراء المجاورة
هذه الياء المبدلة كما كان يكسر إذا لو أنها في موضوعها حرف علة كقولك : تقضيها وتظليها ، ولو قال : من
تدرّبه لكان صحيحا ، لأن قوله : تدرّبه مفاعلتان ؛ قال : ولا أدري لما فعل الغلاء هذا مع تمام الوزن
وخلص تدرّبه من هذا البديل الذي لا يجوز مثله إلا في الشعر ، اللهم إلا أن يكون الغلاء هذا
لعمته البديل » . ١٥

(٣) في شرح القاموس مادة « نذر » مانصه : « وابن منذر بالفتح ممنوع من الصرف و يضم فيصرف
قال الجوهري : هو محمد بن منذر شاعر بصري فن فتح الميم منه لم يصرفه ويقول إنه جمع منذر لأنه محمد
ابن المنذر بن المنذر ومن ضمّه صرفه » ٥١ . وقد ورد ما يؤكده أنه بالضم لا غير فقد جاء في معجم
البلدان لبانوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة « ليدن ») ما نصه : « ذكر المبرد أن محمد بن منذر
الشاعر كان إذا قيل ابن منذر بفتح الميم يفضب ويقول أمناذر الكبرى أم منذر الصغرى وهي كورتان من
كور الأهواز ، إنما هو ساذر على وزن مفاعل من ناذر يناذر فهو ساذر مثل ضارب فهو مضارب » وقد ورد
في المشتية في أسماء الرجال للذهبي (ص ٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا . ٢٠

ومن يبيع الوصاة فإن عندي * وصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عوف * ولا ترووا أحاديث ابن داب^(١)

عبد العزيز بن أبان عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال : طابنا هذا الأمر
وما لنا فيه نية ، ثم إن النية جاءت بعد ؛ فقال سفيان : قال زيد بن أسلم : رأيت
رجلا مَدَّ رجله فقال : اقطعوها سوف أجبرها . قيل لرقبة : ما أكثر شكك ! فقال :
محاماة عن اليقين . وقال بعضهم : سأل شعبة أيوب السخيتاني عن حديث فقال :
أنا أشك ، فيه فقال : شكك أحب إلى من يقين سبعة .

حدثني زيد بن أنحزم قال : سمعت عبد الله بن داود يقول : رأيت الانعمش يضم
كفيه ثم يضرب بهما صدره ويقول : اسكن .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثني بعض الرواة قال : قلت للشرقي بن^(٢)
قطامي : ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاها ؟ فقال : لا أدري ، فأكذب
له ؛ فقلت : كانوا يقولون :

ما كنت وكواكا ولا بزونك * رويدك حتى يبعث الحق بإعنه^(٣)

وكواك : غليظ ، وزونك : قصير ؛ قال : فإذا أنا به يُحدث به في المقصورة يوم
الجمعة ؛ قال أبو نؤاس :

١٥

(١) ابن داب الذي يقصده الشاعر هو عيسى بن يزيد كان يضع الحديث بالمدينة كما في تهذيب التهذيب
(ج ٩ ص ١٥٣) طبع الهند واستشهد بالبيت .

(٢) في الأصل «للشرقي بن القطامي» وما أثبتناه عن المشتبه للذهبي وشرح القاموس والخلاصة .

(٣) ورد هذا البيت في لسان العرب في مادة «زك» هكذا :

٢٠

ولست بوكواك ولا بزونك * مكانك حتى يبعث الخلق بأعنه

(١) حَدَّثَنِي الْأَزْرُقِيُّ الْمَحْدَثُ عَنْ * عَمْرٍو بْنِ شَمْرٍو عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ
لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ غَيْرُ كَافِرِهِ * وَكَافِرٍ فِي الْجَحِيمِ مَصْفُودٍ
حَدَّثَنِي مِهْيَارٌ قَالَ : حَدَّثَنِي هُدَيْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ شَقِيقِ الْبَلْخِيِّ أَنَّهُ أَطْرَى
يَوْمًا أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَرُوقٍ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ : لَا تُطْرِهِ بِمَرُوقٍ فَإِنَّهُمْ لَا يَحْتَمِلُونَ
ذَلِكَ ؛ فَقَالَ شَقِيقٌ : قَدْ مَدَحَهُ مُسَاوِرُ الشَّاعِرِ فَقَالَ :

إِذَا مَا النَّاسُ يَوْمًا قَالُوا * بَأَيْدِيهِ مِنَ الْفُتْيَا ظَرِيفَةٌ
أَتَيْنَاهُمْ بِمُقْيَاسٍ صَحِيحٍ * تِلَادٍ مِنْ طِرَازِ أَبِي حَنِيفَةَ
إِذَا سَمِعَ الْفَقِيهَ بِهَا وَصَاهَا * وَأَثْبَتَهَا بِحَبْرٍ فِي صَحِيفَةَ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَجَابَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا :

إِذَا ذُو الرَّأْيِ خَاصَمَ فِي قِيَاسٍ * وَجَاءَ بِدَعَاةٍ هَنَاءٍ سَخِيفَةَ
أَتَيْنَاهُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِيهَا * وَأَثَارِ مَبْرُزَةِ شَرِيفِهِ
فَكَمْ مِنْ فَرْجٍ مُحْصَنَةٍ عَفِيفٍ * أَحَلَّ حَرَامَهُ بِأَبِي حَنِيفَةَ
أَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ بِنْتُ صُلَيْبٍ * تَكُونُ مِنَ الزَّنَا عُرْسًا صَحِيحَةَ

سَمِعَ رَجُلٌ مَنَادِيًا يُنَادِي : مَنْ يَدُلُّنَا عَلَى شَيْخٍ ضَلَّ ؟ فَقَالَ : مَا سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ
شَيْخٌ يُنَادِي عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى إِسْرَائِيلَ بْنِ الْمُرَيْسِيِّ فَقَالَ : هَذَا شَيْخٌ ضَالٌّ نَخَذُ بِيَدِهِ ؛
وَكَانَ إِسْرَائِيلُ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ .

الأهواء والكلام في الدين

قال المأمونُ يوحنا بن عليّ بن موسى الرضويّ عليهما السلام : بم تدعون هذا الأمر؟
قال : بقرابة عليّ من النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وبقرابة فاطمة رضي الله عنها ؛ فقال
(١) لم نجد هذين البيتين في ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٨٩٨ م . (٢) كذا في الأصل بمعنى
« جاحده » ولعلها « حافره » لأن الخفر معناه نقض العهد والغدر به وهو يتفق والسياق .

المأمون : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة ففي خَلْفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مِن أهل بيته مَنْ هو أقربُ إليه من عليٍّ ، وَمَنْ هو في القرابة مثله ؛ وإن كان بقرابة
 فاطمة من رسول الله ، فإنَّ الحقَّ بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلی في هذا الأمر
 حقٌّ وهما حيَّان ؛ وإذا كان الأمر على ذلك ، فإن عليًّا قد أبرَّهما جميعا وهما حيَّان
 صحیحان ، وأستولى علی ما لا یجبُ له ؛ فما أحرَّ علی^(١) بن موسى نطقا .

حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي ينشد :

وإني لأغني الناس عن متكلم * يرى الناس ضلَّالًا وليس بمهتدي

وأشدني أيضا الرياشي :

وعاجز الرأي مضياغ القُرَصَةِ * حتى إذا فات أمرٌ عاتب القَدَرَا

وقال آخر :

إذا عيروا قالوا مقاديرُ قَدَرْتُ * وما العارُ إلا ما تجرُّ المقاديرُ

وأشدني سهل عن الأصمعي :

يا أيها المضميرُ همًّا لا تُهمُّ * إنك إن تُقدِّرْ لك الحمى تُحمِّ

ولو غَدوتُ شَاهِقًا من العلم^(٢) * كيف تَوَقَّيك وقد جفَّ القلمُ

وأشدني غيره :

هي المقاديرُ فلمني أو فَدَرُ * إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرُ

قال أبو يوسف : مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكلام تَزَنَّدَقَ ، وَمَنْ طَلَبَ المَالَ بالكيمياء

أفلس ، وَمَنْ طَلَبَ غَرَائِبَ الحديث تَدَبَّ كان مُسْلِمًا بن أبي سَريم - وهو

(١) ما أحرار نطقا : ما رَدَّ جوابا .

(٢) العلم : الجبل ، والشاهق : ما ارتفع منه .

مَوَّلَى لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ حُمِلَ عَنْهُ الْحَدِيثُ — شَدِيدًا عَلَى الْقَدْرِيَّةِ ^(١) ، عَائِبًا لَهُمْ وَلِكَلَابِهِمْ ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ فَتَرَكَهَا وَلَمْ يَجْبُرْهَا ، فَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : يَكْسِرُهَا هُوَ وَأَجْبُرُهَا أَنَا ! لَقَدْ عَانَدْتَهُ إِذَا . قَالَ رَجُلٌ لِهَيْشَامِ بْنِ الْحَكَمِ : أَتَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَعَدْلِهِ كَلَّفَنَّا مَا لَا نَطِيقُ ثُمَّ يُعَدِّبُنَا ؟ فَقَالَ هَيْشَامُ : قَدْ وَاللَّهِ فَعَلَ ، وَلَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَكَلَّمَ .

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ : صَاحَبَ رَجُلٌ مِنَ الْقَدْرِيَّةِ بِمَجُوسِيًّا فِي سَفَرٍ فَقَالَ لَهُ الْقَدْرِيُّ : يَا مَجُوسِيٌّ ، مَا لَكَ لَا تُسَلِّمُ ؟ قَالَ : حَتَّى يَسْأَلَ اللَّهَ ! قَالَ : قَدْ سَأَلَ اللَّهَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْعُكَ ، قَالَ الْمَجُوسِيُّ : فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهِمَا .

اجْتَمَعَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّ وَعَدَا وَأَوْعَدَ إِعَادًا وَإِنَّهُ مُنْجِزٌ وَعَدَّهُ وَوَعِيدَهُ . فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمْرٍو : أَنْتَ أَعْجَمٌ ! لَا أَقُولُ إِنَّكَ أَعْجَمٌ اللِّسَانَ ، وَلَكِنَّكَ أَعْجَمُ الْقَلْبَ ! أَمَا تَعْلَمُ ، وَيْحَكَ ! أَنَّ الْعَرَبَ تَعُدُّ إِجْزَاءَ الْوَعْدِ مَكْرُمَةً ، وَتَرُكُ إِيقَاعَ الْوَعِيدِ مَكْرُمَةً ؟ ثُمَّ أَنْشَدَهُ :

وَيَأْتِي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ * لِخُلْفِ إِعَادِي وَمُنْجِزِ مَوْعِدِي ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَشْدِيدًا » . (٢) الْقَدْرِيَّةُ — مَحْزَكَةٌ — جَاحِدُ الْقَدْرِ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَوْلَدَةٌ . قَالَ بَعْضُ مَتَكَلِّمِيهِمْ : لَا يَلْزِمُنَا هَذَا الْقَلْبُ لِأَنَّ نَفْسَ الْقَدْرِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ أَثْبَتِهِ فَهِيَ أَوْلَى بِهِ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَهَذَا تَمْوِيهِ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ يَنْبَتُونَ الْقَسْدَ لِأَنفُسِهِمْ ، وَلِذَلِكَ سَمَّوْا قَدْرِيَّةً (رَاجِعْ شَرْحَ الْقَامُوسِ) . (٣) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٥٥) « إِنَّ أَذْنَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ كَانَ » وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي حَدِيثِ جَرِي بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ وَبَيْنَ مَجُوسِيٍّ رَكِبَ مَعَهُ سَمِيَّةً بِصِيفَةٍ تَخَالَفَ بَعْضَ الْمُخَالَفَةِ مَا هُنَا وَمَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (رَاجِعْ ص ٥١ مِنَ الْمَجْمُوعَةِ رَقْمَ ٣٥٢ تَوْحِيدَ بَدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ) . (٤) عِبَارَةٌ كِتَابِ الْمَنِيَّةِ وَالْأَمَلِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ (ص ٧) ؛ طَبْعَةٌ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ بِمِحْدَرِآبَادٍ) وَرَوَى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ [الْجَبَّائِيَّ] نَظَرَ بَعْضَهُمْ فِي الْإِرْجَاءِ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالزُّبَيْرِ حَاضِرَانِ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ لَقِيَ عَمْرُو بْنَ عُبَيْدٍ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَمَّانَ ، إِنَّكَ أَعْجَمِيٌّ ، وَلَسْتُ بِأَعْجَمِيٍّ اللِّسَانَ ، وَلَكِنَّكَ أَعْجَمِيٌّ الْفَهْمَ ، إِنَّ الْعَرَبَ إِذَا وَعَدَتْ أَنْجَزَتْ وَإِذَا أَوْعَدَتْ أَخْلَفَتْ ؛ وَأَنْشَدَ = :

حبيب بن الشهيد قال : قال إياس بن معاوية ^(١) : ما كلمتُ أحداً بعقلي كله إلا صاحبَ القَدَرِ ؛ قلت : ما الظلمُ في كلام العرب ؟ قال : هو أن يأخذ الرجل ما ليس له ؛ قلت : فإن الله له كلُّ شيء .

وفي كتاب للهند : اليقينُ بالقَدَرِ لا يمنعُ الحازمَ تَوَقُّي المَهالكِ ، وليس على أحدٍ النَّظَرُ في القَدَرِ المَغيبِ ، ولكن عليه العمل بالحزْمِ ، ونحن نجمعُ تصديقا بالقَدَرِ وأخذاً بالحزْمِ .

حدثني خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ قال : سَمِعْتُ رجلاً من الرافضة يقول : رَحِمَ اللهُ أَبَا لُؤْلُؤَةَ ! فقلت : تترحم على رجلٍ جُوسِي قتل عُمرَ ابنِ الحَطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه ! فقال : كانت طعنته لِعُمَرَ إسلامه .

١٠ = وإني وإن أوعدهتني الخبيث ، فقال أبو علي : إن أبا عثمان أجابه بالمسكت ، قاله : إن الشاعر قد يكذب ويصدق ، ولكن حدثني عن قول الله تعالى عز وجل : (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمِينَ) إن ملأها أتقول صدق ؟ قال : نعم ، قال : فإن لم يملأها أفقول صدق ؟ فسكت أبو حنيفة . (١) هو الذي يضرب به المثل في الذكاء ، توفي رحمه الله سنة ١٢٢ هـ . (٢) عبارة العقد الفريد : « كلمت الفرق كلها ببعض عقل ، وكلمت القَدَرِيَّ بعقلي كله ، فقلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منا . قال : نعم ، قلت : فإن الأمر كله لله »

١٥ (٣) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى وقال : كانا وزيرَي جَدِّي . فتركوه ورفضوه ؛ قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي الميرفي سنة ٢٩٩ هـ في كتابه «الفرق بين الفرق» (ص ٢٥ طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) ما نصه : « كان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين ، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلمنا جَدَّكَ علي بن أبي طالب ، فقال زيد : إني لا أقول فيما إلا خيراً ، وما سمعت أبي يقول فيما إلا خيراً ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم ردوا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ، فقارتوه عند ذلك حتى قال لهم : رفضتموني ، ومن يومئذ سموا رافضة » .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا الأصمعي قال أخبرني عاصم بن محمد العمري قال: كنت جالسا عند أمير من أمراء المدينة فأتني برجل شتم أبا بكر وعمر فأسلمه حجما حتى حنق .

وقال بعض شعراء الرافضة في محمد بن الحنفية (١):

ألا قل للوصي فدتك نفسي * أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشير والوك منا * وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا * مقامك عنهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمورق شعب رضوى (٥) * تراجع الملائكة الكلاما (٦)

وقال كثير عزة فيه وكان رافضيا يقول بالرجعة:

ألا إن الأئمة من قريش * ولأه الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيهم * هم الأسباط ليس بهم خفاء
فيسب سبب إيمان وير * ويسبب غيبته كربلاء

- (١) هو السيد الحميري . كما ذكر صاحب الأغاني (راجع ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) . (٢) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والحنفية أمه ، وهي خولة بنت جعفر بن قيس ، وقيل بل كانت من سبي الإمامة وصارت الى علي ، وقيل بل كانت سندية سوداء . وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن منهم ، الى آخر ما ذكر ابن خلكان ؛ توفي رحمه الله في أول المحرم سنة ١٨١ هـ وقيل ١٨٣ هـ ودفن بالبقيع ، وقيل دفن ببلاد أيلة . (٣) هو جبل رضوى ، وكان قوم من القائلين بإمامة محمد بن الحنفية يزعمون أنه حتى لم يمت وأنه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من السيل يأخذ منهما رزقه ، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائهم الى وقت نروجه (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧) .
- (٤) كذا في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) والفرق بين الفرق (ص ٣٠) . وفي الأصل : « واروك » .
- (٥) كذا في الأصل ، ومثله في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) وفي الفرق بين الفرق : « يجري » .
- (٦) في الأصل « الكراما » وما أثبتناه عن الأغاني .

وَسِبْطٌ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى * يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ
تَغِيْبٌ - لَا يُرَى - عَنْهُمْ زَمَانًا * بَرَضَوِي عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ

وهم يذكرون أنه دخل شعبا باليمن في أربعين من أصحابه فلم ير لهم أثر.

قال طلحة بن مصرف لرجل : لولا أنى على وضوء لأخبرتك بما تقول الشيعة .

قال هارون بن سعد العجلي وكان رأس الزيدية :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرَّافِضِيْنَ تَفَرَّقُوا * فَكُلُّهُمْ فِي جَعْفَرٍ قَالَ مُنْكَرًا
فَطَائِفَةٌ قَالُوا إِلَهُ^(١) وَمِنْهُمْ * طَوَائِفٌ سَمَّيْتُهُ النَّبِيَّ الْمُطَهَّرَا
فَإِنْ كَانَ يَرْضَى مَا يَقُولُونَ جَعْفَرًا * فَإِنِّي إِلَى رَبِّي أَفَارِقُ جَعْفَرَا
وَمَنْ تَعَجَّبَ لَمْ أَقْضِهِ جِلْدُ جَعْفَرِهِمْ^(٢) * بَرِثْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ تَجَفَّرَا
بَرِثْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ رَافِضٍ * بِصَيْرِ بَابِ الْكُفْرِ، فِي الدِّينِ أَعْوَرَا
إِذَا كَفَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَنِ بِدْعَةِ مَضَى * عَلَيْهِا وَإِنْ يَمْضُوا عَلَى الْحَقِّ قَصْرَا
وَلَوْ قَالَ إِنَّ الْفِيلَ ضَبٌّ لَصَدَّقُوا * وَلَوْ قَالَ زَيْجِيٌّ تَحْوَلُ أَحْمَرَا
وَأَخْلَفُ مِنْ بَوْلِ الْبَعِيرِ فَإِنَّهُ^(٣) * إِذَا هُوَ لِلْإِقْبَالِ وَجْهٌ أَدْبَرَا
فَقُبِّحَ أَقْوَامٌ رَمَوْهُ بِفِرْيَةٍ^(٤) * كَمَا قَالَ فِي عَيْسَى الْفِرْيَى مِنْ تَنَصَّرَا

- ١٥ (١) في الأصل «إمام» وما أثبتناه عن كتاب «الفرق بين الفرق» ويستأنس له بما جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٣٦) طبع ليبسج سنة ١٩٢٣ م : «زعم أبو الخطاب (محمد بن أبي زينب الأجدع) أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال بأهلية جعفر بن محمد وأهلية آباءه وهم أبناء الله وأحباؤه» .
- (٢) في كتاب «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣٩) «ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفرا الصادق قد أودعهم جندا فيه علم كل شيء، فجاءون به من الغيب وسموا ذلك الجلد جفرا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم» اهـ .
- ٢٠

(٣) في الأصل «قول» ولعله تحريف من الناصح .

(٤) وفي الأصل «بقرية» وهو تحريف .

(١) سمعت بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل للشعر، فإنه قال يوما : ما سمعتُ بكذب من بني تميم ! زعموا أن قول القائل : بيت، زُرارةٌ محتبٌ بفنائه * ومجاشعٌ وأبو الفوارس نهشلُ إنما هو في رجال منهم ؛ قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله ، وزُرارة الحجر ؛ قيل له : فمجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء ؛ قيل له : فأبو الفوارس ؟ قال : أبو قبيس ؛ قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أشد ، وفكر ساعة ثم قال : نعم ، نهشل ! مصباح الكعبة طويلٌ أسودٌ فذاك نهشل ! .

قال أعشى همدان يذكر قتل الرافضة الناس :

إذا سرت في عجلٍ فسِر في صحابة * وكندة فاحذرها حذارك للسنف

وفي شبيعة الأعمى زيادٌ وغيلةٌ * ولَسب وإعمالٌ لحندة القذف

الأعمى هو المغيرة . وزياد يعني الخنق . والسب : السم ؛ وإعمال لحندة القذف : يريد رخصهم رعوس الناس بالحجارة . ثم قال :

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) وردت هذه العبارة باختلاف في كثير من الألفاظ نثبتنا هنا لوضوحها ، ونصها : « قال الشعبي » : ما شئت تأويل الروافض في القرآن إلا بتأويل رجل مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفناء الكعبة ، فقال للشعبي : ما عندك في تأويل هذا البيت ؟ فإن بني تميم يفلطون فيه يزعمون أنه مما قيل في رجل منهم وهو قول الشاعر (ورواه هكذا) :
بيتنا زُرارةٌ محتبٌ بفنائه * ومجاشعٌ وأبو الفوارس نهشل
(وظاهر تحريفه) فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هذا البيت ، وأشار بيده إلى الكعبة . وزرارة : الحجر زُرر حول البيت ؛ فقلت له : فمجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء . قلت : فأبو الفوارس ؟ قال : هو أبو قبيس جبل مكة . قلت : فنهشل ؟ ففكر فيه طويلا ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة طويل أسود وهو النهشل . (٢) الأحناء يد أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بنوب يجمعها به مع ظهره ويشده عليها . (٣) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل « الحجبي » وهو تحريف . (٤) في آب الحيوان للملاحظ (ج ٦ ص ١٢٩) « خناق » . (٥) يقال : قتلته غيلة إذا خدعته فذهب به إلى موضع قتلته .

وكلهم شرَّ على أن رأسهم * حميدة والميلاء حاضنة الكسيف^(١)
 والكسيف هذا هو أبو منصور، سُمي بذلك لأنه قال لأصحابه: في نزل: ^(٢) ^(٣)
 يروا كسفا من السماء ساقطاً وكان يدين بخلق الناس وقتلهم . ثم قال :
 متى كنت في حيي جميلة فاستمع * فإن لهم قصفا يدل على حتيف^(٤)
 كان المغيرة بجلياً مولياً لهم
 إذا اعتزموا يوماً على قتل زائر * تداعوا عليه بالنباح وبالعرِف^(٥)
 وكان ابن عيينة يُنشد :
 إذا ما سرك العيش * فلا تأخذ على كنده^(٦)

يريد أن الخناقين من المنصورية أكثرهم بالكوفة من كندة، منهم أبو قطبة^(٧)
 الخناق .

١٠

(١) في الأصل «رأس» وما أثبتناه عن كتاب الحيوان لمُحافظ (ج ٦ ص ١٣٠) . (٢) حميدة
 فانت من أصحاب لبي الناعطية ولها رياسة في الغالية (الفرقة الرابعة من مذهب الشيعة) والغالية هم الذين
 غلوا في حق أمّتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلفية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية . (راجع الملل والنحل
 ص ١٣٢ طبع ليبسج ، والحيوان ج ٦ ص ١٣٠ ، ومناجيب العلوم للخوارزمي ص ٣٠ طبع أوربا) .
 (٣) الميلاء حاضنة أبي منصور العجل صاحب المنصورية الذين استحلوا خنق مخالفيهم . (٤) هو
 أبو منصور العجلي أحد الذين آدعوا الإمامة ، وزعم أنه عرج به إلى السماء ورأى معبوده فسمح بيده رأسه
 وقال له : يا بني ، ازل فبلغ عني ؛ ثم أهبطه إلى الأرض ، فهو الكسف الساقط من السماء . وقد وقف
 يوسف بن عمر الثقفى والى العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته فأخذه وصلبه (راجع
 الملل والنحل ص ١٣٦) . (٥) قال صاحب كتاب الحيوان : (ج ٦ ص ١٣٠) : «وذلك أن الخناقين
 لا يسرون إلا معاً ولا يقيمون في الأمصار إلا كذلك ؛ فإذا عزم أهل دار على خنق إنسان كانت السلامة
 بينهم الضرب على دُف أو طبل على ما يكون في دور الناس ، وعندهم كلاب مرتبطة ، فإذا تجاوبوا بالعرِف
 ليخفى الصوت ضربوا تلك الكلاب فنبحت ، وربما كانت منهم معلّم يُؤدّب في الدرب ، فإذا سمع تلك
 الأصوات أمر الصبيان برفع الهجاء والقراءة والحساب » . (٦) في كتاب الحيوان «تمرر» .
 (٧) كانت دار أبي قطبة الخناق بالكوفة في كندة وقد قتل وصلب (راجع الحيوان ج ٦ ص ١٢٩) .

٢٠

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن ابن أبي زائدة قال: قال هشام بن القاسم:
أخذ خالد بن عبد الله المغييرة فقتله وصلبه بواسط^(٢) عند منظر^(٣) العاشر، فقال الشاعر:
طال التجاور من بيان واقفا * ومن المغييرة عند جذع العاشر^(٥)
ياليتيه قد شال جذعا تحلة * بأبي حنيفة وابن قيس الناصر
وبيان هذا هو بيان التبان وكان يقول: إلى أشار الله إذ يقول: : هذا بيان^(٦)
للناس وهو أول من قال بخلق القرآن .

(١) في الأصل «خلف» وظاهر أنه تحريف (راجع الطبري ص ١٦١٩ — ١٦٢١ ج ٦ من القسم
الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٩ م، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م،
والكامل للبردج ١ ص ٢٠ طبع ليسج سنة ١٨٦٤ م) .

(٢) واسط: اسم مدينة بالعراق اختطها الحجاج بن يوسف في سنتين .

(٣) المنظر: الموضع الذي ينظر منه وقد يعلب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق
وفيه؛ اتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط، وكان إذا دحّن أهل قزوين دحّنت المناظر إن
كان نهارا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٨٦ طبع ليسج) .

(٤) هو بيان بن سمعان التيمي الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه
وأنه يفتى كله إلا وجهه، وتأول على زعمه قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) وقوله تعالى:
(كل من عليها فان ويبق وجه ربك) وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم، وأنه يبزم به العساكر؛ وأنه يدعو
به الزهرة فتجيبه، رفع خبره إلى خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق فأحتال عليه حتى
ظفر به وصلبه سنة ١١٩ هـ وقال له: ان كنت تبزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فأهزم به أعوانك
(راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ — ٢٢٨ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن
سنة ١٨٧٠ م) .

(٥) هو المغييرة بن سعيد العجلي زعم أنه هو المهدي المنتظر، وزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج
من نوره أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة، وأن أعضائه على صور حروف الهجاء؛ سمع خالد بن عبد الله
القسري بخبره وضلالاته فطلبه وقتله سنة ١١٩ هـ (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٣١ والمثل والنحل
ص ١٣٤ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م) .

(٦) التبان: بائع التبغ .

وأما المغيرة فكان مولى لبجيلة وكان سبائياً وصاحب نيرنجات^(٢) . قال الأعمش : قلت للمغيرة : هل كان عليُّ يُحبي الموتى؟ فقال : لو شاء لأحيا عاداً وثمود وقروناً بين ذلك [كثيراً]^(٣) .

بلغني عن أبي عاصم عن إسماعيل بن مسلم المكي قال : كنت بالكوفة فإذا قوم من جيرانى يكثرُونَ الدخولَ على رجل ، فقلت من هذا الذى تدخلون عليه؟ فقالوا : هذا عليُّ بن أبي طالب ، فقلت : أَدْخُلُونِي معكم فمضيتُ معهم وخبأتُ معي سوطاً تحت ثيابي فدخلتُ فإذا شيخٌ أصْلَعُ بَطِينٌ ، فقلت له : أنت عليُّ بن أبي طالب؟ فأوهأ برأسه : أى نعم ، فأخرجتُ السوطَ فما زلتُ أقنعه وهو يقول : لتأوى لتأوى ، فقلتُ لهم : يا فسقة! عليُّ بن أبي طالبٍ نَبَطِيٌّ! ثم قلتُ له : وَيْلَكَ! ما قصتُك؟

١٠ (١) فى الأصل « سبائيا » [بما بين موحدتين بينهما ألف] وفى مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص ٣١ طبع أوروبا) « السبائية » وكذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧) وشرح القاموس مادة « سبأ » وهم أتباع عبد الله بن سبأ (صاحب السبائية) الذى غلا فى عليٍّ رضى الله عنه ، وزعم أنه كان نبيا ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا الى ذلك قوما من غواة الكوفة ، وذهب بعضهم فى عليٍّ مذهب النصارى فى المسيح ، وفيهم يقول السيد الخيبرى :

١٥ قوم نزلوا فى عليٍّ لا أبالهم * وأجشوا أنفسا فى حبه تعبوا
قالوا هو الإبر جل الله خالقنا * من أن يكون له أبن أو يكون أبا
رفع خبرهم الى عليٍّ رضى الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم فى حفرتين حتى قال بعض الشعراء فى ذلك :
لترم فى الحوادث حيث شاءت * إذا لم ترم بى فى الحفرتين

ثم إن أبا رضى الله عنه خاف من إحراق الباقيين منهم شتاة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه فبنى ابن سبأ الى سباط المدائن (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والمثل والنحل ص ١٣٢ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧) . (٢) النيرنجات : أُنْبُجَاتٌ - ليست بحقيقته إنما هى تشبيه وتلبيس (معربة) .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧)

(٤) يقال : قنع رأسه بالسوط : علاه به .

(٥) النبطي نسبة الى النبط وهم قوم من الأعراب ينزلون سواد العراق .

قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أنا رجلٌ من أهل السَّوَادِ أَخَذَنِي هَؤُلَاءِ فَقَالُوا : أنت عليّ ابن أبي طالب .

حدّثني رجل من أصحاب الكلام قال : دخل هشامُ بن الحَكَمِ علي بعض [الولاة] (٣) العباسيين فقال رجل للعباسي : أنا أقرّر هشاماً بأنّ عليّاً كان ظالماً ، فقال له : إن فعلت ذلك فلك كذا ؛ فقال له : يا أبا محمد ، أما علمت أنّ عليّاً نازع العباس إلى أبي بكر؟ قال : نعم ، قال : فأيهما كان الظالم لصاحبه ؟ فتوقّف هشامُ وقال : إن قلت العباس خفّت العباسي (٤) ، وإن قلت عليّاً ناقضت قولي ، ثم قال : لم يكن فيهما ظالمٌ ، قال : فيختصم آثنان في أمر وهما مُحَقَّقَان جميعاً ؟ قال : نعم ، آختصم الملكان إلى داود وليس فيهما ظالمٌ إنما أرادا أن ينهّاه عليّ ظلّمه ، كذلك آختصم هذان إلى أبي بكر ليعرفاه ظلّمه [فأسكت الرجل وأمر الخليفة لهشام بصلة] (٦) .

قال حسان بن ثابت في النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما :

ثَلَاثَةٌ بَرَزُوا بِسَبْقِهِمْ * نَضَرَهُمْ رَبِّهِمْ إِذَا نُشِرُوا (٨)
عَاشُوا بِلا فُرْقَةٍ حَيَاتِهِمْ * وَأَجْتَمَعُوا فِي الْمَمَاتِ إِذْ قُورُوا
فليس من مسلم له بصرٌ * يُنْكِرُ من فضلهم إِذَا ذُكِرُوا

(١) السواد : قرى العراق . (٢) ورد هذا الخبر في العقد الفريد بأختلاف في بعض الكلمات لا يخرجها عن المعنى المراد هنا (راجع ج ١ ص ٢٧٠) . (٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٤) في العقد الفريد « الخليفة » . (٥) الملكان هما اللذان بعثما الله تعالى إلى داود عليه السلام في صورة إنسانين ؛ وهذه القصة وردت في القرآن الكريم في سورة «ص» في قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا أَنحَى لَهُ تَسَعٌ وَتَسْعُونَ نَعَجَةً . الآية) وشرحها المفسرون . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٧) نضّرهم ربهم : نعمهم وحسنهم . (٨) هذه الأبيات لم ترد في ديوانه المطبوع بمدينة لندن سنة ١٩١٠ م ولا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدارالكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش ولا في ترجمته بالأطاني (ج ٤ ص ٢ — ١٧ طبع بولاق) ولا في كتب الأدب التي تحت أيدينا .

وقال أعرابي لعبد الله بن عمر :

إليك ابن خير الناس إلا محمدا * وإلا أبا بكر نروح ونفتدي

وقال أبو طالب في سهيل بن بيضاء ، وكان أسير فأطلقه رسول الله صلى الله عليه

وسلم بغير فداء ، لأنه كان مسلما مكرها على الخروج :

وهم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا * وسر أبو بكر بها ومحمد

وقال عبيد الله بن عمر :

أنا عبيد الله يميني عمر * خير قرين من مضى ومن غبر

بعد رسول الله والشيخ الأغر * مهلا عبيد الله في ذلك نظر

وقال حسان بن ثابت يرثي أبا بكر رضي الله عنه :

إذا تذكرت شجوا من أحي ثقة * فاذكرك أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقها وأعد لها * بعد النبي وأوفأها بما حملا

والثاني الصادق المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسل^(١)

وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا^(٢)

حدثني ميثاق الرازي قال : قال جرير بن ثعلبة : حصرت شيطانا مرة فقال :

أرفق بي فإني من الشيعة ، فقلت : فمن تعرف من الشيعة ؟ قال : الأعمش ،

نخلت سبيله . قال أبو هريرة العجلي لمحمد بن علي بن الحسين عليهم السلام :

أبا جعفر أنت الولي أحبه * وأرضى بما ترضى به وأتابع

أثنا رجال يحملون عليكم * أحاديث قد ضاقت بهن الأضالع

أحاديث أفشاها المغيرة فيهم * وشر الأمور المحدثات البدائع

٢٠ (١) ورد في الأصل «الثاني التالي ... الخ» وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع وكذا المخطوط .

(٢) لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع ولا المخطوط وورد فيهما بدله هذا البيت :

عاش حميدا لأمر الله متبعا * بهدى صاحبه الماضي وما أنتقلا

حدثني هارون بن موسى عن الحسن بن موسى الأشيب عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التقل . قال :

ما ضر من أصبح المأمون سائسُهُ * إن لم يسسه أبو بكر ولا عمرُ

الرد على الملحدين

قال بعض الملحدين لبعض أصحاب الكلام : هل من دليل على حدوث العالم؟^(١)
[قال : الحركة والسكون] فقال : الحركة والسكون من العالم ، فكأنك إذا قلت :
الدليل على حدوث العالم العالم ؛ فقال له : وسؤالك إياي من العالم ، فإذا جاءت
بمسئلة من غير العالم جئتك بدليل من غير العالم .

قال المأمون لثنوي يناظر عنده : أسألك عن حرفين قط ، خبرني : هل ندم^(٢)
مسيء قط على إساءته ؟ قال : بلى ؛ قال : فالندم على الإساءة إساءة أو إحسان ؟
قال : بل إحسان ؛ قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ؟ قال : بل هو الذي
أساء ؛ قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر ، وقد بطل قولكم ، إت الذي ينظر
نظر الوعيد هو الذي ينظر نظر الرحمة ؛ قال : فإني أزعم أن الذي أساء غير الذي
ندم ؛ قال : فندم على شيء كان من غيره أو على شيء كان منه ؟ فأسكتته .

(١) في الأصل «حدث» . (٢) زيادة يقتضيا السياق .

(٣) الثنوي واحد الثنوية وهم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان
بمخلاف المحوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه ؛ وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما
في البوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأب . من والأبدان والأرواح (راجع الملل والنحل ص ١٨٨) .
(٤) كذا في الأصل . وفي الحيوان للمحقق (ج ٤ ص ١٤١) « فقط » وعبارة العقيد الفريد
(ج ١ ص ٢٥٥) « عن حرفين لا يزيد عليهما » .

وجاءه رجلٌ مُلحدٌ فقال له : أنا أقول بالآئين وقد عرفتُ إِنْصافَكَ فلستُ أخاف
مُشاغبتَكَ ؛ فقال هِشامٌ وهو مشغولٌ بثوبٍ ينشُرُه ولم يُقْبِلْ عليه : حَفِظَكَ اللهُ ، هل
يُقَدِرُ أحدهما أن يَخْلُقَ شيئاً لا يَسْتَعِينُ بصاحبه عليه ؟ قال : نعم ؛ قال هِشامٌ ^(١) :
فما تَرجو من آئينٍ ! واحدٌ خَلَقَ كُلَّ شيءٍ أصحُّ لك ! فقال : لم يَكَلِّني بهذا أحدٌ قبلك .

قال المأمون ^(٢) مُرتدًّا إلى النصرانية : خَبَرْنَا عن الشيء الذي أوحَشَكَ من ديننا بعد
أنسِكَ به وأستيحاشِكَ بما كنتَ عليه ؛ فإن وجدتَ عندنا دواءً دَأْبِكَ تعالجتَ به ،
وإن أخطأ بك الشفاءُ ونَبَأَ عن دَأْبِكَ الدواءُ كنتَ قد أعذرتَ ولم تَرجِعْ على نفسك
بلائمةً ، وإن قتلناك قتلناك بِحُكْمِ الشريعة ، وتَرجِعْ أنت في نفسك إلى الاستبصار
والثقة وتعلم أنك لم تُقَصِّرْ في آجتها ولم تُفَرِّطْ في الدخول من باب الحزم ؛ قال المرتدُّ :
أوحشني ما رأيتُ من كثرة الاختلافِ فيكم ؛ قال المأمون : لنا اختلافان : أحدهما ^(٣)
كالإختلاف في الأذان ، والتكبير في الجنائز ، والشهد ، وصلاة الأعياد ، وتكبير
التشريق ، ووجوه القراءات ، ووجوه الفتيا ، وهذا ليس باختلاف ، إنما هو تخييرٌ
وسعةٌ وتخفيفٌ من المِحنة ^(٣) ، فمن أذَنَ مَثْنِي وأقام مَثْنِي لم يُخْطِئْ من أذَنَ مَثْنِي وأقام
فُرَادِي ، ولا يتعايرون بذلك ولا يتعابيون ، والاختلافُ الآخرُ كنعو اختلافنا في تأويل
الآية من كتابنا ، وتأويل الحديث مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين
الخبز ، فإن كان الذي أوحشَكَ هذا حتى أنكرتَ هذا الكتاب ، فقد ينبغي أن يكون
اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتَّفَقًا على تأويله كما يكون مُتَّفَقًا على تنزيله ، ولا يكون

(١) ورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٥) أن هذه القصة وقعت مع المأمون لا مع هشام بن الحكم .

(٢) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «قال المأمون للمرتد الخراساني الذي أسلم على يديه وحمله

معه إلى العراق فارتد عن الإسلام : أخبرني... الخ» وقد ورد فيه هذا الخبر بزيادة عن الأصل مع

اختلاف في العبارة . (٣) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد : «السنة» .

بين جميع اليهود والنصارى اختلاف في شيء من التأويلات؛ وينبغي لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها؛ ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثته رسوله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا دُفِعَ إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة، وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا. قال المرتد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن المسيح عبد، وأن محمدا صادق، وأنت أمير المؤمنين حقا.

الإعراب والمحسن

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: سمعت مؤلف لآل عمر بن الخطاب يقول: أخذ عبد الملك بن مروان رجلا كان يرى رأى الخوارج رأى شيب، فقال له: ألسنت القائل:

وَمِنَّا سُوَيْدٌ وَبَطِينٌ وَقَعْنَبٌ * وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبٌ^(١)

فقال: إنما قلت: «ومنا أمير المؤمنين شيب» بالنصب، أي يا أمير المؤمنين فأمر بتخليه سبيله.

(١) هو شيب بن يزيد الخارجي صاحب الشيبية، كان من أصحاب صالح بن مسرح التيمي ثم تولى الأمر بعدده على جنده وبايعه أتباعه إلى أن خالف صالحا في شيء، واحد وهو أنه مع أتباعه أجازوا بإمامة المرأة منهم إذا قامت بأمرهم وخرجت على محالهم. وزعموا أن غزاة أم شيب كانت الإمام بعد قتل شيب إلى أن قتلت؛ وأستدلوا على ذلك بأن شيبا لما دخل الكوفة سنة ست وسبعين هجرية أقام أمه على منبر الكوفة حتى خطبت.

كان من أهل القوة البالغة والبأس الشديد. والمعروفة التامة بأمر الحروب؛ انتصر على جيوش الحجاج الكثيفة وبارقواها بحسن تدبيره؛ وكان يصيح في جنات الجيش فلا يلوي أحد على أحد. وفيه يقول الشاعر:

إن صاح يوم حسبت الصخر منعدرا * والريح عاصفة والموج يلتطم =

حدثني عبد الله بن حيان قال : كتب رفيع بن سلمة المعروف بدماد إلى
أبي عثمان النحوي :

تفكرت في النحو حتى ملئت وأتعبت نفسي به والبدن
وأتعبت بكرا وأصحابه * بطول المسائل في كل فن
[فإن عليه ظاهر بين * ومن علمه غامض قد بطن^(٣)
فكنت بظاهره عالما ، وكنت بباطنه ذا فطن
خلا أن بابا عليه العفا * للقاء ياليت له لم يكن
ولواو باب إلى جنبيه * من المقت أحسبه قد لعن
إذا قلت هاتوا لماذا يُقال لست بآتيك أو تأتين^(٤)
أجيبوا لما قيل هذا كذا * على النصب قالوا لإضمار أن^(٥)

== وسويد بن سليم ، والبطين بن قعب ، وقعب بن سويد ، كانوا من رؤساء جيش شبيب وقادة جنده
وأهل الرأي فيهم . ينزلون إلى الهيجا في شجاعة الأسد ، وبأس الحديد ، ومضاء السيف ، ومروق السهم ،
وأنقضاء النسر ، وآلهاب النار ، مع سعة العلم بتدبير الحروب والتميز على أعمالها ، وتمام الخبرة بحيلها ومكايدها .
(راجع أخبار شبيب والخوارج في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ — ٣٥٠ طبع مدينة ليدن
سنة ١٨٦٩ والعقد الفريد ج ١ ص ٤٤ والفرق بين الفرق ص ٨٩ — ٩٢ وتاريخ الطبري ج ٣ و ٤
ص ٨٨١ — ٩٧٥ من القسم الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٥ ولمنص تاريخ الخوارج للرحوم
الأستاذ الشيخ محمد شريف سلم طبع مصر سنة ١٩٢٤ م) .

(١) في الأصل : « غسان بن رفيع » وما أثبتناه عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) طبع مطبعة
دارالكتب المصرية . والكامل للبرد (ج ١ ص ٢١٤) طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م وكنيته « أبو غسان »
كما في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .

(٢) في أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) : « يعني بيكر أبا عثمان المازني ، فبلغ ذلك المازني فقال :
والله أحسب أنه سألتني قط فكيف أتبعني » . (٣) الزيادة عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) .

(٤) رواية القالي في أماليه : إذا قلت هاتوا لما قيل ذا ، فلت بآتيك أو تأتين

(٥) رواية القالي في أماليه : بما نصبوه أبنسوه لي ، فقالوا جميعا بإضمار أن

[وما إن رأيتُ لها موضعا * فأعريف ما قيل إلا يظنُّ
فقد خفتُ يا بكرٍ من طولِ ما * أفكر في أمرٍ «أن» أن أجنُّ]

قال ابن سيرين : ما رأيتُ على رجل أحسن من فصاحة ، ولا على امرأة
أحسن من شحم .

وقال ابن شبرمة : إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا ، ويصغر
في عينك من كان في عينك عظيما فتعلم العربية ، فإنها تُجريك على المنطق وتُدنيك
من السلطان . ويقال : النحو في العلم بمنزلة الملح في القدر والرامك في الطيب .
ويقال : الإعراب حلية الكلام وشيئه . وقال بعض الشعراء :

النحو يبسط من لسان الألتكن * والمرء تُكرمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلتها * فأجلتها منها مقيم الألسن

قال رجل لأعرابي : كيف أهلك بكسر اللام ؟ - يريد كيف أهلك - فقال
الأعرابي : صلباً ؛ ظنُّ أنه سأل عن هلكته كيف تكون .

وقيل لأعرابي : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجلُ سوءاً قيل له : أتجرُّ
فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوي . وقيل لآخر : أتهمز الفارة ؟ فقال : الهمزة تهمزها .

وقيل : كان بشر المريسي يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن
الوجوه وأهنؤها ؛ فقال قاسم التمار : هذا كما قال الشاعر :

(١) الزيادة من أمالي القالي .

(٢) الرامك : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٣) هو إسحاق بن خلف النهدي كما في الكامل

للبرد (ج ١ ص ٢٣٩) . (٤) الصلب : قنلة معروفة وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه على

جذع . (٥) «قالوا : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضفط والعصر» . كذا في كتاب

الصاحي لابن فارس ص ٨ صبعة القاهرة .

إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهُ يَكْتُمُهَا * ضَنْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرُزُّهَا^(١)

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ مُؤَدِّنًا يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ بِنَصَبِ رَسُولٍ ، فَقَالَ :
وَيَمُوكَ ! يَفْعَلُ مَاذَا ؟ .

قال مسامة بن عبد الملك : اللحن في الكلام أقبح من الجُدري في الوجه . وقال
عبد الملك : اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس . قال أبو الأسود :
إني لأجدُ لحنًا غمزًا كغمز اللحم .

قال الخليل بن أحمد : أشدني أعرابي :

وإن كلاباً هذه عشر أبطين : وأنت بريء من قبائلها العشير^(٢)

فجعلتُ أعجب من قوله : عشر أبطين حين أنت لأنه عنى القبيلة ، فلما رأى عجبى
من ذلك ، قال : أليس هكذا قول الآخر :

فكان مجنبي دون من كنت أتقى * ثلاث شُخوص كاعبان ومعصر^(٣)

(١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٦) وفي المحاسن والأضداد ص ٩ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٩٨ م وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠ طبع مصر سنة ١٣٣٢هـ) . ورواية الأصل : ظلت . وجاء في العقد بعد هذا البيت : "وبشر المريسي رأس في الرأي ، وقاسم التمار متقدم في أصحاب الكلام وأحتاجه لبشر أعجب من لحن بشر" . وعبارة المحاسن والأضداد والبيان والتبيين : «فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر» ذلك بأن كلامه كان مضحكا لخلو البيت من الشاهد المراد . (٢) كذا بالعقد الفريد ، والذي بالأصل : «التقش» . (٣) قائل البيت رجل من بني كلاب يسمى «النواح» كما في نزارة الأدب (ج ٤ ص ٤٨٤) . (٤) قائل البيت هو عمر بن أبي ربيعة من نصيدة طويلة منها :
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنور^(٥)

(٥) راجع الكامل للبرد ص ٣٨١ — ٣٨٥ .

(٥) المحجن : الترس . والمراد في هذا البيت قوله «ثلاث شخوص» حيث أنت لأنه يريد بالشخص النفس وكاعبان مثنى كاعب وهي التي يبدو ثديها للنهود ، وكاعبان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هن كاعبان ومعصر ، والمعصر هي التي دخلت عصر شبابها وبلغته . (راجع شرح العيني بهامش نزارة الأدب للبغدادى ج ٤ ص ٤٨٣) .

قال رجل من الصالحين : لئن أعرَبنا في كلامنا حتى ما نَلْحَنَ لقد لَمَّنا في أعمالنا حتى ما نُعْرِبُ ^(١) .

دخل أعرابيُّ السُّوقَ فسمِعَهم يَلْحَنُونَ ، فقال : سبحانَ الله ! يَلْحَنُونَ وَيَرِيحُونَ ونحن لا نَلْحَنُ ولا نَرِيحُ ! .

دخِلَ رجلٌ على زيادٍ فقال له : إنَّ أبينا هَلَكَ ، وإنَّ أخينا غَصَبنا على ميراثنا من أبانا ؛ فقال زياد : ما ضيَّعتَ من نفسك أكثرُ مما ضاعَ من مالك ^(٢) .

قال الرِّياشيُّ عن محمد بن سلام عن يونس قال قال بلالٌ لشيب بن شيبَةَ وهو يَسْتَعِدِّي على عبدِ الأعلى بن عبد الله بن عامرٍ قال : أَحْضَرْنِيهِ ، قال : قد دعوتهُ لِكُلِّ ذلكِ يأبى ؛ برفعِ كلِّ ؛ قال بلال : فالذنبُ لِكُلِّ . قال بعضُ الشعراء :

١٠ إِمَّا تَرَيْني وَأَثوابي مُقارِبَةً * لَيْسَتْ بِمُخزُولاً مِنْ نَسِجِ كَنانِ ^(٣)
فإنَّ في المَجْدِ هِماتي وفي لُغتي : عُلويَّةٌ وَلِسانِي غيرُ حانِ

وقال فيلٌ مولى زيادٍ لزيادٍ : أَهدوا لنا هِمارةً وهِشاً ، فقال : ماتقول؟ وَيَلِّك ! ^(٤)
فقال : أَهدوا لنا أيراً ^(٥) فقال زياد : الأقرُّ خَيْرٌ . ^(٦)

(١) رواية البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٤) : «وقال بعض النساك : أعرَبنا في كلامنا ، فأنلحنُ حرفاً ولحنا في أعمالنا فما نعرب حرفاً» .
١٥ (٢) عبارة البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٥ طبع القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) «الذي أضعت من لسانك أضرت عليك ، ما أضعت من مالك» . (٣) مقارنة بكسر الراء ، أي ليست بنفسية . (٤) هو زياد بن أبي سفيان ، كما في القاموس . (٥) في الأصل «أهدوا لنا همار جهش» وما أثبتناه من البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠) ونهاية الأرب للنويري (ج ٣ ص ٣٩٢ طبع دار الكتب المصرية) يريد «أهدوا لنا حمار وحش» وفي نهاية الأرب «أهدوا» بابدال الهاء حاء ، وهذا الإبدال يعرف باللكنة وهي بحجة في اللسان وعنى . (٦) يريد غيرا وهو الحمار أيا كان أهليا أوحشيا وقد غلب على الوجداني .
٢٠

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ وَالْيَا يَخْطُبُ فَلَحَنَ مَرَّةً أَوْ اثْنَتَيْنِ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَلَاكَ مَلَكَتَ بِقَدْرٍ .
 وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ إِمَامًا يَقْرَأُ : ﴿ وَلَا تُشْكِرُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾ [بفتح تاء تشكروا]
 فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! هَذَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ قَبِيحٌ فَكَيْفَ بَعْدَهُ ! فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ لَحَنَ ،
 وَالْقِرَاءَةُ : ﴿ وَلَا تُشْكِرُوا ﴾ فَقَالَ : قَبِحَهُ اللَّهُ ، لَا تَجْعَلُوهُ بَعْدَهَا إِمَامًا فَإِنَّهُ يُجِلُّ مَا حَرَّمَ
 اللَّهُ . قَالَ الشَّاعِرُ فِي جَارِيَةٍ لَهُ :

أَوَّلُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّحَرِ * تَذَكِيرُهَا الْأُنثَىٰ وَتَأْنِيثُ الذَّكَرِ
 * وَالسُّوءَةُ السُّوءَاءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ *^(٢)

قَالَ الْحِجَّاجُ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ نَحَّاسٍ : أَتَبِيحُ الدَّوَابَّ الْمَعِيْبَةَ مِنْ [جند] السُّلْطَانِ ؟^(٤)
 فَقَالَ : « شَرِيكَاتِنَا فِي هَوَازِهَا وَشَرِيكَاتِنَا فِي مَدَائِنِهَا وَكَمَا تَجِيءُ تَكُونُ » فَقَالَ الْحِجَّاجُ :
 مَا تَقُولُ ؟ فَفَسَّرُوا لَهُ ذَلِكَ ؛ فَضَحِكَ وَكَانَ لَا يَضْحَكُ .^(٦)

أَمَّ الْحِجَّاجُ قَوْمًا فَقَرَأَ ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ وَقَرَأَ فِي آخِرِهَا ﴿ أَنْ رَبَّهُمْ بِهِنَّ يَوْمَئِذٍ ﴾
 بِنَصْبِ أُنْ ، ثُمَّ تَنَبَّهَ عَلَى الْإِلَامِ فِي نَحْوِهَا وَأَنْ «إِتْ» قَبْلِهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مَكْسُورَةً فَخَذَفَ
 الْإِلَامَ مِنْ نَحْوِهَا ، فَقَرَأَ ﴿ أَنْ رَبَّهُمْ بِهِنَّ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ ﴾ .

قَالَ أَبُو زَيْدٍ : قُلْتُ لِلخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : لِمَ قَالُوا فِي تَصْفِيرِ وَاصِلٍ أَوْ يَصِلُ وَلَمْ
 يَقُولُوا وَوَيْصِلُ ؟ فَقَالَ : كَرِهُوا أَنْ يُشَبَّهَ كَلَامُهُمْ بِبَدْحِ الْكَلَابِ .

(١) رواية البيان والتبيين ونهاية الأرب «أكثر» . (٢) السوءة السوءاء : الخلة القبيحة .
 (٣) لأنها كانت إذا أرادت أن تقول : «القمرة» قالت : «الكرم» والكرم جمع كمره وهي حشفة الذكر؛
 وهذا الإبدال يعرف بالثغرة وهي أن تعدل الحرف إلى حرف غيره . (٤) هو أبو الجهير الخراساني
 النخاس كما في البيان والتبيين والنحاس : بياع الدواب والرقيق . (٥) الزيادة عن البيان والتبيين
 (ج ١ ص ٩٠) . (٦) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠) ؛ وفي الأصل : «شريكاتنا في هواز
 ومدائنها وكما تجيء يكون» وقد أثبتنا عبارة البيان والتبيين لوضوحها . (٧) جاء في البيان والتبيين
 (ج ١ ص ٩٠) «فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك .
 يقول شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها» .

التشادق والغريب

- حدثني سهل عن الأصمعي قال : كان عيسى بن عمر لا يدع الإعراب لشيء .
 وخاصم إلى بلال بن أبي بردة في جارية اشتراها مِصَابَةً ، فقال : لَأَن يَنْهَبَ بَعْضُ
 حَقِّ هَذَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَلْحَنَ ، فقال له : وَمَنْ يَعْلَمُ مَا تَقُولُ ؟ فقال : ابن
 طرنوبة .^(١) وضربه عمر بن هبيرة ضربا كثيرا في ودعة أودعها إياه إنسان فطلبها ،
 فما كان يزيد على أن يقول : والله إن كانت إلا أثيابا في أسيفاط قبضها عشاروك .^(٢)
 تَبِعَ أَبُو خَالِدٍ التَّمِيمِيُّ صَاحِبُ الْغَرِيبِ جَارِيَةً مُتَنَقِّبَةً فَكَلَّمَهَا فَلَمْ تُكَلِّمْهُ ، فَقَالَ :
 يَا خَرِيدَةُ ، لَقَدْ كُنْتُ عِنْدِي عَرُوبًا أَمِّمُكَ وَتَشْنِئِينَا !^(٣)
 وقال سهل بن هارون لجارية له رومية أجمية : إن أقل ما ينطوي عليه ضميري
 من ريسيس حبك لأجل من كل جليل ، وأكثر من كل كثير .^(٤)
 وقال مالك بن أسماء في جارية له :
 أَمُغَطِي مَنِيَّ عَلَى بَصْرِي لِلتَّحِبِّ أُمُّ أَنْتِ أَكَلُ النَّاسِ حُسْنًا ؟^(٥)

- (١) كذا في الأصل ولم نوفق إلى معرفة هذا الأسم في الكتب التي بين أيدينا . (٢) أثياب :
 جمع ثوب مع تصغير لفظ الجمع . (٣) الأسيفاط : جمع سَفَطَ بالتحريك وهو الذي يعي فيه الطيب
 وما أشبهه من أدوات النساء . (٤) عشاروك : جمع عشار وهو أخذ العشر وجا به وملتزمه .
 (٥) الخريفة : الحية . (٦) العروب : الحسنه التبعل . وقيل المرأة المتحبة إلى زوجها .
 (٧) نممك : نحبك . وتشنئنا : تبغضنا . وفي الأصل «ولشئنا» وهو تحريف . والتصويب عن
 الكامل للبرد (ص ١٨ طبعة ليبسج) وقد وردت هذه العبارة فيه هكذا : «لقد كنت أحسبك عربا ، فما
 بالنا نممك وتشنئنا ! فقالت : يا بن المدينة أتجشني !» . أي أتغازلني وتلاعبنى . (٨) ريسيس الحب :
 بقيته وأثره . (٩) كذا في خطبة هذا الكتاب في المجلد الأول من هذه الطبعة ، والبيان والذبيان
 (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) . وفي الأصل ها :
- أيفطي مني على بصرى بالتحب أم أنت أكرم الناس حسنا

وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مَا يَشْتَبِي النَّاعْتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَا * نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

قال ابن دُرَيْدٍ : استثقل منها الإعراب .

دخل أبو علقمة على أعين الطبيب فقال له : أمتع الله بك ، إني أكلت من لحوم
هذه الجوازيل فطسنت طسأة^(٣) ، فأصابني وجع^(٤) ما بين الوابلة^(٥) إلى داية العنق فلم يزل
يربو ويثمي حتى خالط الخلب^(٦) والشراسيف^(٧) ، فهل عندك دواء ؟ فقال أعين : نعم ،
خذ نحر بقا^(٨) وسلفقا^(٩) وشبرقا^(١٠) فزهرقه وزقزقه وأغسله بماء روث وأشربه ، فقال
أبو علقمة : لم أفهم عنك ، فقال أعين : أفهمتكم كما أفهمتني . وقال له يوما آخر :
إني أجد معمعة في بطني وقرقرة ، فقال له : أما المعمعة فلا أعير فيها ، وأما القرقرة
فهي ضراط لم ينضج .

- (١) كذا بالأصل هنا وفي المقدمة ، وفي أمالي القالي : « تشبه النفوس » وفي البيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) : « ينمت الناعتون » . (٢) كذا في الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .
وفي المحاسن والأضداد لمجاظ (ص ١٤ طبعة ليدن) والمحاسن والمساروي للبيهقي (ج ٣ ص ٤٧٠ طبعة
ليبسج) : « الجوازيل » . والجوازيل : فراخ الحمام ، وقيل يعم الجوزل نوع الفراخ . (٣) طسئ : اتخم
من الطعام . (٤) الوابلة : طرف العضد في الكتف . (٥) الداية : فقرة العنق . (٦) الخلب :
حجاب بين القلب وسواد البطن . (٧) الشراسيف : جمع شرسوف وهو رأس الضلع مما يلي البطن .
(٨) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) وفي الأصل : « خرنقا » بالنون والخربق بكحفر : ضرب
من الأدرية ونبت كالسم يعني على آكله ولا يقتله ؛ وقيل : نبات كالسان الحمل أبيض وأسود ينفع
الصرع والجنون والبهق والفالج . (٩) هكذا وردت في الأصل « سلفقا » بالشين والقاف والقاف بعد
اللام ولم تقف لها على معنى . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) والمحاسن والمساروي للبيهقي « سلفقا »
وفي البيان والتبيين : « سلفقا » . (١٠) كذا في الأصل والعقد الفريد . والشبرق كزبرج :
نبت من جنس الشوك إذا كان رطبا فهو شبرق فإذا يبس فهو الضريع . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٤٢) :
« جرفقا » وفي المحاسن والأضداد لمجاظ « سربقا » .

أتى رجل الهيم بن العريان بن غريم له قد مظه حقه فقال : أصلح الله الأمير، إن لي على هذا حفا قد غلبنى عليه ؛ فقال له الآخر : أصلحك الله ، إن هذا باعنى عنجدا^(١) وأستنساه^(٢) حولا وشرطت^(٣) عليه أن أعطيه مشاهرة فهو لا يلقانى في لقم^(٤) إلا آقتضانى ؛ فقال له الهيم : أمن بنى أمية أنت ؟ قال : لا ؛ قال : فمن بنى هاشم ؟ قال : لا ؛ قال : فمن أكفائهم من العرب ؟ قال : لا ؛ قال : ويلى عليك ! انزع ثيابه يا جلواز^(٥) ، فلما أرادوا نزع ثيابه قال : أصلحك الله ، إن إزارى^(٦) مرعبل ؛ قال : دعوه ، فلو ترك الغريب في وقت لتركه في هذا الوقت .

ومر أبو علقمة ببعض الطريق بالبصرة^(٧) فهاجت به مرة فسقط ووثب عليه قوم فأقبلوا يعصرون إبهامه ويؤذنون في أذنه ، فأفليت من أيديهم وقال : ما لكم تتكاثون^(٨) على كما تتكاثون على ذى جنة ! افرقعوا عني ؛ فقال رجل منهم : دعوه فإن شيطانه هندی ، أما تسمعوننه يتكلم بالهنديّة . وقال لجمام يحجمه : أنظر ما أمرك به فاصنعه ، ولا تكن كمن أمر بأمر فضيعة ، أتق غسل المحاجم وأشدد قضب الملازم^(٩)

- (١) العنجد بكسر العين وفنذ وجندب : الزبيب .
 (٢) استنساه : سانه أن ينسه ديه ، أى يؤخره . (٣) في المحاسن والأضداد لملاحظ (ص ١٥) والمحاسن والمسارى نبيتي (ج ٣ ص ٤٧٠) : « مياومة » .
 (٤) اللقم محرّكة وكسر د : الطريق أوسطه .
 (٥) الجلواز : الشرطي .
 (٦) مرعبل : ممزق .
 (٧) كذا في المحاسن والمسارى للبيبي والمحاسن والأضداد لملاحظ . وفي الأصل : « الطريق » .
 (٨) في المحاسن والأضداد ، والمحاسن والمسارى « يعصون » .
 (٩) تتكاثون : تجتمعون . افرقعوا : تفرقوا .
 (١٠) الملازم جمع ، لمزم بكسر الميم : خشبتان مشدود أوساطهما بجديدة تجعل في طرفها قاحة (مفتاح معوج طويل) فتلزم ما فيها لزوما شديدا ، تكون مع الصياقلة والأبارين ومجلدى الكتب وغيرهم .

وَأَرِهْفُ ظُبَاتِ الْمَشَارِطِ وَأَسْرِعِ الْوَضْعَ وَمَجِّلِ النَّزْعَ، وَلِيَكُنْ شَرْطُكَ وَخَرَاءَ، وَمُصْكُ نَهْزَاءَ، وَلَا تُكْرِهَنَّ آيِيَا، وَلَا تُرْدَنَّ آتِيَا؛ فَوْضِعِ الْجُتَامُ مَحَاجِمَهُ فِي جُؤُنْتِهِ وَمَضَى ^(٤).

سَمِعَ أَعْرَابِيَّ أَبَا الْمَكْنُونِ النَّحْوِيَّ فِي حَلَقَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَاءِ الْأَسْتِسْقَاءِ :

اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَإِهْنَأْ وَمَوْلَانَا صِلْ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا يَا اللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَأَحِطْ ذَلِكَ السُّوءَ بِهِ كِاحَاطَةَ الْقَلَانِدِ عَلَيَّ تَرَائِبِ الْوَلَانِدِ، ثُمَّ أَرِيخْنِي عَلَيَّ هَامَتَهُ كَرَسُوخِ السَّجِيلِ، عَلَيَّ هَامِ أَصْحَابِ الْفَيْلِ يَا اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيئًا مَجْلَجِلًا مَسْحَنَفِرًا هَزِجًا سَمْحًا سَفُوحًا طَبَقًا غَدَقًا مُثَعِّجِرًا؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا خَلِيفَةَ نُوحٍ [هَذَا] الطُّوفَانَ وَرَبَّ الْكَعْبَةَ، دَعْنِي آوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ: كَانَ غَلَامٌ يَقَعُرُ فِي كَلَامِهِ، فَأَتَى أَبَا الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيَّ يَلْتَمِسُ مَا عِنْدَهُ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْأَسْوَدِ: مَا فَعَلَ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَخَذْتَهُ الْحُمَّى فَطَبَخْتَهُ طَبْخًا وَفَضَخْتَهُ ^(١٦).

- (١) أَرِهْفُ : حَدَّدَ (٢) ظُبَاتُ جَمْعُ ظُبَةٍ نَثْبَةٌ ، وَهِيَ حَدُّ السِّيفِ أَوْ السَّنَادِ وَنَحْوُهُ .
- (٣) فِي الْمَحَاسِنِ وَالْأَضْدَادِ لِلْمَحَاطِ (ص ١٥) وَالْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِيِّ لِلتَّحْقِيقِ (ح ٣ ص ٤٧١) :
- «وَحَفَفَ» . (٤) الْجَوْنَةُ بَضْمُ الْجَلِيمِ : سَلِيلَةٌ مَغْشَاةٌ أَدْمًا تَكُونُ مَعَ الْعَطَّارِينَ . (٥) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : «بَاعْتَاقٌ» . (٦) السَّحِيلُ : حِجَارَةٌ كَالْمَدْرَةِ، وَقِيلَ هُوَ حَجَرٌ مِنْ طِينٍ .
- دَخِيلٌ مَعْرَبٌ مِنْ «سَنَكٍ وَكُلٌّ» أَيْ حِجَارَةٌ وَطِينٌ . (٧) الْمَجْلَجِلُ مِنَ السَّحَابِ : الَّذِي فِيهِ صَوْتُ الرَّعْدِ .
- (٨) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْمَسْحَنَفِرُ : الْكَثِيرُ الصَّبِّ الْوَاسِعُ . (٩) الْهَزِجُ مِنَ الْهَزَجِ وَهُوَ صَوْتُ الرَّعْدِ . (١٠) طَبَقٌ : نَاقٌ وَاسِعٌ . (١١) الْغَدَقُ : الْمَطَرُ الْكَثِيرُ . (١٢) الْمَثَعْمَرُ : السَّبِيلُ الْكَثِيرُ . وَفِي الْأَصْلِ «مَثَعْمَرًا» . (١٣) الزِّيَادَةُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) .
- (١٤) يَقَعُرُ فِي كَلَامِهِ : يَنْشَدُّ وَيُنْكَتَمُ بِأَقْصَى حَلْقِهِ . (١٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْبَيَانِ وَالْتَبْيِيرِ (ج ١ ص ٢٠١) . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : «وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ لِأَبِي تَلْقَةَ : مَا حَالُ أَبْنِكَ ... الخ» . (١٦) فَضَخْتَهُ : دَفَعْتَهُ .

فَضْحًا وَفَنَحْتَهُ فَفَنَحًا فَتَرَكَتَهُ فَرَحًا ؛ قال أبو الأسود : فما فعلت أمراة التي كانت تُجَارُهُ ^(١)
 وَتُسَارُهُ وَتُرَارُهُ وَتُهَارُهُ ؛ قال : طلقها فتزوجت غيره فَرْضِيَتْ وَحَظِيَتْ وَبِطِيَتْ ، ^(٢)
 قال أبو الأسود : قد عرفنا حظيت ، ^(٣) فما بِطِيَتْ ؟ قال : حرف من الغريب لم يبلغك ؛ ^(٤)
 قال أبو الأسود : يا بن أخي ، كل حرف من الغريب لم يبلغ عمك فأسره كما تستر ^(٥)
 السنور نحرها .

قال زيد بن كثر : أتيت باب كبير دارٍ وهناك حَدَادٌ ، فأردتُ أن أُلج الدارَ فدلَّظني ^(٦)
 دَلْظَةً وادرس الناس عليهم فوالله إن زَلْنَا نَظَارَ نَظَارٍ حَتَّى عَقَلَ الظُّلُّ . وقال أيضا : ^(٧)
 أتيتُ بابَ كبيرٍ وإذا الرجالُ صَبِيْتَانِ ^(٨) وإذا أَرِيْدَاءٌ كَثِيرَةٌ وَطَهَاءٌ لَا أَحْصِيَهُمْ وَحِيَامٌ ^(٩)
 كَانَتْهَا آكَامٌ . وقال الطائي : ^(١٠)

أَيُوسُفُ جِئْتُ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ * تَرَكْتَ النَّاسَ فِي شَكِّ مُرِيبِ ^(١١)
 سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَادٍ * وَلَمْ أَسْمَعْ بِسِرَاجِ أَدِيبِ ^(١٢)

- (١) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) وفنحته : أوتته وأضعفته . وفي الأصل :
 «فتخته» بالثاء المتناة ، ولم نجد لهذه الكلمة في كتب اللغة معنى يناسب المقام . (٢) الفرخ : الضعيف
 المنهوك . (٣) تجارته : تطاوله . وتساره : تحاصبه . وتزاره : تعضه . وتهاره : تهير في وجهه كما
 يهز الكلب . (٤) في البيان والتبيين (ج ١ ص ١٢) : «وقد علمنا رضيت وحظيت فأبطيت...» .
 (٥) أتى باللفظ «بفطيت» إتياعا لحظيت مثل حسن بسن ، لأنه ليس في كلامهم «بطى» أنظر اللسان
 مادة «بظا» . (٦) الحداد : البواب . (٧) دلظه : دفعه في صدره . (٨) هذه العبارة
 واردة في الأصل هكذا ولم نوفق إلى تحقيقها . (٩) نظار مثل قطام : اسم فعل أمر بمعنى انتظر
 والمعنى : فازلنا يقال لنا نظار نظار الخ . (١٠) عقل الظل : قام قائم الظهيرة . (١١) صبتان :
 فرقان . (١٢) الأريداء جمع رماد . (١٣) هو يوسف السراج الشاعر المصري
 كما في ديوان أبي تمام طبع محمد جمال سائق محيي الدين الخياط . (١٤) الناد : نعت للداهية
 أو بدل منها والمراد داهية شديدة .

أما لو أن جهلك كان علماً * إذا لنفدت في علم الغيوب^(١)
فالك الغريب يد ولكن * تعاطيك الغريب من الغريب

(٢) قال رؤبة بن العجاج : خرجت مع أبي ، نريد سليمان بن عبد الملك ، فلما صرنا
في الطريق أهدي لنا جنب من لحم عليه كرافي الشحم^(٣) وخريطة من كجاة^(٤) ووطب^(٥)
من لبن فطبخنا هذا بهذا ، فما زال ذفرأى^(٦) تنتحان منه الى أن رجعت . (الكرافي :
الطبقات ، وكذلك كرافي السحاب) .

وصايا المعلمين

قال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده : ليكن إصلاحك بني^(٨)
إصلاحك نفسك ، فإن عيوبهم معقودة بعيبك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ،
والقبيح ما استقبحت ؛ وعلمهم سير الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وتهذؤهم بي وأدبهم
دونى ؛ وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ؛ ولا تتكلم على عذر
منى ، فإنى قد آتكت على كفاية منك .

قال الججاج لمؤدب بنيه : علمهم السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يجيدون من يكتب
عنهم ، ولا يجيدون من يسبح عنهم .

- ١٥ (١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : « لرسمت » . (٢) كذا فى الكامل لمبرد (ص ١٤٠
طبعة ليبسج سنة ١٨٦٤) وفى الأصل : « يزيد » . (٣) الخريطة : وعاء من آدم وغيره .
(٤) الكجاة : نبات لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الغبرة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض ، وهو عديم الضم
يؤكل نيئه ومطبوخه . (٥) الوطب : سقاء اللبن . (٦) ذفرأى ثنية ذفرأى ، ودوالعظم الشاخص
خلف الأذن . (٧) كذا فى الكامل لمبرد (ص ١٤٠) : وتنتحان : ترشحون بالعرق .
٢٠ وفى الأصل « يشجان » . (٨) وردت هذه العبارة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٥) طبعة القاهرة
سنة ١٣٣٢هـ وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) بزيادة عما هنا واختلاف يسير فى بعض التراكم لا يخرجها
عن المعنى المراد ؛ إلا أنها تنسب فى العقد الفريد لمرد بن عتبة .

وقال عبد الملك لمؤدب ولده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ؛ وجنبهم السَّفَلَةَ
فإنهم أسوأ الناس رِعَةً وَأَقْلَهُمْ أَدَبًا ، وَجَنَّبَهُمُ الْحَشَمَ فَإِنَّهُمْ لَهُم مَفْسَدَةٌ ؛ وَأَخْفِ
شُعُورَهُمْ تَغْلُظَ رِقَابِهِمْ ، وَأَطْعِمُهُمُ اللَّحْمَ يَقْوُوا ؛ عَلَّمَهُمُ الشَّعْرَ يَجِدُوا وَيَجْلِدُوا ، وَمُرَّمِ
أَنْ يَسْتَاكُوا عَرَضًا وَيَمْصُوا الْمَاءَ مَصًّا وَلَا يَبُوهُ عَبًّا ؛ وَإِذَا أَحْتَجَّتْ إِلَى أَنْ تُتَاوَلَمَّ
بِأَدَبٍ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِي سِتْرٍ لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْغَاشِيَةِ فَيَهُونُوا عَلَيْهِ .

وقال آخر لمؤدب ولده : لَا تُخْرِجُهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى يُحْكِمُوهُ ، فَإِنْ أَصِطَكَ
الْعِلْمُ فِي السَّمْعِ وَأَزْدَحَمَهُ فِي الْوَهْمِ مَضَلَّةٌ لِلْفَهْمِ .

وكان لشریح ابن یاغب بالکلاب ، فکتب شریحاً إلى معلمه :

تَرَكَ الصَّلَاةَ لِأَكْلِ يَسْعَى بِهَا * طَلَبَ الْهَرَّاشَ مَعَ الْغَوَاةِ الرَّجِيسِ^(٤)
فَإِذَا خَلَوْتَ فَعَضَّهُ بِمَلَامَةٍ * وَعِظْنَهُ وَعَظَكَ لِأَرِيْبِ الْكَيْسِ^(٥)
وَإِذَا هَمَمْتَ بِضَرْبِهِ فَبِدْرَةٍ * وَإِذَا بَلَغْتَ بِهَا ثَلَاثًا فَأَحْبِسْ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا فَعَلْتَ فَنَفْسُهُ * مَعَ مَا يُجْرَعُنِي أَعْرُ الْإِنْفِسِ

وقال آخر لرجل يلعب بالکلاب :

أَيُّهَا الْمُبْتَلَى بِحَبِّ الْكَلَابِ * لَا يُحِبُّ الْكَلَابَ إِلَّا الْعَارِبُ
لَوْ تَعَرَّيْتَ وَسَطَهَا كُنْتَ مِنْهَا * إِنَّمَا فُقِقْتَهَا بُلْبُسَ الثِّيَابِ^(٦)

(١) يقال : فلان سيء الرعة إذا كان قليل الورع .

(٢) أحفى الرجل رأسه أو شاربه : بالغ في قصه .

(٣) في المحاسن والمساريف للبيهقي (ج ٣ ص ٦٢١) : « الزواح » .

(٤) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « يعني » .

(٥) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « أتاك » .

(٦) كذا في الأصل ، وفيه الإقراء ، وهو اختلاف حركة الروي في الإعراب . ولو ورد هكذا :

لا يحب الكلاب غير الكلاب ، لخلا من هذا العيب .

وقال آخر :

لَتَبِكَ أبا أَحْمَدٍ قِرْدَةٌ * وَكَلْبُ هِرَاشٍ وَدِيكَ صَدُوحُ
وَطَيْرٌ زَجَالٌ وَقُمْرِيَّةٌ * هَتُوفُ الْعَيْشَى وَكَبْشُ نَطُوحُ

بلغني عن أبي الحسن الغنكي عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال : سمعت
أبي يقول قال لقمان : ضربُ الوالدِ ولده كالسَّامِدِ للزَّرْعِ .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن
أسامة بن زيد عن مكحول قال : كتب عمر إلى أهل الشام : علموا أولادكم السَّباحَةَ
والرَّمِيَّ والفُرُوسِيَّةَ .

وكانت العرب تُسمي الرجل ، إذا كان يكتب ويحسِّن الرَّمِيَّ ويحسِّن العَومَ
وهي السَّباحة ويقول الشعر، الكامل .

البيان

حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن
عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : «إن من البيان سحراً»^(٢) فأطيلوا الصلاة وأقصرُوا الخُطْبَ . وقال العباس :
يا رسول الله ، فيم الجمال؟ قال : «في اللسان» .

وكان يقال : عقلُ الرجل مدفونٌ تحت لسانه .

وقال يزيد بن المهلب : أشكره أن يكون عقلُ الرجل على طرف لسانه . يريد أنه
لا يكون عقله إلا في الكلام . وقال الشاعر :

(١) القمرية : ضرب من الحمام . (٢) بعض الروايات : «لسحراً» باللام .

كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ * لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانٌ
وَمَا حُسْنُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِزَيْنٍ ^(١) * إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الحَسَنَ البَيَانَ

وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك، فإنه كان يقري العين جمالاً، والأذن بيانا . وقال التمر بن توبل :

أَعْدَنِي رَبٌّ مِنْ حَصْرِ وَعِي * وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالِجُهَا عِلَاجَا
وَمِنْ حَاجِبٍ نَفْسِي فَأَعِصَمَنِي * فَإِنْ لَمْ تُضْمَرَاتِ النَفْسِ حَاجَا

وصف أعرابي رجلا يتكلم فيحسن فقال :

* يَضَعُ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ ^(٢) *

ومثله قولهم : فالان يجيد الحز، ويصيب المفصل؛ وربما قالوا : يقل الحز ^(٣) .

وقال معاوية في عبد الله بن عباس :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ * لِيَعِيَّ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
يُصَرِّفُ بالقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا آتَمَحَى * وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّغِيرِ

وقال حسان فيه :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ * بِلَتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فُصْلًا

١٥ (١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٥ طبعة بولاق) . وفي الأصل : «طا» .

(٢) الهناء : المقطران . والنقب : جمع نقة وهي أزل ما يدور من الجرب . أي أنه لا يتكلم إلا فيما يجب

فيه الكلام ، مثل الطالبي الرفيق الذي يضع الهناء مواضع النقب (راجع العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

(٣) هذا وما قبله من الأمثال التي تضرب في البلاغة ، وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذي يقل

الكلام ويصيب المعاني ، بالجزار الرفيق يقل جز الميم ويصيب مفاصله (راجع المقصد النريد ج ١

ص ٢١٤) .

شَفَى وَكَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَّعْ * لَدَى إِرْبَةِ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
سَمَوَتْ إِلَى الْعَلِيَّا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ ۞ فَنِلَتْ ذُرَاهَا لَا ذَنْبًا وَلَا وَغْلًا^(١)

ويقال : الصمتُ منامٌ والكلامُ يقظةٌ . ويقال : خير الكلام ما لم يجتجج بعده
إلى الكلام .

٥ ذكر العباس بن الحسن الطالبي رجلاً فقال : ألفاظه قوالبٌ معانيه . ومدح
أعرابي رجلاً فقال : كلامه الوبلُّ على المحلِّ ، والعدبُّ الباردُ على الظمِّ .^(٢)
وقال الحطيئة :^(٣)

وأخذتُ أقطارَ الكلامِ فلم أدعْ * ذمًّا يضرُّ ولا مديحًا ينفعُ

وكان الحطيئة يقول : إنما شعري حَسَبُ موضوعٍ ، فسَمِعَ ذلك عمرو بن عبَّيد
فقال : كَذَبَ ، تَرَجَّه اللهُ ، إنما ذلك التقوى .^(٤) ١٠

قيل لعمرو بن عبَّيد : ما البلاغة ؟ فقال : ما نأغثُ الجنةَ ، ونعدلُ بك عن النارِ
[قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : فـ] ما بَصْرَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ ، وعَوَاقِبَ
غَيْبِكَ ؛ قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : من لم يُحَسِّنِ الأَسْتِمَاعَ لم يُحَسِّنِ
القول ؛ قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِنَّا مَعَشَرَ
الأنبياءِ بَكَاءٌ» ، وكانوا يكرهون أن يزيدَ مَنْطِقُ الرجلِ نَبِيَّ عَقْلِهِ ؛ قال : ليس هذا
أريد ؛ قال : كانوا يخافون من فتنة القول [ومن سَقَطَاتِ الكلامِ ما لا يخافون من
١٥

(١) في الأصل : «وعلا» بالعين . وما أثبتناه عن ديوان حسان (ص : ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٠م)

وهو الأنسب للقام ؛ والوعل : الضعيف المذل . الساقط المقتصر في الأشياء . (٢) الوبل : المطر الشديد .

(٣) المحل : الجذب . (٤) تَرَجَّه اللهُ : أحرته ونقصه . (٥) الزيادة عن العقد الفريد

(ج ١ ص ٢١٣) . وفي الأصل : «وما بصرَكَ ... بالوار عطفًا على ما قبله . (٦) بَكَاءٌ جمع بَكَى ،

وهو ما قلَّ كلامه خلقته . (٧) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) . وفي الأصل : «يكرهون» .

(١) فتنة السكوت] ومن سَقَطَات الصَّمْتِ ؛ قال : ليس هذا أريد ؛ قال : فكأنك إنما تريد تخيير الالغظ في حسن إفهام [قال : نعم ؛ قال] : إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين ، وتخفيف المئونة على المستمعين ، وتزوين تلك المعاني في قلوب المرئدين ، بالألفاظ المُستَحْسَنَة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة من الكتاب والسنة ، كنت قد أُوتيت فصل الخطاب ، وأستوجبت على الله جزيل الثواب .

قال بعضهم : ما رأيت زياداً كإسراً إحدى عينيه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يُخاطب رجلاً إلا رحمتُ المخاطب . وقال آخر : ما رأيتُ أحداً يتكلم فيُحسن إلا أحببتُ أن يصمتَ خوفاً من أن يُسِيءَ إلا زياداً فإنه كلما زاد حُسناً ، وقال :
وقبلك ما أعيتُ كإسرَ عينه . زياداً فلم تُقدِرْ على حبايئة

قال محمد بن سلام : كان عمرُ بن الخطاب إذا رأى رجلاً يُجَلِّجُ في كلامه قال : خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد !

وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق ، فقال عبد الملك : لقد رجوتُ عثرته لما تكلم ، فأحسن حتى خَشِيتُ عثرته إن سكت .

١٥ (١) التكلة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) والعقد الفريد . (٢) في البيان والتبيين والعقد الفريد : « المتكلمين » . (٣) قائل هذا البيت الفرزدق ، قاله لحرير من قصيدة تقع في ثلاثة وتسعين بيتاً مثبتة في كتاب النقائض (طبع مدينة « ليدن » سنة ١٩٠٨ م ص ٦٠٠ — ٦٢٩) وبعده البيت :

فأقسمت لا آتية سبعين حجة . ولو نشرت عين القبايع وكاهله

٢٠ والقبايع : لقب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وكان أميراً على البصرة لقبه أهلها به ، وذلك أنه مرّ بقوم يكلمون بقفية فقال : إن قفيكم لقبايع . أي كبير واسع (راجع النقائض ص ٦٠٧) . (٤) لعل « ما » هنا مصدرية أو زائدة . (٥) كذا في النقائض والبيان والتبيين (ج ١ ص ١١٠) . وفي الأصل : « تعلق » .

أبو الحسن قال: قال معاوية لُصْحَارَ الْعَبْدِي: ما هذه البلاغة التي فيكم؟ فقال: شيءٌ تَجِيئُشُ بِهِ صُدُورُنَا ثُمَّ تَقْدِفُهُ عَلَى أَلْسِنَتِنَا؛ فقال رجلٌ من القوم: هؤُلاءِ بِالْبَسْرِ أَبْصَرُ؛ فقال صُحَّارٌ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الرِّيحَ تُلْقِحُهُ وَأَنَّ الْبَرْدَ يُعْقِدُهُ وَأَنَّ الْقَمَرَ يَصْبِغُهُ وَأَنَّ الْحَزْرِيْنَ يُضِجُهُ؛ فقال معاوية: ما تَعُدُّونَ البلاغةَ فيكم؟ قال: الإيجاز؛ قال: وما الإيجاز؟ قال: أن تُجِيبَ فَلَ تَبْطِئَ، وَتَقُولَ فَلَ تُخْطِئَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَنَ الْإِيجَازِ أَلَا تُبْطِئَ وَلَا تُخْطِئَ.

أبو الحسن قال: وقد الحسن بن عليّ على معاوية الشام، فقال عمرو بن العاص: إِنَّ الْحَسَنَ رَجُلٌ أَفَهُ فَلَو حَمَلْتَهُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَتَكَلَّمْتَ فَسَمِعَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ عَابُوهُ؛ فَأَمْرَهُ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَتَكَلَّمْتَ فَأَحْسَنَ؛ وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ طَلَبْتُمْ أَبْنَا لِنَبِيِّكُمْ مَا بَيْنَ جَابِرِ إِلَى جَابَلِقِ لَمْ تَجِدُوهُ غَيْرِي وَغَيْرَ أُخِي وَإِنْ أُدْرِيَ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَيَّ حِينَ، فَسَاءَ ذَلِكَ عَمْرًا وَأَرَادَ أَنْ يَتَمَطَّعَ كَلَامَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، هَلْ تَنْتَعَتِ الرُّطْبَ؟ فقال: أَجَلٌ، تُلْقِحُهُ الشَّمَالُ وَتُخْرِجُهُ الْجَنُوبُ وَيُنْضِجُهُ بَرْدُ اللَّيْلِ بِحَرِّ النَّهَارِ؛ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، هَلْ تَنْتَعَتِ الْحِرَاءَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، تُبْعِدُ الْمَشْشَى فِي الْأَرْضِ الصَّحْصَحَ حَتَّى

(١) كلمة «البسر» مضمومة في الأصل وأستعما على معرفتها بما في البيان والبيان الذي وردت فيه العارة هكذا: «فقال له رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين، بالبسر والرضب أبصر منهم بالخطب... الخ» .
والبسر: التمر قبل إرطابه وذلك إذا لَوْنٌ ولم يبيض . (٢) يعقده: يغلظه .
(٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) بمد قوله فلا تبطي ولا تخطي: «أقلنى يا أمير المؤمنين؛ قال: قد أقلتك، قال: لا تبطي ولا تخطي». قال أبو حاتم: استطال الكلام الأول فاستتمال وتكلم بأوزمه .
(٤) كذا في الأصل والعقد الفريد . والأوصاف الخلقية الظاهرة أكثر ما تجي . على «أفعل» والذي في كتب اللغة أن الوصف من الفهاهة (وهي التي في المنطق)؛ فه كضخم وفهيه وفهفه . (٥) جابر من: مدينة بأقصى المشرق . (٦) جابلق: مدينة بأقصى المغرب . (٧) الحراءة بالكسر: التخل والقعود للحاجة . (٨) الصحصح بصادين مهملتين: ما أستوى من الأرض مع الاتساع . وفي الأصل: «الصحصح» بصادين مهملتين .

تَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ، وَلَا تَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْرِ بِهَا، وَلَا تَسْتَنْجِي بِالرُّوْتَةِ وَلَا الْعَظْمِ،
وَلَا تُبُولُ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ؛ وَأَخَذَ فِي كَلَامِهِ .

وكان يقال : كلُّ شيءٍ ثَنَيْتَهُ يَقْصُرُ مَا خِلاَ الْكَلَامِ، فَإِنَّكَ كَلَّمَا ثَنَيْتَهُ طَالَ . قال
الحسن : الرجال ثلاثة : رجلٌ بنفسه ، ورجلٌ بلسانه ، ورجلٌ بماله .

٥ . تَكَلَّمَ صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ الْقَوْلُ !
فَقَالَ صَعَصَعَةُ : إِنَّ الْحَيَادَ نَضَاحَةٌ لِلْمَاءِ .

ويقال : أبلغُ الكلامِ ما سبقَ معناه لفظه .

١٠ . وفي كتاب للهند : أوَّلُ الْبَلَاغَةِ آجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَابِطًا
الْجَاشِ، سَاكِنًا الْجَوَارِحَ قَلِيلَ اللَّحْظِ مُتَحِيرًا لِلْفِظِ، لَا يَكْتُمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ،
وَلَا الْمَلُوكَ بِكَلَامِ السُّوقَةِ، وَيَكُونُ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ، وَلَا يُدَقِّقُ
الْمَعَانِي كُلَّ التَّدْفِينِ، وَلَا يُنْقِصُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِيحِ وَلَا يُصَفِّيها كُلَّ التَّنْصِيفِ [وَلَا يُهْدِبُها
غَايَةَ التَّهْدِيبِ، وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصَادِفَ حَكِيمًا أَوْ فِيلَسُوفًا عَلِيمًا] وَيَكُونُ قَدْ تَعَوَّدَ
حَدَفَ فُضُولِ الْكَلَامِ وَإِسْقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ، قَدْ نَظَرَ فِي صِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ
عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ لَا عَلَى جِهَةِ الْأَعْتِرَاضِ وَالتَّصْفِيحِ .

١٥ . ونحو هذا قول جعصر بن يحيى البرمكي وقيل له : ما البيان ؟ فتال : أن يكون
الاسم يُحِيطُ بِمَعْنَاكَ وَيُحْكِي عَن مَغْزَاكَ، وَتُخْرِجُهُ مِنَ الشَّرْكَةِ وَلَا تَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِالْفِكْرِ،
وَالَّذِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ سَلِيمًا مِنَ التَّكْلِيفِ، بَعِيدًا مِنَ الصَّنْعَةِ، بَرِيثًا مِنَ التَّعَقُّدِ،
غَنِيًّا عَنِ التَّأْوِيلِ .

(١) الجاش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع . (٢) الزيادة عن البيان والتبيين (ح ١

ص ٥٢) . (٣) عبارة البيان والتبيين : «ومن قد تعوّد ... الخ» . (٤) في البيان والتبيين

(ج ١ ص ٥٨) : «يجلى» . (٥) هكذا في الأصل . وفي البيان والتبيين : «والذي لا بد منه ... الخ» .

قال الأصمعيّ: البليغ من طبّق المفصل وأغناك عن المفسّر .

قال المدائني: كتب قتيبة بن مسلم إلى الحجاج يشكو قلة مرزئته من الطعام وقلة غشيانه النساء وحصره على المنبر، فكتب إليه: استكثر من الألوان لتصيب من كل صفة شيئا، واستكثر من الطرقة^(٢) تجمد بذلك قوة على ما تريد، وأنزل الناس بمنزلة رجل واحد من أهل بيتك وخاصتك، وأرم ببصرك أمامك تبلغ حاجتك .

قال بعض الشعراء:

إن كان في العبي آفات مقدرة * ففي البلاغة آفات تساويها

تكلم رجل عند معاوية فهذر^(٣)، فلما أطال قال: أأسكت يا أمير المؤمنين؟ قال: وهل تكلمت!

ويقال: أعي العبي بلاغة يعي^(٤)، وأقبح اللحن لحن باعراب .

وقال أعرابي: الحظ للراء في أذنه، والحظ لغيره في لسانه .

ويقال: رب كلمة تقول دعني .

ويقال: الصمت أبلغ من عي ببلاغة . ونحوه قول الشاعر:

أرى الصمت أذنى لبعض الصواب * وبعض التكم أذنى لعي

وقال جعفر البرمكي: إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيبا .

(١) المرزئة من الطعام: الإصابة منه . (٢) الطرقة: زوجة الرجل، وأنثى الفعل .

(٣) هذر في كلامه: خلط وتكلم بما لا ينبغي . (٤) في الأصل: « أعي التي بلاغة يعي » .

(٥) يريد أن حظ الرجل في أذنه لنفسه لأنه بها يسمع ما يتمال، والحظ في لسانه لغيره لأنه إذا تكلم

فإنما الحظ والفائدة فيه لغيره .

قال ابن السكك : العرب تقول : العيُّ الناطق أعيان من العيِّ الصامت .

قال أنوشروان لبزرجهر : متى يكون العيُّ بليغا ؟ فقال : إذا

وصف حبيبا .

قال يونس بن حبيب : ليس لعيٍّ مروءةٌ ، ولا لمنقوص البيان بهاءٌ ، ولو بلغ
يا فوخه أعنان السماء . قال بعض الشعراء :

تجبتُ لإدلال العيِّ بنفسه ، وصمت الذي قد كان بالحق أعلمها

وفي الصمت سترٌ لعيٍّ وإنما : صيغةُ لبِّ المرء أن يتكلما

قال سعيد بن العاص : موطنان لأستحي من العيِّ فيهما : إذا أنا خاطبتُ

جاهلا ، وإذا أنا سألتُ حاجةً لنفسى .

ذكر أعرابي رجلا يعيا فقال : رأيت عورات الناس بين أرجلهم ، وعورة

فلان بين فكّيه .

وعاب آخر رجلا فقال : ذاك من يتامى المجلس ، أبلغ ما يكون في نفسه أعيان

ما يكون عند جلسائه .

قال ربيعة الرأبي : الساكت بين النائم والأخرس .

تذاكر قوم فضل الكلام على الصمت وفضل الصمت على الكلام ، فقال

أبو مسهر : كلاً ! إنَّ النجم ليس كالأقمر ، إنك تصف الصمت بالكلام ، ولا تصف

الكلام بالصمت .

(١) الأفوخ : هو الموضع الذي ينتفخ فيه عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره . (٢) أعنان السماء :

نواحيها .

وذم قوم في مجلس سليمان بن عبد الملك الكلام، فقال سليمان: اللهم غفراً، إن من تكلم فأحسن قدر أن يصمت فيحسب، وليس من صمت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسب.

قال بكر بن عبد الله: طول الصمت حبسة^(١)، ونحوه قول عمر بن الخطاب: ترك الحركة عقلة.

وكان نوفل بن مساحق إذا دخل على امرأته صمت، وإذا خرج من عندها تكلم؛ فقالت له: أما عندي فتطرق، وأما عند الناس فتنتطق! فقال: أدق^(٢) عن جليلك وتجلين عن دقيق.

وفي حكمة لقمان: يا بني، قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت.

قال ابن إسحاق: الناس خلق باليمين لأحدهم عين ويد ورجل يقفز بها، وأهل اليمن بصطادونهم؛ فخرج قوم في صيدهم فرأوا ثلاثة نفر منهم فأدركوا واحداً فعقروه وذبحوه وتوارى آشان في الشجر، فقال الذي ذبحه: إنه لسمين، فقال أحد الاثنين: إنه أكل ضرراً، فأخذه وذبحوه، فقال الذي ذبحه: ما أتبع الصمت! قال الثالث: فهأنا الصميت فأخذه وذبحوه. (الضرر: حبة الخمر).

كان يقال: إذا فاتك الأدب فالزم الصمت.

(١) في البيان والتبيين (ج ١ ص ١٥٠) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤): «حبسة». والحبسة

بالضم: اسم من الاحتباس وهو تعذر الكلام عند إرادته. (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٦):

«قال: إنى أجل عن دقيقك، وتدقن عن جليلي». (٣) وردت هذه الحكاية في كتاب الحيوان

للدميري (ج ٢ ص ١٥٠) باختلاف يسير في بعض ألفاظها لا يخرجها عن المعنى المراد. (٤) كذا

في حياة الحيوان. وفي الأصل: «ينقر».

وقال بعضهم : لا يجترئ على الكلام إلا فائق أو مائق^(١) .

وقال الشاعر يمدح رجلا :

صُموتٌ إذا ما الصمتُ زينَ أهله * وفَتاقُ أبكارِ الكلامِ المَخَمِ^(٢)

قال أبو الدرداء : أنصف أذنيك من فيك ، فإنما جعل لك أذنان [اثنتان] وفم^(٣)

واحد ، لتسمع أكثر مما تقول .

حضرت قشيريُّ مجلسا من مجالس العرب فأطال الصمت ، فقال له بعضهم :

بحقِّ سُميتمُ حرس العرب ؛ فقال القشيريُّ : يا أحمى ، إن حظَّ الرجل في أذنه لنفسه ،

وحظُّه في لسانه لغيره .

وقال بعض الحكماء : أكثر الصمت ما لم تكن مسئولا فإن قوت الصواب أيسرُ

من خطل القول ؛ وإذا نازعتك نفسك إلى مراتب القائلين المصيبين ، فأذكر ما دون

الصواب من وجَل الخطأ وفضائح المقصرين .

تكلم رجلٌ في مجلس الهيثم بن صالح بخطأ ، فقال له الهيثم : يا هذا ، بكلام

مثلك رزق أهل الصمت المحبة . وقال أبو نؤاس :

خَلَّ جَنبِيكَ لِرَامٍ * وَأَمْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ

مُتَّ بَدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ * لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

إِنَّمَا السَّلَامُ مِنَ السَّجَمِ^(٤) فَاهِ بِالْجَامِ

(١) الفائق : الأديب العالم . والمائق : الخالك حقا وغبوة .

(٢) في الأصل « المحبّر » وهو تحريف . لأن القافية ميمية ؛ وهذا البيت لعبد الله بن المبارك صاحب

الرقائق برئى مالك بن أنس المدنى كما في العقد الفريد لأبن عبد ربه (ج ١ ص ٢٩٣) وبعده :

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب باللحم والدم

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) . (٤) في البيان والتبيين (ج ١ ص ١٤٩) :

« المسلم » .

وقال آثر:

رأيتُ اللسانَ على أهلِهِ * إذا ساسه الجهلُ لَيْثاً مُغَيِراً

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدثنا صاحبنا عن مالك بن دينار أنه قال : لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام .

وقال الأصمعيّ : إذا نظرف العربيّ كثر كلامه ، وإذا نظرف الفارسيّ كثر سكوته .

قال حاتم طيء : إذا كان الشيء يُكفِيكَهُ انتركُ فاتركه .

قال عبد الله بن الحسن لأبيه : استعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول ، فإن للقول ساعات يضُرُّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب .

وقال إياس بن قتادة :

تُعاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْمِلُ رَأِينَا * وَنَسْتُمُّ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

تكلم ابن السَّمَاك يومًا وجاريةً له تسمع كلامه ، فلما دخل إليها قال : كيف رأيت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده ! قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه ؛ قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه !

قال عيسى بن مريم : من كان منطِقُهُ في غير ذكْرٍ فقد لغا ، ومن كان نظْرُهُ في غير اعتبار فقد سَمَا ، ومن كان صَمْتُهُ في غير فِكْرٍ فقد لها .

(١) في نهاية الأرب (ج ٦ ص ٦) وحامسة أبي تمام شرح التبريري (طبع مدينة بن) : « وتجهل أيدينا ... الخ » ونسب البيت فهما إلى معبد بن طلقمة . ونسب في أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٣) إلى إياس بن قتادة ، كما في الأصل هنا .

كان العباس بن زُفر لا يُكَلِّمُ أحداً حتى تَبَسَّطَ الشَّمْسُ ، فإذا أَنْفَتَلَ^(١) عن صَلَاتِهِ
ضَرَبَ الأَعْنَاقَ وَقَطَعَ الأَيْدِي والأَرْجُلَ . وكان جَرِيرٌ لا يَتَكَلَّمُ حتى تَبْزُغَ الشَّمْسُ ،
فإذا بَزَغَتِ قَدَفَ المُحَصَّنَاتِ .

قال قتادة : مكتوب في التوراة : لا يُعاد الحديث مرتين .

قال الزهري : إعادة الحديث أشد من وقع الصخر .

وفي كتب العجم : أن أربعة من الملوك اجتمعوا فقالوا كلهم كلمة واحدة كأنها
رمية بسهم : ملك فارس ، وملك الهند ، وملك الروم ، وملك الصين . قال أحدهم :
إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها . وقال آخر : قد ندمت على ما قلت ولم أندم
على ما لم أقل . وقال آخر : أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت . وقال آخر :
ما حاجتي إلى أن أتكلم بكلمة ، إن وقعت على ضررتي ، وإن لم تقع على لم تنفعني .
قال زبيد الياي^(٢) : أسكتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة : من كان كلامه
لا يوافق فعله وإنما يُؤنِّجُ نفسه .

وفي كتاب كلبية ودمنة : ثلاثة يؤمرون بالسكوت : الراقى في جبل طويل ،
وآكل السمك ، والمرؤى في الأمر الجسيم . قال بعض الشعراء^(٤) :

قد أفلح السالم الصموت^(٣) : كلام واعى الكلام قوت^(٤)

(١) انفتل عن صلاته : انصرف عنها . (٢) كذا في الأنساب للسمعاني ؛ وتهذيب التهذيب ؛

وتاج العروس . وهو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب الياي نسبة إلى يام بطن من همدان .

وفي الأصل « زبيد النامي » بالنون وهو تحريف . (٣) المرؤى : من روى في الأمر ويقال روى

(بالهمزة) إذا نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب . (٤) هو محمد بن أبي العتاهية كما في الأغاني (ج ٣

ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذكور أيضاً في ديوان والده أبي العتاهية (ص ١٤ طبع بيروت) .

ما كلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوَابٌ * جَوَابٌ مَا يُكْرَهُ السُّكُوتُ
يَا عَجَبًا لِأَمْرِي ظُلُومٌ * مُسْتَيْقِرٌ أَنَّهُ يَمُوتُ

بلغني عن أبي أسامة عن ابن عَوْنٍ عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلموا
وصمت الأحنف ، فقال معاوية : يا أبا بجر، مالك لا تتكلم ؟ قال : أخافكم إن
صدقتكم ، وأخاف الله إن كذبت .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا الحميدي قال حدثنا أبو الحكم مروان بن
عبد الواحد عن موسى بن أبي درهم عن وهب بن منبه قال قال ابن عباس :
كفى بك ظالماً ألا تزال مُتَحَاصِماً ، وكفى بك آثماً ألا تزال مُمَارِياً ، وكفى بك كاذباً
ألا تزال مُحَدِّثاً بغير ذكر الله تعالى .

وقال بعضهم :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ : وليس يموت المرء من عثرة الرجل^(١)
فعرثته من فيه ترمى برأسه . وعرثته بالرجل تبرا على مهل
سئل بعض الحكماء عن البلاغة ، فقال : من أخذ معاني كثيرة فأداها بالفاظ
قليلة ، أو أخذ معاني قليلة فولد فيها ألفاظا كثيرة .

بلغني عن أبي إسحاق الفزاري قال : كان إبراهيم يطيل السكوت ، فإذا تكلم
أنبسط ، فقلت له ذات يوم : لو تكلمت ! فقال : الكلام على أربعة وجوه . فمنه
كلامٌ ترجو منفعتَه وتخشى عاقبته ، فالفضلُ منه السلامة ؛ ومنه كلامٌ لا ترجو منفعتَه
ولا تخشى عاقبته ، فأقلُّ مالك في تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك ؛ ومنه كلامٌ

(١) هذات البيتان لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كما في العقد الفريد

لا ترجو منفعتَه وتخشى عاقبته، وهذا هو الداءُ العُضالُ؛ ومن الكلامِ كلامُ ترجو منفعتَه وتأمُنُ عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشرُه؛ قال: فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام.

(١)
الاستدلال بالعين والإشارة والنسبة

يقال: رُبَّ طَرْفٍ أفصح من لسان. قال أعرابي:
 إن كاتمونا القلي نمت عيونهم * والعين تُظهِرُ ما في القلب أو تصفُ
 وقال آخر:
 إذا قلوبٌ أظهرت غيرَ ما * تُضمِّره أنبتك عنها العيونُ
 آخر:

١٠ أما تبصر في عيني عنوان الذي أبدي
 وقال ذو الرمة:

نعم حاجت الأطلال شوقاً كفى به * من الشوق إلا أنه غير ظاهر
 فما زلت أطوى النفس حتى كأنها * بذى الرمث^(٢) لم تخطر على بال ذاكر
 حياءً وإشفاقاً من الركب أن يروا * دليلاً على مستودعات الضمائر

١٥ وقال الحارثي يذكر ميتا:

أتينا زواراً فأجدنا قري^(٣) * من البث^(٤) والداء الدخيل الخامس
 وأوسعنا علماً برداً جوايناً * فأعجب به من ناطق لم يحاور

(١) النسبة بالضم: هي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيئة بغير اليد (عن البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥).

(٢) أطوى النفس: أضمرها على شيء من حب مية. وذو الرمث: اسم واد لبني أسد.

(٣) أجدنا: أشبعنا. (٤) البث: الغم والحزن، وقيل أشده.

ومثل هذا قولُ القائل^(١) : سَلِ الْأَرْضَ فَقَلْ لَهَا : مِنْ شَقِّ أَنْهَارِكَ ، وَغَرَسِ
أَشْجَارِكَ ، وَجَنِّ ثِمَارِكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا ، أَجَابَتْكَ آعْتَابًا . قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ^(٣) :

وَلَلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ * دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ * مَقَائِلٌ وَأَشْبَاهُ

يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ * إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءُ

وَفِي الْعَيْنِ غِنًى لِلْعَيْنِ^(٤) أَنْ تَشِطَّقَ أَفْوَاهُ

الشعر

يقال : خَيْرُ الشَّعْرِ مَا رَوَّكَ نَفْسَهُ . وَيُقَالُ : خَيْرُ الشَّعْرِ الْحَوِيلِيُّ الْمُنْتَقِحُ الْمُحَكَّمُ .

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يُنْشِدُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : سُرٌّ

لَا حَلَاوَةَ لَهُ . قِيلَ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ : أَرَأَيْتَ الشَّاعِرِينَ يَجْتَمِعَانِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ

فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ؟ فَقَالَ : عُقُولُ رَجَالٍ تَوَافَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهَا .

قَالَ بَشَّارٌ يَصِفُ نَفْسَهُ :

زُورُ مُلُوكٍ عَلَيْهِ أُمَّهَةٌ * يُعْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطْبَتِهِ

لِلَّهِ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ * مِنْ لُؤْلُؤِ الْأَيَّامِ عَنْ طَلْبِهِ

يَخْرُجُنْ مِنْ فِيهِ فِي النَّدَى كَمَا * يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ هَبِّهِ

(١) القائل هو الرقاشي كما في الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص ١١ طبعة الآستانة سنة ١٣١٩هـ) .

(٢) الحوار بكسر الحاء : من حاوره إذا جاء به وواجهه في الكلام . (٣) لم نجد هذه الأبيات في ديوان

أبي العتاهية المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٨ م . (٤) في البيان والتبيين (ج ١ ص ٤٤ : طبعة القاهرة

سنة ١٣٣٢هـ) : «لله» . (٥) الزور : الزائر . (٦) كذا في الأصل ، وفي ديوان بشار

(ص ١٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م) : «يخرج ... للندي ... الخ» .

تُرْنُو اليه الحُدَاتُ غاديةً * ولا تَمَلُّ الحديثَ من عَجْبِهِ
 تَلْعَابُهُ تَعَكْفُ الملوِكُ به * تأخذ من جِدِّه ومن لَعْبِهِ
 يَزِدِّجُمُ الناسَ كُلَّ شارِقَةٍ * ببابه مُسرِعِينَ في أدبِهِ

وقال الطائيُّ يذُكُرُ الشعرَ :

٥ إِنْ القَوافيَ والمَساعيَ لم تَزَلْ * مِثْلَ النَّظامِ إذا أَصابَ فَريدا
 هي جَوْهرٌ تَرْتَفِئُ فإِنْ أَلْفَتْهُ * بالشعرِ صارَ قلائِداً وَعُقودا
 من أَجلِ ذلكَ كانتِ العَرَبُ الألى * يَدْعُونَ هذا سُوْدُداً مَجْدُودا^(٣)
 وتَسُدُّ عِندَهُمُ العِلاَّ إِلا عِلاَّ * جُعِلَتْ لَها مِرْرُ القَرِيضِ قِيسُودا^(٤)

وقال أيضاً :

١٠ ولم أَرَ كالمَعروفِ تُدَعى حُقُوقُهُ * مِغارِمَ في الأَقوامِ وهي مَغانِمُ
 وإِنْ العِلاَّ ما لم تَرَ الشعرَ بَينَها * لِكالأَرْضِ عُقْلا لَبسَ فيها مَعالِمُ^(٥)
 وما هو إِلا القَوْلُ يَسِرِي فيغْتَدِي * لَه غُرْرٌ في أوجِهٍ ومَوايِسِمُ
 يَرى حِكْمَةً ما فيهِ وهو فُكاهَةٌ * وَيُقَضَى بما يَفِضِي بِهِ وهو ظالمُ^(٦)
 ولولا إِخْلالُ سَنبِها الشعرُ ما دَرى * بَغاةُ العِلاَّ من أينَ تُوْتى المِكارِمُ^(٧)

- ١٥ (١) رُحْلُ تَلْعابَةٍ بِكسْرِ التاء : كَثِيرُ المَزْحِ والمِداغَةِ .
 (٢) في دِيوانِ أُمِّي تمامِ المَطْبُوعِ (ص ٩٠) : «الجَمَانُ» .
 (٣) في دِيوانِهِ المَخْطُوطِ المَحْفُوظِ بدارالكتبِ المِصرِيَةِ تحتَ رَقْمِ ١٠٦ أدب (ص ٨٨) ؛ ودِيوانِهِ المَطْبُوعِ أَيْضاً (ص ٩٠) : «مِجدودا» بِالْحاءِ المِهمَلَةِ .
 (٤) المِرْرُ جَمْعُ مِرَّةٍ ، والأَصْلُ في المِرَّةِ طاقَةُ الخَبيلِ .
 (٥) رِوايةُ الدِيوانِ (ص ٢٨٦) : «ولا كالأرضِ ما لم يَر... فكالأرضِ ... الخ» .
 (٦) العُقْلُ مِنَ الأَرْضِ : ما لا عِلامَةَ فِيهِ .
 (٧) كَذَا في دِيوانِهِ . وفي الأَصْلِ «تَرى» .
- ٢٠

وقال عمر بن الخطاب لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ؛ قال : ولمَ ذلكَ ؟ قال :
لأنِّي أقولُ البيتَ وأخاه ، ولأنك تقول البيتَ وابنَ عمِّه .

قيل لعقيل بن علفة : ألا تُطيلُ الهجاءَ ؟ فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط
بالعُنُق .

وقال بعضهم : خيرُ الشعرِ المُطِيع .

قيل لكثير : يا أبا صخر ، كيف تصنع إذا عسر عليك قولُ الشعرِ ؟ قال :
أطوفُ بالرباعِ المُخْلِيةِ^(١) والرياضِ المُعِيبَةِ ، فيسهلُ عليَّ أرضنُهُ ويسرعُ اليَّ أحسنُهُ .
ويقال : إنه لم يُستدعِ شاردُ الشعرِ بمثلِ الماءِ الجارى ، والشرفِ العالى ،
والمكانِ الخضرِ الخالى أو الخالى .

وقال عبدُ الملكِ بن مروانَ لأرطاةَ بنِ سُهَيْبَةَ : هل تقول الآن شعرا ؟ قال :^(٥)
ما أشرب ، ولا أطرب ، ولا أغضب ؛ وإنما يكون الشعرُ بواحدةٍ من هذه .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مالك لا تطيل ... الخ» .

(٢) كذا في كتاب الشعر والشعراء للؤلؤ (ص ١٨ طبعة لندن سنة ١٩٠٢) والمُخْلِية : الخالية
من السكان ؛ يقال : حلت الدار وأخلت . وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : « بالرباع المخيلة »
وهي التي أنت عليها أحوال فغيرتها . وفي الأصل : المخيلة بالخاء المعجمة .

(٣) كذا في الشعر والشعراء (ص ١٨) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٢) وفي الأصل : «لم يسرع» .
(٤) الخالى هو الخالى من الضوضاء . وقد وردت هذه العبارة في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣)
بدون الكلمة « الخالى » ثم قال صاحب العقد : « تأثرل بعضهم « الخالى » يريد الخالى من النوار يعنى الرياض
وهو توجيه حسن » . وأما « الخالى » بالمهمله فهو المتحلل بالنوار ، ومنه قول أبي بكر بن عبد الرحمن الزهرى
(ج ٢ ص ٨٩ من ديوان الحامسة لأبي تمام طبعة مصر سنة ١٣٢٢هـ) :

ولما نزلنا منزلا طله الندى « أتيقاً وبستانا من النور حاليا

(٥) في الشعر والشعراء (ص ١٨) : «قال كيف أقول وأنا ما أشرب ... الخ» .

(١) وقيل لكثير : ما بقي من شعرك ؟ فقال : ماتت عزة فما أطرب ، وذهب الشباب فما أنجب ، ومات ابن ليلى فما أرغب — يعنى عبد العزيز بن مروان — وإنما الشعر بهذه الخلال .

وقيل لبعضهم : من أشعر الناس ؟ فقال : أمرؤ القيس إذا ركب ، والباغية إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

وقيل للعجاج : إنك لا تحسن الهجاء ، فقال : إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم ، وأحساباً تمنعنا من أن نُظلم ، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم ! .

وقلت في وصف الشعر : الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمتها ، وديوان أخبارها ، ومستودع أباها ، والسور المضروب على ماثرها ، وألخندق المجوز على مفاخرها ، والشاهد العدل يوم النصار ، والنجمة القاطعة عند الحصاص ؛ ومن لم يقيم عندهم على شرفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميد بيت منه ، شددت مساعيه وإن كانت مشهورة ، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساماً ؛ ومن قيدها بقوافى الشعر ، وأوثقها بأوزانه ، وأشهرها بالبيت النادر ، والمثل السائر ، والمعنى اللطيف ، أخذها على الدهر ، وأخلصها من الجحد ، ورفع عنها كيد العدو وغض عين الحسود .

وهذا جاء في الشعر كثير . وقد أفردت للشعراء كتاباً ، وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب . وذكرت هذه التفتة في هذا الكتاب كراهية أن أخليه من فن من الفنون .

(١) رواية الأمامي (ج ١ ص ٣٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية) : « قيل لكثير : مالك لا تقول الشعر ! أجبت ؟ قال : والله ما كان ذلك ، ولكن فقدت الشباب فما أطرب ، ورزئت عزة فما أنس ، ومات ... الخ » وفسر أبو علي القالي : « أجبت » بقوله : « أجبت ، أى انقطعت عن قول الشعر . أخذه من قولهم : أجبل الحافر إذا انتهى إلى جبل فلم يمكنه الحفر » . (٢) في المقدم الفرید (ج ٣ ص ١٤٣) : « وقالوا : أشعر الناس ، النابغة إذا رهب ، وزهير إذا غنم ، وجرير إذا رعب » .

حُسن التشبيه في الشعر

من ذلك قولُ ابنِ الزبير الأَسديّ في الثُّرَيّا :

(١) وقد لَاحَ في الغورِ الثُّرَيّا كأنّما * به رايةٌ بيضاءُ تُخَفِّقُ للطَّعِنِ

شبه الثُّرَيّا حين تَدَلَّت لِلغَيْبِ برايةً بيضاءَ خَفَقَتْ للطَّعِنِ .

ومن ذلك قولُ عنترةَ في الدُّبابِ :

(٢) وخَلَا الدُّبابُ بها فليسَ بنازِح * هَزَجًا كَفَعَلِ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ

(٣) (٤) (٥) غِرْدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ . فِعْلَ المُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الأَجْدَمِ (٦) (٧)

شبه حَكَّهُ يَدَهُ بيده برَجُلٍ مقطوعِ الكَفَيْنِ يَمُدِّحُ النارَ بَعُودَيْنِ .

ومن ذلك قولُ أعرابي في العِنَبِ :

(٨) يَجْمَلُنْ أوعِيَةَ السُّلَافِ كأنّما * يَجْمَلُنْهَا بِأَكَارِعِ النَّغْرَانِ

أوعية السُّلَافِ : العنب ، جعله ظرفاً للخمر ، وشبهه شُعبُ العناقيد التي تَجْمَلُ

الحبَّ بأرجلِ النَّغْرَانِ . (والنَّغْرُ : طائرٌ مثلُ العصفورِ أحمرٍ البُرْجَانِ) .

(١) كذا في ١٨٩٠ في النصب ص ١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ ، ونسخة خطية من الأثافي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ م في أخبار أبي قيس بن الأسلت . وفي نسخة خطية أخرى من الأثافي رقم ١٢٦١ : « تخفض » بدل « تخفق » وفي طبعة بولاق ١٩٠٤ (ح ١٥ ص ١٦٦) « وقد لاح في القور... » بالقاف . وفي الأصل هنا :

وقد حرم الغور الثريا كأنها * له راية بيضاء تخفضن للطعن

وفيه أيضا « خفضت » في تفسير المؤلف للبيت بدل خدقت التي أثبتتها ، تبعاً للرواية التي آثرناها

في البيت . (٢) يروى هذا البيت في شرح المعلقات للروزني (طبع القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ) :

«... فليس يبارح . غردا» ويروى البيت الذي بعده « هزجا يحك ... قدح المكب » .

(٣) الضمير في « بها » يعود على الروضة . في تصدّي عنترة لوصفها في معلقته . (٤) هزج ككتف :

مصوت . (٥) غرد : من غرد الطائر إذا رفع صوته في غنائه وطرّب . (٦) المكب : من

أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . (٧) الأجدم : المقطوع اليد ؛ وقيل المذاهب الأنامل .

(٨) في اللسان مادة « نغر » : « يجمن أزقاق المسدام ... بأظافر ... الخ » .

وقال الآخر، وكان غشي عيَّنه بياض أو نزل فيهما ماء، :

يقولون ماء طيب خان عينه * وما ماء سوء خان عيني بطيب
ولكنه أزمان أنظر طيب * بعيني غدافي^(١) علا فوق مرقب
كأن ابن جحيل^(٢) مد فضل جناحه * على ماء إنسانيهما المتغيب

شبهه ما علا الحدقة بجناح فرخ من فراخ الزناير قد مد على ناظره .

ومن ذلك قول امرئ القيس وذكر العقاب :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً * لدى وكرها العناب والحشف البالي^(٣)

شبهه الرطب بالعناب، واليابس بالحشف . وشبهه شيتين بشيتين في بيت واحد .

ومن ذلك قول أوس بن حجر وذكر السيف :

كأن مدب النمل يلتمس الرُّبى * ومدرج^(٤) ذر خاف برداً فأسهلا

شبهه فيرند السيف بمدرج الذر ومدب النمل .

ومن ذلك قول أبي نؤاس في البازي :

ومنسراً^(٥) كلف فيه شغاً * كأنه عقد ثمانين^(٦)

(١) الغدافي : الشديد السواد، نسبة إلى الغداف وهو الغراب وفي الأصل : « بعيني غدافيا » .

(٢) الجحل بتقديم الجيم على الحاء : العسوب العظيم ، ودو في خلق الجرادة إذا سقط لا يضم جناحه ،

والجمع جحول وجحلان . (٣) العناب كرتان : شجر معروف ، حبه كحب الزيتون في شكله .

(٤) الحشف : ما يمس من التمر، ولم يكن له طعم ولا نوى . (٥) الذر : صغار النمل ، واحدة

ذرة . (٦) فيرند السيف بكسر الفاء والراء : جوهره ووشبهه وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل .

(٧) أنشغاً : زيادة في المنقار الأعلى على الأسفل مع تعقّب وانعصاف ، ولذا سميت العقاب بالشفواء .

(٨) شبه منسر البازي الذي فيه الشغا بعقد ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جاهليتهم ؛ وصفة عقد

الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام . (راجع بلوغ الأرب للأوسى طعة بغداد ج ٣

ومن ذلك قول أعرابي في امرأة :

قامت تصدّى له عمدا لتقتله * فلم ير الناس وجدا مثل ما وجدنا

بجسد آدم لم تعقد قلائده * وناهد مثل قلب الظبي ما نهدا

فظل كالحائم الهيمان ليس له * صبر ولا يأمن الأعداء إن وردا

شبه نديها في نهوده بقلب الظبي في صلابته ، ولا نعلم أحدا شبه الثدى بقلب
الظبي غيره .

ومن ذلك قول بجدر العكلى في امرأة :

على قدم مكنونة اللوين رخصة * وكعب كذفرى جوذر الرميل أدوما

شبه كعبها بأصل أذن الجوذور، وهو الصغير من أولاد البقر .

ومن ذلك قول حميد بن ثور يصف فرخ القطة :

كان على أشداقه نور خنوة * إذا هو مد الجيد منه ليطعما

ومن ذلك قول دعبيل يهجو امرأة :

كان التأليل في وجهها * إذا سمرت يد الكشمش

لها شعر قرد إذا أزيئت * ووجه كبيض القطا الأبرش

(١) يقال : ظبي آدم إذا أشرب لونه بيضا . (٢) الحاتم : العطشان الذي يحوم حول الماء .

(٣) الهيمان : العطشان . (٤) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . (٥) كعب آدم :

مسنو . (٦) كذا رواه المؤلف في كتابه « الشعر والشعراء » (ص ٢٣٠) . والخنوة بالفتح : نبات

مهلى طيب الريح . وفي الأصل « خنوة » بانحاء وهو تحريف . (٧) في شرح حماسة أبي تمام

للبريزي (ص ٨٢١ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨) : « أن أبا عبيدة أنشد هذا الشعر لأبي الفطش

الحنفى » . (٨) التأليل جمع قولول وهو الحبة تظهر في الجلد كالحمصة فادونها . (٩) اليد

جمع بدة وهي القطعة . (١٠) الكشمش بكسر الكاف والميم : العنب الصغير .

(١١) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل : « إذا زينت » . (١٢) الأبرش : ما به برش ،

والبرش كالبرص وزنا ومعنى .

ومن ذلك قولُ أبي نُؤاس في وصف البط :

* كَأَنَّمَا يَصْفِرُونَ مِنْ مَلَأَقٍ ^(١) *

ومن ذلك قولُ بعض الرُّجَّاز في جارية سوداء :

كَأَنَّهَا وَالْكُحْلُ فِي مِرْوَدِهَا * تَكْمُلُ عَيْنِهَا بِبَعْضِ جِلْدِهَا

ومن ذلك قولُ الجعديّ في فرس :

خَيْطٌ عَلَى زَفْرَةٍ قَمَّ وَلَمْ * يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضِيمٍ ^(٤)

يقول هو متفخح الجنتيين ، فكأنه زفر فانتفخ جنباه ثم خيط على ذلك .

ومن ذلك قول الطرماح يصف الثور :

يَبْدُو وَتَضْمِيرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ * سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيَغْمَدُ ^(٥)

ومن ذلك قول النابغة للنعمان :

فَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * وَإِنْ خِلْتُ أَنْ الْمُتَّأَى عَنْكَ وَاسِعٌ ^(٦)

ومن ذلك قوله في المرأة :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا * نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ

يقول : نظرت إليك ولم تقدر أن تتكلم ، كما ينظر المريض إلى وجه عواده

وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكَلِّمَهُمْ .

(١) مجزه كما في الشعر والشعراء ص ٥٢٠ :

* صرصة الأتلام في المهارق *

(٢) كذا في اللسان مادني «زفر» و «هضم» وفي الأصل «الجعدي» . (٣) زفرة الفرس :

وسطه ، يقال للفرس إنه لعظيم الزفرة ، أي عظيم الجوف . (٤) كذا في اللسان . وفي الأصل

«ولا هرم» والهضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها ، وهي من صيوب الخيل التي تكون خلقة .

(٥) كذا في «الشعر والشعراء» ص ٨٠ وفي الأصل «ريعضد» . (٦) كذا في ديوان النابغة

طبع باريس واللسان مادة «نأى» وفي الأصل «قلت» . (٧) يريد بالمرأة المتجردة زوج النعمان .

ومن ذلك قول طرفة :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتي * لكأطول المرثى وثنياه باليد^(١)

ومن ذلك قول بعض الضبيين يصف أباريق الشراب :

كأن أباريق الشمول عشيّة * إوز بأعلى الطف عوج الحناجر^(٢)

ونحوه قول أبي الهندي :

سئني أبا الهندي عن وطيب سالم * أباريق لم يعلق بها وضر الزبد^(٣)
مفدّة قزاً كأن رقابها * رقاب بنات الماء تفزع للرعد^(٤)

ومن ذلك قول نصيب في عبد العزيز بن مروان :

وكلك أنس بالمعتفين * من الأمم بأبنيتها الزائرة

ومن ذلك قول عدي بن الرقاع في الظبية :

تزجي أغن^(٥) كأن إبرة روقه^(٦) * قلم أصاب من الدواة مدادها^(٧)

ومن ذلك قول بشار :

كأن مثار التقع فوق رؤوسهم^(٨) * وأسيافنا ليسل تهاوى كواكبها

- (١) الطول : الحبل الطويل تشد به قائمة الدابة ويمسك صاحبها بطرفه ويتركها ترمي .
 (٢) القائل لهذا البيت هو شبرمة الضبي كما في اللسان مادة « برق » . (٣) الطف : ما أشرف
 من أرض العرب على ريف العراق . (٤) لذا في اللسان وهو المناسب ، لأن المراد عوج
 الرقاب . وفي الأصل : « المناخر » بإثاء المعجمة . وأصلها « المناخر » بالحاء المهملة ، جمع منحرو وهو موضع
 النحر من الخلق . (٥) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس كما في اللسان مادة « وضر » .
 (٦) الوضر : ربح الدم واللبن . (٧) المقدم : الإبريق الذي على فيه فدام وهو خرقة من قز
 أرغيره . (٨) يريد بنات الماء الإوز وما يشابهها من طيور الماء . (٩) تزجي :
 تسوق . (١٠) الأغن من الظباء : ما في صوته غنة . (١١) الروق : القرن .
 (١٢) كذا في الأصل والشعر والشعراء . وفي التلخيص للقرظبي « فوق رؤوسنا » وهي الرواية المشهورة .

ومن ذلك قوله :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى * كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

ومن ذلك قول الآخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بِنِي وَبَيْنَهُ * إِذَا مَا التَّقِينَا لَيْسَ مِنْ أَعَاتِبُهُ

يقول : لا أقدرُ على النظرِ إليه من بغضه ، فكأن الشمس بنى وبينه .

ومن ذلك قول الآخر :

كَأَنَّ نِيرَانَهُمْ فِي كُلِّ مَنزِلَةٍ * وَمِصْبَغَاتٍ عَلَى أَرْسَانِ قِصَارِ^(٢)

الناس يستحسنون هذا ، وأنا أرى أن أقول : الأولى أن يُسبَّه المصبغات

بالنيران ، لا النيران بالمصبغات .

الأبيات التي لا مثل لها

١٠

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا معتمر عن ليث عن طاوس عن ابن عباس

قال : إنها كلمة نبي :

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ

حدثني الرياسي عن الأصمعي قال : أبرع بيت قالته العرب قول أبي ذؤيب :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ^(٣)

١٥

وأحسن ما قيل في الكبر قول حميد بن ثور الهلالي :

أَرَى بَصِيرِي قَدْ رَأَى بَعْدَ صِحَّةٍ * وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصْبَحَ وَتَسْلَمَا

(١) المصبغات : الثياب التي صبغت ولونت بالصبغ .

(٢) الأرسان جمع رَسَنَ بالتحريك وهو الحبل .

(٣) القصار : الذي يحور الثياب ويدقها بالقصرة ، وهي قطعة من الخشب .

٢٠

- وأحسن من ابتداء مرثية أوس بن حجر في قوله :^(١)
 أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا * إِنْ الَّذِي تَكْرَهِينَ قَدْ وَقَعَا^(٢)
 وأغرب من ابتداء قصيدة النابغة في قوله :
 كَلِّبْنِي لَهْمٌ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ * وَلَيْلٍ أَقَاسِيَهُ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ
 ٥ حدثني الخنعمي الشاعر قال : أحسن بيت قيل في الجبن قول نهشل
 ابن حري :^(٣)
 فلو كان لي نفسان كنتُ مُقاتلاً * بإحداهما حتى تموت وأسلما
 قال : وبيت الخبل في قساوة القلب :
 يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ * لَنَحْنُ أَعْلَى أَجَادًا مِنَ الْإِبِلِ
 ١٠ قال : وبيت عبيد في الاستعفاف :
 مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يُجْرِمُوهُ : وَسَأَلِ اللَّهَ لَا يَنْجِبُ
 قال : وبيت منجوف بن مرة السلمي في الاحتفاظ بالمال :
 وَأَدْفَعُ عَنِ مَالِي الْحَقُوقَ وَإِنَّهُ * لَجُمُّ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ مِصَابُهُ
 قال : وبيت الحطيئة في إكرام النفس :
 ١٥ وَأَكْرِمُ نَفْسِي الْيَوْمَ عَنْ سُوءِ طَعْمَةٍ * وَيَقْنِي الْحَيَاءُ الْمَرْءَ وَالرِّيحُ شَاجِرَهُ^(٤)
 (١) في الأصل : «وأحسن من ابتداء مرثية قول أوس بن حجر» . (٢) في الشعر
 والشعراء (ص ٧) «تحذرين» . (٣) في الأصل : جرى بالجيم . وما أثبتناه عن الأعاني (ح ٨
 ص ١٥٩) وطبقات الشعراء للجمعي ص ١٣٠ طبعة ليدن سنة ١٩١٣ م . (٤) في الأصل :
 «شاجر» وما أثبتناه عن ديوان الحطيئة (طبع ليبسج سنة ١٨٩٣ ص ٦٤) ورواية الديوان : وأكرمت
 ٢٠ نفسى ... الخ . قنى الحياء (وزان فرج) : لزمه . والبيت من قصيدة يذكر فيها الزبرقان ويمدح آل
 شامس مطمها :
- عفا مسحلان من سلمي خامره * تمشى به ظلماته وجأ آذره

قال : وقول كعب في الإقدام ^(١) :

نَصَلُ السِّیُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِمَحْطُونَا * قُدَمَا وَنُلِحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِي

قال : وبيت عمرو بن الإطنابة في الصبر :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ وَجَاشَتْ * مَكَانِكَ تُمَجِّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وأحسن من هذا عندي قول قطري ^(٢) :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ لِنَفْسِي * مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَمْحِكُ لَا تُرَاعِي ^(٣)

فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ * عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي ^(٤)

قال : وبيت مسكين الدارمي في الجود :

طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ * وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقَنَّعُ

قال : وفي حسن الجوار قوله :

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ * وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنَزَّلُ الْقِدْرُ

مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ * إِلَّا يَكُونُ لِبَابِهِ سِتْرُ

قال : وممن رضى بالقليل جميل ، قال :

أَقْلَبَ طَرَفِي فِي السَّمَاءِ لِعَمَلِهِ * يُوَافِقُ طَرَفِي طَرَفَهَا حِينَ تَنْظُرُ

- ١٥ (١) هو كعب بن مالك ، كما في الكامل للبرد طبع ورثا (ص ٦٦) والأغاني (ج ١٥ ص ٢٠) وروى فيه «يوما» بدل «قدم» . (٢) روى هذا المصراع في حماسه أبي تمام هكذا : أقول لنا وقد طارت شعاعا من الأبطال ... الخ
- (٣) كذا في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢٧) وحماسة أبي تمام . وفي الأصل : «... حياة ... من الأجل ... الخ» وفي العقد الفريد : «... حياة ... سوى الأهل ...» (٤) في شرح حماسه أبي تمام للبريزي : «قال عتبة بن بجير ، وقيل إنه لسكين الدارمي» . وروى البيت فيه هكذا :

لحافى خاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهي عنه عزال مقنع .

(١)
وقول الآخر:

أليس الليلُ يُليْسُ أمَّ عمرو * وإيانا فذاك بنا تداني
تَرى وَصَحَّ النهارُ كما أراه * وبعلوها النهارُ كما علاي

قال : وبيت عمرو بن كلثوم في الجهل :

ألا لا يجهنُّ أحدٌ علينا * فنجهلُّ فوق جهلِ الجاهلينا

قال : وبيت النابغة في ترك الإلحاح :

فأستبقِ وُدَّكَ للصدِّيقِ ولا تكن * قَتَبًا^(٢) يَعْضُ بفَارِبٍ مِلْحَاحًا

قال : وفي إدراك التار قول مهلهل :

لقد قتلتُ بني بَكْرِ برَبِّهِمْ * حتى بكيتُ وما يبكي لهم أحدُ

قال : وبيت عمرو بن الورد في تبليغ العذر في الطلب :

لِتُبْلِغِ عُدْرًا أو تُفِيسِدِ غَنِيمَةً * ومُبْلِغِ نَفْسِ عُدْرَها مثلُ مُنْجِجِ

قال : وبيت جميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى :

كُلُوا اليومَ من رزقِ الإلهِ وأبشِروا * فإنَّ على الرحمنِ رِزْقُكُمْ غدا

قال : وفي الشجاعة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على الكَتِيبَةِ لا أبالي * أحتفي كان فيها أم سواها

(١) هو المملوط كما في كتاب الشعر والشعراء للأولف (ص ٢٦٧) ويروى فيه صدر البيت الثاني هكذا :

* بل وترى السماء كما أراها *

(٢) القتب : رحل صغير على قدر السنم . وفي أساس البلاغة : «ومن المجاز فرهم للتح : هو قتب

يعض بالغارب ، وقتب ملحاح» ثم ساق بيت النابغة مستشهدا به على ذلك . (٣) في خزنة الأدب

للبيدادي (ج ١ ص ٢٠٣) : «أكثر قتلى ... الخ» . (٤) رواية ديوان عمرو بن الورد

طبع الطبعة الأهلية بيروت (ص ٨) : «...أو تصيب رغبة ... الخ» .

قال : وبيت المتأسس في المال وتمثيره ^(١) :

قليلُ المالِ تُصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وأخبرنا دِعْبِلُ بن عليّ الشاعر قال : أهجى بيتِ قيل قولُ الطَّيرِ مَاحِ في تميم :

تميمٌ بطُرقِ اللُّؤيمِ أهدى من القَطَا * واوسَلَكْتُ طُرقَ المكارِمِ ضَلَّتْ

قال : وكذلك قولُ الأخطَلِ :

قومٌ إذا استنَجَّ الأضيافُ كلَّهم * قالوا لأُمهم بُولى على النارِ

قال : وكذلك قولُ الحُطَيْئةِ للزُّبَيْرِ قَانِ في قِصرِ الهِمَّةِ :

دَعِ المكارِمَ لا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِها * وأقعدُ فَإِنَّكَ أنتَ الطاعِمُ الكاسِي

قال غيره : وقولُ الطَّيرِ مَاحِ في القِلَّةِ والنَّجْمِ :

لو كان يَخْفَى على الرَّحْمَنِ خافيةٌ * من خائمه خَفِيَتْ عنه بنو أسدِ

ونحوه قولُ الآخر :

وأنتَ مَلِيخٌ كلِّمِ الحُومَا * رِلا أنتَ حُلُوٌّ ولا أنتَ مُرٌّ ^(٢)

وكذلك قولُ جريرٍ في التَّمِيمِ ^(٣) :

(١) كذا في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٩ طبعة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ) والشعر والشعراء للؤلف

(ص ٨٨) ، ونهاية الأرب للنويري (ج ٣ ص ٦٤) ، ويروي صدرالبيت في الأغاني والشعر

والشعراء : « وإصلاح لقليل يزيد به ... الخ » ، ويروي في نهاية الأرب : « ... مع الفساد » .

وفي الأصل نسب البيت « لعبد » . (٢) مليخ : لا طعم له ، وخصه بعضهم بلحم الحوار الذي يجر

حين يقع من بطن أمه فلا يوجد له طعم . (٣) وقد ورد البيتان في ديوان جرير المخطوط المحفوظ

بدارالكتب المصرية تحت رقم اش أدب ، ضمن قصيدة طويلة مطلعها :

ألا زارت وأهل بني مجود * وليت خيالها بمنى يعود

٢٠

ويروي في الديوان : « ... أو تميت ... أيهم ... الخ » ويروي : « ... ولا يستامرون ... الخ » .

وقد عزا صاحب الأمانى « ج ٧ ص ١٧٧ طبعة بولاق » البيت الأول مع بيت آخر من القصيدة إلى الأخطل .

وإنك لو رأيت عبيد تيم * وتيمًا قلت أيهما العبيد
ويُقضى الأمر حين تغيّب تيم . ولا يستأذنون وهم شهود

وأحسن ما قيل في الهيبة :

يُغضى حياءً ويغضى من مهابة * فما يكلم إلا حين يتيسم

وأغرب ما قيل في مصلوب قول محمد بن أبي حمزة مؤلف الأنصار :

لعمري لئن أصبحت فوق مشذب^(١) * طويل تعفك الرياح مع القطر
لقد عشت مبسوط اليدين مرزاً^(٢) * وعوفيت عند الموت من ضغطة القبر
وأفليت من ضيق التراب وعمه * ولم تفقد الدنيا فهل لك من شكر

وأغرب ما قيل في مجوسى قول أعرابي :

شهدت عليك بطيب المشاش^(٣) * وأنت بحر جواد خضم

وأنت سيّد أهل الجحيم * إذا ما تردّيت فيمن ظلم^(٤)

ومن أغرب ما قيل في دعيّ قول إبراهيم بن إسماعيل البنوي :

لو أنّ مؤتى تيم كلها نسروا * وأثبتوك لقييل الأمر مصنوع

مثل الحديد إذا ما زيد في خلق^(٥) * تبين الناس أن الثوب مرقوع

ونحوه قول الآخر :

أجارتنا بأن الخليط^(٦) فأنشرى : فما العيش إلا أن يبين خليط

أعاتبه في عرضة ليصونه * ولا علم لي أن الأمير لقيط

(١) جذع مشذب : مقشر مما عليه من الشوك . (٢) مرزاً : كريم يصيب الناس حبه .

(٣) في أساس البلاغة ندمحشرى : « ومن الهجاز : فلان طيب المشاش » . وبه لكريم المشاش إذا

كان برا . (٤) كذا بالأصل . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري المخطوط المحفوظ

بدارالكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب : « النبوى » بتقديم النون على الپاء ولم نوفق في المظان التي

بين أيدينا إلى استنباطه . (٥) في ديوان المعاني : « إن الحديد ... الخ » . (٦) الخليط :

القوم الذين أمرهم واحد .

ونحوه قولُ دَعْبِلٍ في مالِكِ بنِ طَوِّقٍ :

النَّاسُ كُلُّهُمْ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ * مَا بَيْنَ ذِي فَرَجٍ مِنْهُمْ وَمَهْمُومٍ
وَمَا لِكُ ظَلَّ مَشْغُولًا بِنِسْبَتِهِ * يَرِمُ مِنْهَا خَرَابًا غَيْرَ مَرْمُومٍ^(١)
بِئْسَ بَيْوتًا خَرَابًا لَا أُنَيْسَ بِهَا * مَا بَيْنَ طَوِّقٍ إِلَى عَمْرٍو بْنِ كُثُومٍ

التلطف في الكلام والجواب وحسن التعريض

- ٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ترك عَقِيلٌ علياً وذهب إلى معاوية ؛ فقال معاوية : يا أهل الشام ، ما ظنكم برجلٍ لم يصلح لأخيه ؟ فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ، إن أنحى خيرٌ لنفسه وشرٌّ لي ، وإن معاوية شرٌّ لنفسه وخيرٌ لي . قال : وقال معاوية يوماً : يا أهل الشام ، إن عم هذا أبو هَبِّبٍ ؛ فقال عَقِيلٌ : يا أهل الشام ، إن عمه هذا حمالة الحطَبِ ؛ وكانت أم جميل امرأة أبي هَبِّبٍ وهي بنت حرب .

- ١٠ وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو هلال عن قتادة قال قال عبيد الله ابن زياد لقيس بن عباد : ما تقول في وفي الحسين ؟ فقال : أعفني أعفك الله ! فقال : لتقولن ؛ قال : يحيى أبوه يوم القيامة فيشفع له ، ويحيى أبوك فيشفع لك ؛ قال : قد علمتُ غشك وخُبثك ، لئن فارقتني يوماً لأضعن بالأرض أكثرك شعراً .
- ١٥ قيل لميمون بن مهران : كيف رضاك عن عبد الأعلى^(٢) ؟ قال : نِعَمَ المرءُ عمروُ ابن ميمون .

مرَّ عمر بن الخطاب بالصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففتروا ووقف ؛ فقال له عمر : مالك لم تفر مع أصحابك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أَرِمَ فأخافك ، ولم يكن بالطريق ضيقٌ فأوسع لك .

(١) رم الحائط وغيره : أصله . (٢) عبد الأعلى هذا هو ابن ميمون أخو عمرو .

حدثني الفضل بن محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة قال : قال عبد الله
ابن طاهر ذات يوم لرجل أمره بعمل : احذر أن تُخطئ فأعقبك بكذا (لأمر عظيم)
قلت له : أيها الأمير، من كانت هذه عقوبته على الخطأ فما ثوابه على الإصابة ! .

رأى رجل من قريش رجلاً له هيئة رثة^(١) ، فسأل عنه ، فقالوا : من تغلب ، فوقف
له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رجلين قلمسا وطنتا البطحاء ؛ فقال له :
البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة ، وهي لى دونك ؛ وبطحاء ذى قار ، وأنا أحق^(٢)
بها منك ؛ وهذه البطحاء وسواء العاكف فيه والبادي .^(٣)

حدثني سهل عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أو غيره : أن معاوية عرَضَ
فرساً على عبد الرحمن بن حسان فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجش هزيماً .^(٤)
يريد قول النجاشي :^(٥)

ونجى ابن حربٍ ساجٍ ذو علالةٍ^(٦) ، أجش هزيمٍ والزماح دواني^(٧)

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا أبو سامة عن حماد بن سلمة قال أخبرنا
داود بن أبي هند عن محمد بن عباد المخزومي أن قريشاً قالت : قبضوا لأبي بكر^(٨)

(١) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات . (٢) بطحاء ذى قار : موضع قريب من ذى قار
الذي كانت فيه الوقعة المشهورة بين العجم والعرب وانتصرت فيه العرب (راجع ما يقول عليه في المضاف
والمضاف إليه) . (٣) يريد بطحاء مكة . (٤) يقال : فرس أجش إذا كان عليظ
الصهيل ، وهو مما يحمى في الخيل . والهزيم من الخيل : الشديد الصوت . (٥) هو قيس
ابن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب . (٦) لما بلغ معاوية أن النجاشي قال فيه هذا البيت
رفع ثنبرتيه (ثنبة ثندوة وهي للرجل بمنزلة الثدى للراة) وقال : لقد علم الناس أن الخيل لا تجرى بملى
فكيف قال هذا ! راجع الشعر والشعراء للزلف (ص ١٨٩) . (٧) العلالة بضم العين : بقية
جري الفرس . (٨) قبضوا : هبوا وأتخبروا له .

رجلا يأخذه، فقيضوا له طلحة بن عبيد الله؛ فاتاه وهو في القوم فقال: يا أبا بكر قم إلى؛ قال: إلام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة الآلات والعزى؛ قال أبو بكر: من الآلات؟ قال بنات الله، قال: فمن أمهم؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه: أجيئوا صاحبكم، فسكتوا؛ فقال طلحة: قم يا أبا بكر، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله؛ فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم.

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عبيد الله بن عمر أن عمر قال: من يُخبرنا عن قنديل^(١)؟ فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ماؤها وشل^(٢)، وتمرها دقل^(٣)، ولصها بطل؛ إن كان بها الكثير جاعوا، وإن كان بها القليل ضاعوا؛ قال عمر: لا يسألني الله عن أحد بعثته إليها أبداً.

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال: مرّ بزيد فدخل عليه شريح، فلما خرج بعث إليه مسروق^(٤) [بن الأجدع يسأله] كيف تركت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، فقال [مسروق]: إن شريحاً صاحب تعريض فسألوه [فسألوه]؛ قال: تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء. ومات ابن شريح ولم يشعر به أحد، ففدا عليه قوم يسألون به، وقالوا: كيف أصبح من تصل يا أبا أمية؟ فقال: الآن سكن عله^(٥) ورجاه أهله.

(١) كذا في معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكري، هي مدينة بالسند. وفي الأصل:

«قنديل» بالفاء.

(٢) الرش بالتحريك: الماء القليل والكثير ضد. والمراد هنا الماء القليل.

(٣) الدقل بالتحريك: أردأ التمر.

(٤) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١).

(٥) كذا في العقد الفريد وفي الأصل: «... صاحب عريض الخ».

(٦) العله بالتحريك: القلق والكرب عند الموت.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني بعض الأعراب قال : هَوِيَ رَجُلٌ
امْرَأَةً ثُمَّ تَزَوَّجَهَا ، فَأَهْدَى إِلَيْهَا ثَلَاثِينَ شَاةً وَزِقَامًا نَحْمَرًا ، فَشَرِبَ الرَّسُولُ فِي الطَّرِيقِ
بَعْضَ النَحْمَرِ وَذَبَحَ شَاةً ، فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ لَمَّا أَرَادَ الْإِنصِرَافَ : اقْرَأْ عَلَيَّ مَوْلَاكَ السَّلَامَ ،
وَقُلْ لَهُ إِنَّ شَهْرَنَا نَقَصَ يَوْمًا ، وَإِنْ سُبِحْنَا رَاعِي شَائِنَا أَنَا مَرثُومًا ^(١) . فَلَمَّا أَتَى مَوْلَاهُ
فَأَخْبَرَهُ ضَرْبَهُ حَتَّى أَقْرَبَ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : خَطَبَ أَعْرَابِي إِلَى قَوْمٍ ، فَقَالُوا : مَا تَبْدُلُ
مِنَ الصَّدَاقِ ؟ وَارْتَفَعَ السَّجْفُ ^(٢) فَرَأَى شَيْئًا كَرِهَهُ ، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا عِنْدِي نَقْدٌ ، وَإِنِّي
لَأُكْرَهُ أَنْ يَكُونَ عَلَيَّ دَيْنٌ .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : قَالَ سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ لِلشَّعْبِيِّ : مَا تَشْتَهِي ؟
قَالَ : أَعَزُّ مَفْقُودٍ ، وَأَهْوَنُ مَوْجُودٍ ؛ قَالَ : يَا غَلَامُ أَسْقِهِ مَاءً .

المدائني قال : كَانَ لِأَبْنِ عَوْنِ بْنِ عَمِّ يُؤْذِيهِ ، وَلِأَحَاهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ أَبُو عَوْنٍ ،
لَمَّا بَلَغَ مِنْهُ : لَتَسْكُتَنَّ أَوْلَا شَتْمِ مَسِيْمَةٍ . فَشَهِدَ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ ،
فَرَدَّ شَهَادَتَهُ .

المدائني قال : قَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : مَا خَدَعَنِي أَحَدٌ قَطُّ غَيْرَ غَلَامٍ مِنْ بِلْحَارِثِ بْنِ
كَعْبٍ ، فَإِنِّي ذَكَرْتُ امْرَأَةً مِنْهُمْ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! لَا خَيْرَ لَكَ فِيهَا ، إِنِّي رَأَيْتُ
رَجُلًا قَدْ خَلَا بِهَا يَقْبَلُهَا ، ثُمَّ بَلَغَنِي بَعْدُ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : أَلَمْ تَعْلَمَنِي
أَنَّكَ رَأَيْتَ رَجُلًا يَقْبَلُهَا ؟ فَقَالَ : بَلَى ! رَأَيْتُ أَبَاهَا يَقْبَلُهَا .

(١) مرثوم : مكسور ، يقال : رُمَّ أنف فلان أو فوه إذا كسر حتى تقطر بالدم .

(٢) السجف بفتح السين وكسرهما : الستر .

(٣) لاحاه : نازعه .

قال المدائني : أتى شريحاً القاضي قومٌ برجل ، فقالوا : إن هذا خَطَبَ إلينا :
فسألناه عن حرفته فقال : أبيع الدوابَّ ، فلما زَمَّجناه ، فإذا هو يبيع السنانير ؛ قال :
أفلا قتم أيُّ الدوابِّ تبع ! وأجاز ذلك .

المدائني قال : دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شبرمة ، فقال له :
أتعرفه ؟ [وكان رُمي عنده بريئة] قال : نعم ، إنَّ له بيتاً وشرقاً وقدماً ، [خَفَّى سبيله]
فلما نرج قال له أصحابه : أعرفته ؟ قال : لا ، ولكني أعلم أن له بيتاً يأوى إليه ،
وشرفه أذناه ومنكباه ، وقدمه هي قدمه التي يمشي عليها .

المدائني قال : سئل الشعبي عن رجل ، فقال : إنه لنافذ الطعنة ، رَكِين القعدة ،
يعني أنه خياط [فأتوه فقالوا : غررتنا ، فقال : ما فعلت ! وإنه لَكَمَّ ووصفت]^(٢)
^(٣)

المدائني قال : أتى العريانُ بن الهيثم بشابٍ سكران ، فقال له : من أنت ؟ فقال :
أنا ابنُ الذي لا ينزل الدهرُ قدره * وإِن نزلت يوماً فسوف تعودُ
تري الناس أفواجاً إلى ضوءِ ناره * فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ
فظنُّ أنه من بعض أشراف الكوفة نخلاه ، ثم ندم على ألا يكون سألَه مَنْ هو ،
فقال لبعض الشرط : سل عن هذا ، فسأل ، فقالوا : هو ابنُ بياعِ الباقلي .

دخل حارثةُ بن بدر الغداني على زياد ، وكان حارثة صاحب شرابٍ وبوجهه أثر ،
فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال حارثة : أصلح الله الأمير ، ركبت فرسا^(٥)

(١) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . (٢) في نهاية الأرب للنويري (ج ٣

ص ١٥٨) : « ركين الجلسة » . وفي البيان والتبيين (ج ١ ص ١٨٣) : « رزين المجلس » .

(٣) الزيادة عن نهاية الأرب . (٤) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠) : « الأرض » .

(٥) في الأصل : « فقال زياد » وهو سهو من النسخ .

لى أشقر فحملنى حتى صدم بى الحائط ؛ فقال زياد : أما إنك لو ركبت الأشهب
لم يُصَبِك مكرهه . عني زيادُ اللبن ، وعني حارثةُ النبيذ .

١١
فعد قوم على نبيذ فسقط ذباب في قدح أحدهم ، فقال رجل منهم : غطّ التميمي ،
فقال آخر : غطّه فإن كان تميمياً رَسَبَ ، وإن كان أزدياً طَفَا ؛ قال ربّ المنزل :
ما يسرني أنه كان [قال] بعضكم حرفاً . وإنما عني أن أزدَ عُمَان ملاحون .^(١٢) ^(١٣)

٥ المدائني قال : رأى رجل في يد امرأة كانت تأتيه خاتم ذهب ، فقال لها :
ادفعي إليّ خاتمك أذكرك به ؛ فقالت : إنه ذهب ، وأخاف أن تذهب ، ولكن
خذ هذا العود لملك تعود .

حدثني الزيادي قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن صهيب
عن أنس قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة مُردفاً أبا بكر شيخاً يُعرف ،
ورسول الله شاب لا يُعرف ، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر ، من هذا
[الرجل الذي] بين يديك ؟ فيقول : [هذا الرجل] يهديني السبيل ؛ فيحسب
السامع أنه يهديه الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير .^(٤)

١٠ كان سنان بن مكلّم النيرى يسير ابن هبيرة يوماً وهو على بغلة ، فقال له عمر بن
هبيرة : غَضّ من بغلتك ؛ قال : كلا ! إنها مكتوبة . أراد ابن هبيرة قول الشاعر :
١٥

(١) ورد هذا الخبر في كتاب الحيوان للجياحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع السامى) بتفصيل عما هنا .
وملخصه أن القوم كانوا من الأزد ومعهم رجل عدول يتعصب لأصحابه من تميم . فلما رأى القوم
يهينون تميمياً عرض بأنهم ملاحون تعبيراً لهم . (٢) زيادة من كتاب الحيوان للجياحظ .
(٣) في الأصل : «نقصكم» وهو تحريف . وفي كتاب الحيوان : «بعضهم» . (٤) الزيادة من
صحيح البخارى في باب الهجرة . (٥) كذا في الأصل والعقد التمريد (ج ١ ص ٢٩١) .
وفي نهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٦١) : «قال عمر بن هبيرة الفزارى لأيوب بن ظبيان
النيرى ... الخ» . وفي كتاب الكنايات للثعالبي (ص ٢٠٧) المطبوع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ :
«سائر شريك بن محمد النيرى عمر بن هبيرة الفزارى على بغلة تجاوزت البغلة عمر فقال له : أغضض بغلتك ؛
فقال شريك : إنها مكتوبة ... الخ» . (٦) هو جرير .

فغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُمَيَّرٍ * فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كَلَابًا
وأراد سنان قول الآخر^(١) :

لَا تَأْمَنَنَّ فَرَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ * عَلَى قَلْوَصِكَ وَأَكْتَبَهَا بِأَسْيَارِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال معاوية للأحنف : يا أحنف ، ما الشيء

الملف في الجاد ؟ فقال : هو السخينة يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر :

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ * فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ بِفَيْءٍ بَرَادٍ

بُحْبُزٍ أَوْ بَمَرٍ أَوْ بِسَمِينٍ * أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفِ فِي الْجَادِ^(٢)

وأراد الأحنف أن قرئشا تعير بأكل السخينة .

المدائني قال : سأل الحرسي أبا يوسف القاضي عن السواد ؛ فقال : النور

في السواد . يعني نور العينين في سواد الناظر .

المدائني قال : لقي شيطان الطاق^(٤) خارجي فقال : ما أفارقت أو تبرأ من علي ،

فقال : أنا من علي ومن عثمان برى . يريد أنه من علي ، وبرى من عثمان .

سمع عمر بن الخطاب امرأة في الطواف تقول :

فَمَنْنَ مِنْ تُسْقَى بَعْدِي مُبَرِّدٍ * نَقَاحٍ فَتَلْكُمُ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتِ^(٥)

وَمَنْنَ مِنْ تُسْقَى بِأَخْضَرِ آجِنٍ * أَجَاجٍ وَلَوْلَا خَشْيَةُ اللَّهِ فَرَّتِ^(٦)

١٥

(١) هو سالم بن دارة كما في الشعر والشعراء للزلف (ص ٢٣٧ والكامل للبرد ص ٨١) وخرانة

الأدب للبندادي (ج ١ ص ٨٥٥ ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٢) . (٢) السخينة : طعام يتخذ

من دقيق وسمن وكانت قرئش تكثر من أكلها فغيرت بها حتى سموا سخينة . (٣) الجاد : كساء

مخطط من أكسية الأعراب . (٤) الطاق : حصن بطبرستان سكن به محمد بن النعمان أبو جهمر

الأحول الملقب بشيطان الطاق ؛ واليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة . (٥) النقاح : الماء البارد

العذب الصافي . (٦) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون . (٧) ماء أجاج : شديد الملوحة والمرارة .

٢٠

فعلم ما تشكو ، فبعث الى زوجها فوجده متغير النعم ، فخيره بين خمسمائة درهم
أوجارية من الفئء على أن يطلقها ، فاختار خمسمائة . فأعطاه وطلقها .

حدثني أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال : كنت واقفا بهذا المكان ، وأقبلت
امرأة من هذه الناحية ، وغلّامٌ من الناحية الأخرى أبيضُ الوجه رائعه ، ونظرت
إليه المرأة ، فلما ألتقيا قالت له : ما اسمك يا فتى ؟ قال : محمد ؛ قالت : ابن من ؟
قال : ابن زانة ، وتبسّم عن ثغر أفليج مختلف قبيح ؛ فقالت : واحرّباهُ على ما قال !
فقلت لها : قد وقعتُ لك عليها ؛ قالت : من أين ؟ قلت : من كنية أبي الخير
النصراني كاتب سعيد الحاجب . أراد أن الياء إذا نُقلت عن أبي الخير الى زانة ، صار
هذا أبا الخير ، وصار هذا ابن زانية .

١٠ مرّ ابن أبي علقمة يجلس بنى ناجية فبكا حماره لوجهه فضحكوا ؛ فقال :
ما يضحكم ! إنه رأى وجوه قريش فسجد .

قال عمرو بن بحر قال أبو الهذيل لمحمد بن الجهم وأنا عنده : يا أبا جعفر ، إنى
رجلٌ منخرق الكف لا أليق^(١) درهما ، ويدي هذه صنّاعٌ في الكسب ولكنها في الإنفاق
نخوة ، كم من مائة ألف درهمٍ قسمتها على الإخوان في مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك !
أسألك بالله يا أبا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال : يا أبا الهذيل ما أشك فيما تقول ؛
قال : فلم يرض أن حضرتُ حتى آستشهدني ، ولم يرض إذ آستشهدني حتى
آستحلفني .

(١) أفليج : متباعد ما بين الأسنان .

(٢) ناجية : قبيلة ، وهم بنو ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك . (ياقوت) .

(٣) هو الجاحظ وقد ورد هذا الخبر في كتابه « البغلاء » (ص ٨ ؛ ١ طبع مدينة « ليدن » ٢٠

سنة ١٩٠٠ م) . (٤) يقال : فلان ما يليق درهما : أى ما يمك .

قال المدائني : بعث يزيد بن قيس الأرحبي . وكان واليا لعلّ ، إلى الحسن والحسين رضي الله عنهم بهدايا بعد أنصرفه من الولاية وترك ابن الحنفية ، فضرب عليّ - عليه السلام - على جنب ابن الحنفية وقال :

وما شرّ الثلاثة أمّ عمرو * بصاحبك الذي لا تصبحينا^(١)

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفية بهدية سنوية .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني موسى بن محمد قاضي المدينة ، قال : مرّ رجل بأعرابي يوقد في أصل ميل ، فقال : كم على الميل ؟ فقال : لست أقرأ ، ولكن كتابه فيه ؛ قال : وما كتابه ؟ قال : ^(٢) محجن وحلقة سمط وثلاثة أطباء وحلقة مذبذبة (يعني صورة نحسة) .

قال أبو اليقظان : إن عمرو بن مالك بن ضبيعة هو الذي قيل فيه :

لدى الحلم قبل اليوم ما تفرّع العصا * وما علم الإنسان إلا لعلها^(٣)

وذلك أن سعد بن مالك كان عند بعض الملوك ، فأراد الملك أن يبعث رائدا يرتاد له منزلا ينزله ، فبعث بعمرو فأبطأ عليه ، فأبى الملك لئن جاء ذاما أو حامدا ليقتلنه ؛ فلما جاء عمرو وسعد عنده ، قال سعد للملك : أتأذن لي فأكلمه ؟ قال :

إذا أقطع لسانك ؛ قال : فأشير إليه ؛ قال : إذا أقطع يدك ؛ قال : فأومئ إليه ؛ قال :

أقطع حنوء عينك ؛ قال : فأقرع له العصا ؛ قال : أقرع . فأخذ العصا فضرب بها

(١) كذا في معلقة عمرو بن كلثوم ؛ وفي الأصل « لا تصحينا » وهي لا تصبحينا ؛ لا تصفيه

الصوح . (٢) يريد بالحجن : رأس الخاء ؛ وبحلقة سمط : الميم ؛ وبثلاثة أطباء : السين ، وبحلقة مذبذبة : الهاء . والأطباء جمع طبي بكسر الطاء وتضم : حنات النضرع التي فيها اللبن من ذرات

الحافر والسباع . (٣) ورد هذا الخبر في الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) مع اختلاف

في الألفاظ . (٤) هو النعمان الأكبر كما في الأغانى . (٥) حنوء العين : حجاجها وهو

العظم الذي ينبت عايه الحاجب .

عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزَّها بين يديه، فلَقِنَ عمرو، فقال: أَيْتَتِ
اللَّعْنُ! أَيْتُكَ من أرض زائرِها واقف، وساكنُها خائف، والشَّيْبُ بها نائمة،
والمهزولةُ ساهرةٌ جائعة، ولم أرِ خصباً محلاً، ولا جدباً مزلاً^(١).

لما حُكِمَ أبو موسى وقَدِمَ ليحكم، دَسَّ معاويةً إلى عمرو رجلاً ليُعلمَ علمه
وينظر كيف رأيه؛ فأناه الرجل فكلَّه بما أمره به؛ فعَضَّ عمرو على إبهامه ولم
يُجِبْه؛ فنَهَضَ الرجل فأتى معاويةً فأخبره؛ فقال: قاتله الله! أراد أن يُعلمني أني
فَرَرْتُ قَارِحاً^(٢).

حدَّثني أبو حاتم قال حدَّثني الأصمعي قال حدَّثنا عيسى بن عمر قال: سأل
النجاج جبر بن حبيب عن رجل، وكره أن يعاقبه إن دلَّ عليه، فقال: تركته والله
جسداً يحرِّك رأسه يُصَبُّ في حلقه الماء، والله لئن حَمَلَ على سريره لِيَكُونَنَّ عليه
عورة؛ قال: فتركه.

حدَّثني القاسم بن الحسن عن خالد بن خَدَّاش عن حماد عن مجالد عن عمير
ابن رُوذِي قال: خَطَبْنَا عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل
عثمان لا أدخلها ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا أدخلها؛ فقيـل له:
عثمان لا أدخلها ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا أدخلها؛ فقيـل له:
عثمان لا أدخلها ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا أدخلها؛ فقيـل له:
عثمان لا أدخلها ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا أدخلها؛ فقيـل له:

(١) لقن كفرج: مهم. (٢) كذا في الأصل. وورد الخبر في مجمع الأمثال للبدائي
(ج ١ ص ٣٢ طبعة بولاق): «... فأقبل عمرو حتى قام بين يدي الملك فقال له: أخبرني، هل حدثت
خصباً أرذمت جدباً؟ فقال عمرو: لم أذم هزلاً، ولم أحمد بقالاً؛ الأرض مشكلة، لا خصباً يعرف،
ولا جدباً بوصف. رائدها واقف، ومنكرها عارف، وآمنها خائف؛ قال الملك: أولى لك». وورد
هذا الخبر في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٥ طبع مدينة ليدن) كما ورد في مجمع الأمثال وفيه «لم أذم جدباً»
بدل «لم أذم هزلاً». (٣) فز الدابة فزا وفرارا: كشف عن أسنانها ليعرف ما سنها.
والقارح من ذى الحافر: الذى طلع نابه وهو بمنزلة البازل من الإبل، والمراد هنا أنه اختبر محنكا.
(٤) كذا في الأصل. ولم نعد على هذا الاسم. (٥) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٠):
«لا دخلتها أبدا».

ما صنعت! فزقت الناس! نخطبهم فقال: إنكم قد أكثرتم في قتل عثمان، ألا وإن الله قتله وأنا معه؛ قال: فحدثنا خالد عن حماد عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن سيرين قال: كلمةٌ عربيّةٌ لها وجهان. أي وسيقتلني معه.

سأل زيادٌ رجلاً بالبصرة: أين منزلك؟ فقال: وأسط، قال: مالك من الولد؟^(١)

- ٥ قال: تسعة. فلما قام، قيل لزياد: كذبتك في كل ما سألته، ما له إلا ابنٌ واحد، وإن منزله بالبصرة. فلما عاد إليه، قال: ذكرت أن لك تسعة من الولد، وأن منزلك بواسط؟ قال: نعم؛ قال: خبرتُ بغير ذلك؛ قال: صدقتُ وصدّقوك، دفنتُ تسعةً بنين فهم لي، ولي اليوم ابن واحد ولست أدري أيكون لي أم لا؛ وأما منزلي فإلى جانب الجبان بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، فأى منزلٍ أوسط منه!
- ١٠ قال: صدقت.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن عيسى بن عمر قال قال المختار لجنده: يا شرطه الله، أخرجني إلى قريبٍ على الكعبة الحرام دابةً له ست قوائم وله رأسٌ بلا عنق، ثم ألثفت إلى رجل إلى جانبه فقال: أعني العسوب.

كان إبراهيم إذا لم يُعجبه الرجل قال: ما هو بأعجب الناس إلى.

- ١٥ بلغني عن معاوية بن حيان عن المبارك بن فضالة عن عبد الله بن مسلم بن يسار، قال: كان أبي إذا غضب على البهيمة، قال: أكلت سماً قاضياً.

(١) في العقد المفرد (ج ١ ص ٢٩٠): «كم لك من الولد».

(٢) في العقد المفرد (ج ١ ص ٢٩٠): «... لي تسعة من الولد قدمت منهم ثمانية فهم لي وبق

مع واحد، فلا أدري ألي يكون أم على».

٢٠ (٣) الجبان والجانة بالتحديد: المقبرة. (٤) تقع الدابة على المذكور والمؤنث؛ فيقال

هذا دابة وهذه دابة.

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا أبو المنهال البكرأوى^(٢) قال :
كان الحسن إذا أخذ من لحيته شيء ، قال : لا يكن بك سوء .

وقيل للحسن : أتى رجل صاحباً له في منزله وكان يصلي ، فقال : أدخل ؟ فقال
في صلاته : (أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ) ؛ فقال : لا بأس .

كان محمد بن علي إذا رأى مبتلي أخفى الاستعانة : وكان لا يسمع من دارة
ياسائل بورك فيك ، ولا ياسائل خذ هذا ؛ ويقول : سمّوهم بالحسن الجميل عباد
الله ، فتقولون : يا عبد الله بورك فيك .

قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة^(٣)
مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم (يعني للشمس) .
كان رشم^(٤) عمر بن مهران الذي يرتّم به على طعامه : اللهم أحفظه ممن يحطّفه .

خرج رجل من بني أسد بإبل له يسقيها ، ومعه ابنة له جميلة عاقلة ، حتى دفع
إلى ماء لبني قزارة ، فسألهم أن يأذنوا له في سقي إبله ؛ فقالوا : على ألا تجأجئ بها ،
قال : فإذا لا تشرب شرب خيرا ؛ قالوا : إن رضيت وإلا فأنصرف ؛ فقالت له
الجارية : اشترط لهم ما طلبوا وأنا أكفيك ؛ فأخذ الدلو ، وجعلت الجارية ترتجز
وتقول :

- (١) هو بمعنيين كما في تهذيب التهذيب ، وفي الأصل «أنحزم» باخاء المهملة وهو تحريف .
(٢) البكرأوى بفتح الباء وسكون الكاف بعدها الراء المهملة منسوب إلى أبي بكر الثقفي وهو من
الصحابه الذين نزوا البصرة رضي الله عنهم كما في كتاب الأنساب للسمعاني .
(٣) في العقد المرید (ج ١ ص ٢١٥) : «مسيرة ساعة لدعوة مستجابة» .
(٤) الرشم : ختم الحنطة بالروشم ، والروشم لوح منقوش تحتم به البيادر .
(٥) جأجأ بالإبل : دعاها لورود الماء لتشرب بقوله : جى ، جى .

جارية شَبَّتْ شبابَ العُسلجِ * ذاتُ وشاحينِ وذاتُ دُمْلجِ^(١)
وذاتُ ثَغْرِ أَشْنِبِ مُفْلَجِ * وذاتُ خَلْقِ مُسْتَبِ مُدَجِ^(٢)

في أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رويت من غير أن جأ بها .

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازراً ولا يتنحج ، فلما شربه

[و]تَقَطَّعَ في حَلْقِهِ ؛ قال : كَبَشُ أَمْلَجِ ؛ فقال صاحبه : فَعَلَهَا وَرَبَّ الكعبة ! فقال :
مَنْ فَعَلَهَا فلا أَفْلَحَ . وكان ما تبايعا عليه كبشاً .

قال الأصمعي : قلت لأعرابي معه شاةٌ : لمن هذه الشاة ؟ فقال : هي لله عندي .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن عمارة بن زاذان قال حدثنا

أبو الصهباء قال : قال الحجاج لسعيد بن جبير : اِخْتَرَأَى قِتْلَةَ شَيْءٍ ؛ فقال له :
بل آختر أنت لنفسك ، فإن القصاص أمانك .

ولي هرة الحرس مكان جعفر بن يحيى ، فقال له جعفر : ما آنتقلت عنى نعمة

صارت إليك .

أمر الحجاج ابن القريّة أن يأتي هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين ، ويمتعتها

بعشرة آلاف درهم ، فأتاها فقال لها : إن الحجاج يقول لك : كنت فينت ، وهذه

عشرة آلاف مُتعة لك ؛ فقالت : قل له : كما فما حمداً ، وبنا فما ندمنا ؛ وهذه

العشرة الآلاف لك بشارتك إياي بطلاقي .

(١) العسلج : الفصن الناعم . والدملج : ما يشتد على العصد من الخلى .

(٢) الثغر الأشنب : ما فيه رقة وصفاء . ومستتب : مستقيم . ومدجج : مكثز غير مسترخ .

(٣) اللبن الحازر : الحامض .

(٤) زيادة يقتضها الكلام .

(٥) ورد هذا الخبر في المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٢٤٠) بتبسطة عما هنا .

سئل سُفيان بن عُيينة عن قول طاووس في ذكاة السمك أو الحراد؛ فقال آبنه عنه : ذكَّاهُ صَيْدُهُ .

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من عُذرة يقال له يزيد بن المقنَّع ، وأخترط من سيفه شبرا ، ثم قال : أمير المؤمنين هذا ، وأشار الى معاوية ، فإن يَهْلِكْ فهذا ، وأشار الى يزيد ، فمن أبى فهذا ، وأشار الى سيفه . فقال معاوية : أنت سيد الخطباء .

قال رجل من أهل الجواز لابن شبرمة : من عندنا نخرج العلم؛ قال ابن شبرمة : ثم لم يعد إليكم .

قال المدائني قال معاوية لابن عباس^(٢) : أتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم؛ فقال ابن عباس : وأتم يا بني أمية تصابون في بصائرهم . وقال له معاوية : ما أبين الشَّبَقِ في رجالكم! فقال : هو في نسائكم أبين .

أبو اليقظان قال : قال ابن ظبيان التيمي لزُرعة بن صمرة : اتمد طلبتسك يوم الأهواز ولو ظفرت بك لقطعت منك طابقاً سُنخناً ؛ قال : أفلا أدلك على طابق هو أسخن وأحوج إلى القطع ؟ قال : بلى ! قال : بظُرَّينِ إسكَّتِي أمك .

أبو اليقظان قال : بعث الججاج إلى الفضيل بن بزوان العدواني ، وكان خيراً من أهل الكوفة ، فقال : إني أريد أن أولئك ، قال : أو يعفني الأمير؟ فأبى وكتب عهده ، فأخذه وخرج من عنده فرمى بالعهد وهرب ، فأخذ وأتى به الججاج ، فقال : يا عدوانه ؛ فقال : لست لله ولا للأمير بعدو؛ قال : ألم أكرمك ! قال : بل أردت أن تُبينني ؛ قال : ألم أستعملك ! قال : بل أردت أن تستعبدني ؛ قال :

(١) أي اسنله من غمده بمقدار شبر . (٢) في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٣٣) «عقيل» مكان «ابن عباس» .

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) الآية ؛ قال : ما استوجبت واحدةً منهم ؛ قال : كل ذلك قد استوجبت بخلافك . وأمر رجلاً من أهل الشام أن يضرب عنقه .

سليمان بن أبي شيخ قال حدثني حجر بن عبد الجبار عن عبد الملك بن عمير قال :
 (١) كان في مجلس زياد ، الذي يجلس فيه للناس بالكوفة ، في أربع زوايا كتاب
 بقلم جليل : "الوالى شديد في غير عنف ، لين في غير ضعف ؛ الأعطية لإبائها ،
 والأرزاق لأوقاتها ؛ البعوث لا تُجبر ؛ المحسن يُجزى بإحسانه ، والمسيء يُؤخذ على يديه"
 كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها .

قال سليمان وحدثنا أبو سفیان الحميرى قال : أبى أبو جهم بن كنانة يوم الروية ،
 فقال له الحجاج : من أنت ؟ قال : أنا أبو جهم بن كنانة ، قال له الحجاج : قد زدناك
 في أسمك ألفاً ولما فانت أبو جهم ، وزدنا في عطائك ألفاً .

العباس بن بكار عن عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي قال : قال معاوية
 لشداد بن أوس : يا شداد ، أنا أفضل أم علي ؟ وأينا أحب إليك ؟ فقال : على أقدم
 هجرة ، وأكثر مع رسول الله إلى الخير سابقاً ، وأشجع منك قلباً ، وأسلم منك نفساً ؛
 وأما الحب فقد مضى على . فأنت اليوم عند الناس أرحم منه .

قال الأحنف لمعاوية في كلام : أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره ، وسره
 وعلايته ، فلا تلقمه الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة .

(١) ورد هذا الخبر في العقد المرید (ج ٣ ص ٤) هكذا : « كان في مجلس زياد مكتوب : الشدة
 في غير عنف ، واللين في غير ضعف ؛ المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يعاقب بإساءته ؛ الأعطيات
 في أيامها ؛ لا احتجاب عن طارق ليل ، ولا صاحب ثغر » . (٢) تجير البعوث : جمعهم في الثغور
 وحبسهم عن العود إلى أهلهم . ومنه حديث الهرمزان : إن كسرى جمر بعوث فارس . وروى الربيع أن
 الشافعي أنشده :

وجرتا تجير كسرى جنوده ؛ ومنيتنا حتى نسيبنا الأمانيا

خطب الحجاج فشكا سوء طاعة أهل العراق؛ فقال جامع المحاربي: أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شنئوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع ما يباعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية فيمن دونك تُعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعيدك؛ فقال الحجاج: والله ما أراي أردني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف؛ فقال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار؛ قال الحجاج: الخيار يومئذ لله؛ قال: أجل! ولكك لا تدري لمن يجعله الله؛ فقال: ياهناه، إنك من محارب! فقال جامع:

وللمحرب سُمينا وكنا محاربا * إذا ما القنا أمسي من الطعن أحمر

فقال الحجاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك؛ فقال له يا حجاج: إن صدقناك أغضبتنا، وإن كذبتناك أغضبتنا الله، فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله.

قال الأصمعي أخبرنا شيخ من قضاة، قال: ضلنا مرة الطريق فاسترشدنا عجوزا؛ فقالت: استبطن الوادي وكن سيلا حتى تبلغ.

ابن الكلبي قال: كتب معاوية إلى قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت يهودي ابن يهودي، إن ظفيرا أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفيرا أبغضهما إليك قتلك ونكل بك، وقد كان أبوك وترقوسه ورمى غرضه، فأكثر الخز وأخطأ

(١) في الأصل «لنفسك» وقد أثبتنا ما في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٨) لمنع التكرار مع قوله «لذات نفسك» (٢) هن: كلمة يكتفى بها عن اسم الإنسان، فإذا ناديت، ذكرنا بغير التصريح باسمه قلت: يا هن أقبل. وقد تزد الألف والهاء فيقال للرجل: ياهناه أقبل، بضم الهماء على تقدير أنها آخر الاسم، وبكسرهما لاجتماع الساكنين. (انظر اللسان مادة هنا). (٣) وردت هذه الحكاية بكتاب الكامل للبرد ص ٢٩٨ طبع مدينة لبيسج وكتب عليها بأسفل الصحيفة ما نصه «هذه حكاية غير صحيحة».

(٤) في الكامل: «إلى قيس بن سعد وهو والي مصر لعل بن أبي طالب».

الْمَفْصِلُ، نَخَذَلَهُ قَوْمُهُ، وَأَدْرَكَهُ يَوْمُهُ؛ ثُمَّ مَاتَ طَرِيدًا بِحَوْرَانَ؛ وَالسَّلَامُ. فَكَتَبَ
إِلَيْهِ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَنْتَ وَثْنٌ ابْنُ وَثْنٍ، دَخَلْتَ فِي الْإِسْلَامِ كَرَهَا
وَنَحَرَجْتَ مِنْهُ طَوْعًا، لَمْ يَقْدَمْ إِيْمَانُكَ وَلَمْ يَحْدُثْ نِفَاقُكَ، وَقَدْ كَانَ أَبِي وَتَرَقَوْسُهُ
وَرَمَى غَرَضَهُ، وَشَغَبَ عَلَيْهِ مِنْ لَمْ يَبْلُغْ كَعْبَهُ وَلَمْ يُشَقَّ غُبَارُهُ، وَنَحْنُ أَنْصَارُ الدِّينِ
الَّذِي نَحَرَجْتَ مِنْهُ، وَأَعْدَاءُ الدِّينِ الَّذِي نَحَرَجْتَ إِلَيْهِ؛ وَالسَّلَامُ.

قال يحيى بن سعيد الأموي: سمعت الأعمش يقول لخالد بن صفوان: شعرت
أن منزلك لا يُعرف إلا أبي حتى يقال عند منزل الأعمش؛ فقال خالد: صدقت،
مثل حمام عنتره، ويقال وردان وبيطار (حيان).

قال الربيع لشريك بين يدي المهدي: بلغني أنك خنت أمير المؤمنين؛ فقال
شريك: لو فعلنا ذلك لأتاك نصيبك.

قال رجل من العرب: أريت البارحة في منامي كأنني دخلت الجنة فرأيت جميع
ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: للعرب؛ فقال رجل عنده من
الموالي: أصعدت الغرف؟ قال: لا؛ قال: فتلك لنا.

وكتب قتيبة بن مسلم إلى عبيد الله بن زياد بن ظبيان: أما بعد، فإن عشمشم
أعشى الشجر. فكتب إليه ابن ظبيان: من ذلك الشجر كان يربط أهلك. يعني
مسلم بن عمرو، وكان مغنياً ليزيد بن معاوية.

(١) كذا بالأصل والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٤٣ طبع مطبعة الفتوح الأدبية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ)
والكامل للبد (ص ٢٩٨) وعلها: وثى ابن وثى، نسبة إلى الوثن وهو الصنم. (٢) شغب عليه
(بالتشديد): هيج عليه الشر. (٣) كذا بالأصل، ولم نوفق إلى تحقيقه أو فهم التعريض منه.
(٤) البربط بكعفر، العود من آلات الموسيقى، وقيل هو معزب «بربط» بكسر الراء، كما هو مضبوط
في الأصل هنا، ومعنى يربط بالفارسية: صدر الإوز، أطلق على العود لشبهه به.

قال ببحر بن الأحنف لجارية أبيه زبراء : يا فاعلة ؛ فقالت : لو كنت كما تقول
أتيتُ أباك بمثلك .

وقال رجل لأبنسه : يا ابن الفاعلة ؛ فقال : والله ائن كنت صدقت ما فعلت
حتى وجدتك فحل سوء .

٥ أنت ابنة الخس عكاظ ، فأناها رجل يمتحن عقلها ويمتنح جوابها ، فقال لها :

إني أريد أن أسألك ؛ قالت : هات ، قال : كاد ؛ فقالت : المتعل يكون راجبا .

قال : كاد ؛ قالت : الفقير يكون كُفرا . قال : كاد ؛ قالت : العروس تكون مليكا .

قال : كاد ؛ قالت : النعامة تكون طائرا . قال : كاد ؛ قالت : السرار يكون سحرا .

ثم قالت للرجل : أسألك ؛ قال : هاتي ، قالت : عجبت ؛ قال : للسباح لا ينبت

١٠ كلؤها ولا يجف ثراها . قالت : عجبت ؛ قال : للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم

كبيرها . قالت : عجبت ؛ قال : لشفرك لا يدرك قعره ولا يملأ حفره .

المدائني قال : كان عرام^(١) بن شثير عند عمر بن هبيرة ، فألقى إليه ابن هبيرة خاتمه

وفضه أخضر ، فعقد عرام في الخاتم سيرا . أراد عمر قول الشاعر :

لقد زرقت عينك يا ابن مكعبير^(٢) ، كما كل ضبي^(٣) من اللوم أزرقي

١٥ وأراد عرام :

لا تأمنن فزاريا خلوت به : على قلوصلك وأكتبها بأسيار

قال جرير للأخطل : أزقت نومك ، واستهضمت قومك ؛ قال الأخطل :

قد أزقت نومي ، ولو نمت كان خيرا لك .

(١) كذا في الطبري (طبع أوروبا ص ١٢٠٣ - ١٢٠٤ من التسم الثاني) . وفي الأصل :

٢٠ "عذام" بالذال المعجمة . (٢) كذا في اللسان مادة "زرق" والأغاني (ج ١٩ ص ٤٩ طبع

بولاق) وفيه ينسب الشعر الى سويد بن أبي كاهل . وفي الأصل : « كما ظل ظبي ... » وهو تحريف .

أراد معاوية أن يخطب بصفتين فقال له عمرو بن العاص : دعني أتكلم ، فإن أتيت على ما تريد وإلا كنت من وراء ذلك ، فأذن له ، فتكلم بكلمات ، قال : قدموا المستلثمة^(١) وأخروا الحسر ، كونوا مقصّ الشارب ، أعيرونا أيديكم ساعة ، قد بلغ الحق مفصله ، إنما هو ظالم أو مظلوم .

- ٥ حدثني ابن أبي سعد عن محمد بن الحسن التميمي عن عبد الله بن أحمد بن الوضّاح ، قال : دخل أعرابي على عبد الملك بن مروان^(٢) ، فقال له : يا أعرابي تصف الخمر فقال : شمول إذا شجبت وفي الكأس مرة * لها في عظام الشارين ديب تريك القدي من دونها وهي دونه . لوجه أخيها في الإناء قطوب فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد آتتهمك عندي حسن صفتك لها ، قال : يا أمير المؤمنين وآتتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها .
- ١٠

مقطعات ألفاظ تقع في الكتاب والكلام

- لو أخطأت سبيل إرشادك ، لما أخطأت سبيل حسن النية فيما بيني وبينك .
 لو خطر ذلك ببالي من فعلك ، ما عرضت ستر الإخاء للهتك بيني وبينك .
 قد أحسنت في كذا قديما . وفعلك كذا إحدى الحسنيين بل أطفهها موقعا .
 أنت رجل لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك . فقّدم^(٣) على نفسك من قدّمك على نفسه . الله يعلم أنك ما خطرت ببالي في وقت من الأوقات إلا مثل الذكرك مني لي محاسن تزيدني صباغة إليك وضنا بك واغترابا بإخائك . لعل الأيام

(١) المستلثمة : الطائفة التي عليها اللأم وهي الدرء .

(٢) الذي في الأغاني (ج ٦ ص ١٢٧ طبع بولاق) : «دخل ابن الأقرع على الوليد بن يزيد...»

(٣) «ورود فيه الشطر الأول من البيت الأول هكذا : «كيت اذا شجبت وفي الكأس وردة» .

(٣) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) . وفي الأصل : «اتهم على نفسك ...»

أَنْ تُسَهِّلَ لِأَخِيكَ السَّبِيلَ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ نَفْسُكَ مِنْ بَرَكَ وَمُعَاوَضَتِكَ بِبَعْضِ
مَا سَلَفَ لَكَ .

ما هذا الغبا العجيب الذي الى جانبه فطنة لطيفة . حكم الفلتات خلاف
حكم الإصرار .

٥ من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين، كان حرياً أن يخطئ في باطن
دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

ومن أول ما أحب أن أوترك به وأقضى فيه واجب حقك، تنبيهك على عظيم
ما لله عندك ، وحثك على الأزدیاد مما يزيدك .

١٠ من كان بمثل موضعك بجمع له حمد إخوانه ورضا معاملیه والاستقصاء مع
ذلك لمن استكفاه، فقد عظمت النعمة عليه، ولا أعلم بما أسمع فيك إلا أنك كذلك
والحمد لله .

ما أغنى الفقير عن الحمد، وأحوجّه الى ما يجد به طعم الحمد !
قد حسدك من لا ينام دون الشفاء، وطلبك من لا يقصر دون الظفر، [فأشد
حيازيمك وكن على حذر] .

١٥ أنت تتجنى على مالك لتتلفه بأسباب العلل، كما يدفع عن ماله البخيل بوجوه
الاعتلال . أنت طالب مغرم، وأنا دافع مغرم، فإن كنت شاكراً لما مضى، فاعذر
فيما بقي . مكرك حاضر، ووفائك متأخر . أنا راض بعفوك، بانك لمجهودي .

نواب الأیام رمّت به ناحيتك؛ وإذا رأيته أنباك ظاهره عن باطنه ودعاك الى
محبته قبوله، وهو في الأدب بحيث المستغني عن النسب .

٢٠ (١) في الأصل "ومعارضتك" . (٢) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : "وفيا توحد..." .

(٣) في الاصل : "السفا" . (٤) زيادة عن العقد الفريد . (٥) في الأصل : "السبب" .

قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم وإلا يكون غيرك فيما يبلغك أوثق من نفسك
فيما تعرفه .

هذا فلان قد أتاك على رقة من حاله وبعيد من شقته ، فنشدتك الله أن تقدم
شيئا على تصديق ظنه وسد خلته وبلى ما يبتست هذه النكبة من أديمه ، فإنه غدى
نعمة وخدين مروءة .

أنا أسأل الله أن ينجزلى ما لم تزل الفراسة تعدنيه فيك . الحرية نسب .
فهمت ما اعتذرت به في تأثرك ، وغضضت به منى طرفا طامحا إليك ونفسا تواقا
الى قُربك .

وصل كتابك فكان موقعه موقع الروح من البدن . فإن أمير المؤمنين يجب
ألا يدع سبيلا من سبل البروان عفا ودثر إلا أناره وأوضح محجته ، ولا خلة من
خلال الخير لا أول لها إلا آهبل الفرصة في إنشائها ، واختيار مكرمة ابتدائها ، لتجيب
له مساهمة الفارط في أجره ، ويكون أسوة الغابر في نوابه .

لولا وجوب تقديم العذر لصاحب السلطان ، في الذهول عن مواصلة من
يجب عليه مواصلته ، بما يستولى عليه من الشغل بعمله ، إذا لكثرة العتب .

إنك لكل حسن أبلته ، ومعروف أسديته . وجميل أتيتته ، وبلاء كان لك
ربيتته ، أهل في الدين والحسب القديم .

لك — أعزك الله — عندي أيادٍ تشفع لي الى محبتك ، ومعروف يوجب
عليك الرب والإتمام .

(١) اهتبل الفرصة : اغتنمها . (٢) الفارط : السابق . (٣) الرب : الزيادة .

أفعال الأمير مختارة كالأماني، متصلة عندنا كالأيام؛ ونحن نختار الشكر لكريم فعله، ونواصل الدعاء والذكر مواصلةً بـه .

أبدأ بذكر يدك التي أجارتني على صرف الزمان، ووقفتي نوايب الأيام، وثمرت لي بقية النعمة، وصانت وجهي عن استعباد من الرجال، وبسطت لي الأمل في بلوغ ما ناله بك من رفعت خسيسته ونوهت بذكره، وأعانتني على اتباع مذهب الماضين من سلفي في الوفاء لكم، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدي غيركم، حتى خلصت لهم منكم فعزوا، ولم يشغلوا شكرهم بغيركم حين سكروا، ولم يهتموا بصنعة لسواكم لما اعتدوا، ولم تشعبهم الدنيا عنكم إذ اضطروا .

إذ الله أحلك منا أهل البيت محلاً نراك به عوضاً من الغائب، وخلفاً من الهالك، ونجداً مخصوصاً بضرائنا إذ كنت ولي سرائنا، وكذا لك كالجوارح نألم لكل ما ألم منها .

نحن نعوذ بالله من سخطك، ونستجير به من غضبك، ونسالك النظر فيما كتبنا به صادقين، كما سمعت قصص الكاذبين، فإننا على سلامة مما رققه .

كتبي - أعزك الله - تأتيك، في الوقت بعد الوقت، على حسب الدواعي، وإن كان حَقُّك يُلْزِمُنِي أَلَّا تُغْبِكَ، لولا ما أتذكر من زيادتها في شغلك .

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهض بأعباء أهل موذته، الصابر على ما ناب من حقوقهم .

كنت أميس - أكرمك الله - عليلاً، وركبت اليوم على ظلع ظاهر ورقة شديدة، فلما أنصرفت أمرت بإغلاق الباب للتودع، ووافق ذلك من سوء نيتك

وإرصادك صديقك بما يستدعي عتبك عليه وعتبه عليك ما وافق .

(١) في الأصل: «أهلك...» . (٢) أي رموه اليك من الأخبار الكاذبة .

(٣) في الأصل: "ضلع" .

لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتابَ اليك في الحاجة ، فأتوقف أحيانا توقف
 المبقى عليك من المؤونة ، وأكتب أحيانا كتابَ الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على
 المقة ؛ لا أعدمنا الله دوام عزك ، ولا سلب الدنيا بهجتها بك ، ولا أخلانا من الصنع
 [الله] على يدك وفي كنفك ، فإننا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعما وندي إلا
 في ظلك .

إن كان هذا مما ترضاه لي ، فليست ألتبس أكثر منه ، وقوفا بنفسى عند الحظ
 الذى رضىته لي .

أنا والله أراك في رتبة المنعم إجلالا ، وبمحل الشقيق من القلب محبة وإخلاصا .
 أما شكرى فمقصود على سالف أياديك ، وبه قصور عنه فكيف يتسع
 لما جددته ! .

الله عندك نعيم جسام تقاضاك الشكر . وقاك الله شر نفسك ، فإنها أقرب
 أعدائك إليك .

ولم أزل وجلا من حادثة كذا عليك ، إذ كان ما ينالك — لا أنالك الله سوءا —
 متصلا بي ومدخلا للضرر على في ركن منك أعتمد عليه ، وكنت لك أستدري به .

وصل الى كتاب منك . فما رأيت كتابا أسهل فنونا ، ولا أملس متونا ، ولا أكثر
 عيونا ، ولا أحسن مقاطع ومطالع ، ولا أشد على كل مفصل حزا منه ؛ أنجزت فيه
 عدة الرأي وبشرى الفراسة ، وعاد الظن بك يقينا ، والأمل فيك مبلوغا .

لا غيبك الله عن مواطن العز والصنع ، وأشهدك إياها بعلويدك ، وهبوب
 ريحك ، وأستقادة جميع أهلها بزمام طاعتك .

(١) كذا وردت هذه الجملة من هذا الفصل في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٨) وفي الأصل :
 « لا أزال قد سلت الكتاب ... الخ » وهو غير مستقيم . (٢) في العقد الفريد : « الخفف
 عنك ... » . (٣) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد .

- (١) قد رميت غرض الحق بسهم الباطل وحلت عقال الشر .
- (٢) كنت سالما إن سألته من عتبك .
- أنا أتوسل إليك بحسن ظني بك ، وأسألك بحق صبري على ظلمك لما أسعفت بما سألتك .
- ليس ينبغي لك أن تستبطئ فهمي وقد أسأت إلهامي .
- من أبعده من البر من مريض لا يؤتى في دائه إلا من جهة دوائه ، ولا في علقته إلا من قبل حميته ! .
- (٣) لست في حال يقيم عليها حراً ويرضى بها كريم ، وليس يرضى بهذا الأمر إلا من لا ينبغي لك أن ترضى به .
- ٥ قد شئت في ذراك وهيرمت في ظلك ، فإما رددت على شبابي وأعدت إلى قوتي ، وإما دفعت إلى ما ينوب عن الشباب ويجهز الضعف ، ولا بد من أحدهما ، فاختر لنفسك وأخرج إلينا من هذا الدين ، فقد أمسكنا عن التقاضى ما أمكن ، وصبرنا على المواعيد ما صلح ؛ ودعنا من الحوالة فإن الصنية لا تتم بالحوالة ؛ وإن جاز أن نقيم لنا زعيماً بالنعمة ، جاز أن نقيم لك زعيماً بالشكر ؛ وإن جاز أن نُؤمك ويحقق آمالنا غيرك ، جاز أن نشكر غير المنعم ونأمل غير المصطنع .
- ١٥ ما أستعظم أن تسبق إلى حسن بل أستعظم أن تسبق إليه وتغلب عليه .
- (٤) لأن كنت جاوزت بي قدرى عندك لما بلغت بك أملى فيك .
- لا يقبضك عن الأُس بي تقصيرك في البر .

(١) كذا وردت هذه الجملة في الأصل . وظاهر أن فيها تبديلاً ونقصاً . ولعل صوابها : قد رميت

٢٠ عرض الباطل بسهم الحق ، وحلت عقال الشريد الخير . (٢) في الأصل : « كنت ... » .

(٣) في الأصل : « ولا يرضى بها ... » وهو غير مستقيم . (٤) في الأصل « إن كنت ... » .

بلغتني عاتك فنالني من ألمها ، وغالني مما مسك فيها حسبُ حَقِّك وما يُحْصِنِي
من كلِّ حالٍ تصرَّفتُ بك .

أعتذر إليك من تأخر كُتُبِي عنك بترامي الثقلَة وتقاذفِ الغُرْبَة وعدمِ الطمأنينة ،
فإني منذ فارقتك كما قال القائل :

وكنْتُ قَدَاةَ الأَرْضِ والأَرْضِ عَيْنِهَا * تَلْجَلِجُ شَخْصِي جَانِبًا بَعْدَ جَانِبٍ ٥
إِنِّي - أَعَزُّكَ اللهُ - عَلَى تَشْوَقِكَ مَتْرِيدًا ، فَمَا أَحَاشِي بَكَ أَحَدًا ، وَلَا أَقْفُ
لَكَ عَلَى حَسَنَةٍ يَوْمًا إِلَّا أَنْسَتْنِيهَا لَكَ فَضْلُهُ غَدَهُ .

الحمد لله الذي جعل الأمير معقودَ البتة بطاعته ، مطوى القلب على مُناصحته ،
مشحودَ السيف على عدوه ؛ ثم وهب له الظفرة ، ودوخ له البلاد ، وشرَّد به العدو ،
وخصَّه بِشَرَفِ الفُتُوحِ العِظَامِ شرقًا وغربًا ، وبرًا وبحرًا . ١٠

إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك ، وفرط الجزع من فراقك ، وظلمة الأيام
بعذك ؛ وأقول كما قال حبيب بن أوس :

بَيْنَ البَيْنِ فَقَدَهَا ، قَلِمًا تَعْتَرِفُ فَقْدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبًا
ورد كتابك ، فياله واردة بالرى على ذى ظمًا ! ما أنقعه للغليل . وأعدّل تهادته
لك بكرم العقد ، وصدق الود ، وحسن المغيب ، ورعاية حق التحريم ، وبُعدِ الشيمة ١٥
من شيم أهل الزمان إلا من عصم الله . وقليل ما هم ، والله أبواك لقد أوجدك .

قد أجل الله خطرَك عن الاعتدار ، وأغناك في القول عن الاعتلال ، وأوجب علينا
أن نقنع بما فعلت ، ونرضى بما أتيت وصلت أو قطعت . إذ وثقنا بحسن نيتك ونقاء
طويتك ، وألزمنا أن نأخذ أنفسنا لك بما لا نُحْمَلُك مثله ، ولا نلتمس منك مقابلةً به .

ما أحركتني عنك إلا ما أنا عليه من إيثار التخفيف بقطع الكتب ، إلا عند
حق يقع فأفضيه ، أو نعمة تحدث فأهني بها ، والقصيد للزيادة في البر بالزيارة
في الغيب ، وأستدعاء دوام الوداد بانتهاز فرص الوصل .

وكتبتُ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر :

٥ أما شكري للأمير علي سالف معروفه فقد غار وأنجد . وأما آبتها إلى الله
في جزائه عني بالحسنى فإخلاص النية عند مظان القبول . وأما أمني فأحياءه على
بعد العهد بلاؤه عندي ، إذ كان ما تقدم منه شافعا في المزيد ، وفسحة وعده إياي
عند مفارقتي له ، إذ كان مؤذنا بالإيجاز . وأما زللي في التأخر عما أوجب الله عليّ له ،
فمقرون بالعقوبة فيما حرّمته من عزّ رياسته ، ونباهة صحبته ، وعلو الدرجة به ، وإن
كنتُ سائرا أيام انقطاعي عنه مُعتلقا بسبب لا خيار معه . مكاتبك - أعزك الله -
١٠ وأنا مجاورك ببلد دون السعي اليك مجالا لقدرك مما أكبر . لائقك بكلامي هذا فلان ،
وله عليّ حقان : حق عمّ المسلمين فلزمني بلزومه لهم ، وحق خصني بالحرمة والعشرة .
فرايك في كذا إن سهل السبيل إلى ذلك ورحب ، وإن يعق عائق فلست على جميل
رأي عندي بمتهم .

١٥ ' للتفضل أن يُخصّ بفضلته من يشاء ؛ والله الحمد ثم له فيما أعطى ، ولا حجة عليه
فيما منع .

مُستعفي الساطان أحد ثلاثة : رجل آثر الله وما عنده ، وأسال الله توفيقه ؛
ورجل عجز عن عمله يخاف بعجزه عواقب تقصيره ، وأستعين الله ؛ ورجل سمّت به
نفسه عن قليل هو فيه إلى كثير أماله . وأعوذ بالله من أن أدّس نعمة الله بك عليّ

وعلى سألني قبلي بالتصدي لمن لا يُشبهه دهره يومك ، ولا أكثر جهده في المعروف
أقل عفوِكَ .

كن كيف شئت ، فإنني واحدُ أمرى خالصةً سريري ، أرى ببقائك بقاء
سُروري ، وتمام النعمة عليك تمامها عندي ، فإنه ليس من نعمة يُجدها الله
لأمير المؤمنين في نفسه خاصةً إلا أتصلت برعيته عامة ، وشملت المسامحة كافة ، وعظم
بلاءُ الله عندهم فيها ، ووجب [عليهم] ^(١) شكره عليها ؛ لأن الله جعل بنعمته تمام
نعمتهم ، وبسلامته هدوئهم واستقامتهم ، وبتدبيره صلاح أمورهم وأمنهم ، وبذبه
عن دينهم حفظ حريمهم ، وبمحايطته حَقن دماهم وأمن سبلهم ، وبرعيته آتساقهم
وآنتظامهم ؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيداً بالنصر، مُعزاً بالتمكين ، موصول
الطلب بالظفر، ومدّة البقاء بالنعيم المقيم .

١٠

فهمتُ كتابك ولم تُعد في وعدك ووعيدك سبيل الراغب في رب عارفته ، المحامي
على سالف بآلائه ، المؤثر لاستتمام صنيعته . وإنني لأرجو أن أكون على غاية ما عليه
ذونية حسنة في شكر مُصطنعه ، وعناية بأداء ما يلزمه لولي نعمته ، ومراقبة لرئيسه
في سر أمره وعلايته . وإيثارٍ للقليل من جميل رأيه على كثير المنافع مع سخطه .

١٥

وليس مذهبي فيما أشرحه من العذر وأطيل بذكره الكتب ، مذهب من يمؤه
بالاحتجاج ويحتال في الاعتذار، ومن تطمعه نفسه في سلامة النعمة مع فساد النية ،
وفي مجود العاقبة مع شره النفس ، وفي زيادة الحال مع التفریط في العمل . ولو
كنتُ ممن سؤلت له نفسه ذلك سائر دهره ، لقد وجب إلى أن يضطرنني إلى

(١) زيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٢) . (٢) في الأصل : « وبذبه عن دينهم

ومفظ ... » بزيادة الوار ، وقد وردت هذه العبارة في العقد الفريد بحذفها . (٣) في الأصل :

« وغنايه ... » . (٤) في الأصل : « ولقد رجب ... » ولا معنى لذكر الوار مع اعتبار هذه

الجملة جواباً لـ « كما هو ظاهر السياق » على أن في جعل « لقد » جواباً « للو » نظراً .

٢٠

التزوع عنه تأديك وتقويمك . وإني لمجتهد أن [يكون] ^(١) أثرُ فعلِي هو المخبر عني دون
قولي ، وأن يكون ما أُمّت به اليك ظاهراً كفايتي دون ذمّامي .

لولا ما أنا بسبيله من العمل ، وما في الإخلال به من تعريضه للانتشار ودخول
الخلل ، وعلمي بأن طاعة السلطان مقرونة بطاعة الأمير ، وأنه لا فرق عنده بين
الجانى على السلطان وعليه ، لكننتُ الجوابَ راجلاً معظماً لأمره ، مُكبِّراً لسُخطه ؛
وإن كان الله قد جعل عند الأمير من إثارة الحق والعمل به ، وتقديم الروية قبل
الإيقاع ، والاستثناء ^(٢) بمن وَصَحَ ذنبه وظهر جُرمه دون من وقعت الشبهة في أمره ،
ما أمتني بادرة غَضَبه ونازل سَطوته .

لم أكن أحسبني أحلّ عندك محلّ مَنْ جَهِلَ حَظّه ، وعَدِمَ تَمييزه ، وغَيَّبَ عَمّا عليه
وعَمّاله ؛ إذ توهمت على أنى أبيع خطيراً من رضاك ، ونقيساً من رأيك ، وشرفاً باقياً
على الأيام بطاعتك ، وعُدّة للنوائب أستظهر بها من نصرتك ، بالثمن البخس الحقيقير
من كذا ، أو أن أستبدل بما أنا ذو فاقة إليه من عزّ كَنَفِكَ ومنيع ذَرَاكَ ، ما قد
وهب الله الغنى عنه بحمده .

كان ورودك وشخصوك في وقتين أنطويا عني ، وكان مقامك في حالٍ شغلٍ منك
ومنى ، ولذلك فقدتني في القاضين لحقك والمثابرين على لقائك .

ورد كتابك مضمناً من برك وتطولك ما حسن شكرى ، وأثقل ظهري ، وأرتج عن
مضاهاتك بمثله قولي ؛ فذكرت به — إذ تحيرت دون تأمله ، وضعتُ عن تحمله ،
وتحجرتُ عن الشكر عليه عند تحمله — قول القائل ^(٣) :

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) الاستثناء : الاستنار . (٣) هو أبو نواس .

٢٠ وقد ورد في ديوانه (المطبوع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٨٩٨ م ص ٧١) : "جللنى" بدلا من
"أوليتنى" و "لا تسدين" بدلا من "لا تحلثن" .

أنت أمرؤ أوليتني نِعْمًا * أوهت قُوى شكرى فقد ضعُفا
لا تُحْدِثَنَّ الِى عارِفَةً * حتى أقومَ بِشكرِ ما سَلَفَا

ألفاظ تقع في كتب الأمان

- هذا كتاب من فلان لفلان : إني أمتك على دمك ومالك ومواليك وأتباعك ،
 لك ولهم ذمة الله الموفى بها ، وعهده المسكون إليه ، ثم ذمة الأنبياء الذين أرسلهم برسالته
 وأكرمهم بوحيه ، ثم ذمة النجباء من خلفه : بحقن دمك ومن دخل اسمه معك
 في هذا الكتاب ، وسلامة مالك وأموالهم وكذا وكذا ؛ فأقبلوا معروضه ، وأسكنوا
 الى أمانه ، وتعلقوا بحبل ذمته ، فإنه ليس بعد ما وكد من ذلك متوثق لداخل في أمان
 إلا وقد أعتلقتم بأوثق عرّاه ، ولجأتم الى أحرز كهوفه ، والسلام .

١٠ وفي كتاب آخر :

- هذا كتاب من فلان : إن أمير المؤمنين ، لما جعل الله عليه نيته في إقالة العاشر
 وأستصلاح الفاسد ، رأى أن يتلافك بعفوه ، ويتغمد زلاتك برُحمه ، ويبسط لك
 الأمان على ما خرجت إليه من الخلاف والمعصية : على دمك وشعرك وبشرك
 وأهلك وولدك ومالك وعقارك ؛ فإن أنت أتيت وسمعت وأطعت ، فأنت آمن بأمان
 الله على ما أمتك عليه أمير المؤمنين ، ولك بذلك ذمة الله وذمة رسوله ، إلا
 ما كان من حق قائم بعينه لمسلم أو معاهد ، والله بذلك راع وكفيل ، وكفى
 بالله وكيفا .

(١) في الأصل «ورأى...» بزيادة الواو . ولعله مبهو من الناسخ .

وفي كتاب آخر :

إن فلانا أستوهب أمير المؤمنين ذنبك ، وسأله أن يقبل توبتك وإنابتك ،
ويؤمّنك على دمك وشعرك وبشرتك وأهلك وولدك ومالك وعقاراتك ، على أن
تسمع وتطيع وتُشايح ، وتُوالى أوليائه ، وتُعادي أعداءه ، فأجابه أمير المؤمنين الى
ذلك ، لرأيه في العفو والصفح وما يحتسب في ذلك من الثواب والأجر ، فأنت آمن
بأمان الله على كذا لا تؤخذ بشيء مما سلف من أحداثك ، ولا تُتبع فيه بمكروه ما أقيمت
على الوفاء ولم تُحدث حدثاً تفسخ به أمانك وتجعل به سبيلاً على نفسك ، والله لك
بذلك راع كفيلاً ، وكفى به شهيداً .

ألفاظ تقع في كتب العهود

أمره بتقوى الله فيما أسند اليه وجعله بسبيله ، وأن يؤثّر الله وطاعته آخذاً ومُعطيًا ،
وأعلمه أن الله سائله عما عمل به وجازيه عليه ، وأنه خارج من دنياه خروجه من
بطن أمه إما مغبوطاً محموداً ، وإما مذموماً مسلوباً ، فليعتبر بمن كان قبله من الولاة
الذين ولّوا مثل ما ولي ، أين صار بهم مرّ الليل والنهار ، وما أنقلبوا به من أعمالهم
الى قبورهم ! ويتروّد لنفسه الزاد النافع الباقي (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
مُحضرًا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) .

وفي فصل آخر :

وقد ولّاك أمير المؤمنين ما ولّاك من أمور رعيته ، وأشركك فيما أشركك فيه من
أمانته ، ثقةً بك ، رجاءً لمتابعتك وإيثارك الحق وأهله ، ورفضك الباطل وأهله ،
وعهد إليك في ذلك بما إن أخذت به أعانك الله وستدك ، وإن خالفته خذلك
وعاقبك .

وفي الحج :

فإن أمير المؤمنين قد أختارك من إقامة الحج لوَفَدَ اللهُ وَزَوَّرَ بَيْتَهُ ، للأمر العظيم قدره ، الشريف منزلته ؛ فعليك بتقوى الله ؛ وإيثار مُرَاقِبَتِهِ ، ولزوم الهدى المحمود والطريقة المثلى والسيرة الجميلة التي تُشبهُ حالَكَ .

فصل — فإن الله نزه ^(١) الإسلام عن كل قبيحة ، وأكرمه عن كل رذيلة ، ورفع عن كل دنية . وشرفه بكل فضيلة ، وجعل سماء أهله الوقار والسكينة .

فصل — وإن أحق الناس بالأزدياد في طاعته ومناصحته وأداء الأمانة في عمله مَنْ عَظُمَ حَقُّ الأَمِيرِ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ بِفَضْلِ الصَّنِيعَةِ مِنَ الأَمِيرِ عِنْدَهُ . مع حق الله عليه في العامة بحقِّ الولاية .

فصل — وكنتَ سيفاً من سيوف الله ، ونكلاً من أنكاله لأهل الشقاق ، وشجياً لمن آبتني غير سبيل المؤمنين ، قد أحكتك التجاربُ وضرستك الأمور ، وفيرت عن الذكاء وحلبت الدهرَ أشطره .

فصل — أنت ابن الحرية والمرقة ، ومن لا يلحقه عار أبوة ولا بُنوة .

فصل — قد آلمتُ مواجعتك بشركك ووصف ما أُجِنُّ لك وأخلص من ودك وأجل من قدرك وأعتد ^(٢) من إحسانك ، فلقتني عن ذلك تعدُّر الخاوة مع أنقباض وحشمة .

(١) كذا في الأصل واختيار المنظوم والمشور لابن طيفور (نسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب

المصرية تحت رقم ١٨٦٠ أدب ص ٣٣٣) ولعلها : « في الحج » .

(٢) في الأصل : « فان الله بحمده الإسلام ... » .

(٣) في الأصل : « واعتيد ... » .

فصل — قد أغنى الله بكرمك عن ذريعة إليك ، وما تُنازِعني نفسى إلى
استعانةٍ عليك إلا أبى ذلك حسنُ الظنِّ بالله فيك ، وتأميلُ نُجحِ الرغبةِ إليك دون
الشفعاء عندك .

فصل — مثلك تقرب الى الله بالتواضع لنعمته ، والإفانة لمستغيثه ، والعائدة^(١)
على راجيه بفضله .

فصل — تبا لمن يأتى رأيك ! وقبحا لعزوب عقلك ، وأفن تديريك ! ما أبعد^(٢)
مذهبك فى الخطأ ، وأسوأ أثرك على السلطان ، وأقصرَ باعك عن النهوض ! جزالة^(٤)
تعقدك ، ومهانة تُضِرُّعك ، وزهو يعلوك ، ونحوة يُشْمَخ لها عرنيك . لقد آنصرف
رأى أمير المؤمنين عنك ، ودعوت له عتبك ، وكشفت له عن قناع سترك ، واجتررت
إليك سخطته وعطفت نحوك موجدته ، وكنت على نصيبك منه والضن بمنزلتك عنده
أولى تقدما وأقرب رُشدا . والله الغنى الحميد .

أصحاب السلطان ثلاثة : رجلٌ يجعل الدنيا نُصبَ عينه ، ينصب فيها للخاصة
مكايده ، ويرفع عن مصلحة العامة همته ، يذهله عن التقوى الهوى ، وتُنسيه أيام القدرة
العثرة ، حتى تتصرم مدته وتتفضى دولته ، لم يرتن بدنياه شكرا ولا قدم بها الى معاده
ذُحرا . ورجلٌ لا يحفل^(٥) مع صلاح الخاصة مادخل من الخلل فى أمور العامة ، ولا مع
وفور حظه ما أدخل^(٦) النقص فى حظ رعيته . ورجلٌ حاول فى ولايته إرضاء من ولى
له وعليه ، وأعانتة النية وخذلتة الكفاية . وقد جمع الله لك الثقة والرضا من فوقك ،

(١) العائدة : اسم من عادة بمعرفته اذا أقبل . (٢) كذا فى الأصل وفيها ضعف لعدم

اتساقها فى السياق مع ما بعدها . (٣) الأفن : بالتحريك : ضعف الرأى والتدبير .

(٤) كذا فى الاصل . (٥) فى الأصل «لا يحفل...» وهو تحريف . وحظه وبه : بالاه .

(٦) فى الأصل : «مع وفور خطر...» .

والإتقياد والمحبة ممن دونك ، وأعاد الى الناس بك عهد السلف الماضي وعمر بك آثارهم ، حتى كأنهم بك أحياء لم تحترمهم منية ، وجميع لم تنصدع بينهم فرقة ، فليهنئك أن من تقدمك من أهل الفضل في السيرة غير متقدم لك ، ومن معك مقصر عنك ، ومن دونك مقتف لا ترك . فلا زالت الأيام لك ، ولا زالت النعم عنك ، ولا أنتقلت عرى الأمور وأزقتها عن يدك .^(١)

فصل - أبي طبع الزمان أن يسمح لنا بك ، كما أبي ذلك في مثلك ، فلم يزل حتى أعترض بمكروهه دونك ، وكم من نعمة ذهلت عنها النفس حين أدبرت بجريك ، فإن تعلق القلب بك على قدرك في مواهب الله وقديرها عندك .

فصل - ولم تأت في جميع ما عدت من أياديك شيئاً ، وإن كان متناها إلى الغاية ، مختاراً بالأمنية ، متجاوزاً للاستحقاق ، إلا وأنت فوقه والمأمول للزيادة فيه .^(٢)

وفي كتاب - إن كان ما خبرني به فلان عن هزل فقد أحوجنا هزلنا إلى الحد ، ووقفنا موقف المعتذرين من غير ذنب ، وإن كان عن حقيقة فقد ظهر لنا من ظلمك وتحريفك ما دل على زهدك منا في مثل الذي رغبنا منك فيه .

فصل في كتاب العيد - كتابي إلى الأمير يوم كذا بعد خروجي فيه ومن قبل من المسلمين إلى المصلي وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيد ، ونحن بنخير حال أجمع عليها فريق من المسلمين في عيد من أعيادهم وتجمع من مجامعهم ؛ وكان نخرجنا إلى المصلي أفضل نخرج ، ومنصرفنا عنه أفضل منصرف ،

(١) في الأصل : « رأزمنك ... » . (٢) في الأصل « ولم يأت » .

بما وهب الله من سكون العائمة وهدوئها وألفتها، وأحتشاد الجند والشاكرية بأحسن الزى والهيئة، وأظهر السلاح والعتة . فالحمد لله على كذا، وهنأ الله الأمير كذا .

فصل - القلب قرين وله حليف حيرة ، أنظر بعين كليلية^(٢) وأحضر بقلب غائب : إلى ورود كتابك بما تعترمه . فأما النوم فلو مثل لعيني لنفرت إلفاً للشهاد .

فصل في كتاب بيعة - فبايعوا الأمير المؤمنين ولقلائ بعدة على اسم الله وبركته وصنع الله وحسن فضائه لدينه وعباده ، بيعة منبسطة لما أكتفكم ، منسرحة بها صدوركم ، سليمة فيها أهواؤكم ، شاكرين لله على ما وفق له أمير المؤمنين .

عُدَّ معاوية على الأحنف ذنوباً ؛ فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! لم ترد الأمور على أعقابها ! أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوائننا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لعلَى عواتقنا ؛ ولئن مددت [لنا]^(٤) بشبر من غدري ، لنمدت إليك باعاً من ختر^(٥) ، ولئن شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو حلمك ؛ قال معاوية : فإني أفعل .

تقدم رجل إلى سوار، وكان سوار له مبغضا ، فقال سوار في بعض ما يكلمه به : يابن اللئناء ! فقال : ذلك خصمي ؛ فقال له الخصم : أعدني عليه ، فقال له الرجل : خذ له بحقه وخذ لي بحقي ؛ ففهم ، وسأله أن يغفر له ما فرط منه إليه ، ففعل .

الأوزاعي قال : دخل حرّيم بن فاتك على معاوية ، فنظر إلى ساقيه فقال : أيّ ساقين ، لو كانتا على جارية عاتق^(٧) ! فقال له حرّيم : في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين .

(١) الشاكرية : المستخدمون . (٢) في الأصل «بعين جليلية...» . (٣) في الأصل « يعترم ... » . (٤) زيادة من لسان العرب (مادة ختر) . (٥) الختر (بالفتح) : الخديعة والغدر . (٦) أعدني عليه : انصرفني عليه وقوّني . (٧) العاتق : الجارية أوّل إدراكها ؛ وقبل هي التي لم تزوج .

الخطب

- تَبَعْتُ حُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُ أَوَائِلَ أَكْثَرِهَا: «الحمد لله بحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلِّ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له»، ووجدت في بعضها: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته»، ووجدت في خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه: «وأيتها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم؛ إن المؤمنَ بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ به، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخذ العبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبية قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت؛ والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مستعتبٌ ولا بعد الدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار»، ووجدتُ كلَّ خطبة مفتاحها الحمدُ إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير. وتكبير الإمام قبل أن ينزل عن المنبر أربع عشرة تكبيرة.

خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

- ١٥ حدثني أبو سهل قال حدثني الطنّافسي عن محمد بن فضيل قال حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن عكيم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه فقال:

- (١) في الأصل «عبد الله بن عظيم» بالطاء المعجمة بدل الكاف وبالبحث في كتب التراجم ورواة الحديث لم نجد «عبد الله بن عظيم» فلعل ما في الأصل تحريف عما أثبتنا: قال في التهذيب: «عبد الله بن عكيم الجهني أبو محمد معبد الكوفي». قال: قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض جهينة. وروى عن أبي بكر وعمر وحذيفة بن اليمان وعائشة... الخ» وفي الخلاصة: «عبد الله ابن عكيم بضم أوله وفتح الكاف... الخ». وإذا كان عبد الله بن عكيم ممن رواه عن أبي بكر رضي الله عنه ترجح لدينا أن ما في الأصل محرف عنه.

أما بعد ، فإنى أوصيكم بتقوى الله وحده وأن تُثنوا عليه بما هو أهله ، وتخلطوا
الرغبة بالرهبة ، والإحاف بالمسئلة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : (إِنَّهُمْ
كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) . ثم أعلموا أن الله قد آرتهم بحقه
أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم ، وأشترى منكم القليل الغاني بالكثير الباقي . هذا
كتاب الله فيكم لا تفتنى عجائبه ولا يُطفأ نوره ، فصدقوه وانتصحوه وأستضيئوا منه
ليوم الظلمة . ثم أعلموا أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب علمه عنكم ، فإن
أستطعتم ألا ينقض إلا وأتم في عملي لله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله .
فسابقوا في مهل ؛ فإن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم ، فأنها كم أن تكونوا
أمثالهم ، والوحا الوحا ، والنجاء النجاء ! فإن من ورائكم طالبا حثيثا مره ، سريعا
[سسيه]^(١)

وفي غير هذه الرواية : أين من تعرفون من إخوانكم ! قد آتته عنهم الأعمال ،
ووردوا على ما قدموا وحلوا عليهم بالشقوة والسعادة . أين الجبارون الذين بنوا
المدائن وحصنوها بالحوائط ! قد صاروا تحت الصخر والآكام .

خطبة لأبي بكر أيضا رضى الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبي زيد القارى^(٢) .

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

(١) الكلمة من العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٠) . وقد وردت فيه هذه الخطبة باختلاف في بعض
الكلمات عما هنا . (٢) كذا في الأصل . وهي غير مستقيمة المعنى وذلك من تحريف النساخ .
وصواب العبارة نقلا عن تاريخ ابن جرير الطبرى (قسم أول ص ١٨٤٧ طبع ليدن) : « أين من
تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد آتته بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة
فيا بعد الموت » . (٣) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) وهو ما تؤيده كتيب التراجم
كأنساب السمعاني وأسد الغابة : وفي الأصل : « من ولد زيد القارى » .

- إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة المملوك . فرفع الناس رؤوسهم ؛ فقال : ما لكم يا معشر الناس ! إنكم لَطَعَانُونَ عَجَلُونَ ، إن المَلِكَ إذا مَلَكَ زَهَدَهُ اللهُ فيما في يده ، ورَغِبَهُ فيما في يَدَيْ غَيْرِهِ ، وأنتقصه شَطْرَ أَجَلِهِ ، وأشرب قلبه الإشفاق ، فهو يحسد على القليل ، ويتسخط الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القسي^(٢) والسراب الخادع ، جدل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وَجِبَتْ نَفْسُهُ ونَصَبَ عَمْرُهُ وَصَحَّ ظِلُّهُ ، حاسبه الله فأشدَّ حسابَه وأقلَّ عَفْوَه . ألا إن الفقراء هم المرحومون ، وخير المملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفريق محجة ، وسترون بعدى ملكا عضوضا ، وأمة شعاعا ، ودما مفاحا . فإن كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحق جولة ؛ يعفوها الأثر ، وتموت السنن ، فالزموا المساجد ، وأستشيروا القرآن ، والزموا الجماعة . وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أي بلادكم خرسة فإن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أديانها .^(٨)

خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة

- أراد عمر الكلام . فقال له [أبو بكر] : على رسلك . نحن المهاجرون أول الناس إسلاما ، وأوسطهم دارا ، وأكرمهم أحسابا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسأمتنا قبلكم ،
- (١) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٩) : «البقاء» . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) : «الباء» . (٢) القسي من الدراهم : الزائف . (٣) وجبت نفسه ، ونصب عمره ، ومعناه ضله : كل منها نخاية عن الموت . (٤) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) . وفي الأصل : «... ألا إن الفقراء هم المرحومون ، لا من آمن...» . (٥) ملك عضوض : فيه استبداد وعسف . (٦) شعاعا : متفرقة . (٧) الدم المفتح : المراق . (٨) كذا بالأصل والبيان والتبيين . ولم نوفق إلى تصويرها أو تفسير صحيح لها .

وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَاتَمَّ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُنَا فِي الْفَيْءِ ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَسَدِ ، أَوْثَمُ وَوَأَسِيئُ^(١) ، بِخِزَامِكُمْ اللَّهُ خَيْرًا ، نَحْنُ الْأَمْرَاءُ ، وَأَتَمُّ الْوُزَرَاءُ ، لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَتَمُّ مُحَقَّقُونَ إِلَّا تَنَفَّسُوا عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَا سَأَقِ اللَّهُ إِلَيْهِمْ .

خطبة لأبي بكر رضي الله عنه

الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال : لما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، صعد المنبر فنزل مِرْقَاةً من مقعد النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
إِنِّي وَليْتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، وَلَكِنَّهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ أَكْبَرَ الْكَيْسِ التَّقِيُّ ، وَأَنَّ أَحْمَقَ الْحُمُقِ الْفُجُورُ ، وَأَنَّ أَقْوَامَكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى أَخَذَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَأَضْعَفَكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى أَخَذَ مِنْهُ الْحَقَّ ، إِنَّمَا أَنَا مَتَّبِعٌ^(٢) وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ زُغْتُمْ فَقَوْمُونِي . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ .

خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال : ولما ولي عمر صعد المنبر وقال :
مَا كَانَ اللَّهُ لِيُرَانِي أَرَى نَفْسِي أَهْلًا لِمَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَجْلِسِهِ مِرْقَاةً ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : اقْرءُوا الْقُرْآنَ تُعْرِفُوا بِهِ ، وَأَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ .
إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ حَقُّ ذِي حَقٍّ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . إِلَّا وَإِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٨) : وفي الأصل : « وأسيئتم » .

(٢) كذا في إيجاز القرآن للباقلاني (ص ٦٥ طبع مصر سنة ١٣١٥) : وفي الأصل : « أما » .

الله بمزلة وإلى اليتيم : إن آستغنيت عفتت وإن افتقرت أكلت بالمعروف ^(١) تقترم
 البهمة الأعرابية : القضم لا الخضم .

خطبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه

قال : ولما ولي عثمان صعيد المنبر فقال :

- رحمهما الله ، لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بأس ، بفلس على ذروة المنبر فرماه الناس بأبصارهم ، فقال : إن أول مركب صعب ، وإن مع اليوم أياماً ، وما تكلمنا خطباءً ، وإن نعش لكم تاتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله تعالى .

خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

خطب فقال :

- ١٠ أما بعد ، فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت فأشرفت باطلاع ، وإن الميضار اليوم وغدا السباق . ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن قصر في أيام أملة قبل حضور أجله فقد خسر عمله . ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة . ألا وإني لم أركب لجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها . ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقيم به الهدى جار به الضلال .
- ١٥ ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودلتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم أتباع الهوى وطول الأمل .

(١) تقترم الصبي والبهيم : أكل أكلا ضعيفا ، وذلك أول ما يأكل . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . يريد بهذا بيان الأكل بالمعروف وأنه الأكل الخفيف الذي تدفع إليه حاجة الحياة .

(٢) في الأصل : «الضمار» وهو تحريف .

خطبة عليّ عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه

أيها الناس ، كتاب الله وسنة نبيكم . لا يدعى مدع إلا على نفسه . شُغِلَ مَنْ
الجنة والنار أمامه . ساع نجاء ، وطالب يرجو ، ومقصر في النار : ثلاثة ، واثنان :
ملك طار بجناحيه ، ونبي أخذ الله بيديه ، لاسادس . هلك من اقتحم ، وردي من
هوى . اليمين والشمال مضلة ، والوسطى الجادة : منهج عليه باقى الكتاب وآثار النبوة .
إن الله أدب هذه الأمة بأدين : السوط والسيف ؛ فلا هوادة فيهما عند الإمام .
فاستتروا بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ؛ والتوبة من ورائكم . مَنْ أبدى صفحته
للحق هلك . قد كانت أمور ملثم على فيها ميلة لم تكونوا عندي محمودين ولا مصيبين .
والله أن لو أشاء أن أقول لقلت . عفا الله عما سلف . أنظروا ، فإن أنكرتم فأنكروا ،
وإن عرفتم فأروا . حق وباطل ، ولكل أهمل . والله لئن أمر الباطل لتقدما
فعل ؛ ولئن أمر الحق لرب ولعل . ما أدبر شئ^(١) فأقبل^(٢) .

خطبة أيضا لعليّ رضي الله عنه^(٣)

خطب عليّ حين قُتِلَ عامه بالأنبار فقال في خطبته :

يا عجباً من جد هؤلاء في باطلهم وفتيلكم عن حَقِّكم ! يُقْبَطُ لَكُمْ وَتَرَحَّأَ حِينَ صِرْتُمْ
غَرَضًا يُرْمَى ، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ، وَتُغزَوْنَ وَلَا تُغزَوْنَ ، وَيُعَصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ .

(١) أمر (بالبناء للجهول والتضعيف) : سلط . والذى في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢)
ونهج البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) : « ... رائ قل الحق ... » وعلى ما ورد
فيها يكون معنى « أمر الباطل » : كثر « أمر » وزان فرج . (٢) في العقد الفريد .
« ولقلها أدبر ... » . (٣) وردت هذه الخطة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٦) و نهج البلاغة
(ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف في بعض
الكلمات وزيادات عما هنا .

إن أمرتكم بالمسير إليهم في الحرّ قلم : حمارة القيظ ، أمهلنا [حتى] ينسلخ الحرّ ،
 وإن أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلم : أمهلنا [حتى] ينسلخ الشتاء هذا أو أن قرء^(٣)
 كل هذا فرارا من الحرّ والقرّ ، فأتم والله من السيف أقرّ ، يا أشباه الرجال ولا رجال !
 أحلام الاطفال وعقول ربّات المجال ؛ أفسدتم على رأي بالعصيان والخذلان ، حتى
 قالت قريش : ابن أبي طالب شجاع [ولكن] لا يعلم له بالحرب . لله أبوهم ! هل
 منهم أحد أشد لها مراسا وأطول تجربة مني !^(٤) لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين
 فهانا الآن قد نيئت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

خطبة لمعاوية رحمه الله

بلغني عن شعيب بن صفوان قال : خطب معاوية فقال :

١٠ أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يعد فيه المحسن
 سيئا ، ويزداد الظالم فيه عتوا ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسال عما جهلنا ، ولا نتخوف
 قارعة حتى تحل بنا . فالناس أربعة أصناف : منهم من لا يمنع من الفساد
 في الأرض إلا مهانة نفسه وكلال حدّه ونضيض وفره ؛ ومنهم المصلت لسيفه^(٥)
 والمجلب بجيله ورجله والمعلن بشرّه ، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام يتهمزه^(٦)
 وأوبق دينه : أهلكه .

١٥ (١) حمارة القيظ : شدته . (٢) زيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين . (٣) القربصم
 القاف : البرد الشديد . (٤) كذا في العقد الفريد والبيان والتبيين ، بزيادة كلمة « هذا » بعد كلمة
 « أطول » في البيان والتبيين . وفي الأصل : « هل منهم أحد لها أشد مراسا ولا أطول تجربة مني » .
 (٥) في الأصل : « رضيض » وما أثبتناه من البيان والتبيين والعقد الفريد وإيجاز القرآن . ونضيض ،
 وفره : قلة ماله . (٦) في الأصل : « بسيفه » بالباء . (٧) أشرط نفسه لكذا : اعتدها وفدّتها .
 (٨) أوبق دينه : أهلكه .

(١) أو مقنّب يقوده أو منبر يفرعه ، ولبئس المتجران تراهما لنفسك ثمناً ومما عند الله
 عوضاً . ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة [ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا] (٤)
 قد طامن من شخصه وقارب من خطوه ، وشمر من ثوبه ، وزحرف نفسه للأمانة ،
 واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية . ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة
 في نفسه وأنقطع من سببه ، فقصر به الحال عن أملة ، فتحلّى باسم القناعة وتزين
 بلباس الزهاد ، وليس من ذلك في مراح ولا مغدى . وبقى رجال غضّ أبصارهم
 ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد ناذ ، وخائف متقمع ، (٨)
 وسأكت مكعوم ، وداع مخلص ، وموجع نكلان ، قد أنمّلتهم التقيّة ، وشملتهم
 الدلّة ، [فهم] في بحر أجاج ، أفواهم ضامرة ، وقلوبهم قريحة ، قد وعظوا حتى
 ملّوا ، وقهروا حتى ذلّوا ، وقتلوا حتى قلّوا . فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة
 القرظ وقراضة الجلم ، وآتمظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ،
 وآرفضوها ذميمة ، فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم .

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال : إن معاوية كان حبلاً من حبال الله ، مده ماشاء أن يمدّه ، ثم
 قطعه حين شاء أن يقطعه ؛ وكان دون من قبله وهو خير ممن بعده ، [ولا أزيه عند
 (١٠)]

- (١) المقنّب بكسر الميم : الجماعة من الخيل . (٢) يفرعه : يعلوه . وفي الأصل : « يترعه »
 وهو تحريف . (٣) كذا في البيان والتبيين . وفي الأصل : « وليس المتجران تراها ... الخ »
 وهو تحريف . (٤) الزيادة عن العقيد الفريد والبيان والتبيين وإعجاز القرآن .
 (٥) طامن من شخصه : خفض . (٦) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) وفي الأصل :
 « على حاله ... » . (٧) الناذ : النافر الذاهب على وجهه . (٨) متقمع : مستخف .
 (٩) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين والعقد الفريد وإعجاز القرآن للباقلاني . (١٠) الزيادة
 عن العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٣) .

ربه وقد صار إليه [فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه . وقد وليت الأمر بعده ، ولست أعتذر من جهل ولا أشتمل بطلب علم . وعلى رسلكم ! إذا كره الله أمرا غيره .

خطبة لعنبة بن أبي سفيان

- ٥ أبو حاتم عن العنبي قال : احتبست كُتُب معاوية حتى أرجف أهل مصر بموته ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعد عتبة المنبر والكتاب في يده فقال :
- يا أهل مصر ! قد طالت معاتبنا إياكم بأطراف الرماح وطبأت السيوف حتى صرنا شجى في لهواتكم ما تُسيغنا حلوقكم ، وأقذاء في أعينكم ما تطرف عليها جفونكم .
- ١٠ فحين آشتت عرى الحق عليكم عقدا ، وأسترخت عقد الباطل منكم حلا ، أرجفتم بالخليفة وأردتم توهين السلطان ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدم عهدكم به حديثاً !
- فارجعوا أنفسكم إذ خسرتم دينكم ، فهذا كتاب أمير المؤمنين بالخبر السار عنه والعهد القريب منه . وأعلموا أن سلطانتنا على أبدانكم دون قلوبكم ؛ فأصلحوا لنا ما ظهر ، نكلكم إلى الله فيما بطن ؛ وأظهروا خيرا وإن أسررتم شرا ؛ فإنكم حاصدون ما أتم زارعون . وعلى الله تتوكل وبه نستعين .

خطبة لعنبة أيضا

- ١٥ وهذا الإسناد أن عتبة خطب أهل مصر حين هاجوا فقال :

يا أهل مصر ، خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تفعلونه ، وذم الباطل وأتم تأتونه ، كالجمار يجمل أسفارا أثقله حملها ولم ينفعه علمها . وإني والله لا أداوى

(١) في المقدم الفريد : « ولا آسى على طلب علم » . (٢) أرجف : خاض في الأخبار التي

أدواءكم بالسيف ما آكتفيت بالسوط، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدرّة، ولا أبطئ
 عن الأولى إن لم تصلحوا عن الأخرى ^(١) * ناجزًا بناجر، ومن حذر كمن بشر ^(٢) *
 فدعوا قال ويقول من قبل أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم الذي ليس فيه ^(٣)
 عقاب، ولا بعده عتاب .

خطبة لعبد الله بن الزبير

خطب عبد الله بن الزبير حين قُتِلَ أخوه مُصعب فقال :

الحمد لله الذي يُعزّ من يشاء ويُنزل من يشاء . إنه لن ينزل من كان الحقّ معه
 وإن كان فردًا ، ولن يعزّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أتانا
 خبر من قبل العراق أجزعنا وأفرحنا : قتل مُصعب رحمه الله . فأما الذي أحرّتنا من
 ذلك فإن لفراق الحميم لُدعةً يبيدها حيمه عند المصيبة به ثم يرعوى بعدها ذؤور الرأى
 الى جميل الصبر وكريم العزاء . وأما الذي أفرحنا من ذلك فعملنا أن قتله شهادةً، وأن
 ذلك لنا وله الحيرة . ألا إن أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا
 يأخذونه به . إنا والله ما نموت حبيجًا ولا نموت إلاقلا، قعصًا بالرياح تحت ظلال
 السيوف، ليس كما تموت بنو مروان؛ والله إن قُتِلَ رجلٌ منهم في جاهليّةٍ ولا إسلام .

(١) كذا في الأصل، ولعلها : «على الأخرى» .

(٢) هذه الجملة التي بين النجمتين وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) في أثناء خطبة أخرى
 لعنبة . وفي العقد : «والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها
 لكم ناجزًا بناجر، ومن حذر كمن بشر...» .

(٣) في العقد الفريد : « قبله » .

(٤) الحجج : أن يأكل البعير لحاء العرّج فيرم بطنه سمنا وربما قتله ذلك . قال في اللسان بعد أن ذكر
 كلام ابن الزبير : « يعرض بنو مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة...»
 رقعته (من باب قطع) : قتله مكانه .

ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى [الذي لا يبید ذكره ولا يذل سلطانه] فإن تُقبل
على لا أخذها أخذ البطر الأشر، وإن تُدبر عنى لا أبك عليها بكاء الخريف المهتر^(٢) .
ثم نزل .

خطبة زياد البتراء^(٣)

- ٥ حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن أبي بكر بن أبي عاصم ببعضها، وحدثني
أبي عن الهيثم بن عدي، قال: لما قدم زياد أميراً على البصرة فنظر إلى أبياتها،
قال: رب فريح بإمارتي لن تنفعه، [و] كاره لها لن تضره، فدخل وعليه قباء
أبيض ورداء صغير، فصعد المنبر، فخطب الناس خطبة بتراء: لم يصل فيها على
النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أول من خطبها، ثم قال:
- ١٠ أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علمتم. وشهدت الشهود بما قد سمعتم، وإنما
كنت أمراً حفظ الله منه ما ضيع الناس، ووصل ما قطعوا^(٤). ألا وإنا قد ولينا وولينا
الوالون، وسُننا وساسنا السائسون، وإنا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلا شدة في غير
عنف، ولين في غير ضعف. وآيم الله ما من كذبة أكبر شاهداً من كذبة إمام على منبر،
فإذا سمعتموها مني فأغتمزوها في، وأعلموا أن عندي أمثالها، وإذا رأيتموني أمر

- ١٥ (١) الزيادة من العقد الفريد: (ج ٢ ص ١٨٣). (٢) الخرف: الذي فسد عقله من
الكبر. والمهتر: من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن. وفي العقد الفريد: «بكاء الخرق المهين» .
(٣) وردت هذه الخطبة في النوادر لأبي علي القالي (ص ١٨٥ - ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما
هنا ولا تختلف إلا في كلمات يسيرة. ووردت في الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع ليدن
سنة ١٨٦٨م) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٣) بزيادات كثيرة عما هنا
وبتقديم وتأخير في بعض الجمل والكلمات. (٤) لم ترد هذه القطعة في الخطبة البتراء في مصدر آخر
من المصادر التي بين أيدينا إلا في النوادر لأبي علي القالي. وقد وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٤)
في خطبة أخرى لزياد.

فيكم بالأمر فأنفذوه على أذلاله^(١) . وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل
 أمرى منكم أن يكون من صرعى . وأيم الله لأخذت البرىء بالسقيم، والمطيع
 بالعاصي، والمقبل بالمدبر، حتى تستقيم لي قناتكم، وحتى يقول القائل : «أنج سعد^(٢)
 فقد قُتِل سعيده» . فقام إليه عبد الله بن الأهم التميمي^(٣)، فقال : أيها الأمير، أشهد
 أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب؛ فقال له : كذبت، ذلك نبي الله داود . ثم
 قام إليه الأحنف، فقال : إنما المرء بجيده، والسيف بجمته، والجواد بشته؛
 وقد بلغك جدك أيها الأمير ما ترى؛ وإنما الحمد بعد البلاء، والثناء بعد العطاء،
 وأنا لا نثنى حتى نبتلى . ثم قام إليه مرداس بن أدية، فقال : قد سمعنا مقاتلك
 أيها الأمير، وإن خليل الله إبراهيم عليه السلام أدى عن الله غير الذي أديته، قال
 الله تعالى : (الآتِرُ وَارِزَةٌ وَزَرَ أُخْرَى)^(٤) ؛ وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء

(١) على أذلاله : على طريقه ووجوهه . واحده ذل بكسر الذال، وهو ما مهد من الطريق وذلل .
 (٢) قال في اللسان مادة «سعد» بعد أن ذكر هذا المثل : «هذا مثل سائر؛ وأصله : أنه كان لضبة
 ابن آذان : سعد وسعيد فخرجا يطلبان إبلهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد؛ فكان ضبة إذا رأى سوادا
 تحت الليل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل؛ فأخذ ذلك اللفظ منه وصار ما يتشاهم به، وهو يضرب
 مثلا في العناية بذى الرحم، ويضرب في الاستخبار عن الأمرين : الخير والشر أيهما وقع . وقال الجوهري
 في هذا المكان : وفي المثل ، أسعد أم سعيد إذا سئل عن الشيء أهو مما يجب أو يكره .
 (٣) كنا في ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٦ طبع ليدن والبيات والتبيين والعقد الفريد .
 وفي الأصل : «نعيم بن الأهم» وقد آثرنا ما في المصادر الأولى لأن الوقوف في مثل هذا الموقف
 يقتضى شجاعة وجرأة، وفي عبد الله بن الأهم منها حظ موفور . أما نعيم بن عمرو بن الأهم، وعبد الله
 هذا عمه، فكان كما يقول ابن تينة في الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : «فيه تأنيث ...» . وفي النوادر
 لأبي علي القالي : «صفوان بن الأهم» وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهم . (٤) وردت هذه
 الجملة في ابن الأثير والعقد الفريد والبيات والتبيين والنوادر لأبي علي القالي باختلاف عما هنا ونصها
 في ابن الأثير : «فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية، وهو من الخوارج، وقال : أنبأنا الله بغير ما قلت،
 قال الله تعالى : (وإبراهيم الذي وفى الآتِرَ وَارِزَةٌ وَزَرَ أُخْرَى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) الخ...» .

بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ، والمقبل بالمدبر؛ فقال له : أسكت ، فوالله ما أجد الى ما أريد سبيلاً ، إلا أن أخوض اليه الباطل خوفاً . ثم نزل .

وقال في خطبة له أخرى^(١) :

حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أَسْوِيَهَا بِالْأَرْضِ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا . إِيَّايَ وَدَجَّ اللَّيْلِ ، فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْبِحٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَإِيَّايَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحَدْتُمْ أَحْدَانًا ، وَأَحَدْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقُوبَةٌ ؛ فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْتَهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْتَهُ ، وَمَنْ نَقَبَ بَيْنَنَا نَقَبْتُ عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنْتُهُ فِيهِ حَيًّا ؛ فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكُفِّ عَنْكُمْ . وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ مِنْكُمْ أَشْيَاءٌ قَدْ جَعَلْتُهَا ذَبْرًا أَدْنَى وَتَحْتِ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ . إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلَّ مِنْ بَغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنَاظِرْهُ ؛ فَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا أَمْرَكُمْ .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة^(٢)

دخل وهو متقلد سيفًا متنكب قوسا عربية ، فعلا المنبر فقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

(١) هذه الخطبة وردت في المصادر المتقدمة ، ما عدا النوادر لأبي علي القالي ، في ثنايا خطبته

البراء . (٢) وردت هذه الخطبة في كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكمال للبرد (ص ٢١٥

طبع لبيسج) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٤) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكمال لابن الأثير

(ج ٤ ص ٣٠٤ طبعه لندن) مع بعض الاختلاف : بزيادة أو نقص أو تغيير في بعض الكلمات .

إن أمير المؤمنين نكَّب عيِّداته بين يديه ، فوجدني أمرها عوداً وأصلبها
 مكسراً ، فوجهني إليكم . ألا فوالله لأعصبنكم عصب السَّمة ، ولألحونكم لحو العود ،
 ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ، حتى تستقيم لي قناتكم ، وحتى يقول القائل :
 «أُنج سعدٌ فقد قُتل سعيد» .^(١) ألا وإيأى وهذه الشِّفاء والزَّرافات ، فإنى لا أوتى
 بأحد من الجالسين في زرافة إلا ضربت عنقه . هكذا حدثني أحمد بن سعيد عن
 أبي عبيد في كتاب غريب الحديث . وقال لي غيره : هو إيأى وهذه الشِّفاء
 والزَّرافات . وقد فسرتُ الحديث في كتابي المؤلف في غريب الحديث .

خطبة للحجاج أيضا

أرجف الناس بموت الحجاج ، فخطب فقال :

إن طائفة من أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، تزغ الشيطان بينهم ، فقالوا :
 مات الحجاج ومات الحجاج ! فمه ! وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ! والله
 ما يسرنى ألا أموت وأن لى الدنيا وما فيها ! وما رأيت الله رضى بالتخليد إلا لأهون
 خلقه عليه إبليس . واقعد دعا الله العبد الصالح فقال : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا
 لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ، فأعطاه ذلك إلا البقاء . فما عسى أن يكون أيها الرجل !

(١) نكَّب عيِّداته : طرحها . (٢) عصبه : قطعه . والسَّمة : واحدة السلم ، وهو شجر من
 العضاء يتخذ منه القرظ الذى يدبغ به ، وهو شجر السنط . ولحا العود : قشره . (٣) كانت الإبل
 الغريبة إذا وردت مع إبل قوم ضربت وطردت . ضربه الحجاج مثلا في التهديد والإنذار . (٤) تقدم
 شرحه في خطبة زياد . (٥) فى اللسان مادة «سقف» : «وأما قول الحجاج : (إيأى وهذه الشِّفاء)
 فلا يعرف ما هو؟ وحكى ابن الأثير عن الزمخشري قال : قيل وهو تصحيف ، قال : والصواب شفاء جمع
 شفع لأنهم كانوا يجتمعون إلى السلطان فيشفعون في أصحاب الجرائم فثامهم عن ذلك لأن كل واحد منهم
 يشفع للآخر كما ثامهم عن الاجتماع في قوله : إيأى وهذه الزرافات» . ومن هذا يعلم ما يرمى إليه المؤلف
 بالتعقيب بالرواية الثانية من التنبيه على الوجه الصحيح .

وكلكم ذلك الرجل ! . كَأَنِّي وَاللَّهِ بِكُلِّ حَيٍّ مِنْكُمْ مَيِّتًا ، وبكل رطيب يابسًا ، وتُقِلُّ في ثياب أكفانه إلى ثلاثِ أذرعٍ طُولًا في ذراع عَرْضًا ، وأكَلَتِ الأَرْضُ لَحْمَهُ وَمَصَّتْ صَدِيدَهُ ، وانصرف الحبيبُ من ولده يَقْسِمُ الحَبِيثَ من ماله ؛ إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول ، ثم نزل .

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال : أيها الناس إني أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابني هذا ، وأوصيته بخلاف ما أوصى به رسولُ الله صلى الله عليه [وسلم] في الأنصار ؛ إن رسول الله أوصى أن يُقبلَ من مُحسنهم ، وأن يُتجاوزَ عن مُسيئهم ؛ وإني أمرته ألا يقبلَ من محسنكم ولا يتجاوزَ عن مسيئكم . ألا وإنكم ستقولون بعدى مقالة لا يمنعكم من ... إظهارها إلا مخافتى ، ستقولون بعدى : لا أحسن الله له الصحابة ! ألا وإني مُعجلٌ لكم الجواب : لا أحسن الله لكم الخِلافة ، ثم نزل .

خطبة للحجاج أيضا

خطب فقال في خطبته : سَوَّطِي سِنِي ، فَنَجَّادُهُ فِي عُنُقِي ، وَقَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَذُبَابُهُ قِلَادَةٌ لِمَنْ اغْتَرَبَنِي ! فقال الحسن : بؤسًا لهذا ! ما أغرَّه بالله ! .
وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار ، ثم أتى امرأته فمنعته نفسها ؛ فأتى ابن سيرين يستفتيه ؛ فقال : يا ابن أخي ، إمض فكن مع أهلك ، فإن الحجاج إن لم يكن في النار لم يضرك أن تزني .

(١) نجاد السيف : حمائله . وقائمه مقبسه . وذبابه : طرفه الذي يضرب به .

(٢) في الاصل : خلف رجل ...

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه^(١)

حدثني أبو سهل عن إسحاق بن سليمان عن شبيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص، قال :

كان آخر خطبة خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولن تُتركوا سُدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، نخاب وخيسر من نخرج من رحمة الله وحريم جنة عرضها السموات والأرض . ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم وخاف ، وباع نافداً بباقي ، وقليلًا بكثير ، وخوفًا بأمان ! ألا ترون أنكم في أسلاب المهالكين ، وستكون من بعدكم للباقيين كذلك ، حتى تُردَّ^(٢) إلى خير الوارثين ! ثم إنكم في كل يوم تُشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبّه ، حتى تُغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدع غير مؤسد ولا ممهّد ، قد فارق الأحباب و باشر التراب وواجه الحساب ، فهو مرتين بعمله ، غنى عما ترك فقيراً إلى ما قدم . فاتقوا الله قبل انقضاء مواقبته ونزول الموت بكم ! أما إني أقول هذا وما أعلم أن عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ، فاستغفر الله وأتوب إليه . ثم رفع طرف رداءه على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلاله ثم قال : كنت كذلك ما شئت أن تكون ، لا يعلم كيف أنت إلا أنت ، ثم ارتأيت أن تخلق الخلق ، فماذا جئت به من عجائب صنعك ،

(١) وردت هذه الخطبة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٠) والعقد النمرید (ج ٢ ص ١٧٥)

٢٠ بزيادة عما هنا . (٢) في الأصل : «وباع نافداً...» بالقاف وهو تحريف . (٣) في الأصل : «وسيكون... حتى يرد...» .

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذلك : من صنوف أفواجه
وأفراده وأزواجه ، كيف أدمجت قوائم الذرة والبعوضة إلى ما هو أعظم من ذلك من
الأشباح التي امتزجت بالأرواح ! .

وخطب يوما فسقطت جرادة على ثوبه فقال : سبحان من الجراد
من خلقه ، أدمج قوائمها ، وطوقها جناحها ، ووشى جلدها ، وسلطها على ما هو
أعظم منها .

خطبة للحجاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفظوا فروجكم ، وخذوا الأنفس بضميرها ، فإنها
أسوئكم^(١) شيء إذا أعطيت ، وأعصى شيء إذا سئلت . وإني رأيت الصبر عن محارم
الله أيسر من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن الدار دار غرور ومنزل باطل ، تضحك باجماً وتبكي
ضاحكاً ، وتخيف آمناً وتؤمن خائفاً ، وتفقّر مثرى وتثري مقترى ، مبالغة غرارة لعانة
بأهلها ! عباد الله ! اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارتنضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ،
فإنه ناسخ لما كان قبله ولم ينسخه كتاب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو^(٢)
كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ، ظلام الليل إذا عسعس .

(١) أسوئكم : أضعف ، من ساك الرجل إذا مشى مشياً ضعيفاً .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفي الأصل : « دبار الليل ... » . وتنفس

الصبح : تطلع رأسه . وعسعس الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا
 حرصاً على الدنيا ولا رغبةً في الملك ، وما بي إطرأ نفسي ، وإني لظَلُّومٌ لها إن
 لم يرحمني الله ، ولكن خرجت غَضَباً لله وبينه ، داعياً إلى الله وإلى سنة نبيه ، لما
 هُدمت معالم الهدى ، وأطفئ نور أهل التقوى ، وظَهَرَ الجبار العنيد ، المستحلُّ لكل
 حُرمة ، والراكبُ لكل بدعة ، الكافرُ بيوم الحساب ، وإنه لأبْنُ عمِّي في النَّسَبِ
 وكَفَيْني في الحَسَبِ ؛ فلما رأيتُ ذلك استخرتُ الله في أمره وسألته ألا يَكَلِّني إلى
 نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك مَنْ أَجَابني من أهل وِلايتي ، حتى أراح الله منه العبادَ ،
 وطهر منه البلاد ، بحوله وقوته لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ، إن لكم على ألا أضع حجراً على حجر ، ولا لينةً على لينة ، ولا أكرى^(١)
 نهراً ، ولا أكثر مالاً ، ولا أعطيه زوجاً ولا ولداً ، ولا أنقله من بلد إلى بلد حتى
 أسدَّ نتر ذلك البلد وخصاصة أهله ، فإن فضل فضل نقلته إلى البلد الذي يليه .
 ولا أبحركم في بعوثكم فأفتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغلق بابي دونكم فياكل قوئكم^(٢)
 ضعيفكم ، ولا أحل على أهل جزيتكم ما أجلبهم به عن بلادهم وأقطع به نسلهم .
 ولكم على إدرار العطاء في كل سنة والرزق في كل شهر ، حتى يستوى بكم الحال فيكون^{١٥}
 أفضلكم كأدناكم . فإن أنا وقيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة
 والمكافئة ، وإن لم أف لكم [فلكم] أن تخلعوني * إلا أن تستيبوني ، فإن أنا تبت^(٣)
^(٤) ^(٥)

(١) كرى النهر : حفره . (٢) تجمير المساكر : حبسهم في بلاد العدر أو الثغور . دون أن يرجعوا
 إلى أهلهم . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : « ولا أبحركم في نفوركهم » . (٣) المكافئة :
 المعاونة . (٤) التكلة : مقولة من البيان والتبيين . (٥) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠)
 وفي الأصل تستيبوني ، إن تبت ...

قبلتم مني ، وإن عرفتم أحدا [يقوم مقامى ممن] ^(١) يعرف بالصَّلاح يُعطيكم من نفسه مثل الذى أعطيتكم فأردتم أن تُبايعوه ، فأنا أولُ من بايعه ودخل في طاعته .

أيها الناس ، إنه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

- فلما بُويع مروانُ نبَّشه وصلَّبه . وكانوا يقرعون في الكتب : يا مبدَّر الكنوز ويا سجاداً بالأشجار، كانت ولايتك لهم رحمةً وعليهم حجة ، أخذوك فصلبوك .

خطبة أبي حمزة الخارجي^(٢)

- خطب أبو حمزة الخارجي بمكة فذكر رسول الله صلى الله عليه [وسلم] ، ثم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بما هم أهله ، ثم قال : وولى عثمانُ فسارست سنين بسيرة صاحبيه وكان دونهما ، ثم سار في الست الأواخر بما أحبط [به] الأوائل ، ثم مضى لسبيله .
- ١٠ وولى على فلم يبلغ من الحق قصداً ولم يرفع [له] منارا ، ثم مضى لسبيله . ثم ولى معاوية لعين رسول الله وابنُ عينه ، اتخذ عباد الله خوفاً . وهال الله دولا ، ودينه دغلا ، ثم مضى لسبيله ، فالعنوه لعنه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية ، يزيد الخمرور ، ويزيد القُرود ، ويزيد الفهود ، الفاسق فى بطنه والمأبون فى فوجه . ثم اقتصم خليفة خليفة . فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرض عن ذكره . ثم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال :
- ١٥ يأكل الحرام ، ويابس الحلة بالف دينار . قد ضربت فيها الأبتار ، وهتكت الأستار ، حباية عن يمينه وسلامه عن يساره تغنيانه . حتى إذا أخذ الشرابُ فيه كل ما أخذ قد نوبه ثم التفت الى إحداهما فقال : ألا طير! نعم ! طر الى النار . ثم ذكر أصحابه

(١) الزيادة منقولة من البيان والتبيين . (٢) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين

(٣) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين . (ح ٢ ص ٦١) .

فقال : شبابٌ والله مكتملون في شبابهم ، غَضِيضَةٌ عن الشر أعينهم ، ثَقِيلَةٌ عن الباطل أرجأهم ، أنضاءُ عبادة ، وأطلاحٌ سهرٌ ، ينظرُ الله اليهم في جوف الليل مُنْحَنِيةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، قد أكلت الأرض رُكَبهم وأيديهم وجبَاههم ، واستقلُّوا ذلك في جنب الله ، حتى إذا رأوا السَّهام قد فُوقَتْ ، والرماح قد أُشْرَعَتْ ، والسيوف قد انْتُضِيَتْ ، وأرعدت الكتيبةُ بصواعق الموت ، مضى الشاب منهم قُدماً ، حتى اختلفت رجلاه على عُنُق فرسه ، وتخصَّبت محاسنُ وجهه بالدماء ، فأسرعت إليه سباعُ الأرض وانحطَّت إليه طيرُ السماء ، فكم من عينٍ في منقار طائرٍ طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ! وكم من كفٍّ زَالَيْتْ معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله ! ثم قال : أَوْه أَوْه وبكى ثم نزل .

خطبة لقطري الخارجي^(٤)

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً ، فَقَالَ : مُجَلُّوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يَدْعُونَ رَبَّنَا ، وَأَنْزَاوَا فَلَا يَدْعُونَ ضَيْفَانَا ، وَجَعَلُوا لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانَا ، وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانَا ، وَمِنَ الرَّفَاتِ جِيرَانَا ؛ فَهَمَّ جِيرَةً لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ صَمِيًا ، إِنْ

(١) أنضاء : جمع نصر ، وهو الخفيف اللحم من التعب . وأطلاح : جمع طلح (بكسر الطاء) وهو

المهزول . (٢) في الأصل « طارما » وهو تحريف . والتصويب من البيان والتبيين والعقد الفريد

(ج ٢ ص ١٩٧) . (٣) أَوْه : كلمة معناها التحزن . وفيها لغات وهي : آؤه (بالماء وسكون الهاء)

وأؤه بضم الهاء وأووه (بالماء وواوين) وأوه (بكسر الهاء) خفيفة وأوه (بفتح الهاء وسكون الواو فيها)

وآه (بالماء وكسر الهاء) . (انظر اللسان مادة أوه) . (٤) وردت هذه الخطبة كاملة في البيان والتبيين

(ج ٢ ص ٦٣) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) في البيان والتبيين والعقد الفريد

« وجعل لهم ... أجنان » ولعل روايتهما أكثر استقامة . (٦) أجنان : جمع جنين ، والجنين

(بالتحريك) : القبر .

أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وَأَخْطَوْا لَمْ يَقْنَطُوا؛ جَمِيعٌ أَوْحَادٌ، وَجِبْرَةٌ أَبْعَادٌ، لَا يُزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ . فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ، وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ .

وفي خطبة ليوسف بن عمر :

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ! فَمَنْ مِنْ مُؤْمِلٍ أَمَلًا لَا يَبْلُغُهُ ، وَجَامِعٍ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ ، وَمَانِعٍ مَاسُوفٍ يَتْرُكُهُ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، وَمَنْ حَقَّ مَنَعَهُ ، أَصَابَهُ حَرَامًا وَوَرَّثَهُ عَدُوًّا ، إِحْتَمَلَ إِصْرَهُ وَبَاءَ بِوِزْرِهِ ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ آسَفًا لَاهِقًا ، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

وفي خطبة للحجاج :

قال مالك بن دينار: سمعته على المنبر يقول: ^(٢) امرأ زور عمله امرأ حاسب نفسه، امرأ فكر فيما يقرؤه في صحيفته ويراه في ميزانه، امرأ كان عند هواه زاجرا، وعند ^(٣) همته آمرا، أخذ بعنان قلبه كما يأخذ بخيطام جماله، فإن قاده الى طاعة الله تبعه، وإن قاده الى معصية الله كفه .

خطبة للمنصور

خطب المنصور بمكة فقال: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسليده وتأييده وتبصيره، وخازنه على فيئه أعمل فيه بمشيئته، ^(٥) وأقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه . قد جعلني عليه قفلا إذا شاء أن يفتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم فتحني، وإذا شاء أن يقفلني عليها أقفلني . فارغبوا الى الله وأسألوه

(١) الإصر : الثقل . (٢) في العقد « أمرؤ... » بالرفع . وزور عمله : حسنه .
(٣) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٦) وفي الأصل « عند قلبه... » . (٤) كذا في العقد الفريد
وفي الأصل : « بعنان عمله... » . (٥) كذا في العقد الفريد، وفي الأصل : « بشيته... » .

في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه ، اذ يقول :
 (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أن يوفقني
 للصواب والرشاد ، ويُلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، ويفتحني لإعطائكم وقسم
 أرزاقكم بالعدل عليكم .

خطبة لداود بن علي

خطب فقال : أحرز لسان رأسه ، اتعظ أمرؤ بغيره ، اعتبر عاقل قبل أن يعتبر
 به ، فامسك الفضل من قوله وقدم الفضل من عمله . ثم أخذ بقائم سيفه فقال :
 إن بكم داء هذا دوائؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع .

خطبة لداود بن علي أيضا

لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر قام بوجه كورقة المصحف فاستحيا
 فلم يتكلم ، فنهض داود بن علي حتى صعد المنبر ، فقال المنصور : فقلت في شيخنا
 وكبيرنا ويدعو إلى نفسه فلا يختلف عليه آثنان ، فانتضيت سيفي وغطيت ثوبي
 وقلت : إن فعل ناجزته ، فلما رقي عتبا استقبل الناس بوجهه دون أبي العباس ، ثم
 قال : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله ، ولا أثرُ الفِعالِ عليكم
 أجدي من تشقيق المقال ، وحسبكم بكتاب الله مُستلّا فيكم ، وابن عم رسول الله
 خليفة عليكم . والله قسما برا لا أريد إلا الله به ما تام هذا المقام أحد بعد رسول
 الله أحق به من علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا ، فليظنننا أنكم وليهمس
 هامسكم . قال أبو جعفر : ثم نزل وشمت سيفي .

(١) تشقيق الكلام ، إنراحه أحسن مخرج . (٢) شام سيفه : أغمده ، ويستعمل بمعنى

خطبة لأعرابي^(١)

أما بعد، فإن الدنيا دارُ بلاءٍ والآخرة دارُ بقاءٍ، فخذوا أيها الناس لمقرِّكم من ممترِّكم، ولا تتهنكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، ففي الدنيا أحييتم ولغيرها خلقتكم. أقول قولي هذا، والمستغفرُ الله، والمدعوُّ له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفر بن سليمان .

خطبة المأمون يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه، ومستوجبه على خلقه، أحمدُه وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده، والتنجُّز لوعده، والخوف لوعيده؛ فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه، وعمل له وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم، وأبتاعوا ما سبق بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جدَّ بكم، واستعدوا للوت فقد أظلمكم، وكونوا قوماً صيخ بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا؛ فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى؛ وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموتُ أن ينزل به . وإن غاية تنقضا اللحظة وتهديمها الساعة الواحدة بلديرة بقصر المدة^(٢)، وإن غائباً يحذوه الحديدان الليل والنهار حريئاً بمرعة الأوبة، وإن قادماً يحلُّ بالفوز أو بالشقوة مستحق لأفضل العدة، فاتق عبد ربِّه، ونصح نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكلُّ به : يُزين له المعصية ليركبها . ويمنيه التوبة ليسوفها، حتى تهجم

(١) وردت هذه الخطبة في الأمانى لأبي عليّ القنلى (ج ١ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية)

(٢) هذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) وفي الأصل: «جددي» .

عليه منيته أغفل ما يكون عنها . فيا لها حسرة على ذى غفلة : أن يكون عمره عليه
 حجة ، أو تؤدبه أيامه إلى شقوة ! نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة ،
 ولا تقصر به عن طاعته غفلة ، ولا تحل به بعد الموت فزعة^(١) ، إنه سميع الدعاء ، وبيده
 الخير ، وإنه فعّال لما يريد .

٥ وفي خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأول :

إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشریفه ، وعظم حرمة ، ووفق
 له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليله ، وقدى فيه من الذبح نبيه ، وجعله خاتم
 الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدم الأيام المعدودات من النحر ، يوم حرام من أيام
 عظام في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن
 بتعظيمه ، قال الله جل وعز : (وأذن في الناس بالحج الآيات) فتقربوا إلى الله
 في هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله واجعلوها من طيب أموالكم وبصحة
 التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : (لَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَنْأَلُهُ
 التَّقْوَى مِنْكُمْ) ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد
 ذكر الجنة والنار : عَظَّمَ قَدْرَ الدَّارَيْنِ وَارْتَفَعَ جِزَاءُ الْعَمَلِينَ وَطَالَتْ مَدَّةُ الْفَرِيقَيْنِ
 اللَّهُ آله ! فوالله إنه الجِدُّ لا اللَّعِبُ ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت
 والبعث والميزان والحساب والقصاص والضراط ثم العقاب والثواب ، فمن نجا
 يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب . الخير كله في الجنة ، والشركه
 في النار .

(١) كذا بالعقد الفريد ، وفي الأصل « سرعة » .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) والمراد بالعملين عمل الخير وعمل الشر . وفي الأصل :

« العالمين » .

وفي خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول :

- إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ وَسُنَّةٌ وَابْتِهَالٌ وَرَغْبَةٌ . يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَافْتَتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، بِفِعْلِهِ خَاتَمَةَ الشَّهْرِ وَأَوَّلَ أَيَّامِ شَهْرِ الْحَجِّ ، وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ وَمُتَنَفِّلًا قِيَامَكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ؛ فَاطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ وَاسْتَغْفِرُوهُ لِتَفْرِيطِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ . ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَذِكْرُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى .
- ثُمَّ قَالَ : فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِي اعْتَدَلَ فِيهِ يَقِينُكُمْ ، وَلَمْ يَحْتَضِرِ الشُّكُّ^(١) فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْطَرُ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونَهُ وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ . وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَعَلْزِهِ وَكُرْبِهِ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ . فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَالَتْهُ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَدَّلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ . فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا إِذْ مَنَعَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهْلَ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ .
- وَاحْدَرُوا مَا حَدَّرَكُمْ اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لِيُوضَعَ مَوَازِينُكُمْ ، وَتُنشَرُ صُحُفُكُمْ الْحَافِظَةُ لِأَعْمَالِكُمْ . فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُمِيلُ فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ وَوَلَهُ ؛ فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمَفْرُطُونَ عِنْدَهَا إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الْآيَةُ . وَقَالَ : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . وَلَسْتُ أَنهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مِمَّا نَهَيْتُمْ
٢. (١) احتضر : مثل حسر . (٢) العلز بالتحريك : ما يصيب المريض عند حشيرة الموت من رعدة واضطراب . (٣) في العقد الفريد : «الأجل» . (٤) يُمِيلُ : يُبْلَى .

الدنيا عن نفسها ، فإنه كل ما لها ينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو الى غيرها . وأعظم مما رآته أعينكم من عجائبها ذمُّ كتاب الله لها ونهى الله عنها ، فإنه يقول : (فَلَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وقال : (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوَةٌ) الآية . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلموا أن قوما من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها ، وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدركوا الجنة بما تركوا منها .

كلام من أرتج عليه

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا عيسى بن عمر قال : خطب أمير مرة فانقطع نخيل ، فبعث الى قوم من القبائل عابوا ذلك وأفهم^(١) ، وفيهم يربوعي جلد ، فقال : اخطبوا ، فقام واحد ثم في الخطبة ، حتى اذا بلغ "أما بعد" قال : أما بعد أما بعد ، ولم يدري ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أريد أن أجمع اليوم فمنعتني ، وخطب آخر ، فلما بلغ "أما بعد" بقى ونظر فإذا إنسان ينظر اليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه وتلمحني ببصرك أيضاً ! . قال وقال أحدهم^(٢) : رأيت القراقير من السمن تجرى بيني وبين الناس . قال : وصعد اليربوعي فخطب فقال : أما بعد فوالله ما أدري ما أقول ولا فيم أقتمونى ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ؛ فقال : الزيت مبارك ، فكلوا منه وآدتهوا . قال : فهو قول الشطار اليوم اذا قيل : لم فعلت ذا ، فقل في شأن الزيت وفي حال الزيت .

ولما أتى يزيد بن أبي سفيان الشام والياً لابي بكررضي الله عنه ، خطب فأرتج عليه ، فعاد الى الحمد لله فأرتج عليه ، فعاد الى الحمد لله ثم أرتج عليه ، فقال : يا أهل

٢٠ (١) لفهم : جمعهم . (٢) في الأصل : «أحدهما» . (٣) القراقير : السمن العظيمة ، واحدها قرقور . (٤) الشطار : جمع تاطر ، وهو من أعيان أهله خبثا ، والمراد بالشطار هنا : أهل الدعارة والفتك وأصحاب النوادر والتكيت والمضحكات .

(١) الشأم عسى الله أن يجعل من بعد عُسْرٍ يُسْرًا، ومن بعد عَيٍّْ بَيَانًا، وأتم إلى إمام عادل أخرج منكم إلى إمام قائل . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعد ثابت قُطْنَةَ منبراً بسجستان فحمد الله ثم أرتج عليه ، فنزل وهو يقول :
فإلا أكن فيكم خطيباً فإني : بسيفي إذا جد الوغى نخطيبُ

فقيل له : لو قلتها على المنبر كنت أخطب الناس .

وأرتج على عبد الله بن عامر بالبصرة يوم أضحى ، فمكث ساعة ثم قال : والله لا أجمع عليكم عيًّا ولو ما ، من أخذ شاة من السوق فهي له وثمنها علي .

وأرتج على خالد بن عبد الله القسري فقال : إن هذا الكلام يميء أحياناً ويعزب أحياناً ، وربما طلب فآبي ، وكو بر فعسا ، فالتأني لحيه ، أيسر من التعاطي لأبيه ؛ وقد يختلط من الجريء جأنه ، وينقطع من الذرب لسانه ، فلا يبطره ذلك ولا يكسره ؛ وسأعود إن شاء الله .

وأرتج على معن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال : «فتى حروب لا فتى منابر» .

وكان عبد ربه اليشكري عاملاً لعيسى بن موسى على المدائن ، فصعد المنبر فحمد الله وأرتج عليه فسكت ، ثم قال : والله إني لأكون في بيتي فتجىء على لساني ألف كلمة ، فإذا قمت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمحاها من صدرى ، ولقد كنت وما في الأيام يوم أحب إلى من يوم الجمعة ، فصرت وما في الأيام يوم أبغض إلى من يوم الجمعة ، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه .

(١) في المصادر التي بين أيدينا : « إلى أمير فاعل ... » . (٢) قطنة لقب ثابت هذا لقب به لأن عينه أصيبت بسمرقند ، فكان يحشوها بالقطن . وصحت إضافة ثابت إلى قطنة لأن الأسماء تصح إضافتها إلى ألقابها . (٣) صا : اشتد وصعب .

صَعِدَ رَوْحُ بِنِ حَاتِمِ الْمَنْبَرِ، فَلَمَّا رَأَى جَمْعَ النَّاسِ حَاصِرًا، فَقَالَ: نَكَّسُوا رُءُوسَكُمْ
وَوَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَرَكِبٍ صَعَبٌ. وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَ قُفْلَ تَيْسَرَ.

وَدُعِيَ رَجُلٌ لِيُخَطِّبَ فِي نِكَاحِ فُخَيْصَرَ، فَقَالَ: لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ؛ فَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ حَضْرَتْ: أَلْهَذَا دَعْوَانَا! أَمَا تَاكَ اللَّهُ!

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ: نِعِمَّ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْبَرِيدِ وَالتَّشْرِيفُ لِلْخَطِّيبِ،
قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ: تَحْجَلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ؛ فَقَالَ: كَيْفَ لَا يُعْجَلُ عَلَيَّ وَأَنَا أُعْرِضُ
عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ.

وَوُفِيَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يُعْرَفُ بِالذَّنْدَانِ بِحَرِّ الْإِيمَانَةِ. فَلَمَّا صَعِدَ الْمَنْبَرُ أُرْتِجَ عَلَيْهِ،
فَقَالَ: حَيَّا اللَّهُ هَذِهِ الرَّجُوعَةَ وَجَعَلَنِي فِدَاءَهَا، إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ طَائِفَتِي بِاللَّيْلِ الْأَيُّرِي
أَحَدًا إِلَّا أَنَا نِي بِهِ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ. ثُمَّ نَزَلَ.

المنابر

قال بعض المفسرين في قول الله جلَّ وعزَّ ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ إِنَّهُ الْمَنْبَرُ، وَقَالَ:
الشاعر:

لَنَا الْمَسَاجِدُ نَبْنِيهَا وَنَعْمَرُهَا * وَفِي الْمَنَابِرِ قَعْدَاتٌ لَنَا ذُكُلُ

فَلَا تَقِيلُ عَلَيْهَا حِينَ نَرَكِبُهَا * وَلَا لَهْنٌ لَنَا مِنْ مَعْشِرٍ بَدَلُ

وقال الكميُّ يذكر بني أمية:

يُصِيبُ عَلَى الْأَعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهِ * لَمَّا قَالَ فِيهَا، مُخْطِئٌ حِينَ يَنْزِلُ

يُسَبِّحُهَا الْأَشْبَاهَ وَهِيَ نَصِيْبُهُ * لَهُ مَشْرَبٌ مِنْهَا حَرَامٌ وَمَا كَلُّ

(١) كذا في الأصل والعقد الفريد، وقواعد اللغة تقتضي أن يكون: «ولو كنت أنا إياه».

(٢) نصير للدنيا.

وقال بعض المحدثين

فما منبرٌ دَنَسَتْه بَأْسِيْتُ «أفكلي» * بِزَاكِ لَوِ طَهَّرْتَهُ بِابْنِ «طاهير»
ومر الأقيشر بمطر بن نأجية اليربوعي حين غلب على الكوفة في أيام الضحاك
ابن قيس الشاري ومطرٌ يخطبُ ، فقال :

أخي تميم ما لمنبرٌ مَأْكَمٌ * لا يستمِرُ قَسْوَدُهُ يَتَمَرُّ (١)
إن المنابرَ أنكرتُ أشباهكم (٢) * فادعوا نُزَيْمَةَ يَسْتَقِرُّ المنبرُ
خلعوا أميرَ المؤمنين وبايعوا * مطراً لعمرُك بيعةً لا تظهرُ
وأستخلفوا مطراً فكان كقائل * بدلٌ لعمرُك من أمية أعورُ

خطب قتيبة بن مسلم على منبر نخراسان فسقط القضيب من يده ، فتفاعل له
عدوه بالشر وأغتم صديقه ، فعرف ذلك قتيبة فقال : ليس الأمرُ على ما ظنَّ العدو
وخاف الصديق ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافرُ

وقال وائلة بن خايبة السدوسي يهجو عبد الملك بن المهلب :

لقد صبرت للثُلِّ أعواد منبرٍ * تقوم عليها في يدك قضيبُ
بكي المنبرُ الغربي إذ قمت فوقه . وكادت مسامير الحديد تدوبُ

تم كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله،
ويتلوه في الكتاب السادس كتاب الزهد .

والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

(١) يتمرر : يجررك .

(٢) في الشعر والشعراء ، للؤلؤ (ص ٣٥٣) « أنكرت أسباهكم » .

صورة ما كتبه الناسخ بخطه في آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسة .

قال بعضهم : بُني الإسلام على خمسة : التواضع عند الدولة ، والوفو عند
القدرة ، والسخاء مع القلة ، والعطية من غير منة ، والنصيحة للعامة .

وقال بعض الشعراء في الصبر :

وإذا ابتليت بمحنة فالبس لها * ثوب السكوت فإن ذلك أسلم
لا تشكوت إلى العباد فإنما * تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

ويروى للشافعي رضي الله عنه :

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا * وما لزماننا عيبٌ سوانا
وقد نهجوا الزمانَ بغير جُرم * ولو نطق الزمانُ بنا هجانا
فدُنْيانا التصنعُ والترائي * ونحن به نُخادع من يرانا
وليس الذئبُ يأكل لحم ذئب * ويأكلُ بعضنا بعضًا عيانا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب النهد

[ما] أوحى الله جلّ وعزّ الى أنبيائه عليهم السلام

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا خلف بن تميم عن أبي عصمة الشامي عن ابن
اخت وهب بن منبه عن وهب قال : أوحى الله الى نبيّ من أنبياء بني إسرائيل
يقال له "أرمياء" حين ظهرت فيهم المعاصي : أن قم بين ظهرائي قومك فأخبرهم
أنّ لهم قلوبا ولا يفقهون ، وأعيننا ولا يبصرون ، وآذاننا ولا يسمعون ، وأنّي تذكرتُ
صلاح آبائهم ، فعطفني ذلك على أبنائهم ، سلهم كيف وجدوا غيب طاعتي ، وهل
سعد أحدٌ ممن عصاني بمعصيتي ، وهل شقي أحدٌ ممن أطاعني بطاعتي ! إن الدوابّ
تذكر أوطانها فتزحف إليها . وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه
آباءهم ، واتمسوا الكرامة من غير وجهها . أما أحبارهم فأنكروا حقّي ، وأما قزّؤهم

(١) لم نعتز على هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا . وإنما الموجود بها عصمة بن راشد
الأملاوي (بضم الهمزة واللام وسكون الميم بينهما) شامي مجهول يروي عن بعض التابعين كحبيب ابن عبيد ،
ويوجد بها أيضا أبو عصمة وهو نوح بن مريم الجامع أحد رواة المغازي ومن يذكر بوضع الحديث ، ولكنه
مرزقي وليس بشامي (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر السقلاقي في اسم عصمة واسم نوح بن أبي مريم) .

فعبدوا غيري ؛ وأما نساكهم فلم ينتفعوا بما علموا من حكمتي ؛ وأما ولاتهم فكذبوا
على وكذبوا رسلي ، خزنوا المكر في قلوبهم ، وعوذوا الكذب المستقيم ؛ وإني
أقسم بجلالي وعزتي لأهيجن عليهم جنودا لا يفقهون أسمتهم ، ولا يعرفون
وجوههم ، ولا يرحون بكاءهم ؛ ولأبتعنن فيهم مليكا جبارا قاسيا ، له عساكر
كقطع السحاب ، ومواكب كأمثال العجاج ، كان خفقان راياته طيران النور ،
وكان حمل فرسانه كالعقبان ، يعيدون العمران خرابا ، ويتركون القرى وحشة .
فيا ويل إيلياء وسكاتها ! كيف أذلهم للقتل ، وأسلط عليهم السباء ، وأعيد بعد لحب
الأعراس صراخ الهام ، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب ، وبعد شرفات القصور
مساكن السباع ، وبعد ضوء السرج رجع العجاج . ولأبدنن رجالهم بتلاوة الكتاب
آتھار الأرباب ، وبالعزيز الذل ، وبالنعمة العبودية . ولأبدنن نساءهم بالطيب
التراب ، وبالمشي على الزرابي الخيب ؛ ولأجعلن أجسادهم زبلا للأرض ،
وعظامهم ضاحية للشمس . وفي رواية أخرى : ولأدوسنهم بالوان العذاب ،
حتى اوكان الكائن خائما في يميني اوصلت الحرب اليه ؛ ثم لأمرن السماء
فلتكونن طبقا من حديد ، والأرض فلتكونن سبيكة من نحاس ، فإن أمطرت
السماء وأنبتت الأرض شيئا في خلال ذلك فبرحتي للبهائم ، ثم أحيسه في زمن الزرع
وأرسله في زمن الحصاد ، فإن زرعوا خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة . فإن
خلص منه شيء نزلت منه البركة . فإن دعوتني لم أجمعهم ، وإن سألو لم أعطيهم .
وإن بكوا لم أرحمهم ، وإن تضرعوا صرفت وجهي عنهم .

(١) إيلياء : مدينة بيت المقدس - (٢) الزرابي : السطح والخشب (وزان عيب) :

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب : أن الله عز وجل أوحى
إلى موسى بن ماسي^(١) بن يوسف أن قل لقومك : إني برىء ممن سحر أو سحر له ،
أو تكهن أو تكهن له ، أو تطير أو تطير له ، من آمن بي صادقاً فليتوكل على صادقاً ،
فكفى بي مثيباً ، ومن عدل عني ووثق بغيري فإني خير شريك أرد عليه ما توسل به
إلى ، وأكله إلى من توكل عليه ، ومن وكأته إلى غيري فلا يستعد للفتنة والبلاء .

وحدثني بهذا الإسناد قال : أوحى الله إلى داود عليه السلام في الزبور : يا عبدى
الشكور! إني قد وهبت لك الزبور، وأتبعته بنصح منى من أعين السطور، ومن
الوحي المحفوظ المحجوب من وراء الستور، فاعبدنى به في الأيام والاليل والشهور؛
وأحببني من كل قلبك، وحببني إلى خلقى، وأبغض من عبادى كل منافق جهول .
قال : يا رب ، كيف أحببتك إلى خلقك؟ قال : تذكركم آلائي .

وبهذا الإسناد قال : أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة ، وكانت
صفحة أمثالا وعبراً وتسبيحا وتهليلاً ، فكان فيها : أيها الملك المسلط المغرور
المبتلى . إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولتبنى المدائن والحصون ،
ولكن بعثت لنرد عن دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر .

وبهذا الإسناد أن الله تعالى قال لتعيا : قم في قومك أوج على أسانك ، فلما
قام شعياً أنطق الله لسانه بالوحي ، فقال : يا أسماء استمعي . يا أرض أنصتي ، فأنصت
الأرض واستمعت السماء ، فقال : إن الله يقول لكم : إني استقبلت بني إسرائيل

(١) في الأصل : « ماسي » وهو تحريف والتصويب عن التوراة (سفر التكوين ٥١ : ٥١)

طبع بيروت . (٢) كذا في قصص الأنبياء ، لأن إسحاق الثعلبي صبح المطبعة النبوية سنة ١٣٠١ هـ

وفي الأصول « بدل بي » . (٣) كذا في الأصول ، وفي قصص الأنبياء « فأنا أعني الشركاء

عن الشركة » . كذا في من وثق به دوني . ومن وكلته ... الخ » .

بالكرامة وهم كالغنم الضائعة لا راعى لها ، فأويت شاذتها ، وجمعت ضالتها ، وجبرت
 كسيرها ، وداويت مريضها ، وأسمنت مهزولها ؛ فبطرت فتناطحت ، فقتل بعضها
 بعضها حتى لم يبق منها عظم صحيح يُجبر اليه آخر كسير . إن الحمار مما يتذكر آريه^(١) الذى
 شبع عليه فيراجعه ، وإن الثور مما يتذكر مرجه الذى بين فيه فينتابه ، وإن البعير
 مما يتذكر وطنه الذى يُتج فيه فيزج إليه ، وإن هؤلاء القوم لا يذكرون أنى جاءهم
 خير وهم أهل الألباب وأهل العقول . ليسوا بإبل ولا بقير ولا حمير . وإنى ضارب
 لهم مثلا فاسمعوه : قل لهم : كيف ترون فى أرض كانت زماناً من زمانها حرباً
 مواتاً لا تحث فيها ، وكان لها رب قوئى حليم ، فأقبل عليها بالعبارة وكره أن تخرب
 أرضه وهو قوئى وأن يقال له ضيع وهو عليم ، فأحاط عليها سياجاً وشيّد فيها قصراً
 وأنبت فيها نورا وصنّف فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب وألوان
 الثمار ، وولى ذلك ذارياً وهمية حفيظاً قوياً أميناً ، فلما جاء إبان إثمارها أثمرت
 خروباً ، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه ؟ قالوا : كنا نقول : بثست الأرض
 أرضك ، ونشير عليه أن يقلع سياجها ، ويهدم قصرها ، ويدفن نهرها ، ويحرق
 غرسها حتى تعود حرباً مواتاً لا عمران فيها ؛ قال الله تعالى : قل لهم ، إن السياج
 ذمتى ، وإن القصر شريعتي ، وإن النهر كتابي . وإن القيم نبي ، وإن الغرس مثل
 لهم ، والخروب أعمالهم الحبيثة ؛ وإنى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم ،
 يتقربون إلى بذيح الغنم والبقر وليس ينالني اللحم ولا آكله . ويدعون أن يتقربوا إلى
 بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التى حرمتها ويُشيّدون لى البيوت ويزوقون لى
 المساجد ؛ وأى حاجة بي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها ، وإلى تزويق المساجد
 ولست أدخلها ؛ إنما أمرت برفعها لأذكرك فيها وأسبغ ، وينجسون أنفسهم وعقولهم

(١) الآرى : محبس الدواب وجبل تشد به فى محبسها .

- وقلوبهم ويخربونها، يقولون: لو كان يقدرُ على أن يجمعَ ألفتنا جمعها، ولو كان يقدر على أن يفقه قلبنا لفقهها . فاعتمد الى عودين يابسين فاكتب فيهما كتابا ثم ائت ناديتهم اجمع ما يكونون، فقل للعودين : إن الله يأمركما أن تعودا عودا واحدا، فقال لهما ذلك ، فاختلطا فصارا عودا واحدا ، وصار الكتاب في طرفي العود كتابا واحدا : يامعشر القبائل ، إن الله يقول لكم : إني قدرت على أن أفقه العيدان اليابسة وعلى أن أوأف بينهما ، فكيف لا أقدرُ على أن أجمع ألفتكم إن شئت ! أم كيف لا أقدر على أن أوأف قلوبكم ! يقولون : صمنا فلم يرفع صيامنا وصاينا فلم تتور صلاتنا وزكينا فلم تزك زكأتنا ، ودعونا بمثل حنين الحمام ، وبكينا بمثل عواء الذئب ، في كل ذلك لا يُسمع منا ولا يُستجاب لنا ، قال الله تبارك وتعالى : سلهم لم ذلك وما الذي منعى أن أجيبهم ؟ ألسنتُ أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين ! ألا إن خزائني فينت ! كيف ويدها مهسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء ! أم لأن ذات يدي قلت ! كيف ومفاتيح الخير بيدي لا يفتحها ولا يغلقها غيري ! أم لأن رحمتي ضاقت ! كيف ورحمتي وسعت كل شيء ، وإنما يتراحم بفضلها المتراحمون ! أم لأن البخل يعتري ! كيف وأنا النفاح بالخيرات أجود من أعطى وأكرم من سئل ! ولكن كيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقون عليه بطعمة الحرام ! كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحادني ويتهك محارمي ! أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قول بالستهم والعمل من ذلك بعيد ! أم كيف تزكو صدقاتهم وهي من أموال غيرهم ! إنما أجرى عليها المنصوبين ، وإن من علامة رضاي رضا المساكين .

٢٠ (١) كذا في قصص الأنبياء ، وفي الأصل «قلوبهم» وهو تحريف . (٢) في قصص الأنبياء .

(ص ٢٥٣) : «لم تتور قلوبنا...»

قال وهب : وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام : لا تُعجبك زينة ولا ما مُتَّعَ به ، ولا تُتَمِّدْ إلى ذلك أعينك فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ، ولو شئت أن أُزِينَك بزينة يعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عما أوتيتما فعالت ، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما ؛ وكذلك أفعل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيعُ غنمه عن مراتع الهلكة ، وإني لأحميهم عيشها وسلوتها^(١) كما يُجَنِّبُ الراعي الشفيعُ إبله مبارك العر ، وما ذاك لهوأنهم على ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موقرا لم يكلمه الطمع ولم يُطبعه الهوى . واعلم أنه لن يترينُ العبادُ بزينةً أبلغَ فيما عندي من الزهد في الدنيا ، إنما هي زينة الأبرار عندي ، وأنتي ما تترين به العبادُ في عيني عليهم منها ، لباسٌ يُعرفون به من السكينة والخشوع ، سِيَاهِمُ النحول والسجود ، أولئك أوليائي حقا . فاذا لقيتهم فأخفِضْ لهم جناحك ، وذلل لهم قلبك ولسانك .

واعلم أنه من أهان لي وائيا أو أخافه ، فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرضني لنفسه ودعاني إليها ، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، أفيظن الذي يجارني فيهم أنه يقوم لي ! أم يظن الذي يعاديني فيهم أنه يعجزني ! أم يظن الذي يبادرني اليهم أنه يسبقني أو يفوتني ! كيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة ، لا أكُلُ نصرتهم إلى غيري !

وفي التوراة : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بطور سيناء : يا موسى ابن عمران صاحب جبل لبنان . أنت عبدى وأنا إلهك الديان ؛ لا تستدل

(١) السلوة : رخاء العيش . (٢) المر : جمع عر وهو الجمل الأجرى .

(٣) في الأصل : « لما يكلمه الطمع » . (٤) يضمه : ينجسه .

الفقير، ولا تغيظ الغني بشيء يسير؛ وكن عند ذكرى خاشعا، وعند تلاوة وحي طائعا؛ أسمعني لذاذة التوراة بصوت حزين .

- وفيما أوحى الله الى عيسى عليه السلام : أنزيتني من نفسك كهملك ، واجعلني
ذخرك في معادك ، وتقرب إلى النوافل أدنك ، وتوكل على أكفك ، ولا تول
غيري فأخذلك ؛ اصبر على البلاء، وارض بالقضاء ، وكن كسرتي فيك ، فإن
مسرتي أن أطاع ، وأحي ذكرى بلسنتك . وليكن ودي في قلبك ؛ تيقظ لي
في ساعات الغفلة ، وكن راهبا لي وراغبا الي . أمت قلبك بالخشية ؛ راع الليل
لتحري مسرتي ، واطمأ لي نهارك لليوم الذي عندي ؛ نأفس في الخيرات جهدك
قم في الخليقة بعدني ، واحكم فيهم بنصيحتي ، فقد أنزلت عليك شفاء وساوس
ما في الصدور من مرض الشيطان ، وجلاء الأبصار من غشاء الكلال ؛ ولا تكن
جلسا كأنك مقبور^(١) وأنت حي^(٢) لتنفس . اكحل عينيك بمهل^(٣) الحزن اذا صحك
البطالون . ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من قد ودع الأهل وقلي الدنيا ، وترك
الذات لأهلها ، وارتفعت رغبته فيما عند إلهه . طوبى لك إن نالك ما وعدت
الصابرين ! ترج من الدنيا يوما بيوما . وارض بالبلغة ، وليكفك منها الخشن .
تذوق مذاقة ما قد خلا أين طعمه ! وما له يأت أين لذته ! لو رأيت عينك ما أعددت^(٤)
لأولياي لذاب قلبك وزهقت نفسك شوقا اليه .

وفيما قال للحواريين : بحق أقول لكم : إن شجر الأرض بمطر السماء تعيش
وتركو ، وكذلك القلوب بنور الحكمة تبصر وتهتدي ؛ بحق أقول لكم : إنه من ليس
عليه دين أرواح وأقل هما من عليه دين وإن حسن قضاؤه . وكذلك من لم يعمل

٢٠ (١) المجلس : الذي يزوم بيته فلا يبرحه . (٢) المهلول : المرود . (٣) في الأصل

الخطيئة أرواح وأقل هماً من عمل بها وإن حسنت توبته . إن الدابة تزداد على
 كثرة الرياضة خيراً ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة . إن الجسد
 إذا صلح كفاه القليل من الطعام ، وإن القلب ادا صحَّ كفاه القليل من الحكمة .
 كم من سراجٍ قد أطفأته الريح ، وكم من عبءٍ قد أفسده العُجب . يا بني إسرائيل ،
 استمعوا قولي ، فإن مثل من يستمع قولي ثم يعمل به مثل رجلٍ حكيمٍ أسس
 بنيانه على الصفا ، فمطرت السماء وسالت الأودية وضربت الرياح فثبت بنيانه^(١)
 ولم ينجر ، ومثل الذي يستمع قولي ثم لا يعمل به مثل رجلٍ سفیهٍ أسس بنيانه
 على الرمل ، فمطرت السماء وسالت الأودية وهاجت الريح فضربته فسقط بنيانه .
 يا بني إسرائيل ، ما ينبغي عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ! وما ينبغي
 عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به ! . بحق أقول لكم : إن قائل الحكمة وسامعها
 شريكان ، وأولاهما بها من حققها بعمله . بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجاً
 يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضاءتم بنوره ولم يمنعكم منه ثنُّ قطرانه ، فكذلك
 ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها عنده .

بلغني عن محمد بن فضيل عن عمران بن سليم قال : بلغني أن عيسى بن مريم
 قال لأصحابه : إن كنتم إخواني وأصحابي فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من
 الناس ؛ إنكم لا تدركون ما تطلبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تتألون ما تحبون
 إلا بالصبر على ما تكرهون . إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القاب الشهوة . طوبى
 لمن كان بصره في قلبه ولم يكن قلبه في بصره ! .

(١) الصفا : جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة .

قال : وبلغني أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جبة من صوف وكساء
وتبائن حافيا مجزوز الرأس والشاربين با كما شعثا مصفر اللون من الجوع يابس
الشفنتين من العطش . طويل شعر الصدر والذراعين والساقين ؛ فقال : السلام عليكم
يا بني إسرائيل ، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلها ، ولا عجب ولا نخر ، أتدرون أين بيتي ؟
قالوا : أين بيتك يا روح الله ؟ قال : بيتي المساجد ، وطيبى الماء ، وإدامى
الجوع ، ودابتي رحلى . وسراجي بالليل القمر ، وصلاحى^(٢) فى الشتاء مشارق الشمس ،
وطعامى ما تيسر ، وفاكهتى ورئحانى بقول الأرض ، ولباسى الصوف ، وشعارى
الخوف ، وجلسائى الزمنى والمساكين ، أصبح ولبس لى شىء ، وأمسى ولبس لى
شىء ، وأنا طيب النفس غنى مكثرا ، فمن أغنى وأربح منى ! .

وقرأت فى بعض الكتب : عبدى ! ما يزال ملك كريم قد صعد إلى منك
بعمل قبيح ، أتقرب إليك بالنعم ، وتمتقت إلى بالمعاصى ؛ خيرى إليك نازل ، وشرك
إلى صاعد .

وفى التوراة : لعلك يا إسرائيل إذا أنت خرجت من البرية فدخلت الأرض
المقدسة ، أرض بنى آباءك إبراهيم وإسحاق ، فإنها تفيض برا وشعيرا ولبنا وعسلا .
فورشت بيوتا بهاها غيرك وعصرت كروما غرسها غيرك ، فأكلت وشربت وتنعمت
بشحم لباب القمح ، ضربت بيدك الى صدرك ورحمت كما ترح الدابة برجليها ،
وقلت : بتسلى وبقوتى وبأسى ورئت هذه الأرض وغلبت أهلها ، ونسيت
نعمتى عليك ! فأقذف الرعب فى صدرك إذا أنت لقيت عدوك ، وإذا هبت الريح

(١) التبائن : سراويل صغيرة يكون نلاحين والمصارعين .

(٢) صلاح : الوقود ورائحة العظيمة . رى الأصل «صلاح» الماء .

فَنَقَعَ لَهَا وَرَقُ الشَّجَرِ انْهَزَمَتْ ، فَأَقْلَ رَجَالِكَ ، وَأَرْمَلُ نِسَاءِكَ ، وَأَيْتَمُ أَبْنَاءِكَ ،
وَأَجْعَلُ السَّمَاءَ عَلَيْكَ نُحَاسًا وَالْأَرْضَ حَدِيدًا ، فَلَا السَّمَاءُ تُمِطُّرُ وَلَا الْأَرْضُ تُنْبِتُ ،
وَأَقْلُ لَكَ الْبَرَكَةَ حَتَّى تَجْتَمِعَ نِسْوَةٌ عَشْرٌ يُخْتَبِرُنَّ فِي تَنْوِيرِ وَاحِدٍ .

بلغني عن عبد الرحمن المحاربي عن جعفر بن برقان قال : بلغني عن وهب بن

منبه قال : أجد في الكتاب أن قوما يتسدينون لغير العباداة ، ويختلون الدنيا بعمل
الآخرة ، يلبسون مسوك الضان على قلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل
وأنفُسهم أَمْر من الصبر ، أبي يغترون ! أم إياي يخادعون ! أقسمت لأبعثن عليهم
فتنة يعود الحليم فيها حيران .

وقرأت في الإنجيل : « لا تجعلوا كنوزكم في الأرض حيث يفسدها السوس
والدود وحيث ينقب السراق ، ولكن آجعلوا كنوزكم في السماء فإنه حيث تكون
كنوزكم تكون قلوبكم . إن العين هي سراج الجسد فإذا كانت عينك صحيحة فإن
جسدك كله مضيء ، وإنه لا يستطيع أحد أن يعمل لربين اثنين إلا أن يحب أحدهما
ويغض الآخر ، ويوقر أحدهما ويهين الآخر ، فكذلك لا تستطيعون أن تعملوا لله
وللسال . ولا يهتمكم ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون ، أليست النفس أفضل
من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس !! انظروا إلى طير السماء فإنهم لا يزرعون
ولا يحصدون ولا يجمعون في الأهراء ، وأبوكم الذي في السماء هو الذي يرزقهم ، أفليستم

(١) في الأصل : «ولا السماء» ، والسياق يقتضي العطف بالفاء لأنه مفرغ على ما قبله .

(٢) أي يظنون الدنيا بعمل الآخرة : ومثله ، جاء في الحديث . «من شرط الساعة أن تعطل السيوف

من الجهاد وأن تغفل الدنيا بالدين» أي تطلب الدنيا بعمل الآخرة ، من خنله إذا خدعه (أنظر اللسان

مادة خنل) . (٣) المسوك : جمع مسك (بالفتح) وهو الجلد . (٤) الأهراء : جمع

هرى (بالصم) وهو بيت كبير يجمع فيه الطعام .

- أفضل منهن!! وأيكم الذي اذا جهد قدر أن يزيد في طوله ذراعا واحدا! فلم تهتمون
 باللباس! اعتبروا بسوس البرية فإنه لا يعمل ولا يغزل، أنا أقول: إن سليمان بوقاره^(٢)
 لم يستطع أن يلبس كواحدة منهن؛ فإذا كان الله يابس حشَب الأرض الذي ينبت^(٣)
 اليوم ويُلقَى في النارِ غداً، أفلمستم يا قليلي الإيمان أفضل منه! ولا تهتموا فتقولوا: ماذا
 نأكل وماذا نشرب وماذا نلبس؛ فإنه إنما يهتم لذلك ابن الدنيا؛ وإن أباكم الذي
 في السماء يعلم أن ذلك ينبغي لكم؛ فابدءوا فالتمسوا ملكوت الله وصدقيته، فإنكم سوف^(٤)
 تكفون. ولا يهمنكم ما في غد. فإن غداً مكثف بهمه، وحسب اليوم شره. وكما
 تدينون تدانون، وبالمكيال الذي تكيلون يكال لكم. وكيف تبصر القذاة في عين
 أخيك ولا تبصر السارية في عينك! لا تعطوا الكلاب القدس. ولا تلقوا لؤلؤكم
 للخنازير. سلوا تعطوا، وابتغوا تجدوا، واستفتحوا يفتح لكم، وانظروا الذي تُحبون
 أن يأتي الناس اليكم فاتوا اليهم مثله. أدخلوا الباب الضيق، فإن الباب والطريق
 إلى الهلكة غير يرضان. والذين يسلكونهما كثير. وما أضيقت الباب والطريق اللذين
 يُبلغان إلى الحياة! والذين يسلكونهما قليل.»
- وقال له رجل: أتبعك حيث ذهبت؟ فقال له عيسى: للشعالب حجرة، واطير
 السماء مكان، وليس لأبن الإنسان مكان يُسند فيه رأسه.
- وقال له رجل من الخواريين: أتأذن لي أن أدفن أبي؟ فقال له: دع الميت
 يدفن موتاهم وأتبعني. وقال للخواريين: لا تتروّدوا شيئاً، فإن العائل محقوق أن
-
- (١) في الأصل: «إذا جهد فقدر» الفاء في جواب اذا، ولا معنى لذكر الفاء في هذا الموضع.
 (٢) الوقار: العظمة. وفي الأصل: «بوقاره» بالفاء، ولا معنى له هنا إلا أن يكون محروفاً عن
 (وفوره) جمع وفر «بالفتح» وهو الغنى. (٣) في الأصل: «تنبت» «وتلقى... منهن»
 (٤) لعل اسم الإشارة يرجع إلى عدم الاهتمام المأخوذ من قوله «ولا تهتموا»، ليستقيم الكلام.
 (٥) الصدقية: درجة أعلى من الولاية وأدنى من النبوة.

يُطعم قُوته ، وإني أرسلكم كالخرفان بين الذئاب ، فكونوا حُلماء كالحيات
وبُلها^(١) كالحمام . وإذا دخلتم البيت فسلموا على البيت ، فإن كان ذلك البيت أهلاً
لسلامكم فليصحبهم ، وإن لم يكن أهلاً لسلامكم فإنه يرجع إليكم . ومن لم يؤوكم
ويسمع لقولكم ، فاذا خرجتم من قريته فانفضوا الغبار عن أرجلكم .

٥ حدّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : كان فيما ناجى به
عزير ربه : اللهم فإن لك من كلّ خلقٍ خلقته خيرةً اخترتها ، وإنك اخترت من
النبات الحبلّة^(٢) ، ومن المواشى الضائنة ، ومن الطير الحمامة ، ومن البيوت بيت إيلياء^(٣) .
ومن إيلياء بيت المقدس ، ومن جميع الخلائق آدم ، ومن ولد آدم نوحا ، ومن ولد
نوح إبراهيم ، ومن ولد إبراهيم اسماعيل واسحاق ، ومن ولد اسحاق اسرائيل ؛
١٠ اللهم فأصبحت خيرتك قد تمت ونفذت في كلّ ما اخترت إلا ما كان من ولد
خيلك إبراهيم ، فإنهم أصبحوا أعبدًا لأهل معصيتك وخولا لأعدائك ، فما الذي
سلط علينا ذلك ؟ أمن أجل خطايانا ؟ فالخاطئون ولدونا ، أو من أجل ضعفنا ؟
فمن ضعف خلقنا ؛ قال : بخاءني الملك فكلمني ، فبينما أنا كذلك سمعت صوتا هالني
فنظرت ، فإذا امرأة حاسرة عن رأسها ، ناشرة شعرها ، شاقّة جيبها ، تلطم وجهها ،
١٥ وتصرخ بأعلى صوتها ، وتحثو التراب على رأسها ، فأقبلت عليها وتركت ما كنت
فيه ، فقلت لها : ما بالك أيتها المرأة وما الذي دهاك ؟ أخبريني خبرك ، فقد أصابت
المصائب غيرك ؛ قالت : اليك غني أيها الرجل ، فإن ربي هو الذي أبكاني ،

(١) كذا في الأصل . وفي حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ٢٢٦) : « روى أحمد في الزهد
عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه السلام كان يقول لأصحابه : إن استطعتم أن تكونوا بها في الله تعالى
مثل الحمام فافعلوا » . وفي الإنجيل متى من الكتاب المقدس (طبع بيروت سنة ١٨٨٢ م مجلد ثالث
ص ١٧ ص ١٢) : « فكونوا حكماء كالحيات ورداء كالحمام » . (٢) الحبلّة بالضم : الكرم
أرأصل من أصوله ، وثمر السلم أو ثمر العضاه . (٣) في الأصل : « بيتا إيلياء » .

- ومصيبتى أعظم مما ترى؛ فقلتُ: فإن في الله عزاءً من كلِّ مصيبة، وخلِّفًا من كلِّ هالك، وعوضًا من كلِّ فائتٍ، فإياه فاستعيني، وإلى نظره لك فانظري؛ قالت:
- انى كنتُ امرأةً كثيرًا مالى، عظيمًا شرفي، وكنت عاقرا لا ولد لي، وكنتُ عند بعيلٍ له نِسوةٌ معي وكلهن وُلد له غيري، فلن به لحبِّ الولد فصرف وجهه عني، فغزنتُ وحرز أهلِي وصديقي، فلما رأيتُ هوانِي عليه وسقوط منزلي عنده، رَغبتُ إلى ربِّي ودَعَوته فأجابني، واستوهبته غلاما فوهبه لي، فقَرَّت به عيني، وفرح أهلِي، وعطف الله به زوجي، وقطع عني ألسنةَ ضرائري، فربيتُ غلاما لم تجعلُ أنثى مثله حُسنًا وجمالًا ونُصرةً وتماها، فلما بلغ أشده وكنَّ به سروري خطبتُ عليه عظيمَةَ قومي، وبذلتُ دونه مالى، وخرجتُ من خُلعتي^(١)، وجمعتُ رجالَ قومي، فخرج يمشي بينهم حتى دخلَ بيته، فلما قعد على سريرِهِ، نَحَمَهُ فاندقت عنقه
- فات ابني وضلَّ عملي وبطلَ نصيبي وتلفَ مالى، فخرجتُ إلى هذه البرية أبكيه فيها لا أريدُ أن أرى أثرًا من آثاره ولا أحدا من أصحابه، ولن أبرح أبكيه حتى ألحقَ به. قال عُزَيْرٌ: أذكرك ربك وراجعيه، فقد أصابت المصائبُ غيرك أما رأيتِ هلاكَ إيلياءَ وهى سيِّدةُ المدائنِ وأمُّ القُرَى؟ أو ما رأيتِ مصيبةَ أهلها وهم الرجال؟ قالت: إى رحِمك الله! إن هذا ليس لي بعزاءٍ وليست لي بشيءٍ منه أسوةٌ، إنما تبكى مدينةَ نحرِبَت، ولو تُعمَّرُ عادتُ كما كانت، وإنما تبغى قوما وعدَّهم الله الكفرةَ على عدوهم، وأنا أبكى على أمرٍ قد فات، وعلى مُصيبةٍ لا أستقيها^(٢)؛ قال عُزَيْرٌ: فإنه خُلِقَ لما صار إليه، وكلَّ شيءٍ خُلِقَ للدنيا فلا بدَّ أن سيفقَى،

(١) الخلعة (بالكسر والضم): المال وخياره. يخلع على الإنسان . (٢) لا أستقيها

أى لا أطلب منها إقالة، لأن الطلاب فيها غير مجد؛ ومنه قول الشاعر:
ومرتبة لا يستقال بها الردى
أى لا يرجى فيها إقالة الردى لأنه لا بد من الهلاك .

أما رأيت مدينتنا أصبحت خاوية على عروشها بعد عمارتها . وأوحشت بعد أنسها
وأثاثها ! أو ما رأيت مسجدنا كيف غير حسنه . وهديم حصنه ، وأطفئ نوره !
أو ما رأيت عز أهلنا كيف ذل ، وشرفهم كيف تحمل ، ومجدهم كيف سقط ،
ونفرهم كيف بطل ! أو ما رأيت كتاب الله كيف أحرق . وولى الله كيف رُفِع ،
وتابوت^(١) السكينة كيف سبي ! أو ما رأيت نساء الملوك وبناتهم في بطون الأسواق
حاسرات عن السوق والوجوه والأشعار ! أو ما رأيت الأشياخ الذين على وجوههم
النور والسكينة مقرنين في الجبال والقطار ! أو ما رأيت الأحرار والرهبان مصفدين
في الإسار . أو ما رأيت أبناء موسى وهارون تضرب عليهم السهام ويقسمهم
الأشرار . وولدان الملوك خدماً للكفار^(٢) ، أو ما رأيت قتلانا لم يوار أحدنا منهم قبراً ،
ولم يعهد أحد منهم الى ولد ، فالحكاء مهوتون ، والعلماء يموجون . والحلماء
متحIRON ، وأهل الرأي ملقون بأيديهم مستسلمون . قال : فيينا أنا أكلها غشي
وجهها نور مثل شعاع الشمس حال بيني وبين النظر اليها ، نغمرت من شدته
وجهي ورددت يدي على بصري ، ثم كشفت وجهي فاذا أنا لا أحسها ولا أرى
مكانها ، واذا مدينة قد رفعت لي حصينة بسورها وأبوابها . فلما نظرت الى ذلك
نحرت صيقاً ، فخافنى الملك فأخذ بضبعي ونعشني وقال لي : ما أضعفك يا عزير !
وقد زعمت أن بك من القوة ما تخاطب به ربك وتدلي بالعدر عن الخاطئين من

(١) ورد في دائرة المعارف للبيستاقى عند الكلام على تابوت داود : « تابوت العهد أو الشهادة
هو صندوق من الخشب مصفح من الداخل ومذهب من الخارج . وكان موضعه في قدس الأقداس وكان
اليهود يعتبرون ذلك مقدساً وكانوا يجلونه بالأحتمال أهمهم وهم مسايرون الى أرض الميعاد ... والظاهر
أنه فقد عند ما هدم بختنصر الهيكل في القدس ببنائنه إياه . ونقله الى بابل . ومن أراد الوقوف على
تفاصيل وصف هذا التابوت فليراجع ذلك في التوراة . (٢) في الأص : « خدم للكفار » .
(٣) نعشه : رفعه وأقامه .

- بني إسرائيل ؛ قال له عزير : مثل الذي رأيتُ وعانيتُ أضعفني وأذهب روعي ؛ قال الملك : فإن المرأة التي كلمتك هي المدينة التي تبكي عليها ، صورتها الله لك في صورة أنثى فكلمتك ، فافقه عنها : أما قولها : إنها عمّرت زمانا من دهرها عاقرا لا ولد لها ، فكذلك كانت إيلياء صعيدا من الأرض خرابا لا عمران فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة .^(١)
- وأما قولها : إن الله وهب لها غلاما عند اليأس ، فذلك حين أقبل الله عليها .^٥
- بالعمران فابتعث الله منها أنبياءه وأنزل كتابه . وأما قولها : إنه هلك ولدها حين كمل فيه سرورها ، فذلك حين غير أهلها نعم الله وبدلها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا جرأة على الله وفسادا ، فغير الله ما بهم وسلط عليهم عدوهم حتى أفناهم ، وقد شققك الله في قومك وكتابك ومدينتك ، وسيدها الله عامرة كما رأيت : عليها حيطانها وأبوابها ، وفيها مساجدها وأنهارها وأشجارها .^{١٠}

- وحدثني بهذا الإسناد قال : لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسحاق عليهما السلام ويجعله قربانا ، أسر ذلك إلى خليل له يقال له : العازر ؛ فقال له الصديق : إن الله لا يتلى بمثل هذا مثلك ، ولكنه يريد أن يُجربك ويختبرك ، وقد علمت أنه لم يتلك بهذا ليفتنك ولا ليضلّك ولا ليُعتك ولا لينقص به بصيرتك وإيمانك ويقينك ، ولا يروعك هذا ولا تسوءن بالله ظنك ، وإنما رفع الله اسمك في البلاء على جميع أهل البلاء . حتى كنت أعظمهم في نفسك وولدك ، ارفعك بقدر ذلك عليهم في المنازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر في فضيلة الصبر إلا فضل صبرك ، وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلا فضل ثوابك ، وليس لأهل البلاء في جسيم شرف البلاء إلا فضل شرفك . وليس هذا من وجوه البلاء الذي يتلى الله به أوليائه ، لأن الله أكرم في نفسه وأعدل في حكمه وأعدل في عبادته^(٢) .^{٢٠}

(١) في الأصل : « وانما » . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « وأرحم بعباده ... » .

من أن يجعل ذبح الولد الطيب بيد الوالد النبي المصطفى ؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا مني حتماً على الله أو رداً لأمره أو سُخْطاً لحكمه على عباده ، ولكن هذا الرجاء فيه والظن به . فإن عزم ربك على ذلك فكن عبداً أحسن علمه بك ؛ فإنني أعلم أنه لم يُعرضك لهذا البلاء العظيم إلا لحسن علمه بك وبصدقك وبصبرك ، ليجعلك للناس إماماً ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحدثني بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لما ليث في السجن سبع سنين أرسل الله عز وجل إليه جبريل عليه السلام بالبشارة بمخروجه ، فقال له : أتعرفتني أيها الصديق ؟ قال له يوسف : أرى صورة طاهرة وروحا طيبا لا يشبه أرواح الخاطئين ؛ قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين ؛ قال يوسف : فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقرئين ؟ قال جبريل : أو لم تعلم أيها الصديق أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين ، وأن البقعة التي يحلون بها هي أطهر الأرضين ، وأنه قد طهر بك السجن وما حوله يآبرن الطاهرين ؛ قال يوسف : كيف تشبهني بالصالحين ، وتسميني بأسماء الصديقين ، وتعدني مع آبائي المخلصين ، وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ! قال جبريل : لم يكلم قلبك الجزع ، ولم يغير خلقك البلاء ، ولم يتعاطمك السجن ، ولم تطأ فراش سيديك ، ولم ينسك بلاء الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تُنسك نفسك أبالك ولا أبوك ربك ؛ وهذا الزمان الذي يفك الله به عنقك ، ويعتق به رقك ، ويبين للناس فيه حكمتك ، ويصدق رؤياك وينصفك ممن ظلمك ، ويجمع إليك أحبتك ، ويهب لك ملك مصر : يملكك ملوكها ، ويعبد لك جبارتها ، ويذل لك أعزتها ، ويصغر لك عظامها ، ويخديمك سوقتها ،

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « فكن عند أحسن علمه فيك ... » . (٢) العنق : الأسر والذل ، يقال : عنا في القوم عتوا وعتاء صار فيهم أسيرا . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٨) : « عنتك » .

ويخولك خوفاً ، ويرحم بك مساكينها ، ويلقي لك المودة والهيبة في قلوبهم ،
ويجعل لك اليد العليا عليهم والأثر الصالح فيهم ، ويرى فرعون حالماً يفرع منه
ويأخذه له كرب شديد حتى يسهره ويذهب نومه ، ويعنى عليه تفسيره وعلى السحرة
والكهنة ويعلمك تأويله .

- ٥ وفي بعض الكتب : أوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : إذا أردت أن تسكن
معى غداً في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً فريداً مهموماً حزينا ، كالطائر
الوحداني يظل بأرض الفسلاة ويرد ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر ، فاذا
جئ عاياه الليل أوى وحده استباحشا من الطير واستناسا بربه جل وعز .
لما قتل عبد الله بن الزبير وجد الخجاج فيما ترك صندوقاً عاياه أقفال حديد .
١٠ فتمعجب منه وقال : إك في هذا شيئاً ، ففتحه فاذا صندوق آخر عليه قفل ففتحه
فاذا سقط فيه درج ، ففتحه فاذا صحيفة فيها : إذا كان الحديث خلفاً ، والميعاد
خلفاً ، والمقنب ألفاً ، وكان الولد غيظاً ، والشتاء قيظاً ، وفاض الكرام غيظاً ، وفاض
اللئام فيضاً ، فأعزعفر^(٢) ، في جبل وعمر ، خير من ملك بنى النضر . حدثني بذلك
كعب الخبزي .

الدعاء

- ١٥ . حدثني أبو مسعود الدارمي قال حدثنا جرير عن أنس بن مالك قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال «ربكم عز وجل ثلاثة : واحدة لي ، وواحدة لك
(١) المقنب كبير : جماعة الحبل والفرسان . (٢) العمر : جمع أغفر وعفراء . والعصرة : غيرة
في بياض . (٣) هكذا ورد بالأصل . ولم نعر على هذه النسبة لمن يكنى بأبي مسعود لا في كتب
الأنساب ولا في كتب التراجم وغيرها من الكتب التي بين أيدينا . (٤) في الأصل : «جدير»
٢٠ بالبدال المهملة . ولم نعر على اسم «جدير» بين أسماء الرواة في الكتب التي عندها . وقد ورد في تهذيب
التهذيب أن من بين من اسمه «جرير» بالراء : «جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدي ثم العنكي وقيل
الجهضمي» . وجرير هذا من روى عن قتادة عن أنس بن مالك ، ولذا ترجح لدينا أن ما جاء بالأصل
محرف صوابه ما أثبتناه .

يا بن آدم، وواحدة بيني وبينك، فأما التي لي فتخلص لي لا تُشرك بي شيئا، وأما التي لك فأحوج ما تكون الي عملك أوفيكه، وأما التي بيني وبينك فنك الدعاء وعلى الإجابة“ .

٥ س حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا زيد بن الحباب قال حدثنا معاوية قال حدثني أزهر بن سعيد عن عاصم بن حميد قال : سألت عائشة رضي الله عنها، ما كان يفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم به صلاته في قيام الليل؟ قالت : كان يكبر عشرا ويحمد عشرا ويسبح عشرا ويهلل عشرا ويستغفر الله عشرا، ثم يقول : ” اللهم آغفر لي وأهدني وأرزقني وعافني“ ، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة .

١٠ س حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا الخفاف عن أبي الورداء عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصبح قال : ”أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والأمر والليل والنهار وما يسكن^(١) فيهما لله رب العالمين وحده لا شريك له . اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا . اللهم إني أسألك خيرا الدنيا وخيرا الآخرة يا أرحم الراحمين“ .

١٥ س حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا حسين بن علي الجعفي عن إسرائيل عن الحسين أنه كان اذا استسقى قال : « اللهم اسقنا سقيا واسعة وادعة عامة نافعة غير^(٢) »^(٣)

(١) في نهاية الأرب للنويري (ج ٥ ص ٣٠٠ طبع دارالكتب المصرية) : « وما سكن فيهما من شيء لله وحده لا شريك له... الخ » . وفي كتاب الأذكار للنووي : « وما سكن فيهما لله تعالى... الخ » .
(٢) قال ابن خلكان في ترجمة إسحاق بن راهويه : « وراهويه بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة... وقيل فيه أيضا : راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء » .
(٣) ورد هذا الأثر في كتاب الأذكار للسيوطي (نسخة خطية محفوظة بدارالكتب المصرية تحت رقم ٧ مجاميع) في صلاة الاستسقاء، بصيغة تخالف ما هنا في بعض الكلمات وبالزيادة والنقص .

ضارة تعم بها حاضرنا وبادينا وتزيد بها في رزقنا وشكرنا . اللهم أجعله رزق إيمان
وعطاء إيمان إن عطاءك لم يكن محظورا . اللهم أنزل علينا في أرضنا سكنها ، وأنبت^(١)
فيها زيتها ومرعاهها .

سروى الكلبي عن أبي صالح أن العباس قال يوم استسقى عمر رضى الله عنه :

- ” اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولا يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بي القوم
إليك لكانى من نبيك^(٢) ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، فاسقنا
الغيث “ ، فأرخت السماء شآبيب مثل الجبال بديمة مطيقة^(٣) .

وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الملك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز

عشية عرفة بعرفة وهو يقول : ” اللهم زد في إحسان محسنهم ، وراجع بمسيئتهم
الى التوبة ، وحط من ورائهم بالرحمة “ .

حدثنا حسين بن حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا يحيى بن

أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال : كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات :

” اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به

١٥ (١) كذا في الأصل ولسان العرب مادة «سكن» . وفي منتخب كثر الأعمال المطبوع بهامش مسند
الإمام أحمد (ج ٣ ص ٦٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ) : « اللهم أنزل في أرضنا بركتها
وزيتها وسكنها وارزقنا وأنت خير الرازقين » . وسكنها بفتح السين والكاف : غياث أهلها الذي تسكن
أنفسهم إليه .

(٢) في الأصل : « من يتك » والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) شآبيب جمع شؤبوب ،

٢٠ وهو الدفعة من المطر . والديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (٤) كذا ورد في الأصل .
وفي تهذيب التهذيب أن من روى عن عبد الله بن المبارك الحسين بن الحسن . واهل ما في الأصل
محرف عنه . (٥) في الأصل : « زخر » بالخاء المعجمة . وما أثبتناه هو ما في تهذيب التهذيب .

الى رحمتك، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيبتُ الدنيا، ومَتَّعنا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا،
واجعل ذلك الوارثَ منا، وأنصرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا
ولا تجعل الدنيا أكبر همًّا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا“ .

بلغنى عن يونس عن الأوزاعي عن حسان بن عطية^(١) قال : كان شداد بن أوس
في سفر، فزلنا منزلا فقال لغلامه : اثقنا بالسفرة نعبث بها، فأنكرت منه، فقال :
ما تكلمت بكلمة مذ أسأمت إلا وأنا أخيطمها وأزمتها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها
عني ، واحفظوا عني ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
”إذا كثر الناس الذهب والفضة فاكثروا هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات^(٢)
في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك
قلبا سليما ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ،
وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب“ .

بلغنى عن الوليد بن مسلم قال حدثنا أبو سلمة الدوسقي^(٤) عن سالم بن عبد الله
قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”اللهم ارزقني عينين هطالتين
تبكيان بذروف الدموع وتشفيانني من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس
جمرا“ .

(١) هكذا ضبطه في تقريب التهذيب بضم العين وفتح الطاء . (٢) كذا في مسند الامام أحمد
(ج ٤٤ ص ١٢٣) وفي الأصل : ”نعبث بها“ . والأبتهاء هو المواتق لقول الزمخشري في أساس البلاغة
مادة «عبث» «تعال بالسفرة نعبث بها» . (٣) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١١٦) : «يا شداد
بن أوس إذا رأيت الناس يكثرزون ... الخ» وفي بقية الحديث بعض زيادات عما هنا ، ولعلها رواية
أخرى . (٤) هكذا ورد في الأصل ، ولم نوفق الى تحقيق هذه النسبة لأبي سلمة في الكتب التي
بين أيدينا . (٥) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١٠٦) «... تشفيان القلب بذروف
الدموع من خشيتك ... الخ...» .

٥ حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثنا عمر بن عمران قال حدثني الحارث بن عنبه عن العلاء بن كثير عن أبي الأسقع : أنه كان يحفظ من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : "يا موضع كل شكوى ويا شاهد كل نجوى بكل سبيل أنت مقيم ترى ولا تُرى وأنت بالمنظر الأعلى".

- (١)
- ٥ حدثنا عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : كان دعاء عيسى الذي يدعو به للرضى والزمنى والعميان والمجانين وغيرهم : "اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك ، وأنت جبار من في السماء وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك ، وأنت حاكم من في السماء وحاكم من في الأرض لا حاكم فيهما غيرك ، وأنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك ؛ قُدرتُك في الأرض كقُدرتِك في السماء ، وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء ؛ أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير وملكك القديم ، إنك على كل شيء قدير". قال وهب : هذا يُقرأ للفرج على المجنون ويُكتب له ويُغسل ويُسقى ، فيراً بإذن الله أي ذلك شاء فعل .

- ٦ وحدثني أيضا بهذا الإسناد قال : كان من دعاء المسيح حين أخذه اليهود ليصلبوه بزعمهم فرفعه الله إليه : "اللهم أنت القريب في علوك ، المتعالى في دنوك ، الرفيع على كل شيء من خلقك ؛ أنت الذي نفذ بصرك في خلقك ، وحسرت الأبصار دون النظر اليك وعشيت دونك ، وشمخ بك العلو في النور ؛ أنت الذي جللت الظلم

(١) ورد في الأصل "عبد الرحمن بن عبد المنعم" وورد في عدة أسانيد أخرى في الأصل نفسه "عبد الرحمن عن عبد المنعم" كما أثبتناه هنا وعبد الرحمن الذي يروى عنه المؤلف كثيرا هو عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي ولعل المراد من عبد المنعم بن ادريس بن مناف بن ابنة وهب ابن منبه .

بنورك فتباركت اللهم خالق الخلق بقدرتك ، مقدر الأمور بحكمتك ، مبتدع الخلق
بعظمتك ، القاضى فى كل شىء بعلمك ؛ أنت الذى خلقت سبعا فى الهواء بكلماتك ،
مستويات الطباق مذعنات لطاعتك ، سماهين العلو بسطوانك ، فأجهن وهن دخان من
خوفك ، فأتين طائعات بأمرك ، فهن ملائكتك يسبحون قدسك بتقديسك ،
وجعلت فهن نورا يجلو الظلام ، وضياء أضوا من شمس النهار ، وجعلت فهن
مصايح يهتدى بها فى ظلمات البحر والبر ورجوما للشياطين ، فتباركت اللهم فى منطور
سمواتك ، وفيما دحوت من أرضك ، دحوتها على الماء ، فأذلت لها الماء المتظاهر^(١)
فذل لطاعتك وأذعن لأمرك ، وخضع لقوتك أمواج البحار ، ففجرت فيها بعد البحار
الأنهار ، وبعد الأنهار العيون الغزار والينابيع ؛ ثم أخرجت منها الأشجار بالثمار ، ثم
جعلت على ظهرها الجبال أوتادا فأطاعتك أطوادها ، فتباركت اللهم فى صنعك ، فمن
يلغ صفة قدرتك ومن ينعت نعتك . تزل الغيث وتُنشئ السحاب ، وتُقك الرقاب
وتقضى الحق وأنت خير الفاصلين . لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن يستغفرك كل
خاطئ . لا إله إلا أنت إنما يخشاك من عبادك العلماء الأيكاس . أشهد أنك
لست بـإله استحدثناه ، ولا رب يبد ذكروه ، ولا كان لك شركاء يقضون معك
فندعوهم وندعك ، ولا أعانك أحد على خليك فنشك فيك . أشهد أنك أحد صمد لم
تلد ولم يكن لك كفوا أحد ، ولم تتخذ صاحبة ولا ولدا . اجعل لى من أمرى فرجا
ومخرجا ؛ قال وهب : وهذا الدعاء عوذة للشقيقة وغيرها من قولك : "أشهد أنك
لست بـإله استحدثناه ، الى آخره .

(١) « المتظاهر » بالفاء المعجمة من تظاهر بمعنى تساند وتعاون يراد بذلك الماء الكثير المجتمع يدفع

بعضه بعضا لقوته وهو ما يقتضيه السياق . وفى الأصل « المتظاهر » بالطاء المهملة .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن عباس قال : «الإخلاص هكذا ، وبسط يده اليمنى وأشار بإصبعه من يده اليسرى ، والدعاء هكذا ، وأشار براحيته الى السماء ، والابتهاال هكذا ، ورفع يديه فوق رأسه ظهورهما الى وجهه» .

ر حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : كان داود اذا دعا في جوف الليل قال : «اللهم نامت العيون وغازت النجوم وأنت حتى قيام اغفر لي ذنبي العظيم إنك عظيم وإنما يغفر العظيم العظيم ، اليك رفعت رأسي عامر السماء نظر العبيد الى أربابها . اللهم تساقطت القرى وأبطل ذكراها وأنت دائب الدهر معد كرسى القضاء» .

قال : وكان من تجميده : «الحمد لله عدد قطر المطر ، وورق الشجر ، وتسبيح الملائكة ، وعدد ما في البر والبحر . والحمد لله عدد أنفاس الخلق ولفظهم وطرفهم ، وظلالهم ، وعدد ما عن أيمنهم وشمالهم ، وعدد ما قهره ملكه ، ووسعه حفظه ، وأحاطت به قدرته ، وأحصاه علمه . والحمد لله عدد ما تجرى به الرياح ، وتجمله السحاب ، وعدد ما يختلف به الليل والنهار ، وتسير به الشمس والقمر والنجوم . والحمد لله عدد كل شيء أدركه بصره ، ونفذ فيه علمه ، وبلغ فيه لطفه . والحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئا حين يدعوني . والحمد لله الذي أسأله فيعطيني ، وإن كنت بخيلا حين يستقرضني . والحمد لله الذي أستعفيه فيعافيني ، وإن كنت متعرضا لما يهلكني . والحمد لله الذي حلم في الذنوب عن عقوبتي حتى كأني لا ذنبي لي ، ولو يؤاخذني لم يظلمني سيدي . والحمد لله الذي أرجوه أيام حياتي ،

(١) كذا ورد في الأصل . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) : «... وبسط يده اليسرى وأشار

٢٠ باصبعه من يده اليمنى ... الخ» . وفي نهاية الأرب للتورني (ج ٥ ص ٢٨٤) تختلف الرواية عما هنا في أكثر الألفاظ . (٢) في الأصل : «حتى» وهو تحريف .

وهو ذُنُورِي فِي آخِرَتِي ، وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لَأَنْقَطَعَ رَجَائِي . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تُمَسِّي
أَبْوَابَ الْمَلُوكِ مَغْلُقَةً دُونِي ، وَبَابَهُ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مَا شِئْتُ مِنْ حَاجَاتِي بِغَيْرِ شَفِيعٍ
فَيَقْضِيهَا لِي . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْلَوْبَهُ فِي كُلِّ حَاجَاتِي ، وَأَضَعُ عِنْدَهُ سِرِّي فِي أَيْ
سَاعَةٍ شِئْتُ مِنْ سَاعَاتِي . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَتَجَبَّبُ إِلَيَّ وَهُوَ عَنِّي غَفِيٌّ ، فَرَبِّي أَحْمَدُ
شَيْءٍ عِنْدِي وَأَحَقُّهُ بِمَجْدِي“ .

وَكَانَ مِنْ دُءَاءِ يُوسُفَ : ”يَا عُدَّتِي عِنْدَ كَرْبَتِي ، وَيَا صَاحِبِي فِي وَحْدَتِي ،
وَيَا غِيَاثِي عِنْدَ شِدَّتِي ، وَمَفْرَعِي عِنْدَ فَاقَتِي ، وَرَجَائِي إِذَا انْقَطَعَتْ حِيلَتِي ، يَا إِلَهِي
وَاللهَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، اجْعَلْ لِي فَرْجًا وَمَخْرَجًا وَأَقْضِ حَاجَتِي“ .

وَكَانَ بَكَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ : ”اللَّهُمَّ لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ ، وَلَا تَمْكُرْ بِي فِي حِيلَتِكَ ،
وَلَا تَوَاخِذْنِي بِتَقْصِيرِي عَنْ رِضَاكَ ، عَظِيمَ خَطِيئَتِي فَاعْفِرْ ، وَيَسِيرَ عَمَلِي فَتَقَبَّلْ ،
كَمَا شِئْتَ تَكُونُ مَشِيئَتِكَ ، وَإِذَا عَزَمْتَ يَمْضِي عِزُّكَ ، فَلَا الَّذِي أَحْسَنَ آسْتَفْعِي
عِنْدَكَ وَعَنْ عَوْنِكَ ، وَلَا الَّذِي أَسَاءَ اسْتَبَدَّ بِشَيْءٍ يَخْرُجُ بِهِ مِنْ قُدْرَتِكَ ، فَكَيْفَ لِي
بِالنَّجَاةِ وَلَا تَوْجِدُ إِلَّا مِنْ قِبَلِكَ ! إِلَهَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَوَلِيَّ الْأَنْبِيَاءِ ، وَبَدِيعُ مَرْتَبَةِ
الْكَرَامَةِ ، جَدِيدٌ لَا يَبْلَى ، حَفِيفٌ لَا يَنْسَى ، دَائِمٌ لَا يَبِيدُ ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، يَقْظَانُ
لَا يَنَامُ ، بِكَ عَرَفْتُكَ ، وَبِكَ أَهْتَدَيْتُ إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أُدْرِ مَا أَنْتَ ، فَتَبَارَكْتَ
وَتَعَالَيْتَ“ .

قَالَ الْأَزْدِيُّ حَدَّثْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : ”لَا تَقْطَعُوا الشَّهَادَةَ عَلَى أَهْلِ الْقَبْلَةِ فَإِنَّهُ مِنْ يَقْطَعِ الشَّهَادَةَ عَلَيْهِمْ فَأَنَا مِنْهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « سِرٌّ » وَمَا أُشْبِهَهُ هُوَ الْأَنْسَبُ بِالْمَقَامِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَسْبِيرٌ » .

بريء إن الله كتمنا ما يصنع بأهل القبلة» . وقال : « من علم آيةً من كتاب الله أو كلمةً من سنة في دين الله حثا الله له من الثواب حثوا » .^(١)

• قال وقال الأوزاعي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم اني أسألك التوفيق لمحآبك من الأعمال وحسن الظن بك وصدق التوكل عليك » .

• محمد بن بشر العبدي قال حدثنا بعض أشياخنا قال : اعتمر على طيه السلام فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول : يا من لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلظه المسائل ، ولا ييرمه إلحاح الملحين ؛ أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك ؛ فقال علي : والذي نفسي بيده ، لو قلتها وعليك ملء السموات والأرضين ذنوبا لفُفِر لك .^(٢)

• دعا أعرابي عند الملتمزم فقال : اللهم إن لك علي حقوقا فتصدق بها علي ، وللناس قبلي تبعات فتحملها عني ، وقد أوجبت لكل ضيف قري ، وأنا ضيفك فاجعل قراي الليلة الجنة .^(٣)

• وقال آخر : اللهم إليك نرجت ، وما عندك طلبت ، فلا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي . اللهم وإن كنت لم ترحم نصبي وتعي فلا تحرمني أجر المصاب علي مصيبتة .

١٥

(١) حثا له : أعطاه . (٢) كذا في الأصل والخلاصة وتهذيب التهذيب . وجاء في تقريب التهذيب : « محمد بن بشر العبدي » . (٣) لا تغلظه : لا توقعه في الغلط ، وهو من قولهم : أغلظه إذا أوقعه في الغلط . (٤) لا ييرمه : لا يمله ولا يضجره . (٥) الملتمزم هكذا ضبطه صاحب المصباح في مادة « لزم » فقال « والتزمته : اعتنقته فهو ملتمزم ومنه يقال لما بين باب الكعبة والحجر الأسود الملتمزم لأن الناس يعتقونه أي يضمونه الى صدورهم » .

وقرأتُ في كتابٍ لشيخٍ لنا : اللهم إنه من تهباً أو تعباً ، وأعدتُ وأستعدتُ لوفادة مخلوقٍ رجاءَ ربيده وطلبَ نبيه ، فإن تهبى وتعبى وإعدادى واستعدادى لك رجاءَ ربيده وطلبَ نائلك الذى لا خطر له ولا مثل ^(١) . اللهم إني لم آتكَ بعملٍ صالحٍ قدمته ، ولا شفاعية مخلوقٍ رجوتُهُ ، أتيتك مُقراً بالظلم والإساءة على نفسى ، أتيتك بأنى لا حجة لى ، أرجو عظيمَ عفوك الذى عدت به على الخطائين ، ثم لم يمنعك عكوفهم على عظيمِ الجُرمِ أن جُدت لهم بالمغفرة . فيا من رحمتُهُ واسعة ، وفضلُهُ عظيم اغفر الذنبَ العظيم .

ابن عائشة قال : قال الفضل بن عيسى الرقاشى : اللهم لا تُدخِلنا النارَ بعد إذ أسكنت قلوبنا توحيدك ؛ وإني لأرجو ألا تفعل ، ولئن فعلت لتجمعنَّ بيننا وبين قوم عاديناهم فيك .

بلغنى عن ابن عيينة عن أبي حازم قال : لأننا من أن أمنع الدعاء أخوف منى من أن أمنع الإجابة .

أنشدنا محمد بن عمر بعض الشعراء فى وصف دعوة :

وسارية لم تسير فى الأرض تبغى * محملاً ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تسير الركاب ولم تنخ * إوريد ولم يقصر لها القيد مانع
تحل وراء الليل والليل ساقط ^(٢) * بأرواقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء ودونها ^(٣) * إذا قرع الأبواب منهن قارع

(١) الخطر بالتحريك : النظير والمثل .

(٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « تظل ... »

(٣) فى العقد الفريد : « ... لوفدها ... الخ » .

(١) إذا أوفدت لم يردد الله وفدها * على أهلها والله راءٍ وسامعٌ
وإني لأرجو الله حتى كأنني (٢) * أرى بجميل الظن ما الله صانعٌ

وقال آخر:

وإني لأدعو الله والأمر ضيقٌ * على ما ينفك أن يتفرجاً
وربّ قتي سدت عليه وجوهه * أصاب له في دعوة الله تخرجاً

ونحوه:

إذا تضايق أمرٌ فانتظر فرجاً * فأضيق الأمر أدناه من الفرج

أخذ رجل من العرب مالاً فكتب إلى أخيه: يا هذا، إن الرجل ينام على
الشكل، ولا ينام على الحرب؛ فإما رددته، وإما عرضتُ اسمك على الله تعالى كل
يومٍ وليلةٍ خمس مراتٍ.

قال عبد الرحمن بن زياد: اشتكى أبي فكتب إلى بكر بن عبد الله يسأله أن
يدعوه، فكتب إليه بكر: يحق لمن عمل ذنباً لا عُذر له فيه، وتوقع موتاً لا بد له
منه، أن يكون رجلاً مشفقاً، سادعوك، ولست أرجو أن يستجاب لي بقوة
في عملي، ولا براءة من ذنبي، والسلام.

١٥ خلف بن تميم عن عبد الجبار بن كليب قال: قال لنا إبراهيم بن أدهم حين
عرض لنا السبع: قولوا: اللهم ارحسنا بعينك التي لا تنام، واجعلنا في كنفك الذي
لا يُرام، وارحمنا بقدرتك علينا، لا نهلك وأنت رجاؤنا؛ قال خلف: فما زلت أقولها
مذ سمعتها، فما عرض لي قط لئلا يص ولا غيره.

(١) في العقد الفريد: * إذا سألت لم يردد الله سؤالها * (٢) في العقد الفريد (ج ١

٢٠ ص ٣٩٨): «... كأننا...» (٣) الحرب بالتحريك: أن يسلب الرجل ماله كله ويترك
بلا شيء. (٤) هكذا ورد في الأصل ولم نوفق إلى تحقيق هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا.

قال أعرابي: من أقام بأرضنا فليكثر من الاستغفار، فإن مع الاستغفار
القطار^(١).

بلغني عن موسى بن مسعود النهدي^(٢) عن سفیان الثوري عن قدامة بن حنيفة
الضبي عن خالد بن منجاب عن زياد بن حدير الأسدي أن العلاء بن الحضرمي
عبر إلى أهل دارين البحر بهذه الكلمات: يا حلیم يا حکیم يا علی يا عظیم .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن هشام الدستوائي^(٥) عن
حماد عن إبراهيم عن عبد الله في الرجل إذا أراد الحاجة صلى ركعتين ثم قال: اللهم^(٦)
إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر
ولا أقدر، وتملك ولا أملك، وتعلم ولا أعلم، إن كان هذا الأمر الذي أريده
— وتسميه — خيراً لي في ديني وخيراً لي في معيشتي وخيراً لي فيما أبتغي فيه الخيرة
فيسره لي وبارك لي فيه، وإن كان شرّاً لي في ديني وشرّاً لي في معيشتي وشرّاً لي
فيما أبتغي فيه الخيرة فأصرفه عني ويسر لي الخيرة حيث كان ثم رَضَّني [به]^(٧).

(١) القطار بالضم: السحاب العظيم القطر.

(٢) في الأصل: «المهدي» بالميم وهو تحريف من الناصح صوابه ما أبتناه كما في تهذيب
التهذيب والخلاصة وتقریب التهذيب . (٣) في الأصل: «جدير» بالجيم وهو خطأ والتصويب
عن شرح القاموس وتهذيب التهذيب والخلاصة . (٤) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها
المسك من الهند . (انظر ياقوت) . (٥) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سببر البكري
البصري الدستوائي بفتح الدال وسكون السين وفتح التاء نسبة إلى دستوا بالقصر وتمد: كورة من كور
الأهواز كما في تهذيب التهذيب والخلاصة ومعجم ياقوت . وقد ضبطه صاحب القاموس بضم التاء
وقال في النسبة إليها: دستواني ودستواني . (٦) ورد هذا الدعاء في نهاية الأرب (ج ٥
ص ٣٢٦) باختلاف في بعض الكلمات وزيادات عما هنا . (٧) الزيادة عن نهاية الأرب .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوِي عليه بدني بعافيتك ، ونالته يدي بفضل نعمتك ، وانبسطت اليه بسعة رزقك ، واحتجبت فيه عن الناس بسترك ، وأتكلت فيه على أناتك وحلمك ، وعولت فيه على كريم عفوك .
الأوزاعي قال : من قال : « اللهم إني أستغفرك لما تبت اليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك لما وعدتكم من نفسي وأخلفتكم ، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك ، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها على معصيتك ، وأستغفرك لكل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها » غفر الله له ولو كانت ذنوبه عدد ورق الشجر ، ورميل عاج ، وقطر السماء .^(١)

وكان مطرف يقول : اللهم إني أعوذ بك من شر السلطان ، ومن شر ما تجرى به أفلامهم ، وأعوذ بك أن أقول قولاً حقاً فيه رضاك ألتس به أحدا سواك ، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني ، وأعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك ، وأعوذ بك أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتني مني ، وأعوذ بك أن أستغيث بمعصية لك من ضريصيني .

الأزدى عن عبد الواحد بن زيد قال : شهدت مالك بن دينار يوماً وقيل له : يا أبا يحيى ادع الله أن يسقينا ، قال : « استبطئون المطر ! قالوا : نعم ؛ قال : إني والله أستبطئ الحجارة . »

قال أبو كعب : سمعت عطاء السلمي يقول : اللهم ارحم غربي في الدنيا ، ومصري عند الموت ، ووحدتي في القبور ، ومقامي بين يديك .

(١) عاج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل مترام ومتداخل بعضه في بعض .
(٢) كذا في الأصل . ولم نشر على اسم عبد الواحد بن زيد في المراجع الخاصة التي تحت أيدينا بأخبار الرواة والتراجم . ولعله «عبد الواحد بن زياد» لوروده كثيراً في المصادر المتقدمة .

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدّثنا
 زهير عن زبيد اليامي^(١) عن مرة عن عبد الله قال : إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم
 كما قسم بينكم أرزاقكم ، إن الله يُؤتي المسال من يحبّ ومن لا يحبّ ، ولا يؤتي
 الإيمان إلا من يُحبّ ، فمن ضنّ بالمسال أن يُنفقه ، وهاب العدو أن يُجاهده ، والليل
 أن يكابده فليكثر من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

ومن جامع الدعاء : اللهم أغنني بالعلم ، وزيني بالحلم ، وجملي بالعافية ، وأكرمني
 بالتقوى .

وكان من دعاء أبي المجيب : اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ، ولا الى الناس
 فنضيع ، اللهم اجعل خير عملي ما قارب أجلي .

ومن دعاء عمرو بن عبيد ، اللهم أغنني بالافتقار اليك ، ولا تُغنيني بالاستغناء عنك .

ابن عائشة عن سلام بن أبي مطيع قال : سمعت ابن عون يقول : كانوا
 يستحبون من الدعاء : اللهم عبدك وابن عبدك وابن أمّتك امبيدك وإمائك ،
 أنا الذليل ولا أنتصر ، وأنا الظالم ولا أعتذر ، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي وإلا
 تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ، فما أتمها ابن عون حتى أجهش بالبكاء .^(٢)

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اجعلني لك شكّاراً ، لك ذكّاراً ، لك
 رهّاباً ، لك مطيعاً ، اليك مُحبّياً ، لك أوّاهاً مُنيباً ، ربّ تقبل توبتي وأغسل حوبتي
 وأجب دعوتي وثبت حجتي وأهد قلبي وسدّد لساني » .

(١) في الأصل : « النامي » بالنون وهو تحريف وصوابه « اليامي » نسبة الى يام : بطن من همدان ،
 كما تقدّم في صفحة ١٧٩ من الحاشية رقم ٢ من هذا المجلد . (٢) أجهش بالبكاء : هم به وتبّاه له .

المناجاة

- (١) حدثني عبد الله بن هارون عن سليم بن منصور عن أبيه قال : كنت بالكوفة نخرجت في بعض الليل لحاجة وأنا أظن أني قد أصبحت فإذا علي ليل فملت إلى بعض أبوابها أنتظر الصبح فسمعت من وراء الباب كلام رجل وهو يقول :
- فوعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بنكالك جاهل ، ولا بعقوبتك ولا بنظرك مستخف ، ولكن سؤلت لي نفسي ، وأعاني على ذلك شقوتي ، وغرني سترك المرعى علي ، فعصيتك بجهل وخالفتك بجهل ؛ فالآن من عذابك من يستنقذني وبجبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني ، فواسواتاه من الوقوف بين يديك غدا ! إذا قيل للخفيين : جوزوا ، ولثقلين : حطوا ؛ أفع المثقلين أحط أم مع الخفيين أجوز ! وبلى ! كلما كثرت سني كثرت ذنوبي ؛ وبلى ! كلما طال عمري كثرت معاصي فمن كم أتوب ! وفي كم أعود ! أما أن لي أن أستحي من ربي ! .

- بلغني عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة قال : كان داود النبي عليه السلام يقول في مناجاته : سبحانك إلهي ! إذا ذكرت خطييتي ضاقت علي الأرض برحبها ، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي رويحي ، سبحانك إلهي ! أتيت أطباء عبادك ليداووا لي خطييتي فكلمهم عليك يدئي .

- حدثني بعض أشياخنا قال : كان داود الطائي يقول : همك عطل علي الهموم ، وحالف بيني وبين السهاد ، وشدة الشفق من لقاءك أربق علي الشموات ،

- (١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٤) : « وكان آخر يدعو بعرفات : يا رب لم أعصك إذ عصيتك ... الخ » مع اختلاف في بعض الكلمات ونقص عما هنا .
- (٢) أربق : حبس . (٣) كذا في الأصل ولعلها "عني" ليستقيم المعنى .

ومنعني اللذات ، فانا في طلبك أيها الكريم مطلوب^(١) . وقال : تعبّد ضيغماً قائماً حتى أقعد ، وقاعدا حتى استلقى ، ومُستلقيا حتى أُخِمَّ ؛ فلما جهَدَ رفعَ بصره الى السماء وقال : سبحانك ، عجباً للخليفة كيف أرادت بك بدلاً ! وسبحانك ، عجباً للخليفة كيف استنارت قلوبها بذكر غيرك ! وعجباً للخليفة كيف أنست بسواك .

عُتِبَ أبو الوليد قال : كانت امرأة من التابعين تقول :

سبحانك ، ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله ، سبحانك ما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه .

أبو الحسن قال : كان عروة بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قُطعت رجليه [ومات ابنه^(٢)] : كانوا أربعة ، يعني بنيه ، فأخذت واحدا وأبقيت ثلاثة ، وكن أربعة يعني يديه ورجليه ، فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثا ، ليمُنك^(٣) اثن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت .

وفي حديث بنى إسرائيل أن يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام : دُلّني على أعبد أهل الأرض فدله على رجلٍ قد قَطع الجُذامُ يديه ورجليه ، وذهب ببصره ، فسمعه يقول : متعتني ماشئت ، وسلبتني حين شئت ، وأبقيت لي فيك الأمل يا بارُّ يا وَّصُولُ .

ومن دطاء بعض الصالحين : اللهم اقطع حوائجي من الدنيا بالشوق الى لقائك ، واجعل قرة عيني في عبادتك ، وارزقني غمَّ خوف الوعيد ، وشوق رجاء الموعود ، اللهم إنك تعلم ما يُصلِحُنِي في دنياي وآخِرتي فكن بي حفيماً^(٤) .

(١) في الأصل : « مطلوباً » وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتناه . (٢) التكلة عن العقد

الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) . (٣) ليمُنك : بمعنى قولهم : يمين الله .

(٤) الحفيّ : اللطيف البارّ المبالغ في الإكرام .

باب البكاء

حدثني أبو مسعود الدارمي^(١) قال حدثني جدي عن أنس بن مالك قال : جاء قتي من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [وقال] : إن أمي تُكثر البكاء وأخاف على بصرها أن يذهب ؛ فلو أتيتها فوعظتها ! فذهب معه فدخل فقال لها في ذلك ؛ فقالت : يا رسول الله ، أرأيت إن ذهب بصرى في الدنيا ثم صرت الى الجنة ، أيبذلني الله خيرا منه ؟ قال : « نعم » قالت : فإن ذهب بصرى في الدنيا ثم صرت الى النار ؛ أفيعيد الله بصرى ؟ فقال النبي عليه السلام للفتى : « إن أمك صديقة » .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي عن ثابت بن سعيد قال : ثلاث أعين لا تسمها النار ؛ عين حرس في سبيل الله ؛ وعين سهرت في كتاب الله ؛ وعين بكت في سواد الليل من خشية الله .

أبو حاتم عن العتيبي قال حدثنا أبو ابراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضيل فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء ، وأنشد :

فلئن بكيناه يمحى لنا * ولئن تركنا ذلك للكبير^(٤)

فلمثله جرت العيون دما * ولمثله جمدت فلم تجير

(١) لم نعث على هذه النسبة في الكتب التي بين أيدينا فيمن كنيته أبو مسعود (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٧٧ من هذا المجلد فجا تقدم) . (٢) زيادة يقتضها السياق .

(٣) ورد في الأصل : «أبيه» وهو تحريف لأن الأوزاعي من روى عنه (أبو إسحاق الفزاري) ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق الفزاري أيضا فيتعين حينئذ أن (أبا إسحاق) هو المقصود في هذه الرواية . راجع تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٢١٥ وح ٦ ص ٢٣٨) وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣١ من هذا المجلد . (٤) يوجد في الأصل كلمة «للصبر» فوق كلمة «الكبير» ولعلها رواية لنسخة أخرى .

بلغني عن أبي الحارث الليث بن سعد عن أبيه عن ابن لهيعة عن أبي قبيل^(١)
 عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو^(٢)
 ابن تَمَانِي حَجَج ، فنظر الى عُبَادِ بيت المقدس قد لبسوا مدارع الشَّعَر ، وبرانس
 الصوف ، ونظر الى متهميهم أو قال مجتهديهم قد حرقوا التراقي ، وسلكوا فيها
 السلاسل ، وشدوها الى حنايا بيت المقدس ، فهاله ذلك ؛ فرجع الى أبويه فمز
 بصبيان يلعبون فقالوا : يا يحيى هلم فلنلعب قال : إني لم أخلق للعب ، فذلك قول
 الله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ فأتى أبويه فسألها أن يدرعاه الشَّعَرَ ففعلا ،
 ثم رجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويصيح فيه ليلا ، حتى أتت له
 خمس عشرة سنة ، وأتاه الخوف فراح ولزم أطراف الأرض وغيران الشَّعَاب^(٤) ،
 وخرج أبواه في طلبه فوجداه حين نزلا من جبال التَّيِّه على بحيرة الأردن وقد قعد
 على شفير البحيرة وأنقع قدميه في الماء ، وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول : وعزتك
 لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك ! فسأله أبواه أن يأكل قُرصا
 كان معهما من شعير ، ويشرب من الماء ففعل وكف عن يمينه فُدَح بالبر ؛ قال
 الله عز وجل : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ ورده أبواه الى بيت المقدس ،

١٥ (١) في الأصل : « ... عن الحارث بن الليث ابن سعد » وهو تحريف ؛ اذ هو الليث بن سعد
 ويكنى بأبي الحارث . وما يؤيد ما ذهبنا اليه أن ابن لهيعة ومن بعده روى عنهم الليث بن سعد ولدا
 ترجح لدينا أن ما ورد في الأصل خطأ صوابه ما أثبتناه . راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٧٣ و ج ٨
 ص ٤٥٩) وطبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٤ طبع « لندن » سنة ١٣٣٨ هـ) . وورد
 في الأصل : « أبي لهيعة » وهو تحريف والتصويب عن المصادر المتقدمة . (٢) في قصص
 الانبياء (ص ٢٨٨) : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كان من زهد يحيى أنه أتى
 بيت المقدس ... الخ » . ووردت فيه هذه القصة باختلاف في بعض الالفاظ وزيادات عماها .
 ٢٠ (٣) في قصص الانبياء : « ... وشدوا بها الى سواري المسجد » . (٤) نيران : جمع
 غار وهو ما ينحت في الجبل كالمفارة يأوى اليه الوحوش فاذا اتسع قيل له : كهف .

فكان اذا قام في صلاته بكى ، ويبكى زكرياً لبكائه حتى يُغمى عليه ، فلم يزل كذلك حتى حرقته دموعه لحم خدييه ، وبدت أضراسه ، فقالت له أمه : يا يحيى ، لو أذنت لى لآخذتُ لك لبدا إيوارى أضراسك عن الناظرين ؛ قال : أنتِ وذاك ، فعمدتُ الى قطعتي كبودٍ فالصقتهما على خدييه ، فكان اذا بكى استنقعت دموعه في القطعتين فتقومُ اليه أمه فتعصرهما بيديها ، فكان اذا نظر الى دموعه تجرى على ذراعى أمه قال : اللهم هذه دموعى وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين .

بلغنى عن أبي معاوية عن أبي إسحاق الخيمسى^(١) قال كان يزيد الرقاشى يقول :
ويحك يا يزيد ! من يصومُ عنك ! من يصلّى عنك ! ومن ذا يترضى لك ربك من بعدك ! ثم يقول : يا معشر من الموت موعده ، والقبر بيته ألا تبكون ! قال :
فكان يبكى حتى تسقط أشفاره عينيه .

بلغنى عن محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيّب عن الحسن قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دم في سبيله وقطرة دمع في جوف الليل من خشيته ، وما من جرعة أحب الى الله من جرعة مصيبة موجهة ردها بصبر وحسن عزائه ، وجرعة غيظ كظم عليها »
مُعتمر بن سليمان عن رجل قال : كان في وجنتي ابن عباس خطان من أثر
الدموع .

(١) في هامش تهذيب التهذيب ما نصه : « والخيمسى بفتح المعجمة وكسر السين المهملة كذا في الخلاصة والتقريب » وفي هامش الخلاصة « أن السمعاني صاحب الأنساب ضبطه بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء التحنانية ثم مهملة مكسورة وهكذا في لب اللباب » . (٢) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) وهو ما يقتضيه نص اللفظ ، ففي تاج العروس : « الشفر بالضم وفتح : أصل منبت الشمر في الجفن ويجمع على أشفار ، قال سيبويه : ولا يكسر على غير ذلك » . وفي الأصل : « شفار » .

(١) حدثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير قال حدثنا سيار عن جعفر قال :
كنت إذا أحسست من قلبي بقسوة أتيت محمد بن واسع فنظرت إليه نظرة ؛ قال :
وكنت إذا رأيت وجهه حسبتُه وجه تكلّي .

وكان يقال : أخوك من وعظك برؤيته قبل أن يعظك بكلامه .

٥ تكلم الحسن يوما حتى أبكى من حوله فقال : عجيج كعجيج النساء ولا عزيم ،
وخذعة كخذعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يبكون .

٨ أبو عاصم قال : فقد مالك بن دينار مصحفه في مجلسه ؛ فنظر اليهم كلهم
يبكون ؛ فقال : كلكم يبكي ! فمن سرق المصحف ؟ .

١٠ قال عبد العزيز بن مرزوق : الكمد أبقى للحزن ؛ وكانت له شعيرات في مُقدم
صُدغه فإذا رُقَّت تنفها أو مدها الى فوق فتقلص دمه .

١٢ قيل لغالب بن عبيد الله : إنا نخاف على عينك العمى من طول البكاء ؛ فقال :
هو لها شهادة ؛ قال بعض الشعراء :

سأبكيك حتى تُنفد العين ماءها * ويشفي مني الدمع ما أتوجع

وقال بعض الكتاب في مثله :

١٥ إبك فمن أنفع ما في البكا * أنه للأحزان تسهيل

وهو إذا أنت تأملتَه * حزن على الخطين محلول

قيل لعفيرة العابدة : ألا تسامين من طول البكاء ؟ فبكت ثم قالت : كيف
يسأم ذوداء من شيء يرجو أن يكون له فيه من دائه شفاء ! .

(١) كذا في الأصل ، ولعله محرف عن « داود » . (٢) المعجيج : الصياح ورفع الصوت .

(٣) كذا في الأصل وفي طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ١٨١) . وفي العقد الفريد (ج ١

ص ٣٨٤) والبيان والتبيين (ج ٣ ص ٨١) : « غالب بن عبد الله » .

قال ابن أبي الحواري: رأيت أبا سليمان الداراني يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟
فقال: إنما أبكي لذلك النعم الذي ليس فيه فرح، وذلك الأمد الذي ليس له انقطاع.

قال بعضهم: أتيت الشام، فمررتُ بدير حرملّة، وبه راهبٌ كان عينه عدلاً
مزاجاً؛ فقلتُ: ما يبكيك؟ فقال: يا مسلم، أبكي على ما فرطتُ فيه من عمري،
وعلى يومٍ مضى من أجلي لم يتبين فيه عملي. قال: ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ
عنه؛ فقالوا: أسلم وغزاً فقتل في بلاد الروم.

أشعث قال: دخلتُ على يزيد الرقاشي فقال لي: يا أشعث، تمال حتى
نبتكي على الماء البارد في يوم الظمأ، ثم قال: والطفاه! سبقني العابدون وقطع بي؛
وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة.

زيد الحميري قال: قلتُ لثوبانَ الراهب: أخبرني عن لبس النصارى هذا
السواد، ما المعنى فيه؟ قال: هو أشبه بلباس أهل المصائب؛ قال فقلتُ: وكلكم
معشر الرهبان قد أصيب بمصيبة؟ فقال: يرحمك الله! وأى مصيبة أعظم
من مصائب الذنوب على أهلها! قال زيد: فلا أذكر قوله ذلك إلا أبكاني.

ابن أبي الحواري قال: دخلت على أبي سليمان وهو يبكي؛ فقلت: ما يبكيك؟
قال: يا أحمد، إنه إذا جنّ الليل وهصدأت العيون وأنسى كلَّ خليلٍ بخليله، فرش
أهلُ المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم يُسمع لها وقعٌ على أقدامهم،
وقد أشرف الخليل عليهم فقال: بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الي، فما هذا
البكاء الذي أراه منكم! هل أخبركم أحدٌ أن حبيباً يعدبُ أحباءه! أم كيف أُبئتُ

(١) في العقد الفريد: «لم يحسن فيه عمل». (٢) هكذا في الأصل، وفي العقد الفريد

«أبو زيد الحميري». (٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٦٨): «وقال أبو زيد».

قوما، وعند البيات أجدهم وقوفاً يتملقونني! فبي حلفتُ أن أكشف لهم يوم القيامة عن وجهي ينظرون اليّ .

قالت خنساء : كنتُ أبكي لصخرٍ من القتل ، فأنا أبكي له اليوم من النار .

قال عمر بن ذرٍّ لأبيه : يا أبت ، مالك إذا تكلمت أبكيت الناس ، وإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟ فقال : يا بني ، ليست النائحة الشكلي مثل النائحة المستأجرة .

وفي بعض ما أوحى الله الي نبيٍّ من أنبيائه : هب لي من قلبك الخشوع ، ومن بَدَنك الخضوع ، ومن عينك الدموع ، وادعني ، فإني قريب .

وكان عمر يقول : استغزروا العيون بالندكر .

التهجد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرني معمر والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي زمعة بن كعب الأسلمي قال : كنتُ أبيتُ عند حُجرة النبي صلى الله عليه وسلم فكنتُ أسمعُ ، إذا قام من الليل ، «سبحانَ الله ربَّ العالمين» الهويُّ من الليل ، ثم يقول : «سبحانَ الله وبمجده» الهويُّ .

حدثنا حسين قال حدثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة قال : سمعتُ المغيرة بن شعبة يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توزمت قدماه ؛

(١) في الأصل : «يحيى بن أبي كنين» وهو تحريف . والتصويب من تهذيب التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب . (٢) الهويُّ الفتح : الحين الطويل من الزمان ، وقيل هو مختص بالليل . (لسان العرب) . (٣) في الأصل : «زياد عن علاقة» الفاء وهو خطأ صوابه «زياد بن علاقة» كما وضعناه . (راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٣٨٠ وج ٤ ص ١١٧ وج ١٠ ص ٢٦٢ وطبقات ابن سعد (ج ٦ ص ٢٢١) .

فقيل: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ قال: «أفلا أكون عبدا شكورا».

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولحوفه أزيز كأزيز المرجل.

بلغني عن رباح عن معتمر عن رجل قد سماه قال: قال يزيد الرقاشي: إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم نمت فلا نامت عيناى . وعلى الماء البارد السلام . يعنى بالنهار .

وروى جرير عن عطاء بن السائب قال: قال عبيدة بن هلال الثقفي: لا يشهد على ليل بنوم ولا شمس بإفطار؛ فبلغ ذلك عمر فأقسم عليه ليفطرن العيدين .

وروى حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن جده عمير بن حبيب قال: كان يقول لأهله: يا أهلاه، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ، إنه من يسبق إلى الماء يظما، يا أهلاه، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ، إنه من يسبق إلى الظل يضحى .

قال أبو سليمان الداراني: أهل الليل في ليالهم ألد من أهل اللهو في لهوهم، واولا الليل ما أحببت البقاء .

نخرج عيسى عليه السلام على الحوارين، وعليهم العباء^(٢) وعلى وجوههم النور، فقال: يا أبناء الآخرة، ما تنعم المتنعمون إلا بفضل نعيمكم .

(١) هكذا في الأصل، ولم نوفق إلى تحقيق هذه النسبة لمن يسمى «عبيدة بن هلال» ولم نثر عليه لافي كتب تراجم الرواة ولا في كتب الأنساب وغيرها من الكتب التي بين أيدينا؛ وفي البيان والتبيين (ح ٣ ص ٨٠): «... عن عبدة الثقفي...» (٢) العباء بالفتح: كساء من صوف مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب .

وقيل للحسن : ما بأل المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال : إنهم خلّوا
بالرحمن فالبسهم نورا من نوره .^(١)

حُصَيْن بن عبد الرحمن عن إبراهيم قال : كان رجلاً يقال له همّام يقول :^(٢)
اللهم آسفني من النوم باليسير، وأرزقني سهرا في طاعتك . وكان يُصبح وجنته^(٣)
مُرَجَلَةً ؛ فيقول بعضهم لبعض : إن جمّة همّام تخبركم أنه لم يتوسّد لها الليلة .

قال عبد الله بن داود : كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشه . وكان
بعضهم يُحيي الليل ، فإذا نظر إلى الفجر قال : «عند الصباح يحمّد القوم السرى» .^(٤)

حدّثنا حسين بن حسن قال : أخذ الفضيل بن عياض بيدي ثم قال : يا حسين ،
يقول الله : كذّب من ادّعى محبتي وإذا أجنّه الليل نام عني ، أليس كلّ حبيب يُحب
خلوة حبيبه ! هاأنذا مُطْلِعٌ على أحبائي ، إذا أجنّهم الليل جعلتُ أبصارهم في قلوبهم ،
ومثلتُ نفسي بين أعينهم ، فخطبوني على المشاهدة وكلموني على الحضور .

الوليد بن مسلم قال حدّثني عبد الرحمن بن يزيد قال : كنّا نعازي عطاء الخراسان^(٥)
فكان يُحيي الليل صلاةً ، فإذا مضى من الليل ثلثه أو أكثر نادانا ونحن في فسطاطنا :
يا عبد الرحمن بن يزيد ، ويا يزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز ، قوهوا فتوضّئوا^(٦)

١٥ (١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) : «فأسفر نورهم من نوره» . (٢) سموا بهمّام
بالفتح والتشديد وهمّام بالضم والتخفيف . و نستطع ضبطه هنا لأنه ورد مجردا . (٣) الجمّة بالصم :
مجمع شعر الرأس . ومرجلة : مسرحة . (٤) هذا مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة .
(٥) هكذا في الأصل ، والمعنى معه غير مستقيم . ويظهر من سياق الكلام أن كلمة «نعازي»
الواردة في الأصل محوطة عن كلمة «نقاري» من قراءه مقاراة إذا دارسه أي شاركه في الدرس ؛ وبها
٢٠ يلتئم نظم الكلام ويستقيم المعنى . (٦) كذا بالأصل وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب .
وفي الخلاصة : «الغازي» بياء بعد الزاي المعجمة .

وصلُّوا، فإتَّ قيامَ هذا الليلِ وصيامَ هذا النهارِ أيسرُ من شربِ الصديدِ ومن مُقطَّعاتِ الحديدِ؛ فالوَحَا الوَحَا ثمَّ النجاءَ النجاءَ؛ ويُقبلُ على صلاتِهِ .

مالك بنِ مِغُولٍ^(١) عن رجلٍ من جَعْفِيٍّ^(٢) عن السديِّ عن أبي أراكَةَ قالَ : صَلَّى على الغداةِ ثمَّ جلسَ حتى أرتفعتِ الشمسُ كَأَنَّ عليه كَابَةٌ، ثمَّ قالَ : واللهُ ، لقد رأيتُ أثرا من أصحابِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فما أرى أحدا يُشبههم ، واللهُ إن كانوا ليُصبحونَ شُعْتًا غُبرا صُفْرا ، بينَ أعينهم مثلَ رُكْبِ المِعْزَى ، قد باتوا يتلَّونَ كتابَ اللهِ ، يراوحونَ بينَ أقدامهم وجباههم ؛ إذا ذكروا الله مادوا كما يمدُّ الشجرُ في يومِ ريحٍ ، وأنهملتُ أعينهم حتى تَبَلَّ ثيابهم ، وكأنهم ، واللهُ ، باتوا غافلينَ . يريدُ أنهم يستقلُّونَ ذلك .

١٠ المحاربيُّ عن الإفريقيِّ قالَ حدَّثنا أبو علقمة عن أبي هريرة قالَ : إن أهلَ السماءِ ليرَوْنَ بيوتَ أهلِ الذِّكْرِ تُضِيءُ لهم كما تضيءُ الكواكبُ لأهلِ الأرضِ .

يعلى بن عبيد عن محمد بن عَوْنٍ عن إبراهيم بن عيسى عن عبد الله بن عيسى قالَ : كونوا يَنابِيعَ العلمِ ، مَفاتيحَ الهدى ، أَحلاسَ البيوتِ ، جُدَدَ القلوبِ ، خُلُقَانَ الثيابِ ، سُرَجَ الليلِ ، تُعرَفُوا في أهلِ السماءِ ، وتَحْفَوا في أهلِ الأرضِ .

١٥ حدَّثني محمد بن داود قالَ حدَّثنا أبو الربيعِ الزُّهْرانيُّ قالَ حدَّثنا أبو عروانة عن المغيرة عن إبراهيم : في الرجلِ يرى الضوءَ [بالليلِ] ؛ قالَ : هو من الشيطانِ ، لو كان هذا فضلا لأوثِرَ به أهلُ بدرِ .

(١) كذا في تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال والقاموس وشرحه ، وفي الأصل :

« معول » بالعين المهملة ، وهو محريف . (٢) جعفي : قبيلة من مذحج . (٣) الأحلاس

٢ . جمع جلس (بكسر الحاء وسكون اللام) وهو من يلزم البيت ولا يبرحه ؛ ومنه الحديث الشريف :

« كونوا أحلاس بيوتكم » أي الزموا . (٤) في الأصل : « تعرفون ... وتحفون ... » وقواعد

اللغة تقتضي ما أثبتناه ؛ لوقوعهما جوابا للأمر . (٥) التكلمة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) .

الموت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب قال : نظرت الى عمر بن عبد العزيز فأدمت النظر اليه ؛ قال : ما تنتظر يا محمد ؟ قلت : أنظر الى ما أبيض من شعرك ، ونحل من جسمك ، وتغير من لونك ؛ فقال : أما والله لو رأيتني في القبر بعد ثلاثة ؛ وقد سألت حدقتاي على وجنتي ، وسال منخرأي صديدا ودودا ، لكنت أشد نكرة^(١) .

وقال الأصمعي : دخلت بعض الجباين^(٢) ، فإذا أنا بجارية ما أحسبها أتت عليها عشر سنين ، وهي تقول :

عَدِمْتُ الحَيَاةَ وَلَا نَلْتُمَا * إِذَا كُنْتُ فِي القَبْرِ قَدْ أَلْحَدُوكَا
وَكَيْفَ أَذُوقُ لَذِيذَ الكَرَى * وَأَنْتِ بِمِثَالِكَ قَدْ وَسَدُوكَا

قال الأزدي : بلغني أن داود الطائي مرَّ بامرأة تبكي عند قبرٍ وهي تقول :

يَا أَخَاهُ ! لَيْتَ شَعْرِي :

بَأَيِّ خَدِّكَ تَبْدِي إِلَيَّ * وَأَيُّ عَيْنِكَ إِذَا سَلَا
فَصِغِقَ مَكَانَهُ ثُمَّ تَعَبَّدَ .

حدثني محمد بن مرزوق قال حدثنا محمد بن نصر المعلم قال حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال :

أَتَيْتُ القَبُورَ فَنَادَيْتُهُنَّ مِنْ أَيْنَ المَعْظَمِ وَالمُحْتَقَرِ
وَأَيْنَ المُؤَدِّلِ بِسُلْطَانِهِ * وَأَيْنَ المَرْكَبِ إِذَا مَا أَفْتَحَرُ

(١) النكرة (بفتح النون والكاف) : اسم من الانكار . (٢) الجباين جمع جبانة ،

قال : فنوديتُ من بينها ولا أرى أحدا :

تفانوا جميعاً فما تُخسِرُ * وماتوا جميعاً وماتَ الخبِرُ
تروحُ وتغدو بناتُ الثرى * ومُحَيِّ^(١) محاسنُ تلك الصُّورِ
فيا سائلِ عن أناسٍ مَضَوْا * أما لك فيما ترى مُعْتَبِرُ

قال : فرجعت وأنا أبكى .

بلغني أنه قرئ على قبرٍ بالشام :

باتوا على قُللِ الأَجبالِ تحرُّسهم^(٢) * غُلبُ الرِجالِ فلم تنفعهم القُللُ^(٣)
واستنزِلوا بعد عزِّ من معاقلهم * فأسَكِنوا حُفْرَةً يابئس ما نزلوا
ناداهمُ صارخٌ من بعد ما دُفِنوا : أين الأَسْرَةُ والتيجانُ والحُللُ
أين الوجوهُ التي كانت مُجَبَّةً^(٤) * من دونها تُضْرَبُ الأَسْتارُ والكَللُ^(٥)
فأفصحَ القبرُ عنهم حين ساء لهم * تلك الوجوهُ عليها الدودُ تقتلُ^(٦)
قد طال ما أكلوا دهرًا وما نعيموا^(٧) * فأصبحوا بعد طول الأكل قدأكلوا

وقال آخر :

رَبِّ قومٍ عبَروا من عيشهم * في نعيمٍ وسرورٍ وغَدَق

سكتَ الدهرُ زماناً عنهم * ثم أبكاهم دماً حين نَطَق

(١) في الإحياء للزالي : « فتمحو... » . (٢) القلل : جمع قلة ، وهي أعلى الجبل .

(٣) في تاريخ أبي الفدا (ج ٢ ص ٤٧ طبع الأستانة) : « فاغتهم » . (٤) في تاريخ

أبي الفدا : « منعمة » . (٥) الكلل : جمع كلة (بكر الكاف) وهي الستة الرقيق المعروف

في زمننا هذا بالناموسية . (٦) في تاريخ أبي الفدا : « يقتل » وفي اسم الجنس ، كالورد

هما ؛ يجوز الأمران . (٧) في تاريخ أبي الفدا : « شربوا » .

نزل النعمان ومعه عدي بن زيد في ظل شجرة عظيمة ليلها؛ فقال له عدي بن زيد : أتدرى ما تقول هذه الشجرة؟ قال : لا؛ قال تقول :

رب شرب^(١) قد أناخوا عندنا * يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم * وكذلك الدهر حالاً بعد حال

وقال ابراهيم بن المهدي :

بالله ربك كم بيت مررت به * قد كان يُعمر بالذات والطرب
طارت عقاب المنايا في سقائه^(٢) * فصار من بعدها للويل والحرب

أنشدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمد العروضي :

كن كيف شئت فقصرك الموت^(٣) * لا مزحل عنه ولا فوت
بيننا غنى بيت وبهجته * زال الغنى وتقوض البيت

حدثني يزداد بن أسد عن الطنّافسي قال حدثنا أبو محمد قال : كان مالك بن دينار يخرج إلى القبور كل خميس على حمار قوطراني ويقول :

ألا حيّ القبور ومن بهنة * وجوه في القبور أحبهنة
فلو أن القبور سمعن صوتي * إذا لأجبتني من وجدهنة
ولكنّ القبور صمّتن عني * فأبّت بحسرة من عندهنة

(١) في الكامل للرد (طبع أوروبا صفحة ٢٨٣) : «رب ركب... حولنا * يمزجون...» وفي البيت

الثاني «عصف» بدل «لعب» . (٢) في الأصل : «عقار المنايا» . (٣) قصرك :

تصارك وغايتك . (٤) كذا بالأصل ، ولم نجد في مصدر آخر مسمى بهذا اللفظ وإنما سوا

يزداد (بالدال) ويزدان (بالواو) . (٥) كذا بالأصل ولم نوفق إلى هذه النسبة .

ثم يبكي ويبكى .

قال معاوية بن أبي سفيان لعبيد بن شريفة الجُرهمي : أخبرني بأعجب شيء رأيته في الجاهلية ؛ فقال : إني نزلت بحج من قضاة فخرجوا بجزاة رجل من عذرة يقال له حريث وخرجت معهم ، حتى إذا وآروه في حفرة اتبنت جانباً عن القوم

- وعيناي تذرّفان ثم تمثّلتُ بأبياتٍ شعريّ كنتُ أرويها قبل ذلك بزمانٍ طويلٍ :
- ٥ تجرى أمورٌ ولا تدرى : أوائلها * خيرٌ لنفسك أم ما فيه تأخيرٌ
فاستقدر الله خيراً وارضى به * فبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ
وبينما المرءُ في الأحياءِ مغتبطاً * إذ صار في الرمسِ تغفوه الأعاصيرُ
يبكى الغريبُ عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحى مسرورُ

- ١٠ قال : وإلى جانبي رجلٌ يسمع ما أقول ، فقال لي يا عبد الله ، هل لك علمٌ بقائل هذه الأبيات ؟ قلتُ : لا والله ؛ إلا أتى أرويا منذ زمان ؛ فقال : والذي تحلفُ به إن قائلها لصاحبنا الذي دفنناه آنفاً ، وهذا الذي ترى ذو قرابته أسر الناس بموته ، وإنك لغريبٌ وتبكي عليه كما وصفت ؛ فعجبتُ لما ذكره في شعره وما صار إليه من أمره وقوله ، كأنه ينظر إلى مكاني من جنازته ، فقلت : « إن البلاء موكلٌ بالقول » ؛ فذهبتُ مثلاً .
- ١٥

قال أعرابيٌّ : خيرٌ من الحياة ما إذا فقدته أبغضتَ لفقدته الحياة ، وشرٌ من الموت ما إذا نزل بك أحببتَ لتزوله الموت .

(١) في درة الغواص للحريري (ص ٣٣ طبعة الجوانب) : "وما تدرى أعاجلها * أدنى لشدك"

وفي الأصل هنا : ولا يدرى أوائلها * خيراً الخ ... وهو تحريف .

وقال أبو زبيد :

يَمْلِكُ المرءُ بالرجاءِ وَيُضْحِي * غَرَضًا لِلنَّوْنِ نَصَبَ العودِ
كُلُّ يَوْمٍ ترميه منها برشقي^(١) * فمصيب^(٢) أو صاف غير بعيد

وقال أبو العتاهية :

وعظمتك أجداتك صمت * ونعتك أزمنة خفت

وتكلمت عن أوجه * تبلى وعن صور شنت^(٣)

وأرتك قبرك في القبو * رِ وأنت حتى لم تمت

وقال أعرابي : أبعد سفر أول منقلبة^(٤) منه الموت . وقيل لأعرابي : مات

فلان أصح ما كان ؛ فقال : أو صحيح من الموت في عنقه ! وقال بعض المحدثين :

إسمع فقد أسمعك الصوت * إن لم تبادر فهو الفوت

بل كل إذا شئت وعش ناعما * آخر هذا كله الموت

وكان صالح المري يقول في قصصه :

مؤمل دنيا لتبقى له * فمات المؤمل قبل الأمل

وبات يروى أصول الفسيل^(٥) * فعاش الفسيل ومات الرجل

وقال مسلم بن الوليد :

كم رأينا من أناس هلكوا * وبكى أحبائهم ثم بكوا

تركوا الدنيا لمن بعدهم * ودثم لو قدوا ما تركوا

(١) الرشق : الشوط من الرمي . (٢) صاف السهم عن الهدف : عدل عنه ولم يصبه .

(٣) كذا في ديوان أبي العتاهية طبع بيروت . وفي الأصل والمسهودي : « وعن صور سبت » .

(٤) المنقلة (بالفتح) : المرحلة من مراحل السفر . (٥) الفسيل : صغار النخل .

كم رأينا من ملوئِ سُوقَةٍ * ورأينا سُوقَةً قد مَلَكُوا
 قلبَ الدهرِ عليهم وِرْكا * فأستداروا حيث دار الفلكُ
 حدثني أبي عن أبي العتاهية أنه قرئ له بيتان على جدارٍ من جُدُرِ كنيسة
 القسطنطينية :

٥ ما أختلف الليلُ والنهارُ ولا * دارتْ نجومُ السماءِ في الفلكِ
 إلا بنقلِ السلطانِ عن مَلِكِ * كان يحبُّ الدنيا الى مَلِكِ
 وقال آخر :

١٠ ما أنزل الموتَ حقَّ منزله * من عدَّ يوماً لم يأتِ من أجله
 والصدقُ والصبرُ يُلغانُ بمن * كانا قرينيه منتهى أمله
 عليك صدقَ اللسانِ مجتهدا * فإتَّ جُلُّ الهلاكِ في زلله

وقال الطرمّاح :

١٥ فياربِّ لا تجعلْ وفاتي إن أتت * على شرجعٍ يُعلَى بدُنِّ المطارِفِ^(١)
 ولكن أجزئومي شهيداً وعُصبةً * يصابون في فُجٍّ من الأرضِ خائفِ^(٢)
 عصائبُ من شئٍ يؤلّفُ بينهم * هدى الله نزالون عند المواقِفِ^(٣)
 إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى * وصاروا الى موعودها في المصاحِفِ^(٤)
 فأقتلُ قعصاً ثم يرمي بأعظمي * كضغثِ الخَلَلِ بين الرياحِ العواصِفِ^(٥)
 ويصبحُ لحمي بطنَ طيرٍ مقبلة * دوينَ السماءِ في نسورِ عوائِفِ^(٦)

(١) الشرجع: النعش. (٢) رسمت هذه الجملة في الأصل هكذا: «ولكن أنريومي». وقد وردت

هذه الأبيات في الأغاني في ترجمة الطرمّاح باختلاف كثير في الكلمات عما هنا. (٣) في الأغاني

(ج ١٠ ص ١٦٠ طبع بولاق): «الى ميعاد ما في المصاحف». (٤) نعصه قعصا: قتله مكانه.

(٥) الضغث: قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس. (٦) العوائف من الطير: التي تستدير

على الشيء، حائمة حوله تريد الوقوع.

وهيب بن الورد قال : أتخذ نوح بيتا من خُصٍّ ، فقيل له لو بنيت بيتا ؟
فقال : هذا لمن يموت كثيرٌ .

بلغنى عن إسماعيل بن عيَّاش عن سُرحبيل بن مسلم أن أبا الدرداء كان اذا
رأى جنازة قال : إغدى فإننا رائحون ، أو قال : روحى فإننا غادون . وهذا مثل قول لبيد :
وإنا وإخواننا لنا قد نتابعوا * لكالمغتدى والرائح المتهجِر^(١)

بلغنى عن وكيع عن شريك عن منصور عن هلال بن إساف قال : ما من
مولود يولد إلا وفي سرته من تربة الأرض التى يموت فيها . قال الأصمعى : أول
شعر قيل فى ذم الدنيا قول ابن خُذَّاق^(٢) :

هل للفتى من بنات الدهر من راقى * أم هل له من حمام الموت من واقى
قد رجّلونى وما رجّلتُ من شعث * وألبسونى ثيابا غير أخلاق
وطيبونى وقالوا أيتما رجلى * وأدرجونى كأنى طى مخراق^(٣)
هون عليك ولا تُولع بإشفاق * فإنما ما لنا للوارث الباقى

محمد بن فضيل عن عبيد الله بن عمير قال : جاء رجل الى النبيّ عليه السلام
فقال : يا نبيّ الله ، ما لى لا أحبُّ الموت ؟ فقال له : «هل لك مال» ؟ قال : نعم ؛ قال :
«قدمه بين يديك» ؛ قال : لا أطيق ذلك ؛ قال : فقال النبيّ عليه السلام : «إن المرء
مع ماله إن قدمه أحبُّ أن يلحقَ به وإن أخره أحبُّ أن يتخلف معه» .

المحاربيّ عن عبد الملك بن عمير قال : قيل للربيع بن خثيم فى مرضه : ألا
ندعوك طبيبا ؟ قال : أنظرونى ؛ ثم فكر فقال : (وعادا وعمود وأصحاب الرّس وقرونا

(١) كذا فى ديوان لبيد ، وفى الأصل «المتجبر» بالباء وهو تحريف . (٢) كذا فى كتاب

الأوائل لأبى هلال العسكري والقاموس وشرحه مادة «خذق» وفى الأصل «حلاق» وهو تحريف .

(٣) مخراق : ثوب أو منديل يلف ويضرب به .

بين ذلك كثيراً) قد كانت فيهم أطباء، فما أرى المداوي بقي ولا المداوي؛ هلك
الناعت والمنعوت له، لا تدعوا لي طيباً .

إسحاق بن سليمان عن أبي أحمد قال : كان عمر بن عبد العزيز ليس له هجيري^(١)
إلا أن يقول :

٥ سرُّ بما يبلى وتفرحُ بالمني * كما اغترت بالذات في النوم حالمُ
نهارك يا مغرور سهو وعفلة * وليس لك نوم والردى لك لازمُ
وسعيك فيما سوف تكره غيبه * كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

كم من مستقبل يوماً ليس بمستكمله ، ومتنظير غدا ليس من أجله ؛ لو رأيتم
الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

١٠ لا يلبث القرآن أن يتفرقوا * ليل يكثر عليهم ونهارُ

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن ورد عن سالم بن بشير
ابن سجيل عن أبي هريرة : أنه بكى في مرضه فقال : أما إني لا أبكي على دنياكم
ولكنني أبكي على بعد سفرى وقلة زادى ، وأنى أمسيتُ في صعودٍ مهبطه على جنة
أونار، ولا أدري على أيهما يؤخذ بي ! .

١٥ أبو جناب قال : لما احتضر معاذُ قال لجاريته : ويحك ! هل أصبحنا ؟
قالت : لا ؛ ثم تركها سامةً ثم قال لها : انظري ! فقالت : نعم ؛ فقال : أعوذ بالله
من صباح إلى النار ! ثم قال : مرحباً بالموت ، مرحباً بزائر جاء على فاقة ، لا أفلح
من ندم ! اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحبُّ البقاء في الدنيا لكزى الأنهار ولا لغرس
الأشجار ، ولكن كنت أحبُّ البقاء لمكابدة الليل الطويل ولظماً الهواجر في الحرِّ
الشديد ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر .

٢٠

(١) الهجيري : الداب والعادة .

أبو اليقظان قال : لما احتضر عمرو بن العاص جعل يه في موضع الغل من عنقه ثم قال : اللهم إنك أمرتنا ففرطنا، ونهيتنا فركبنا ، اللهم إنه لا يسعنا إلا رحمتك ؛ فلم يزل ذلك هجيراه حتى قبض .

٥ قيل لأزاد^(١) مرد بن الهريذ حين احتضر : ما حالك ؟ فقال : ما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد، وينزل حفرة من الأرض موحشة بلا مؤنس، ويقدم على ملك جبار قد قدم إليه العذر بلا حجة !

١٠ حدثني عبدة الصفار قال حدثني العلاء بن الفضل قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه عن جده عن جد أبيه قال : سمعت أمية بن أبي الصلت عند وفاته وأغمى عليه طويلا ثم أفاق، ورفع رأسه الى سقف البيت وقال : ليكا ليكا، هانذا لديكا ، لا عشيرتي تميني، ولا مالي يفسديني، ثم أغمى عليه طويلا ثم أفاق فقال :

كل عيش وإن تطاول دهرًا * صائر مرة إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدالي * في رهوس الجبال أرمي الوعولا
ثم فاضت نفسه .

١٥ الحكم بن عثمان قال : قال المنصور عند موته : اللهم إن كنت تعلم أني قد ارتكبت الأمور العظام جرأة مني عليك ، فإنك تعلم أني قد أطعتك في أحب الأشياء اليك شهادة أن لا إله إلا أنت ، منّا منك لا منّا عليك . وكان سبب إحرامه من الخضراء أنه كان يوما نائما ، فاتاه آت في منامه فقال :

(١) كذا بالأصل ، وأصل الكلمة في اللغة الفارسية "آزاد" بالبدال المهملة فلعل ما في الأصل

كأني بهذا القصر قد بادَ أهله * وعُرِّيَ منه أهله ومنازلُه
وصار عميدُ القوم من بعد نعمة * إلى جدِّ تَبْنَى عليه جنادِلُه
فلم يبق إلا رسمُه وحديثُه * تُبَكِّي^(١) عليه مَعُولَاتٍ حلائِلُه

فأستيقظ مرعوباً ثم نام فأتاه الآتي فقال :

٥ أبا جعفرٍ حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمرُ الله لا بدَّ واقعُ
فهل كاهنٌ أعددتَه أو منجمٌ * أبا جعفرٍ عنك المنيَّة دافعُ

فقال : يا ربيع ائتني بطهورى ، فقام واغتسل وصلى ولبى وتجهَّز للحج ، فلما
صار في الثلث الأول اشتدت علته ، فجعل يقول : يا ربيع ألقني في حرم الله ،
فمات بيئرميمون^(٢) .

١٠ حدَّثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير عن العباس بن طالب قال : قال
الربيع بن بزّة : كنت بالشام فسمعت رجلاً وهو في الموت يقال له : قل لا إله إلا الله ،
فقال : اشرب واسقني ، ورأيت رجلاً بالأهواز قيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال :
ده يا ذده وده دوازده . وقيل لرجل بالبصرة : قل لا إله إلا الله ، فقال :
يارب قائلة يوماً وقد أنبت * كيف الطريقُ إلى حمامِ منجَابِ^(٤)

١٥ حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معمر عن أبيه قال : لقن مَيْتَكَ ، فإذا
قالها فدعه يتكلم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضجِرْه .

(١) تبكى (بالشديد) : مثل تبكى بالتخفيف . (٢) بيئرميمون : بمكة منسوبة إلى ميمون

ابن خالد بن عامر بن الحضرمي . (٣) هذه كلمات فارسية معنى الأولى منها عشرة أحد عشر

ومعنى الثانية عشرة اثنا عشر . وهي كلمات أجراها على لسانه هذيان الاحتصار . (٤) حمام

منجاب (بكسر الميم) : ينسب إلى منجاب بن راشد الضبي .

قال مالك بن ضيغم : لما احتضر أبو قلناله : ألا تُوصي ؟ قال : بلى ،
أوصيكم بما أوصى به إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ
فَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَآثِمُ مُسْلِمُونَ ﴾ وأوصيكم بصلة الرحم وحسن الجوار وفعل ما استطعتم
من المعروف ، وادفنوني مع المساكين .

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه ^(١) : كيف تجِدُك ؟ قال : في الموت ؛ قال :
لأن تكون في ميزاني أحبّ إليّ من أن أكون في ميزانك ، قال : وأنا والله لأن
يكون ما تُحِبُّ أحبّ إليّ من أن يكون ما أُحِبُّ .

احتضر سيويو النحوي فوضع رأسه في حجر أخيه فقَطَرَتْ قَطْرَةٌ من دموع
أخيه على خده ، فأفاق من غشيته وقال :

أُخِيَّيْنِ كَمَا فَتَرَكَ الدَّهْرَ بَيْنَنَا * إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى وَمَنْ يَأْمَنُ الدَّهْرَ !

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال : قيل لهرم بن جبان :
أوص ؛ فقال : قد صدقتني نفسي في الحياة ، مالي شيء أُوصي فيه ، ولكن أُوصيكم
بجواتيم سورة النحل .

قال الشاعر :

مَا ارْتَدَّ طَرْفُ امْرِئٍ بِلِحْظَتِهِ * إِلَّا وَشَيْءٌ يَمُوتُ مِنْ جَسَدِهِ

وقال آخر :

المرء يشقى بما يسعى لوآرثه * والقبر وارث ما يسعى له الرجل

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن أبي حيان
التيمي عن أبيه قال : أوصى الربيع بن خيثم وأشهد على نفسه وكفى بالله شهيدا

(١) يوجد بهامش النسخة الفتوغرافية ما نصه : « هو عبد الملك رحمه الله » .

وجازياً لعباده الصالحين ومُثيباً : إني رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً ، وأوصى نفسي ومن أطاعني أن يعبد الله في العابدin ويمجده في الحامدين وينصح جماعة المسلمين ؛ وأوصى أهله : ألا تُشعروا بي أحداً وسُئوني الى ربّي سلاً .

- ٥ حدثني محمد بن أحمد بن يونس قال سمعتُ عمر بن جرير المهاجري يقول :
 لما مات ذر بن عمر بن ذر قال لأصحابه : الآن يضيع الشيخ (لأنه كان به باراً) ؛
 فسمعها الشيخ فقال : أئى أضيعُ واللهُ حيٌّ لا يموت ! فلما وراه الترابَ وقف على
 قبره وقال : رحمك الله يا ذر ! ما علينا بعدك من خصاصةٍ وما بنا الى أحدٍ مع الله
 حاجةٌ ، وما يسرنى أئى كنت المقدمَ قبلك ، ولولا هولُ المطلعِ لتمتيتُ أن أكون
 مكانك ، لقد شغلنى الحزنُ لك عن الحزنِ عليك ، فياليت شعرى ما ذا قلتُ
 وما قيل لك ! ثم رفع رأسه الى السماء فقال : اللهم إني قد وهبتُ حتى فيما بيني وبينه
 له ، فهبْ حَقَّك فيما بينك وبينه له . ثم قال عند انصرافه : مضينا وتركاك ،
 ولو أقمنا ما نفعناك .

- ١٥ حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا شريح بن النعمان عن عبد العزيز بن أبي سامة
 الماحشون عن عبد الواحد بن أبي عون عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله
 عنها أنها قالت : « توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو نزل بألبالِ الراسيات
 ما نزل بأبى لهاضها ، إشرأبُ النفاقِ بالمدينة وارتدت العربُ ، فوالله ما اختلفوا
 فى نقطة إلا طار أبى بحظها وغنائها فى الإسلام » . وكانت مع هذا تقول : « من
 رأى عمر بن الخطاب عرف أنه خُلِقَ غَنَاءً للإسلام ، كان والله أحوزياً نسيجاً^(٢)

(١) فى الأصل : « وغناها » . (٢) الأحوزى : الحسن السياق للا موروفيه بعض النصارى .

وحده، قد أعدّ للامور أقرانها» . وقالت عند قبره : « رحِمك الله يا أبت ! لقد قمت بالدين حين وهي شعبة وتفاهم صدعه^(١) ورجفت جوانبه ؛ إقبضت مما أصغوا إليه^(٢)، وشمرت^(٣) فيما ونوا فيه واستخففت من دنياك ما استوطنوا^(٤) وصغرت منها ما عظموا ورعيت دينك فيما أغفلوا ، أطلوا عنان الأمن واقتعدت مطي الحذر، ولم تهضم دينك ولم تشين غدك ففاز عند المساهمة قدحك وخف مما استوزروا^(٥) ظهرك » . وقالت أيضا عند قبره : « نصر الله وجهك يا أبت ! فلقد كنت للدنيا مذلًا بإدبارك عنها، وللآخرة معزًا بإقبالك عليها ؛ ولئن كان أجل الرزايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأكبر المصائب فقدك إن كتاب الله ليعد بجميل العزاء عند أحسن العوض^(٥) منك ، فأنا أتجز من الله موعوده فيك بالصبر عليك ، وأستعيبه منك بالاستغفار لك ؛ عليك سلام الله ورحمته ، توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك » .

قال الحسين بن علي عند قبر أخيه الحسن : « رحِمك الله أبا محمد ! إن كنت لتباصر الحق مظانه ، وتؤثر الله عند تداحض الباطل في مواطن التقية بحسن الروية ، وتستشف جليل معازم الدنيا بعين لها حاقرة ، وتفيض عليها يدا طاهرة الأطراف نقية الأسرة^(٧) ، وتردع^(٧) بادرة غرب أعدائك بأيسر المؤونة عليك ؛ ولا غرو وأنت ابن

(١) وهي شعبة : تمزق وتفرق جمعه . (٢) أصغوا إليه : مالوا إليه . (٣) شمرت : جتد .

وفي الأصل : « سموت » وهو تحريف ، اذا ما بعده يعين ما أثبتناه . (٤) كذا بالأصل .

(٥) الذي في نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٦٧ طبع دار الكتب المصرية) : « ان كتاب الله ليعد بحسن

الصبر فيك وحسن العوض منك » . (٦) تداحض الباطل : من الدحض وهو الزلق والزلل ،

ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بين أيدينا ، فلعلها « عند مداحض الباطل » جمع « مدحضنة »

كزلة وزنا ومعنى . (٧) الأسرة : جمع سرار (بالكسر) وهي الخطوط التي تبدو في ظاهر اليد

والجبهة .

سلالة النبوة ورضيعُ لبانِ الحكمة؛ فالى رَوْحِ وريحانِ وجنةِ نعيمٍ؛ أعظمَ اللهُ لنا ولكم الأجرَ عليه، ووهبَ لنا ولكم السلوةَ وحُسنَ الأسي^(١) عنه .

حدّثنى عبد الرحمن بن الحسين السعديّ عن محمد بن مُصعب : أن ابن السماك قال يوم مات داود الطائيّ في كلامٍ له : إن داود رحمه الله نظر بقلبه الى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصرُ القلب بصرَ العين ، فكان كأنه لا ينظر الى ما اليه تنظرون ، وكأنكم لا تنظرون الى ما اليه ينظر ، فأنتم منه تعجبون وهو منكم يعجب ، فلما رأيكم راغبين مذهولين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولكم وأماتت بجهتها قلوبكم استوحش منكم ، فكنتُ اذا نظرتُ اليه نظرتُ [الى] حى وسطَ أمواتٍ . يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك ! أهنت نفسك وانما تريد إكرامها ، وأتعبتها وانما تريد راحتها ، أخشنتَ المطعمَ وانما تريد طيبه وأخشنتَ الملبسَ وانما تريد لينه ، ثم أمتت نفسك قبل أن تموت ، وقبرتها قبل أن تُقبر ، وعدّبتها ولمّا تُعذب^(٢) ، وأغنيتها عن الدنيا لكيلا تُذكر ، وغبّت نفسك عن الدنيا فلم ترها لك قدراً الى الآخرة ، فما أظنك إلا وقد ظفرت بما طالبت ؛ كان سيماك في شرك ولم يكن سيماك في علايتك ، تفقّهت في دينك وتركت الناس يغنون ، وسمعت الحديث وتركتهم يُحدّثون ، ونحّرت عن القول وتركتهم ينطقون ، لا تحسّد الأخيّار ، ولا تعيب الأشرار ، ولا تقبل من السلطان عطية ، ولا من الإخوان هدية ؛ آنس ما تكون اذا كنت بالله خاليا ، وأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس ؛ فمن سمع بمثلك وصبر صبرك وعزم عزمك ! لا أحسبك الا وقد أتعبت العابدين بعدك ، سبجت نفسك في بيتك فلا مُحَدّث لك ولا جليس معك ولا فراش تحتك ولا ستر على بابك

٢٠ (١) الأسي (بضم الراء ويكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا) وهي ما يتعرى به .
(٢) في الأصل «ولما أن تعذب» . بزيادة «أن» بعد «لما» وليس هذا من مواضع زيادتها .

وَلَا قُلَّةٌ يُبَرَّدُ فِيهَا مَأْوُكُ وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ ، مِطْهَرَتُكَ قَلْبُكَ
 وَقَصْعَتُكَ تَوْرُكُ . داود ما كنت تشتمى من الماء بارده ولا من الطعام
 طيبه ولا من اللباس لينه ، بلى ! ولكن زهدت فيه لما بين يديك ؛ فما أصغر
 ما بذلت ، وما أحقر ما تركت في جنب ما أملت ، فلما ميت شهرك ربك بموتك ،
 ٥ وألبسك رداء عملك ، وأكثر تبعك ، فلورأيت من حضرك عرفت أنك ربك
 قد أكرمك وشرفك ، فلتتكلم اليوم عشيرتك بكل ألسنتها ، فقد أوضح ربك فضلها
 بك ، ووالله لو لم يدع عبدا الى خير بعمله إلا حسن هذا النسر من كثرة هذا التبغ ،
 لقد كان حقيقا بالاجتهاد والجهد لمن لا يضع مطيعا ولا ينسى صنيعا شاكرا ومثيبا .

وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه ،

١٠ فحقق رجائي وآمن خوفي .

مات ابن لائس بن مالك فقال أنس عند قبره : اللهم عبدك وولد عبدك
 وقد ردد اليك ، فأرأف به وارحمه ، وجاف الأرض عن بدنه ، وافتح أبواب السماء
 لروحه وتقبله بقبول حسن . ثم رجع فأكل وشرب وادهن وأصاب من أهله .
 وقال جرير في امرأته :

١٥ لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا * لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ

صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ نُخِرُوا * وَالطَّيِّبُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ

وقفت أعرابية على قبر ابنها فقالت : والله ما كان مالك لعيسك ، ولا همك

لنفسك ، وما كنت إلا كما قال القائل :

رحيبُ الذراعِ بالتي لا تسينه * وإن كانت الفحشاء ضاق بها ذرعا

حدثني محمد بن داود عن الصلت بن مسعود قال : كان سفيان بن عيينة يستحسن شعر عدى بن زيد :

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وتماد
بينما هم على الأسرة والأند * ما طأفضت إلى التراب الحدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد
وأطبأء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعوطهم واللدود^(١)
وصحيح أضحى يعسود مريضا * وهو أدنى للموت من يعسود
أخذه على بن الجهم فقال :

كم من عليل قد تحطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود

- ١٠ حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الملك بن عمير عن ربيعي بن حراش قال : أتيت أهلي فقيل لي : مات أخوك ، فوجدت أخي مسجى عليه بثوب ، فأنا عند رأسه أترجم عليه وأدعوله إذ كشف الثوب عن وجهه فقال : السلام عليكم ، قلنا : وعليك السلام ، سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إني تلقيت بروح وريحان ورب غير غضبان ، وكسائي ثيابا من سندس وإستبرق ، وإني وجدت الأمر أيسر مما تظنون ، ولا تتكلموا ، إني استأذنت ربي أن أخبركم وأبشركم . إحملوني إلى رسول الله ، فقد عهد إلي ألا أبرح حتى ألقاه ثم طفي^(٢) .

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة بن زاذان عن ثابت أن مطرفا كان يسدو على دابته بين المقام فأغفى فاذا أهل القبور جلوس على^(٣)

- ٢٠ (١) السعوط : الدواء الذي يؤخذ من الأنف ، واللدرود (وزان صبور) : ما يؤخذ من الدواء بالمسعط ويصب في أحد شق الفم . (٢) همد وسكن . (٣) كذا بالأصل ولعلها يغدر .

(١) شَفَاهُ قُبُورَهُمْ يَقُولُونَ : هَذَا مُطَرَّفٌ يَرُوحُ إِلَى الْجُمُعَةِ ؛ قُلْتُ : هَلْ تَعْرِفُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَمَا تَقُولُ الطَّيْرُ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ، يَقُولُونَ : سَلَامٌ، يَوْمَ صَالِحٍ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنْ تَجْرِيَ الْعَيْنُ الَّتِي حَفَرَهَا — قَالَ سُفْيَانُ : تُسَمَّى عَيْنَ أَبِي زِيَادٍ — نَادَوْا بِالْمَدِينَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ فَلْيَأْتِ قَتِيلَهُ ؛ قَالَ جَابِرٌ : فَأَتَيْنَاهُمْ فَأَخْرَجْنَاهُمْ رِطَابًا يَتَثَنُّونَ ، وَأَصَابَتِ الْمِسْحَاةَ رَجُلٌ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَانْقَطَرَتْ دَمًا . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : لَا يُنْكِرُ بَعْدَ هَذَا مُنْكَرًا أَبَدًا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَمِيدِ بْنِ عَمِيرٍ قَالَ : أَهْلُ الْقُبُورِ يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ^(٣) فَاذَا أَتَاهُمُ الْمَيِّتُ سَأَلُوهُ : مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُ : أَلَمْ يَأْتِكُمْ! فَيَقُولُونَ : إِنْ لَمْ يَأْتِكُمْ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، سَلِّكَ بِهِ غَيْرُ سَبِيلِنَا .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَبْدِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ السَّائِحُ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ قَالَ : شَهِدْتُ ثَابِتًا الْبَنَانِيَّ يَوْمَ مَاتَ وَشَهِدَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، فَدَخَلْتُ قَبْرَهُ أَنَا وَحَمِيدُ الطَّوِيلُ وَأَبُو جَعْفَرِ حَسَنٌ مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ فَلَمَّا ذَهَبَتْ أُسْوَى عَلَيْهِ اللَّيْنَةُ سَقَطَتْ مِنْ يَدِي فَلَمْ أَرَ فِي اللَّحْدِ أَحَدًا ، وَأَصْبَغِي إِلَى حَمِيدٍ أَنْ اخْتُطِفَ صَاحِبُنَا وَضُجَّ النَّاسُ فَسَوَّيْنَا عَلَى اللَّحْدِ وَحَثَوْنَا التُّرَابَ ؛ فَلَمْ يَكُنْ لِحَمِيدٍ هِمَّةٌ حَتَّى أَتَى سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : مَا يُنْكِرُ اللَّهُ قَدْرَةً! إِلَّا أَنِي أَنْكَرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا يُفْعَلُ هَذَا بِهِ ، فَهَلْ عِلْمٌ بِهِ أَحَدٌ سِوَاكَ؟ قَالَ :

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَعَلَّ أَصْلَهُ « أَشْفَاءُ » جَمْعُ شَفَا أَيْ حَرَفٌ . (٢) انْقَطَرَتْ دَمًا : سَأَلَتْ دَمًا ، يُقَالُ انْقَطَرَتْ قَدَمُ فُلَانٍ أَوْ أَصْبَعُهُ دَمًا أَيْ سَأَلَتْ فِي الْأَصْلِ . « انْقَطَرَتْ » بِالْقَافِ وَلَمْ يَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ الَّتِي بِيَدِينَا صِيغَةَ انْفَعَلَ مِنْ نَطَرٍ . (٣) يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ : يَنْتَظِرُونَهَا وَيَسْأَلُونَ عَنْهَا .

نعم، الربيع بن صبيح وحسن؛ قال: عدلان مرَضِيَّان، فبعث أماناً جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه في قبره .

وحدثني أيضا عن أعرابية كان يُقال لها أم غسان مكفوفة وكانت تعيش بمغزطا وتقول: الحمد لله على ما قضى وارتضى، رضيتُ من الله ما رضى لي، وأستعينُ الله على بيتِ ضيقِ الفناء قليلِ الكِواءِ^(١) وأستعين الله على ما يُطأع من نواحيه . وماتت جارة لها فقيل لها: ما فعلت جارتك؟ فقالت:

تقسّم جاراتها بيتها * وصارت الى بيتها الأتلد

وقالت يوما: إن تقبل الله مني صلاة لم يعدّني، فقيل لها: كيف ذلك؟ قالت: لأن الله عز وجل لا يتي في رحمته وحلمه، قال: وكنتُ سمعتُ حديثَ معاذ «من كتبت له حسنة دخل الجنة» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أم غسان تقول هذا، فعرفت تأويله:

الكبر والمشيب

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن عبد الجليل بن عطية عن شهر ابن حوشب عن عمرو بن عبّسة قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من شاب شيباً في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة ما لم يخضبها أو ينتفها» .

أبو حاتم عن الأصمعي عن شيخ من بني قزارة قال: مررتُ بالبادية وإذا شيخٌ قاعدٌ على سفيرِ قبرٍ، وإذا في القبور رجالٌ كأنهم الرماحُ يدفنون رجلاً والشيخُ يقول:

(١) الكواء: جمع كتوة وهي الخرق في الخائط .

أَحْسُوا عَلَى الدَّيْسِمِ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * قَدَّمَا أَبِي رَبُّكَ إِلَّا مَا تَرَى ^(١)

فقلت له : مَنْ الميْتُ؟ فقال : ابني، فقلت له : مَنْ الذين يَدْفِنُونَهُ؟ قال :

بنوه .

حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : دَخَلَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ الْمَسْجِدَ يُهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ ^(٢)

مِنَ الْكِبَرِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَتَّبِعُهُ عَلَى مَوَدَّتِهِ : بَلَغْتَ مَا أَرَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ !

قال : هو ما تَرَى فَلَا بَلَّغْتَهُ . ونحوه قولُ الشاعر :

* يَا حَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلَّغْتَهُ *

ويقال في الزبور : « من بلغ السبعين اشتكى من غير علة » . وقال محمد بن حسان

النبطي : لا تسأل نفسك العام ما أعطتك في العام الماضي .

رَأَى ضَرَّارُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيَّ لَهُ ثَلَاثَةٌ عَشْرَ ذَكَرًا قَدْ بَلَّغُوا فَقَالَ : مِنْ سِرِّهِ بَنُوهُ

سَاءتَهُ نَفْسُهُ .

قال ابن أبي فتن :

مِنَ عَاشٍ أَخْلَقْتَ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ * وَخَانَهُ الثَّقَاتِ السَّمْعُ وَالْبَصْرُ

قَالَتْ عَهْدَتُكَ مَجْنُونًا فَقُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جَنُونٌَ بِرُؤْيِ الْكِبَرِ

أَبُو عَيْبَةَ قَالَ : قِيلَ لِشَيْخٍ : مَا بَقِيَ مِنْكَ؟ قَالَ : يَسْبِقُنِي مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ ،

وَيُدْرِكُنِي مَنْ خَلْفِي ، وَأَنْسَى الْحَدِيثَ ، وَأَذْكَرُ الْقَدِيمَ ، وَأَنْعَسُ فِي الْمَلَأِ ، وَأَسْبَهَرُ

فِي الْخَلَاءِ ، وَإِذَا قَمْتُ قُرْبَتِ الْأَرْضُ مِنِّي ، وَإِذَا قَعَدْتُ تَبَاعَدَتْ عَنِّي ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَالَتْ عَهْدَتُكَ مَجْنُونًا فَقُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جَنُونٌَ بِرُؤْيِ الْكِبَرِ

(١) كذا بالأصل وجاء هذا البيت في اللسان مادة « دم » هكذا

أحشى على ديسم من برد الثرى * أبي قضاء الله إلا ما ترى

(٢) بالبناء للفعول أي يمشى بينهما معتمدا عليهما لضعفه .

قال عبد الملك بن مروان للعرين بن الهيثم : كيف تجدك ؟ قال : أجدني
قد أبيض مني ما كنت أحب أن يسود واسود مني ما كنت أحب أن يبيض
واشتد مني ما أحب أن يلين ولان مني ما أحب أن يشتد وقال :

سَلْنِي أَنْبِيَّتَكَ بِآيَاتِ الْكِبَرِ * نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسَعَالُ السَّحَرِ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرَ * وَقِلَّةُ الطَّعِيمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ
وسرعة الطرف وتحميج النظر^(١) * وتركك الحسنة في قبل الظهر
* والناس يتلون كما تبلى الشجر *

وقال حميد بن ثور :

أرى بصرى قد رابى بعد هجعة * وحسبك داء أن تصبح وتأسما

وقال الكبيت :

لا تَغِيْطِ الْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ * أَمْسَى فَلَانٌ لَيْسَ لَهُ حَكْمًا
إِنْ سَرَّهَ طَوَّلَ عَمْرَهُ فَلَقَدْ * أَصْحَى عَلَى الْوَجْهِ طَوَّلَ مَا سَلَمَا

وقال الثير بن تولب :

يَوَدُّ الْفَقِيَّ طَوَّلَ السَّلَامَةِ وَالْغَنَى * فَكَيْفَ تُرَى طَوَّلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

١٥ (١) التحميج : تصغير العين لتسكينها من النظر ، ويقال على إدامة النظر مع فتح العينين ، وهكذا ذكره
الأزهري والجوهري وغيرهما بالخاء المهملة قبل الميم والجيم المعجمة بعدها ، وفي الأصل : «تحميج»
بتقديم الجيم وتأخير الخاء ، وهو موافق لما رواه ابن الأثير في حديث عمر بن عبد العزيز «فطلق يجمع إلى
الشاهد النظر» ثم قال : هكذا ورد في كتاب أبي موسى وكأنه واقف أعلم فهو ، وقال الزنجشري : هي لغة
في التحميج (انظر اللسان مادتي حمج وجمع) .

وقال آخر:

كانت قناتي لا تَلِينُ لغامز * فالانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربِّي بالسلامةِ جاهدا * لِيُصِحِّي^(١) فإذا السَّلامَةُ داءُ

وقال أبو العتاهية:

* أسرع في نقص امرئٍ تمامه *

وقال صبد الحميد الكاتب:

ترحل ما ليس بالقافل^(٢) * وأعقب ما ليس بالآئيل
فلهني من انخلف النازل * ولهني على السلف الراحل
أبئي على ذا وأبكي لذا * بكاء الموهمة الناكيل
تُبكي من ابن لها قاطع * وتبكي على ابن لها واصل
تقضت غوايات سُكر الصبا * وزدَّ التُّسقى عند الباطل

محمد بن سلام الجمحي عن عبد القاهر بن السري قال: كتب الجحاج الى قتيبة
ابن مسلم: إني نظرتُ في سنِّك فوجدتُك لِدتي^(٣) وقد بلغت الخمسين وإك أمراً
سار الى منهل خمسين عاماً لقريب منه . فسمع به الجحاج بن يوسف التيمي فقال:

إذا كانت السبعون سنِّك لم يكن * لدائك إلا أن تموت طيباً
وإك أمراً قد سار سبعين حجة * الى منهل من ورده لقريب
إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل * خلوتُ ولكن قل على رقيب
إذا ما أنتقضى القرن الذي أنت منهم * وخلقت في قرن فانت غريب

(١) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٢٥ وبالأصل: «لينجى». (٢) في الأصل «رحل».

٢. ولا يستقيم معه الوزن . (٣) لدة الرجل: تر به .

وقال لبيد :

أليس ورأى إن تراخت منيتي * لزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابعُ
أخبر أخبارَ القرونِ التي مضت * أدبٌ كأنى كلما قمتُ راصعُ

وقال آخر في مثله :

حننتي حانياتُ الدهرِ حتى ^(١) * كأنى ^(٢) خاتِلٌ يدنو لصيدٍ

وقيل لرجل من الحكماء : مالك تُدمنُ إمساكَ العصا واستَ بكبيرٍ ولا مريضٍ؟

فقال : لأذكر أنى مسافرٍ؛ قال الشاعر :

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حملها * علىّ ولا أنى تحنيتُ من كبرٍ
ولكنني ألزمتُ نفسي حملها * لأعلميها أن المقيمَ على سفرٍ

١٠ ومرَّ شيخٌ من العربِ بفلامٍ فقال له الفلام : أحصدتَ ياعمّاه فقال : يا بنى

وتُحصَدون .

قال الحسنُ في موعظة له : يامعشر الشيوخ ، الزرعُ اذا بلغ ما يُصنع به ؟ قالوا :

يُحصد . يامعشر الشباب كم من زرع لم يبلغ أدركته آفةٌ ، قال الشاعر :

الدهرُ أبلاني وما أبليتُه * والدهرُ غيرني وما يتغيرُ

١٥ والدهرُ قيّدني بنحيطٍ مبرمٍ * فشيئتُ فيه وكلّ يومٍ يقصُرُ

(١) كذا في اللسان مادة «ختل» وفي الأصل «ناثبات» . (٢) كذا في اللسان مادة

ختل وفي الأصل «حابل» . (٣) أحصدت : أن لك أن تحصد . (٤) كذا بالأصل :

وهذه الجملة غير متظمة مع ما قبلها فلعل بعض الكلمات سقطت بينها وبين الجملة التي قبلها وبين المزاد

«ثم قال» الخ .

وقال عُمارة بن عَقِيل :

وأدركتُ مِلءَ الأَرْضِ ناساً فأصبحوا * كأهل الديار قَوْضوا فتحملوا
وما نحن إلا رُقْمَةٌ قد ترحلت * وأخرى تُقَضِّي حاجها وترحَّلُ

ذكر أعرابيُّ الشيبَ فقال : والله لقد كنتُ أنكر الشعرَةَ البيضاء فقد صرتُ

أنكر السوداء ، فباخيراً بَدَلِ وياشراً مبدول ^(١) . وقال بعض الشعراء :

شاب رأسي وما رأيتُ مشيبَ الـ ترأس * إلا من فضلِ شيبِ الفؤادِ
وكذاك القلوب في كلِّ بؤس * ونعمٍ طلائعُ الأجسادِ
طال إنكارِي البيضاءً فإن عُمَرُ ^(٢) رتُّ شيتا أنكرتُ لونَ السوداءِ

رأى إياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته ، فقال : أرى الموتَ يطلبنى وأراني

لا أفوته ، أعوذ بك يا ربَّ من فُجَاءاتِ الأمور ، يا بني سجدتُ قد وهبتُ لكم شبابي
فهبوا لي شيبتي ، ولزم بيتي .

قال قيس بن عاصم : الشيبُ خطامِ المنية .

قال آخر : الشيبُ بريدُ الحمام .

قال آخر : الشيبُ توءم الموت .

قال آخر : الشيبُ تاريخ الموت .

قال آخر : الشيبُ أوَّل مراحل الموت .

قال آخر : الشيبُ تمهيد الحمام .

قال آخر : الشيبُ عنوان الكبر ،

(١) كذا في الأصل : وهذا يوافق قول أبي عبيدة : هذا باب المبدول من الحروف ، ونحو هذه

كما في اللسان مادة « بدل » دليل على أن بدل متعد ، وفي العقد الفريد : « مبدل » .

قال عبيد بن الأبرص : * والشَّيبُ شَيْنٌ لمن يشيب * . ويقال : شَيْبُ
الشَّعْرِ مَوْتُ الشَّعْرِ، ومَوْتُ الشَّعْرِ عِلَّةُ مَوْتِ البَشَرِ . قال الشاعر :
وكان الشباب الغضُّ لى فيه لذة * فوقرنى عنه المشيبُ وأدبا
فَسَقِيًّا ورَعِيًّا للشبابِ الذى مضى * وأهلاً وسهلاً بالمشيبِ ومرحباً
وقال أعرابيٌّ - ويقال هى لأبى دُلف - :

فى كل يوم من الأيام نابتة * كأنما نبتت فيه على بصرى
لئن قرضتِك بالمقراض عن بصرى * لما قرضتِك عن همى ولا فكري
وقال أعرابيٌّ :

أرى الشيبَ مذجاوزتُ نحسين دائباً * يدب ديبَ الصبحِ فى غسقِ الظلمِ
هو السُّمُّ إلا أنه غيرُ مؤلم * ولم أر مثلاً للشيبِ شُماً بلا ألمِ
وقال آخر :

قصر الحوادثُ خطوه فتدانى * وحنين صدر قناته فتحانى
صحب الزمانَ على اختلاف فنونه * فأراه منه شدة وليانا
ما بال شيخ قد تمدد لحمه * أنضى^(١) ثلاث عمائم ألوانا
سوداء داجيةً وسحق مفوف^(٢) * وأجد أخرى بعد ذلك هجاناً^(٣)
ثم المماتُ وراء ذلك كله * وكأنما يُعنى بذلك سواناً
وقال آخر يذكر الشباب :

لما مضى ظاعناً عنا فودعنا * وكان كالميت لم يترك له عقباً
عدنا الى حالةٍ لا نستطيع لها * وصل الغواني وعاب الشيب من لعبا

٢٠ (١) أنضى : أبل وأخلق . (٢) السحق : الثوب البالى ، والمفوف من البرود ما فيه خطوط

بيض . (٣) الهجان : الخالص البياض .

وقال محمود الوراق :

بكِتُ لُقْرَبِ الْأَجْلِ * وَبُعْدِ فَوَاتِ الْأَمْلِ
وَوَافِدِ شَيْبِ طَرَا * بِعُقْبِ شَبَابِ رَحَلِ
شَبَابٌ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ * وَشَيْبٌ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ
طَوَاكُ^(١) بِشَيْرِ الْبَقَا * وَجَاءَ بِشَيْرِ الْأَجْلِ
طَوَى صَاحِبٌ صَاحِبًا * كَذَاكَ انْتِقَالَ الدُّوَلِ

وقال أبو الأسود يذم الشباب :

غدا منك أسبابُ الشبابِ فأسرعا * وكان بكاري بان يوماً فودعا
فقلت له فأذهبْ ذمياً فليتنى * قتلتك علماً قبل أن تُتصدعا
جنيتَ على الذنبِ ثم خذلتني * عليه فبئس الخلتان هما معاً
وكننتَ سراباً ما صحَّحاً^(٢) إذ تركتني * رهينة ما أجنبي من الشراجمعاً

وقال آخر :

استنكرتُ شيبِي فقلتُ لها * ليس المشيبُ بناقصُ عمري
وتتفستُ بي همةٌ وصلت * أملِي بكل ربيعة الذكرِ

١٥ روى عبد الله بن حفص الطاحي عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدي عن أبيه
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اخضبوا بالسواد، فإنه أنس للنساء وهيبة
للعدو. قال عمر بن المبارك الخزامي .

مَنْ لِأُذُنِي هَمَلٌ * وَإِكْفَى بِمَدَامِ
دَقَّ عَظْمُ الْجَهْلِ مِنِّي * وَأَنْثَى شَنْهُ صَرَامِي^(٣)

٢٠ (١) طواك : جازك . (٢) ماخصا : ما بدا وظهر . (٣) كذا في الأصل ، ومن
المحتمل أن يكون : "وانثى سن صرامي" والعرام : العدة والقوة .

وتمشى الفد من شيد * جي الى الشيب التوام^(١)
نظمتك الدر الى الدر * في سلك النظام

وقال أبو العتاهية :

نمى لك ظل الشباب المشيب * ونادتك باسم سواك الخطوب
فكن مستعدا لداعى المنون * فكل الذى هو آت قريب
وقبلك داوى المريض الطيب * فعاش المريض ومات الطيب
يخاف على نفسه من يتوب * فكيف ترى حال من لا يتوب

محمد بن سلام قال : سمعت يونس بن حبيب يقول : لا يأمن من قطع
في خمسة دراهم خير عضو منك أن يكون عقابه هكذا غدا .

الدنيا

حدثني أبو مسعود الدارمي قال حدثني جدي خراش عن أنس بن مالك قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبحت الدنيا همه وسدمه نزع الله^(٢)
الغنى من قلبه ، وصير الفقر بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كُتب له ، ومن
أصبحت الآخرة همه وسدمه نزع الله الفقر من قلبه وصير الغنى بين عينيه وأنته
الدنيا وهي راغمة » .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا أبو الربيع عن حماد عن علي بن زيد عن
الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحك بن سفيان : « ما طعامك » قال :
الحلم واللبن ، قال : « ثم يصير الى ما ذا » قال : ثم يصير الى ما قد علمت ، قال :

(١) التوام : جمع ترام ، وأصله المولود مع غيره في بطن ، ويضم المولود ورجاء كما وقع في هذا البيت .

(٢) السدم : اللهجة والولوع بالشئ .

« فَإِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَا يُخْرِجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا » قَالَ : وَكَانَ بِشِيرِ بْنِ كَعْبٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ إِذَا فَرِغَ مِنْ حَدِيثِهِ : انْطَلِقُوا حَتَّى أُرِيَكُمْ الدُّنْيَا ، فَيَجِيءُ فَيَقْفُ بِهِمْ عَلَى السُّوقِ ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ مَزْبَلَةٌ ، فَيَقُولُ : انظُرُوا إِلَى عَسَلِهِمْ وَسَمِّهِمْ وَإِلَى دَجَاجِهِمْ وَبَطْنِهِمْ صَارَ إِلَى مَا تَرَوْنَ .

حدثني هارون بن موسى قال حدثنا محمد بن سعيد القزويني عن عمرو بن أبي قيس (١) عن هارون بن عنتره عن عمرو بن مرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : (لَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فقال : «إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ وَانْفَسَحَ شُرْحُ لَذَلِكَ الصَّدْرِ» ؛ قالوا : يانبي الله هل لذلك آية يُعرف بها؟ قال : «نعم الإجابة إلى دار الجلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للوَبْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ» .

بلغني عن العتيبي عن حبيب العنوي عن وهب بن منبه قال : رأينا ورقة يهقونها الریحُ فأرسلنا بعض الفتيان فاتانا بها فإذا فيها : الدنيا دارٌ لا يُسَلِّمُ منها إلا فيها ، ما أخذ أهلها منها لها خرجوا منه ثم حوسبوا به ، وما أخذ منها أهلها لغيرها خرجوا منه ثم أقاموا فيه ، وكأن قوما من أهل الدنيا ليسوا من أهلها ، هم فيها كمن ليس فيها ، عملوا بها يُبصرون وبادروا ما يحذرون ، تتقلب أجسادهم بين ظهرائي أهل الدنيا ، وتتقلب قلوبهم بين ظهرائي أهل الآخرة ، يرون الناس يُعظمون وفاة أجسامهم وهم أشد تعظيما لموت قلوب أحيائهم . فسألت عن الكلام فلم أجد من يعرفه .

وقال المسيح عليه السلام : الدنيا قنطرةٌ فاعبروها ولا تعمروها .

(١) كذا في تهذيب التهذيب في ترجمة محمد بن سعيد . وفي الأصل « عمر » .

وفي بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى الى الدنيا « مَنْ خَدَمَنِي فَأَخْدُمِيهِ ،
وَمَنْ خَدَمَكَ فَاسْتَخْدِمِيهِ » .

قال بعض العابدين يذُكر الدنيا :

لقد غرَّت الدنيا رجالاً فأصبحوا * بمنزلة ما بعدها مُتَحَوِّلٌ
فساخطُ أميرٍ لا يُبَدِّلُ غيره * وراضٍ بامرٍ غيره سَيُبَدَّلُ
والغُ أميرٍ كان يأملُ دونه * ومختلجٌ من دون ما كان يأملُ

وقال آخر يذُكر الدنيا :

حُتُوفُهَا رَصْدٌ وَعَيْشُهَا رِنْقٌ ^(١) * وَكَرْهًا نَيْكَةٌ وَمُلْكُهَا دَوْلٌ ^(٢)

وقال آخر :

نُزاعٌ لذكر الموت ساعة ذكره * وتَعَرَّضَ الدنيا فنلهو ونلعبُ
ونحن بنو الدنيا خُلقنا لغيرها * وما كنتُ منه فهو شئٌ ^(٣) محببٌ

وقال يحيى بن خالد : دخلنا في الدنيا دُخولاً أخرجنا منها .

ذمَّ رجلٌ الدنيا عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال عليّ عليه السلام :
الدنيا دارٌ صديقٍ لمن صدَّقها ، ودارٌ نَجاةٍ لمن فهمَّ عنها ، ودارٌ غنىٍ لمن تزوَّد منها ، مهبطٌ
وحيّ الله ، ومُصلًى ملائكته ، ومسجدٌ أنبيائه ، ومنجى أوليائه ، رَجُوا منها الرحمةَ
واحتسبوا فيها الجنةَ ، فمن ذا يذمها وقد آذنتُ بينها ونادتُ بفراقها وشبهتُ بسرورها
السُّرورَ وببلائها البلاءَ ترغيباً وترهيباً ، فأيما الذام الدنيا المملُّ نفسه ، متى خَدَعْتَك
الدنيا أم متى استندمت اليك ! أبمصارع آباءك في الليالي ! أم بمضاجع أمهاتك في الثرى ! ^(٤)

(١) رصد : مترصدة مترقبة . (٢) رنق : كدر . (٣) يريد أن الناس أبناء الدنيا

فهم منها ، ولهذا كانت محوبة لهم (٤) استندمت اليك : فلت ما تدمها على فعله .

كم مرّضتَ بيدك، وعَلَّتَ بكفّيك، تطلبُ له الشفاء، وتستوصفُ له الأطباء،
غداة لا يُغنى عنه دواؤك، ولا ينفعك بكاؤك .

كان إبراهيم بن أدهم العجليّ يقول :

نُرْقِعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا * فَلَا دِينَنا يَبْقَى وَلَا ما نُرْقِعُ^(١)

قال أبو حازم : وما الدنيا ! أمّا ما مضى فحلمٌ وأمّا ما بقي فأمانى .

قال سفيان :

أوحى الله تعالى الى نبيّ من الأنبياء « اتَّخِذِ الدُّنْيَا ظَنًّا وَالْآخِرَةَ أَمًّا » .

قال الشعبيّ : ما أعلمُ لنا وللدنيا مثلاً إلا ما قال كثير .

أَسَيْئُ بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لِأَمْلُومَةٍ * لَدَيْنَا وَلَا مَقَابِيءُ^(٢) إِنْ تَقَلَّتْ

قال بكر بن عبد الله : المستغنى عن الدنيا بالدنيا كالمطعم النّار بالتبن .

قال ابن مسعود : الدنيا كلّها غمومٌ، فما كان فيها من سرور فهو ربح .

قال محمد بن الحنفية : مَنْ كَرَمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا .

وقال بعضُ الحكماء : مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ ضَرَّتَانِ إِنْ أَرْضِيَ

إحداهما أسخط الأخرى .

قال سفيان : تَرَكَ لَكُمْ الْمُلُوكُ الْحِكْمَةَ فَاتْرُكُوا لَهُمُ الدُّنْيَا .

وقال آخر : إِنْ الدُّنْيَا قَدْ اسْتَوَدَّقَتْ^(٣) وَأَنْعَطَ النَّاسُ .

(١) كذا ورد في الإحياء للقرابي (ج ٣ ص ١٥٥) طبع ممر وهو المعروف في رواية هذا البيت

في الأصل : « تمزق » في الموضعين ، وهو تحريف .

(٢) تقلت : تهبضت ، وفيه التفات من الخطاب الى العيبة . (٣) يقال : ودقت اللرس تدق

ودقا واستودقت اذا طلقت الفعل .

قال وهيب بن الورد : مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَلْيَتَّهَبْ لَهَا .

قيل لمحمد بن واسع : إِنَّكَ لَتَرْضَى بِالدُّنْيَا ؛ فَقَالَ : إِنَّمَا رَضِيَ بِالدُّنْيَا مَنْ رَضِيَ
بِالدُّنْيَا .

قيل لعلي بن الحسين : مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَرًا ؟ فَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرِ الدُّنْيَا خَطَرًا
لِنَفْسِهِ .

كَانَ يُقَالُ : لِأَنَّ تَطَلُّبَ الدُّنْيَا بِأَقْبَحِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ تُطَلَّبَ
بِأَحْسَنِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الْآخِرَةُ .

قَالَتِ امْرَأَةٌ لِبُعْلِهَا وَرَأَتْهُ مَهْمُومًا : مِمَّ هَمُّكَ ؟ أِبِالدُّنْيَا فَقَدْ فَرَّغَ اللَّهُ مِنْهَا
أَمْ بِالْآخِرَةِ فَزَادَكَ اللَّهُ هَمًّا ! .

الثوري قال : قَالَ الْمَسِيحُ : حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالْمَالُ فِيهَا دَاءٌ
كَثِيرٌ ؛ قِيلَ : مَا دَأْوُهُ ؟ قَالَ : لَا يَسْلَمُ [صَاحِبُهُ] مِنَ الْفَخْرِ وَالْكَبْرِ ؛ قِيلَ : وَإِنْ
سَلِمَ ؟ قَالَ : يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ .

بلغني عن محمد بن فضيل قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سَالِمِ بْنِ
أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : يَا أَهْلَ حِمَّصَ ، مَا لِي أَرَاكُمْ تَجْمَعُونَ كَثِيرًا ، وَتَبْنُونَ
شَدِيدًا ، وَتَأْمَلُونَ بَعِيدًا ! إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ جَمَعُوا كَثِيرًا وَبَنَوْا شَدِيدًا وَأْمَلُوا بَعِيدًا فَصَارَ
جَمْعُهُمْ بُورًا وَصَارَتْ مَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا وَأَمْلُهُمْ غُرُورًا . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : يَا أَهْلَ
دِمَشْقَ ، مَا لَكُمْ تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ !
إِلَّا إِنْ عَادَا وَنَمُودَ كَانُوا قَدْ مَلَأُوا مَا بَيْنَ بَصْرَى وَعَدَنَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَتَعَبًا ، فَمَنْ
يَشْتَرِي مِنِّي مَا تَرَكَوا بِدَرَاهِمِينَ !

بلغنى عن داود بن المحبر عن عبده الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم نريدُ البصرة ، حتى إذا كنا بين الرصافة وحمص سمعنا صائحا يصيحُ من بين تلك الرمالِ - سمعته الآذانُ ولم تره العيونُ - يقول : يا مستورا يا محفوظا ! إِعْقِلْ في سِرِّ مَنْ أَنْتَ ! فَإِنْ كُنْتَ لَا تَعْقِلُ [مَنْ أَنْتَ]^(١) في سِرِّهِ فَاتَّقِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حَمَى اللَّهِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ لَا تَعْقِلُ كَيْفَ تُتَّقِيهَا فَصَيِّرْهَا شَوْكَا ثُمَّ انْظُرْ أَيْنَ تَضَعُ قَدَمَيْكَ مِنْهَا ! .

قال المأمون : لو سُئِلْتُ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا مَا أَحْسَنَتْ أَنْ تَصِفَ نَفْسَهَا صِفَةً أَبِي نُوَّاسٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ :

إِذَا اخْتَبَرَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ * لَهُ عَن عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَبْدِيْقٍ

قال المسيح عليه السلام : أنا الذي كَفَّاتُ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِهَا ، فَلَيْسَتْ لِي زَوْجَةٌ تَمُوتُ وَلَا بَيْتٌ يَخْرَبُ .

قال أبو العتاهية :

يَا مَنْ تَرَفَّعَ لِلدُّنْيَا وَزِينَتِهَا * لَيْسَ التَّرَفُّعُ رَفِيعَ الطَّيْنِ بِالطَّيْنِ
إِذَا أُرِدْتَ شَرِيفَ النَّاسِ كُلِّهِمْ * فَانْظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيٍّ مِسْكِينِ

وقال آخروذكر الدنيا :

إِذَا تَمَّ أَمْرُ دُنَا نَقْصُوه * تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ
وقال آخر :

لَا تَبْسُكِ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا * وَابِكِ لِيَوْمِ تَسْكُنُ الْحَافِرَةَ^(٢)
وَإِيكَ إِذَا صَيَّحَ بِأَهْلِ الثَّرَى * فَاجْتَمَعُوا فِي سَاحَةِ السَّاهِرَةِ^(٣)
وَيْلَكَ يَا دُنْيَا لَقَدْ قَصَّرْتَ * آمَالَ مَنْ يَسْكُنُ الْآخِرَةَ

٢٠ (١) زيادة يتطلبها السياق . (٢) أى الأرض التي تحفر فيها قبورهم ، فساها الحافرة والمراد الحفورة . (٣) الساهرة : الأرض وقيل : وجهها ؛ قال تعالى : (فاذا هم بالساهرة) . وقيل : هى الأرض التي لم توطأ وقيل : هى أرض يجدها الله يوم القيامة . (انظر اللسان مادة سهر) .

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

- (١) قام فقال : إنه لما سهل علينا ما توعدنا على غيرنا من الوصول اليك ، قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي عند انقطاع عذر الكتان ، ولا سيما حين اتسمت بميم التواضع ووعدت الله وحملته كتابه إيثار الحق على ما سواه ، بجمعنا وإيالك مشهد من مشاهد التمهيد لئتم مؤدينا على موعود الأداء وقابلنا على موعود القبول ، أو يزيدنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ، ومجانبة الكذابين ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، وأشد منه عذابا من أقبل اليه العلم وأدبر عنه ، ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها ، فاقبل ما أهدى الله اليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل لا قبول سمعة ورياء ، فإنه لا يعدمك منا إعلام لما تجهل أو مواطأة على ما تعلم أو تذكير من غفلة ، فقد وطن الله عز وجل نبيه عليه السلام على نزولها تعزية عما فات وتمحصينا من التماذي ودلالة على المخرج ، فقال : (زوا ما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله) ، فأطلع الله على قلبك بما ينوره من إيثار الحق ومناجاة الأهواء .
- ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلا إذ سمع قائلا يقول : اللهم إني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؛ فخرج المنصور

(١) انظر بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ ما قاله صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي .

بجلس ناحية من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه، فصلّى الرجل ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة، فقال المنصور: ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البنى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حشوت مسامعى ما أرمضني^(١)؛ قال: يا أمير المؤمنين إن أمتنى على نفسى أنباتك بالأمر من أصولها، وإلا أحتجزت منك وأقتصرت على نفسى فيها لى شاغل^(٢)، فقال: أنت [آمن] على نفسك [فقل]؛ فقال: إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البنى والفساد لأنت؛ قال: ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضتى والحلو والحامض عندى! قال: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك! إن الله تبارك وتعالى استرماك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمرهم واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الحص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجننت نفسك فيها عنهم، وبعثت عمالك فى جباية الأموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع، وأمرت بالآ يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتمهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ألا يجربوا عنك، تجبى الأموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا: هذا قد خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسه! فأتروا بالآ يصل اليك من علم أخبار الناس شىء إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا قصبوه عندك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره،

(١) أرمضنى : أوجعنى وآلمنى . (٢) الزيادة عن المقدم الفريد ج ١ ص ٣٦٤

(٣) كذا بالمقدم الفريد ج ١ ص ٣٦٤ وفى الأصل « وأمرتهم » . (٤) قصبوه : غابوه وشتموه وبالمقدم الفريد « شتموه » .

- فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناس وهابوهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليَقْوُوا بها على ظلم رعيّتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيّتك لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلاّت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فإن جاء متظلم جيل بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك [خبره]^(١) سالوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته اليك ، فإن المتظلم منه له بهم حُرمة ، فأجابهم خوفا منهم ؛ فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه ، فاذا أُجهد وأُخرج وظهّرت ، صرّخ بين يديك ، ففُضِرَبَ ضرباً مبرحاً ، ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فلا تُنكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ! وقد كنت يا أمير المؤمنين [أسافر]^(٢) الى الصين فقدمتها مرة وقد أُصيب ملكها بسمعه ، فبكى يوما بكاء شديدا فحشه جلساؤه على الصبر فقال : أما إني لست أبكي للبلية النازلة بي ، ولكني أبكي لمظلوم بالباب يصرخ ولا أسمعُ صوته ثم قال : أما إذ ذهب سمعي فإن بصرى لم يذهب نادوا في الناس ألا يلبس ثوبا أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر هل يرى مظلوما . فهنا يا أمير المؤمنين مُشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه وأنت مؤمن بالله ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ! فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عبدا في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مأل ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطّف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ، ولست

٢٠ (١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥ (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥

(٣) كذا في العقد الفريد «فحشه» وفي الأصول «فحده» وهو محريف .

بالذي تُعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المال لتشديد
السلطان فقد أراك الله عبراً في بنى أمية: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة
وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلت إنما أجمع
المال لطلب ضاية هي أجنم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا
منزلة لا تُدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين، هل تُعاقب من عصاك
بأشد من القتل قال المنصور: لا، قال: فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك
الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكن بالخلود في العذاب الأليم، قد رأيت
ما قد عُقِدَ عليه قلبك وعميت جوارحك ونظر اليه بصرك واجترحت يداك ومشت إليه
رجالك، هل يفنى عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا إذا انزعته من يدك ودطاك
إلى الحساب، فبكي المنصور وقال: يا ليتني لم أخلق! ويحك! فكيف أحتال لنفسي
قال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاماً يفرعون اليهم في دينهم ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك
يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسدّدوك، قال: قد بعثت اليهم فهربوا مني، قال:
خافوا أن تجلبهم على طريقك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصير المظلوم واقمع
الظالم وخذ الفىء والصدقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا
الضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الأمة، وجاء المؤذنون فسلموا عليه
فصلى وطأ إلى مجلسه وطلب الرجل فلم يوجد.

مقام آخر والمنصور يخطب

خطب المنصور بحمد الله ومضى في كلامه، فلما انتهى إلى أشهد أن لا إله إلا
الله وثب رجل من أقصى المسجد فقال أذكرك من تذكر، فقال المنصور: سمعنا من
فهم عن الله وذكر به وأعوذ بالله أن أكون جبّاراً عصياً وأن تأخذني العزة بالإثم

لقد ضللتُ أذا وما أنا من المهتدين ، وأنت والله أيها القائل ما أردت بها الله ولكن حاولت أن يقال : قام فقال فموقب فصبب وأهون بقائلها أو هممت^(١) ، فاحتلها وبلك إذ عفوت ، وإياكم معشر الناس وأختها ، فإن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا انبثت فرددوا الأمر إلى أهله يُصدروه كما أوردوه ، ثم رجع إلى خطبته فقال : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

قال للمنصور : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك ببعضها ، واذ كر ليلة تمجس عن يوم لاليلة بعده ، فوجم أبو جعفر من قوله ، فقال له الربيع : يا عمرو غميت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا صعبك عشرين سنة لم يرك عليه أن ينصحك يوماً واحداً وما ليل وداً بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال أبو جعفر : فما أصنع ! قد قلت لك : خاتمي في يدك فتعال وأصحابك فاكفني ، قال عمرو : ادعنا بعبدك تبيخ أنفسنا بهونك ، بيا بك ألف مظلمة اردد منها شيئاً نعم أنك صادق .

مقام أعرابي بين يدي سليمان

قام فقال : إني مكلتك يا أمير المؤمنين بكلام فيه بعض الغلظة فأحتمله إن كرهته ، فإن وراؤه ما تحبه إن قبلته ، قال : هيات يا أعرابي ، قال : فإني سأطلق لساني بما نجست عنه الألسن من عظمتك تأدية لحق الله وحق إمامتك ، إنه قد

(١) فاحتلها أي اغتمها ، والاهتبال : الاغتمام وانتهاز الفرصة . (٢) في الأصل

«أغمت» ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا «أغم» متعدياً وإنما يقال : «غمه الأمر» من

اكتنفتك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حربٌ للآخرة سِلمٌ للدنيا ، فلا تأمنهم على ما أئتمنتك الله عليه ، فإنهم لن يألوا الأمانة تضييعاً والأمة عسفاً وخسفاً ، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت ، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أما أنت يا أعرابي^(١) فقد سلّمت لسانك ، وهو أقطع سيفيك ؛ فقال : أجل ، لك لا عليك .

مقام أعرابي بين يدي هشام

قال : أتت على الناس سنون ، أما الأولى فلحيت اللحم^(٢) ، وأما الثانية فأكلت الشحم ، وأما الثالثة فهاضت العظم^(٣) ، وعندكم فضول أموال ، فإن كانت لله فاقسموها بين عباده ، وإن كانت لهم فقيم ثمطر عنهم ! وإن كانت لكم فتصدقوا عليهم بها فإن الله يجزي المتصدقين ؛ فأمر هشام بمال فقسم بين الناس وأمر للأعرابي بمال ؛ فقال : أكل المسلمون له مثل هذا؟ قالوا : لا ولا يقوم بذلك بيت مال المسلمين ؛ قال : فلا حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين .

مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

ذكره عبد الله بن المبارك عن رجل من أهل الشام قال : دخلت عليه فقال : ما الذي بطأ بك عني؟ قلت : يا أمير المؤمنين وما الذي تريد مني؟ فقال : الاقتباس منك ؛ قلت : انظر ما تقول ، فإن مكحولاً حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٣٣٨ وفي الأصل «لقد» .

(٢) من لحوت الشجرة إذا أخذت لحاءها وهو قشرها .

(٣) هاض العظم يبيضه هيضاً فانهاض : كسره بعد الجبور فهو مهيض .

- صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللَّهِ نَصِيحَةٌ فِي دِينِهِ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سَيَقَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنْ قَبِلَهَا مِنْ اللَّهِ بِشُكْرٍ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِيَزِدَادَ إِثْمًا وَلِيَزْدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا ، وَإِنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فَرَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَإِنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ ، وَمَنْ كَرِهَهُ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهَ ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ " ، فَلَا تَجْهَلُنَّ ؛ قَالَ : وَكَيْفَ أَجْهَلُ ؟ قَالَ : تَسْمَعُ وَلَا تَعْمَلُ بِمَا تَسْمَعُ . قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : فَسَلَّ عَلَى الرَّبِيعِ السَّيْفَ .
- وقال : تقول لأمر المؤمنين هذا ! فاتهره المنصورُ وقال : أمسك . ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال : إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذي أصبحت به ، والله سائلك عن صغيرها وكبيرها وفتيلها وتقيرها ، واقعد حدثني عروة بن رُوَيْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا مِنْ رَايِعٍ بَيْتٍ غَاشًا لِرِعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ " ، فَحَقِيقٌ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَكُونَ لِرِعِيَّتِهِ نَاطِرًا ، وَلِيَا اسْتَطَاعَ مِنْ عَوْرَاتِهِمْ سَاتِرًا ، وَبِالْقِسْطِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِمًا . لَا يَتَخَوَّفُ مَحْسَنُهُمْ مِنْهُ رَهَقًا وَلَا مَسِيئَتَهُمْ عَدْوَانًا ؛ فَقَدْ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيدَةٌ يَسْتَأْكَ بِهَا وَيَرْدَعُ عَنْهُ الْمُنَافِقِينَ ؛ فَاتَاهُ جَبْرِيْلُ فَقَالَ : " يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ ! إِقْذِفْهَا لَا تَمَلَأُ قُلُوبَهُمْ رُعبًا " . فَكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَشَقَّقَ أَبْشَارَهُمْ وَأَنْهَبَ أَمْوَالَهُمْ ! يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ بِمُخَدَشِ خَدَشِهِ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ ، فَهَبَطَ جَبْرِيْلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونَ أُمَّتِكَ " . وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَمْلِكُ شَرِبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ وَلَا ثَمْرَةً مِنْ ثَمَرِهَا ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ قُدَّةٌ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا " . إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقَطِعُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا ، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ

(١) قاب القوس : ما بين مقبضها ورسيتها . والقذة (بالضم) : ريش السهم .

(١) ثياب أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لِأَذَاهُمْ فَكَيْفَ مَنْ يَتَّقَمُّصُهُ! ولو أن ذُنُوبًا
من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لِأَجْنَتِهِ فَكَيْفَ مِمَّنْ يَتَجَزَّعُهُ، ولو أن
حَلْقَةً من سلاسل جهنم وُضِعَتْ على جبل لذاب، فَكَيْفَ مَنْ سَلِكَ فِيهَا وَيُرَدُّ (٣)
فصلها على عاتقه! وقد قال عمر بن الخطاب: ^(٢) «لا يقوم أمر الناس إلا حَصِيفُ
العقدة، بعيد الغرّة، لا يَطَّلِعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ، ولا يُحْنِقُ فِي الْحَقِّ عَلَى حِجْرَةٍ،
ولا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لِأَثْمٍ» .

وأعلم أن السلطان أربعة: أمير يظْلِفُ نفسه وعمّاله، فذلك له أجرُ المجاهد
في سبيل الله وصلاته سبعون ألف صلاة ويدُ الله بالرحمة على رأسه تُرْفَفُ؛ وأمير
رتع ورتع عمّاله، فذلك يحمِلُ أنقاله وأنقالاً مع أنقاله؛ وأمير يظْلِفُ نفسه ويرتّع
عمّاله، فذلك الذي باع آخرته بدنيا غيره؛ وأمير يرتّع ويظْلِفُ عمّاله، فذلك شرُّ
الأيكاس .

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد آبتليت بأمرٍ عظيمٍ عُيِرَضَ على السموات والأرض
والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه ^(٦)؛ وقد جاء عن جدك في تفسير قول الله عز
وجل: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: أن الصغيرة التَّبَسُّمُ،
والكبيرة الضحك، وقال: فما ظنكم بالكلام وما عملته الأيدي! فأعيذك بالله أن
يُحْيِلَ اليك أن قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع المخالفة لأمره؛ فقد

(١) الذنوب: الدلو التي دون الملء، تذكر وتؤنث . (٢) آجته: جعله آجنا أي متغير الطعم
واللون ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة متعدية منه، فأثبتناه بالهمزة على القول بأن تعدية الفعل بها
قياسية . (٣) في الأصل: «فيه» . (٤) لا يحنق في الحق على جرة: لا ينطوى على حقد
ودنل . وأصل الإحناق: لحوق البطن بالصلب والتصاقه به . والجزرة (بالكسر): ما يخرج من البعير من جوفه
ويمضغه . فكفى عمر رضى الله عنه بدم الإحناق على الجزرة عن عدم إضمار الحقد والقبض . (٥) يظلف
نفسه: يكفها . (٦) في الأصل «أن يحملنها» ومرجع الضمير هاهنا مذكور .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا ضغينة عمّة محمد ويا فاطمة بنت محمد استوهبا
أنفسكما من الله إلى لا أغنى عنكما من الله شيئا". وكان جدك الأكبر سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم إمامة؛ فقال: "أني عمّ نفس تُحِبُّها خيرُ لك من إمامة
لا تُحِبُّها". نظرًا لعمه وشفقة عليه أن يلى فيجور عن سنته جناح بقوضة،
فلا يستطيع له نفا ولا عنه دفعا. هذه نصيحتي إن قبلتها فلنفسك عملت، وإن
رددتها ففتحتك بنحست، والله الموفق للخير والمعين عليه؛ قال بلى! تقبلها وشكر عليها،
وبالله نستعين.

مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

قال خالد: وفدت عليه فوجدته قد بدأ يشربُ الدهنَ، وذلك في عامٍ باكرٍ
وسميه وتابعَ وليه وأخذت الأرضُ زحرفها، فهي كالزراية المبتوثة والقباطى^(١)
المنشورة، وثارها كالكاפור لو وضعت به بضعة لم ترتب، وقد ضربت له سرادقات^(٢)
حبرٍ بعث بها إليه يوسف بن عمر من اليمن لتسلأ كالعقيان، فأرسل إلى فدخلت^(٤)
عليه، ولم أزل واقفا، ثم نظر إلى كالمستنطق لي؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أتم الله
عليك نعمه ودفع عنك نقمه؛ هذا مقام زين الله به ذكرى وأطاب به نشرى،
اذ أرانى وجه أمير المؤمنين، ولا أرى لمقامى هذا شيئا هو أفضل من أن أنبه^(٣)
أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمد الله على ما أعطاه، ولا شيء أحضر من حديث

(١) الوسمى: مطر الربيع الأول سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات. والولى (وزان غنى):

المطر بعد الوسمى. (٢) الزراية: البسط المتوتة. والقباطى: بضم أزله وتشديد آخره أربفتح

الأول مع مخفيف الآخر): جمع قباية (بضم القاف) وهي ثياب تكان بيض رفاق تعمل في مصر.

(٣) البضعة (بالفتح وتكسر): القطعة من اللحم. (٤) حبر (وزان غنى): جمع حبرة (كحبة)

وهي الخيط من البرود، يقال: برد حبرة على الإضافة والوصفية.

سلف لملك من ملوك العجم إن أذن لي فيه حدثته به ؛ قال : هات ؛ قلتُ : كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِعَ له فَنَاءُ السِّنِّ وَصِحَّةُ الطَّبَاعِ وَسَعَةُ المُلْكِ وَكثْرَةُ المَالِ ، وذلك بالخَوْرَنَقِ ، فأشرف يوماً فنظر ما حوله فقال لمن حضره : هل علمتم أحداً أوتى مثل الذي أوتيتُ ؟ فقال رجل من بقايا حَمَلَةِ المِحْجَةِ : إن أُذِنْتُ لي تكَلَّمْتُ ؛ فقال : قل ، فقال : أرأيتَ ما جُمِعَ لك ، أشيءٌ هُوَ لك لم يزل ولا يزولُ ، أم هو شيءٌ كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك يزولُ عنك ؟ قال : لا ! بل شيءٌ كان لمن قبلي فزال عنه وصار إليّ وكذلك يزولُ عني ؛ قال : فسُيرتَ بشيءٍ تذهب لذته وتبقى تَبِعَتُهُ ، تكون فيه قليلاً وتزهدن به طويلاً ؛ فبكى وقال : أين المهربُ ؟ قال : إلى أحد أمرين : إما أن تُقيمَ في مُلْكِكَ فتعملَ فيه بطاعة ربِّكَ ، وإما أن تُلقِيَ عليك أُمساحاً^(١) ثم تلحق بجبل تعبد فيه ربَّكَ حتى يأتى عليك أجلك ؛ قال : فما لي إذا أنا فعلت ذلك ؟ قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحَّة لا تسقم وملك جديد لا يبلى ؛ فأتى جبلاً فكان فيه حتى مات . وأنشده قول عدى بن زيد :

وتفكر ربَّ الخورنق إذ أصد * سبح يوماً وللهدى تفكيرُ
سره حاله وكثرة ما يمد * ملكٌ والبحرُ معرضاً والسديرُ^(٢)
فارعوى قلبه فقال وما غيب * طئة حتى إلى الممات يصيرُ

فبكى هشام وقام ودخل ؛ فقال لي حاجبه : لقد كسبت نفسك شراً ، دعاك أمير المؤمنين لتحدثته وتلهيه وقد عرفتَ علته فما زدتَ على أن نعتَ إليه نفسه . فأقمتُ أياماً أتوقعُ الشرَّ ، ثم أتانى حاجبه فقال : قد أمر لك بجائزة وأرسل لك في الانصراف .

٢٠ (١) الأسحاح : جمع مسح (بالكسر) وهو الكساء من شعر كشوب الرهبان (٢) معرضاً : من أمرض الشيء إذا ظهر وبرز .

مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز
قال : إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق ، فمنها تخرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم ،
وكم من قوم قد غرهم مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا
من الدنيا مُرَمِلِينَ لم يأخذوا لِمَا أَحَبُّوا من الآخرة عُدَّةً ولا لِمَا كَرَهُوا جُنَّةً ،
واقسم ما جمعوا من لم يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم . فانظر الذي تُحِبُّ أن
يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فقدمه بين يديك حتى تخرج اليه ؛ وانظر الذي تَكْرَهُ أن
يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فابتغ به البدل حيث يجوز البدل ؛ ولا تذهب إلى سِلْعَةٍ
قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك . يا أمير المؤمنين ، اِفْتَحِ الأبوابَ ، وَسَهِّلِ
المجَابَ ، وانصُرِ المظلومَ .

١٠ مقام الحسن عند عمر بن هبيرة

كتب ابن هبيرة الى الحسن وابن سيرين والشعبي فقدم بهم عليه ، فقال
لهم : إن أمير المؤمنين يكتب إلي في الأمر ، إن فعلته خفت على ديني ، وإن لم أفعله
خفت على نفسي ؛ فقال له ابن سيرين والشعبي قولاً رقيقاً فيه ، وقال له الحسن :
يا بن هبيرة ، إن الله يمنك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنك من الله . يا بن هبيرة ، خف
الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله . يا بن هبيرة ، إنه يُوشِكُ أن يبعث الله اليك ملكاً
فيتزلك عن سيرك الى سعة قصرك ، ثم يخرجك عن سعة قصرك الى ضيق قبرك ،
ثم لا يُنجيك إلا عملك . يا بن هبيرة إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؛ فأمر له
بأربعة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبي بالفين ؛ فقالا : رققنا فرقق لنا .

باب من المواعظ

كلام للحسن

قال في كلام له : أنتم أنحر الأمم وأنتم أنحر أممكم ، وقد أهرع بختياركم فماذا
تنتظرون ! المعاناة ؟ فكان قد . هيات هيات ! ذهبت الدنيا بحال بما لها ،
وبقيت الأعمال أطواقا في أعناق بني آدم ؛ فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب
حياة ! إنه والله لا أمة بعد أممكم ، ولا نبي بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ؛
أتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ؛ وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آحركم .
من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا رأحا لم يضع لينة على لينة ولا قصبه
على قصبه ، زفيع له علم فشمم إليه ؛ فالوحا الوحا ، والنجاء النجاء . علام تعرجون ؟
أسرع بختياركم وأنتم كل يوم تزدلون . لقد صحبت أوقاما كانت صحبتهم قرة العين
وجلاء الصدر ، وكانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم من سيئاتكم أن
تعدبوا عليها ، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهدهم منكم فيما حرم الله عليكم .
إني أسمع حسيسا ، ولا أرى أنيسا ؛ ذهب الناس ، وبقيت في النسناس ؛ لو تكاشفت
ما تدافتم ؛ تهاديتم الأطباق ولم تهادوا النصائح . يابن آدم . إن دين الله ليس بالتحلى
ولا بالثني ، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال .

كلام لبعض الزهاد

لا تغترن بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تَعْمَلَنَّ نعمة الله في معصيته ؛
فإن أقل ما يجب لمهديها ألا تجعلها ذريعة إلى مخالفته . واستدع شارد النعم

(١) كذا بالأصل . (٢) تزدلون : تصيرون أزدالا ، والأردال : جمع رذل وهو الدون

- بالتوبة ، واستدیم الراهن منها بكرم الخوازم ، واستفتح باب المزيدي بحسن التوكل ،
 أو ما علمت أن المستشعر لذل الخطيئة المخرج نفسه من كلف الطاعة نظف الشاء^(١) ،
 زمر المروءة ، قضى المجلس ، لا يشاور وهو ذو برآء^(٢) ، ولا يصدّر وهو بهيل الرواء ،
 غامض الشخص ضئيل الصوت تزر الكلام يتوقع الإسكات عند كل كلمة ، وهو
 يرى فضل مزيته وصریح لبه وحسن تفضيله : ولكن قطعه سوء ما جنى على
 نفسه ، ولو لم تطليح عليه عيون الخليفة لهجست العقول بإدهانه . وكيف يمتنع من^(٤)
 سقوط القدر وظن المتفترس من عرى من حلية التقوى وسلب طبائع الهدى !
 ولو لم يتفش ثوب سريره وقبيح ما أجن من مخالفة ربه لقطعه العلم بقبيح ما قارف
 عن اقتدار ذوى الطهارة فى الكلام وإدلال أهل البراءة فى الندى .

كلام لغيلان

- إن التراجى فى المواعظ يوشك أن يذهب يومها ويأتى يوم الصاخة ، كل الخلق
 يومئذ مصيخ يستمع ما يقال له ويقضى عليه ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع
 إلا همساً . فاصمت اليوم عما يصميتك يومئذ ، وتعلم ذلك حتى تعلمه ، وابتغى حتى
 تجده ، وبادر قبل أن تفجأك دعوة الموت ، فإنها عنيفة إلا بمن رحم الله ، ليقحمك
 فى دار تسمع فيها الأصوات بالحسرة والويل والثبور ، ثم لا يقالون ولا يستعجبون .
 انى رأيت قلوب العباد فى الدنيا تخشع لأيسر من هذا وتقسو عند هذا ، فانظر الى
 نفسك أعبد الله أنت أم عدوه ، فيأرب متعبده بنسانه ، معاد له بفعله ذلول فى الاننياقى
 الى عذاب السعير فى أنية أضغات أحلام يعبرها بالأمانى والظنون . فاعرف نفسك

(١) كذا فى الأصل ، وفى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٩ « كنف العصمة » . (٢) نظف الشاء :

قليله . وزمر المروءة : قليها . (٣) البزلاء : الراى الجيد . (٤) أى باللين له والمصانعة .

(٥) كذا فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٠ ، وفى الأصل « المتغربين » .

وَسَلَّ عَنْهَا الْكِتَابَ الْمُنِيرَ، سُؤَالَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ ، وَعِلْمَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ ،
فَإِنَّ الرَّبَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَعْنِدُ بِالْتَعْذِيرِ وَالتَّغْيِيرِ ، وَلَكِنْ يَعْنِدُ بِالْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ . اِكْتَسَبَ
نَصِيحَتِي ؛ فَإِنَّهَا كُسُوفَةٌ تَقْوِي وَدَلِيلٌ عَلَى مَفَاتِحِ الْخَيْرِ ، وَلَا تَكُنْ كَعُلَمَاءِ زَمَنِ الْمُهْرَجِ
إِنْ وَعِظُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَإِنْ وَعَّظُوا عَنُقُومًا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

كتاب رجل الى بعض الزهاد

كتب اليه : إِنَّ لِي نَفْسًا تُحِبُّ الدَّعَاةَ ، وَقَلْبًا يَأْلَفُ اللَّذَاتِ ، وَهَمَّةً تَسْتَثْقِلُ
الطَّاعَةَ ؛ وَقَدْ وَهَمْتُ نَفْسِي الْآفَاتِ ، وَحَدَّرْتُ قَلْبِي الْمَوْتَ ، وَزَجَرْتُ هِمَّتِي عَنِ
التَّقْصِيرِ ؛ فَلَمْ أَرْضَ مَا رَجَعَ إِلَيَّ مِنْهُنَّ ، فَأَهْدِي لِي — رَحِمَكَ اللَّهُ — مَا أَسْتَعِينُ بِهِ
عَلَى مَا شَكُوتُ إِلَيْكَ ؛ فَقَدْ خَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ الْإِسْتِعْدَادِ .

فكتب اليه : كَثُرَ تَعَجُّبِي مِنْ قَلْبٍ يَأْلَفُ الذَّنْبَ ، وَنَفْسٍ تَطْمَئِنُّ إِلَى
الْبَقَاءِ ، وَالسَّاعَاتُ تَتَقَلَّبُ وَالْأَيَّامُ تَطْوِي أَعْمَارَنَا ؛ فَكَيْفَ يَأْلَفُ قَلْبٌ مَا لَا ثَبَاتَ لَهُ ،
وَكَيْفَ تَنَامُ عَيْنٌ لَا تَدْرِي لَعْلَهَا لَا تَطْرِفُ بَعْدَ رَقْدَتِهَا إِلَّا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ! وَالسَّلَامُ .

وكتب رجل من العباد الى صديق له :

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الْيَقِينِ مُتَفَقِّينَ ، وَفِي الْعَمَلِ مُتَفَاوِتِينَ ، وَرَأَيْتُ الْحَمَّةَ
وَاجِبَةً ، فَلَمْ أَرِ فِي يَقِينٍ قَصَّرَ بِصَاحِبِهِ عَنِ عَمَلٍ حَمَّةً ، وَلَا فِي عَمَلٍ كَانَ بَغِيرَ يَقِينٍ
مَنْفَعَةً ؛ وَرَأَيْتُ مِنْ تَقْصِيرِ أَنْفُسِنَا فِي السَّعْيِ لِمَرْجُوِّ مَا وَعَدَتْ وَالْمُحْرَبِ مِنْ مَخُوفِ
مَا حُدِّرَتْ ، حَتَّى أَسْلَمَهَا ذَلِكَ إِلَى أَنْ ضَعُفَتْ مِنْهَا النِّيَّةُ وَقَلَّ التَّحْفُظُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا
السَّقَطُ وَالْإِغْفَالُ^(١) وَاشْتَعَلَتْ مِنْهَا الشَّهْوَةُ ، وَدَعَاهَا ذَلِكَ إِلَى التَّمَرُّغِ فِي فَضَائِحِ

(١) السقط : انطأ من القول والفعل .

- اللذات، وهي تعلم أن عاقبتنا الندم، وثمرتها العقوبة، ومصيرها إلى النار إن لم يعف الله— عجتُ لعملِ امرئٍ كيف لا يشبهُ يقينه ، ولعلمِ موقنٍ كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ، حتى لا تكون الرغبة منه إلا إليه والرغبة منه إلا له . وزادني عجباً أنني رأيت طالب الدنيا أجدُّ من طالب الآخرة ، وخائفها أتعب من خائف الآخرة، وهو يعلم يقينا أنه ربُّ مطلوبٍ في الدنيا قد صار حين نيلٍ حتفاً لطالبه، وأنه ربُّ مخوفٍ فيها قد لحقَ كرهاً بالهارب منه فصار حظاً له ، وأن المطلوب إليه من أهلها ضعيفٌ عن نفسه محتاجٌ إلى ربه مملوكٌ عليه ماله مخزونةٌ عنه قدرته . واعلم أن جماع ما يسعى له الطالبُ ويهربُ منه الهاربُ أمران : أحدهما أجله ، والآخر رزقه ، وكلاهما بعينه شاهدٌ على أنه لا يملكه إلا الذي خلقه . فلم أدر حين صار هذا اليقينُ في موضع الإيمان يقينا لا شك فيه ، كيف صار في موضع العمل شبيهاً بالشك الذي لا يقين فيه ! وكيف ، حين اختلف في أمر الآخرة، لم يُختلف في أمر الدنيا ، فيكون خائفُ الآخرة لربه تخائف الدنيا لسلطانها صبراً له على تجشم المكروه، وتجزعاً منه لفصيص الغيظ، واحتمالاً منه لفادح النصب، وعملاً له بالسخره، وتحفظاً من أن يُضمِرَ له على غشٍ أو يهيمَ له بخلافٍ ؛ ولو فعل ذلك ما علمه منه حتى يظهرَ له بقوي أو فعيل ؛ ولو علمه ما قدر له على قطع أجل لم يفن و رزق لم ينفد ؛ فإن ابتلي بالسخط من سلطانه فكيف حزنه ووحشته، وإن أنس منه رضا عنه فكيف سروره واختياله ! فإن قارف ذنباً إليه فكيف تضعضعه واستخذاؤه، فإن ندبه لأمر فكيف خفته ونشاطه ! وإن نهاه عنه فكيف حنَّره وأتاعظه ! وهو يعلم أن خالقه ورازقه يعلم سره وجهره، ويراه في متقلبه ومشواه، ويعاينه في فضائحه وعورته، فلم يزعه عنها حياءً منه ولا تقيةً له ، قد أمره فلم يأتمر، وزجره فلم يزدجر،

(١) استخلاله : خضوعه .

وَحَدَوَهُ فَلَمْ يَحْدَرْ، وَوَعْدَهُ فَلَمْ يَرْغَبْ، وَأَعْظَاهُ فَلَمْ يَشْكُرْ، وَسَتْرَهُ فَلَمْ يَزِدْهُ بِالنِّسْرِ إِلَّا تَعَرَّضًا لِلضَّالِحِ، وَكَفَاهُ فَلَمْ يَقْنَعْ بِالْكَفَايَةِ، وَهَمَّنَ لَهُ فِي رِزَالِهِ مَا هُوَ فِي طَلَبِهِ مُشِيحٌ^(١)، وَيَقْظُهُ مِنْ أَجَلِهِ لِمَا هُوَ غَنَى لَاهٍ، وَفَرَقَهُ مِنَ الْعَمَلِ لِمَا هُوَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ مَشْغُولٌ؛ فَسَبْحَانَ مَنْ وَسِعَ ذَلِكَ خَائِنَةً وَتَعَمُّدَهُ مِنْ عِبَادِهِ عَفْوَةٌ؛ وَلَوْ شَاءَ مَا فَعَلُوهُ؛ وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ .

فأجابه : إني رأيت الله تبارك وتعالى جعلَ اليقينَ بأعظيمِ المواضعِ في أمرِ الدنيا والدينِ ، فهو غايةُ علمِ العالمِ وبصيرِ البصيرِ ونهيمِ السامعِ ، ليس كسائرِ الأشياءِ التي تدخلها الشبهاتُ ويَجْرَحُهَا الإغفالُ ويشوبها الوهنُ ؛ وذلك أن الله تعالى جعل مفرسَه القلبَ ؛ وأغصانه العملَ ، وثمرته الثوابَ . وإنما جعلَ القلبَ لليقينِ مفرسًا ، لأنه جعل الخمسَ الجوالبَ لعلمِ الأشياءِ كلها الى القلبِ : السمعَ والبصرَ والمجسَّةَ والمدآقةَ والاسترواحَ . فاذا صارت الأشياءُ كلها الى القلبِ : السمعَ والبصرَ والمجسَّةَ والمدآقةَ والاسترواحَ . فاذا صارت الأشياءُ اليه ميِّزَ بينها العقلُ ، ثم صارت باجمعا الى اليقينِ ، فكان هو المثبتَ لها والموجهَ كلِّ واحدةٍ منهن جهتها . ولولا معرفة القلبِ بالعقلِ الذي جعله الله لذلك ، لم يفرقَ سمعٌ بين صوتين مختلفين ، ولا بصرٌ بين صورتين متقاربتين ، ولا مجسَّةٌ بين شبيئين غير متشابهين . ولليقين بعد ذلك منزلة يُعرفُ بها حالُ الضائرِ والنافعِ في العاقبة عند الله تعالى . فلما صار اليقينُ في التشبيهِ كالشجرةِ النابتةِ في القلبِ ، أغصانُها العملُ وثمرتها الثوابُ ، أخبر ذلك أنه قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتاً بلا عمل ؛ وأنه كما لا تكون الأغصان نابتةً بلا أصل ، فكذلك لا يكون العمل نافعاً إلا بيقين ؛ وكما أنه لا تُخْلِفُ الثمرةُ في الطيبِ والكثرةِ اذا كان الأصل نابتاً والأغصانُ ملتفةً ،

٢٠ (١) المشيخ : الجاد في الأمر .

- فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحسن عمله . وقد تعرض للأعمال عوارض من العيال : منهم الأمل المشبب ، والنهس الأتارة بالسوء ، والهمى المزين للباطل ؛ والشيطان الجارى من ابن آدم مجرى الدم ، يضررن بالعمل والثواب ؛ ولا يبلغ ضررهن اليقين ، فيكون ذلك كبعض ما يعرض للشجرة من عوارض الآفات فتدوى أغصانها وتثورقها وتبغ ثمرتها والأصل ثابت ؛ فاذا تجلت الآفة عادت الى حال صلاحها . فاذا يعجبك من عمل امرئ لا يشبه يقينه وأن يقينه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ؟ وإنما العجب من خلاف ذلك ! ولعمري لو أشبهه عمل امرئ يقينه فيكون في خوفه ورجائه كالمجان لمبا يعاينه بقلبه من الوقوف بين يدي الله والنظر الى ما وعد وأوعد ؛ لكان ما يعتلج على قلبه من خطرات الخوف شائلا له عن الرجاء ، حتى يأتي على نفسه أول لحظة ينظر بها الى النار خوفا لها أو الى الجنة أسفا عليها انا جرماها ، وإذا لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمجان له يوم القيامة ؛ وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقل فضلا عن أن يعمل ! وأما قولك : « كيف لم يكن خائف الآخرة لربه تخائف الدنيا لسلطانه » ، فإن الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولا ، فهو لضعفه موكل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره ؛ وهو بعجلته موكل بحب الأجل فالأجل مما يشتهى ؛ وزاده حرصا على الخالص من المكروه وطلباً للمحبوب حاجته الى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذي لولا ما طبع عليه القلب من حبه وسهّل على المخلوقين من طلبه ، لما انتفع بالدنيا مُتفِع ولا عاش فيها عائش . ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحبتها عند ابن آدم على وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليتُ به لذني سلف مني ؛ وأما المحبوب فيقول فيه : عسى أن أكون رزقته بحسنة كانت مني فهو ثواب

(١) في الأصل " يضررن " .

مُجَلَّ، وهو مع هذا يعلم أن حلوم المخلوقين الى الضيق، وأن قلوب أكثر مسلطينهم الى القسوة، وأن العيب عنهم مستور، فليس يلتمس متمسهم إلا علم الظاهر ولا يضع إلا به، ولا يلتفت من أمرئ الى صلاح سريره دون صلاح علانيته. ومن طباع الإنسان اللؤم، فليس يرضى اذا خيف إلا بان يُبدل، ولا اذا رُجى إلا بان يُتعب، ولا اذا غضب إلا بان يُخضع له، ولا اذا أمر إلا بان يُنفذ أمره، ولا ينتفع المتشفع^(٢) بإحسانه عنده اذا أساء ولا المطيع بكثرة طاعته في المعصية الواحدة اذا عصى، ولا يرى الثواب لازما له ولا العقاب محجورا^(٣) عليه، فإن عاقب لم يستبق، وإن غضب لم يتثبت، وإن أساء لم يعتذر، وإن أذنب اليه مذنب لم يغفر، واللطيف الخبير يعلم السريرة فيغفر بها العلانية، ويمحو بالحسنة عشرة من السيئات، ويصفح بتوبة الساعة عن ذنوب مائة عام، إن دعي أجاب، وإن استغفر غفر، وإن أطيع شكر، وإن عصى عفا، ومن وراء عبده بعد هذا كله ثلاث : رحمته التي وسعت كل شيء، وشهادة الحق التي لا يزكو إلا بها عمل، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهذا كله مثبت لليقين باسط للأمل مثبت عن العمل إلا من شاء الله وقليل ما هم . فلا تحمل نطف عملك على صحة يقينك فتوهن إيمانك، ولا ترخص لنفسك في مقارفة الذنوب، فيكون يقينك خصما لك وحجة عليك؛ وكذب أملك وجه شهوتك، فانهما داء الخوفان على دينك المعتونان^(٤) على هلكك . وأسأل الله الغنيمة لنا ولك .

موعظة مستعملة

وكيع عن مسعر عن زيد العمى^(٤) عن عون بن عبد الله قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات : من مل لآخرته كفاه الله أمر دنياه،
 (١) كذا بالأصل . (٢) بالأصل « المتضع » . (٣) المعتونان : المتعاونان .
 (٤) سمى زيد هذا العمى لأنه كان كلما سئل عن شيء قال « حتى أسأل عمي » وقيل : هو منسوب الى بنى العم بطن من تميم (انظر تهذيب التهذيب في اسم زيد بن الحواري) .

ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريره أصلح الله له علانيته .

موعظة لعمر بن عتبة

العتبي عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال :

- ٥ كان أبونا لا يرفع الموعظة عن أسماعنا ، فأراد مرةً سفرًا فقال : يَا بَنِي تَأَلَّفُوا النعم بحسن مجاورتها ، والتبسوا المزيد فيها بالشكر عليها ، واعلموا أن النفوس أقبلُ شيءٍ لما أُعطيَتْ وأعطى شيءٍ لما سُئِلَتْ ، فاحملوها على مطيةٍ لا تُبْطِئُ إذا رَكِبَتْ ، ولا تُسْبِقُ وإن تُقَدِّمَتْ ، عليها نجا من هرب من النار ، وأدرِك من سابق إلى الجنة ؛ فقال الأعاغرُ : يَا أَبانا ماهذه المطيةُ؟ قال : التوبة .

صفات الزهاد

١٠

حدثني عبد الرحمن العبدى عن يحيى بن سعد السعدى قال :

- سأل الحواريون عيسى عليه السلام فقالوا : يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ؟ قال : هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُمَيِّتَهُمْ وتركوا منها ما علموا أن سَيَرُكُهُمْ ، فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً ، فما عارضهم من نائلها رفضوه وما عارضهم من ربيعها بغير الحق وضعوه ، فهم أعداء ما سالم الناس وسلم ما عادوا ، خلقت الدنيا عندهم فليس يعمرونها ، وماتت في قلوبهم فليس يُجَبِّونَهَا ، يهدون بها وينون بها آخرتهم ، ويبيعونها ويشترون بها ما يبقى لهم ؛ ونظروا إلى أهلها

(١) خلقت (بفتح اللام وضمة) : بلت . (٢) كذا بالأصل غير مستند لضير الجملة ،

وروجه أن اسم ليس ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها .

٢٠

صَرَخِي قَدْ خَلَبَتْ مِنْهُمْ الْمَثَلَاتُ فَأَحْيُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ وَأَمَاتُوا ذِكْرَ الْحَيَاةِ ، بِهِمْ نَطَقَ
الْكِتَابُ وَبِهِ نَطَقُوا ، وَبِهِمْ عَلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عَمِلُوا ، لَا يَرُونَ نَائِلًا مَعَ مَا نَالُوا ،
وَلَا أَمْنَا دُونَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ .

• حَدَّثَنِي أَيْضًا عَنِ أَنَسِ بْنِ مَصْلُوحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْمَصْبُوعِيِّ :

٥ ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضي ، فاذا فيهم شاب ذابل
ناجل ، فيقال له عمر : يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أمراض
وأسقام ، فقال عمر : لتصدقنني ؛ قل : يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها
مرة فصغر في عيني زهرتها وحلاوتها ؛ واستوى عندي حجرها وزهرها ، وكأنني أنظر
إلى عرش ربي بارزا ، وإلى الناس يساقون إلى الجنة وإلى النار ، فأظلمات لذلك
نهارى وأسهرت له ليلي ، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وجنب عقابه .
١٠ بلغني عن إسحاق بن سليمان عن أخيه عن الفياض عن زبيد الياصمي عن معاذ
ابن جبل :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ
الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يُخْرِجُونَ
مِنْ كُلِّ غِيَاءٍ مُظْلِمَةً» .
١٥

وعن وكيع عن عمرو بن منيه عن أوفى بن دهم قال :

قال علي عليه السلام : تعلموا العلم تعرفوا به وأعملوا به تكونوا من أهله ، فإنه
يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه الحق تسعة أعشرا^(٢)تهم لا ينجو فيه إلا كل نومة ؛ يعني

(١) نسبة إلى يام بطن من همدان ، انظر تهذيب التهذيب في اسم زبيد بن الحارث ؛ وفي الأصل

« النامي » وهو تحريف . (٢) جمع عشير كالعشيرة من عشرة .

(١) الميِّت الذِّكْر، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعُجَلِ المذاييع البَدْرِ . وقال
 على عليه السلام أيضا: إن الدنيا قد ارتحلت مُدِيرَةٌ وإن الآخرة قد ارتحلت مُقْبِلَةٌ،
 ولكل واحدة منهما بُنُونٌ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .
 ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيباً .
 ٥ ألا من اشتاق إلى الجنة سَلَاً عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجَّع عن الحرمات،
 ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات . ألا إن الله عبادا كن رأى أهل الجنة
 في الجنة مخلدين وأهل النار في النار مُعَذِّبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة،
 وأنفسهم عفيفة، وحواسنهم خفيفة، صبروا أياماً قليلة لعقبي راحة طويلة، أما بالليل
 فصافو أقدامهم، تجرى دموعهم على خدودهم، يحارون إلى الله: ربنا ربنا
 ١٠ يطلبون فكألك رِقَابهم؛ وأما بالنهار فغمام علماء بررة أتقياء كأنهم القِدَاحُ ينظر إليهم
 الناظر فيقول: مَرَضِي، وما بالقوم من مَرِيضٍ، ويقول: خُولَطُوا، ولقد خالط
 القوم أمرٌ عظيم .

حدثنا إسحاق المعروف بابن راهويه أن عون بن عبد الله بن عتبة كان يقول:
 يا بُنِي كن ممن نأى به عمن نأى عنه يقيناً ونزاهةً، ودنوه ممن دنا منه ليناً ورحمةً،
 ١٥ ليس نأيه تكبراً ولا عظمة، ولدنوه يُخْذِعُ ولا خِلاَبَةٌ، يَقتَدِي بمن قبله، وهو
 إمامٌ من بعده، لا يعجل فيمن رابه ويعفو إذا تبين له، ينقص في الذي له
 ويزيد في الذي عليه، لا يعزب حِلْمُهُ ولا يحضر جهله، الخير منه مأمول والشر

(١) في الأصل: « الميت الداب » وما أثبتناه يدل عليه قول أبي عبيدة في تفسير النومة من هذا
 الأثر: الخامل الذكر الغامض في الناس (اللسان مادة نوم) . (٢) جمع مذايغ وهو الذي لا يكتم
 السر . (٣) جمع بدور وهو من يذر السر أي يفشي بين الناس . (٤) كذا بالأصل
 ٢٠ والسياق يقتضي أن يكون « ودنا به من » . (٥) رابه: شككه وأوجب عنده الرية .

منه مأمونٌ ، إن رُجِيَ خاف ما يقولونَ واستغفروا لما لا يعلمون ، إن عصته نفسه
 فيما كرهت لم يطعمها فيما أحبت ، يصمتُ ليسلمَ ويخولونهم وينطقُ ليفهمَ ويخالطُ
 ليُعلم . ولا تكن يا بُنيَّ ممن يُعجَبُ باليقين من نفسه فيما ذهبَ وينسى اليقين فيما
 رجا وطلبَ ، يقول فيما ذهب : لو قدر شيء كان ، ويقول فيما بقي : ابتغ أيها
 الإنسان ؛ تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن ، طال عليه الأمل ففتر ،
 وطال عليه الأمد فاغتر؛ وأعذر^(١) إليه فيما عمر وليس فيما عمر بمعذر^(٢) ، عمر فيما يتذكر فيه
 من تذكر ، فهو من الذنب والنعمة مؤقر ، إن أُعطي لم يشكر ، وإن مُنع لم يعذر ،
 يُحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويُبغضُ المسيئين وهو أحدهم ، يرجو الأجر
 في البغض على ظنه ولا يخشى اليقين من نفسه ، يخشى الخلق في ربه ولا يخشى
 الرب في خلقه ، يعوذ بالله ممن هو فوقه ، ولا يريد أن يُعبد الله منه من هو تحته ،
 يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسر من عمله ، يُبصر العورة من غيره
 ويُفعلها من نفسه ، إن صلى اعترض ، وإن ركع رُبض ، وإن سجد نقر ، وإن جلس
 شعر ، وإن سأل ألحف ، وإن سُئل سَوَّف ، وإن حَدَّثَ أخلف ، وإن وَعِظَ كَلَح ،
 وإن مُدِحَ فَرِحَ ، يُحسدُ أن يُفضَّلَ ، ويَزهدُ أن يُفضَّلَ ، إن أبيضَ في الخير برِمَ^(٣)
 وَضَعَفَ واستسلم وقال : الصمتُ حُكْمٌ ، وهذا ما ليس لي به علم ، وإن أبيضَ
 في الشر قال : يحسبُ بي عيٌّ ، فتكلم يجمع بين الأراوى والنعام وبين الخال والعَم
 ولأَمَّ ما لا يتلاءم ؛ يتعلم للرياء ، ويتفقه للرياء ، ويبادر ما يفنى ، ويواكل ما يبقى .

(١) أي أعذر الله إليه ، يقال : أعذر الله إلى من بلغ الستين من العمر ، أي لم يبق فيه موضعاً للاعتذار

حيث أمهله طول هذه المدة . (٢) بنات له عذر ، يقال : ما أعذر فلان أي لم يثبت له عذر .

(٣) اعترض : تكلف ، يقال : اعترض فلان الشيء أي تكلفه . (٤) الإخلاف في المستقبل

كالكذب في الماضي ، وهو أن يقول شيئاً ولا يفعله . (٥) كَلَح : كشر في عبوس .

(٦) سَمٌ وضجر . (٧) حُكْمٌ : حكمة . (٨) جمع أروية تقع على الذكر والأنثى من الوعول .

حدثني محمد بن داود عن أبي شريح الخوارزمي قال : سمعت أبا الزبيع الأعرج

عمرو بن سليمان يقول :

قال الحسن بن علي : ألا أخيركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني ،
وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه
فلا يتشهى ما لا يحل ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد
يداً إلا على نقية لمنفعة ، كان لا يتشكى ولا يتبرم ، كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا
قال بئ القائلين ، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الحد فهو الليث عادياً ، كان إذا
جامع العلماء على أن يسمع أحرض منه على أن يقول ، كان إذا غلب على الكلام
لم يغلب على السكوت ، كان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول ، كان إذا عرض
له أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحق نظر أقربهما من هواه فخالفه ، كان لا يلوم
أحدًا على ما قد يقع العذر في مثله . زادني غيره : كان لا يقول حتى يرى قاضياً عدلاً
وشهوداً عدولاً .^(١)

وفي كلام علي رضي الله عنه لكئيل حين ذكر حجج الله في الأرض فقال : هم
بهم العلم على حقائق الأمور ، فباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعر المترفون ،
وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل
الاعلى ؛ هاه شوقاً إلى رؤيتهم .^(٢)

قال رجل ليونس بن عبيد : تعلم أحدًا يعمل بعمل الحسن ؟ قال : والله
ما أعرف أحدًا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله ! قيل : فيصفه لنا ؛ قال : كان

(١) في الادب الكبير ص ١٣٠ طبع مصر سنة ١٣٣١ : « كان لا يدخل في دعوى ، ولا يشترك
في شراء ، ولا يدل بحجة ، حتى يرى قاضياً الخ » . (٢) في نهج البلاغة ص ١٠٨ ج ٢ طبع
بيروت سنة ١٨٨٥ « آه » وكلتا الكلمتين معناها التوجع .

إذا أقبل فكأنه أقبل من دَفْنِ حَيْمِهِ ، وإذا جلس فكأنه أُسِيرَ أُمِيرٌ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ،
وإذا ذُكِرَتِ النَّارُ فكأنها لم تُخْلَقْ إِلَّا لَهُ .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
معمّر عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال : ما مثُلُ قُزَاءِ هَذَا الزَّمانِ إِلَّا كمثلِ غنمٍ
ضوائنَ ذاتِ صُوفٍ عجايفٍ أَكَلتْ من الحَمْضِ ^(١) وشربت من الماءِ حتى انتفخت
خواصرها ، فمزت برجلٍ فأعجبته ، فقام إليها فعبط منها شاةً فاذا هي لا تنق ^(٢) ، ثم عبط
أخرى فاذا هي كذلك ، فقال : أف لك ، سائر اليوم .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار
عن الحسن قال : إذا شئت لقيته أبيضاً ^(٤) بضاً ^(٥) حديد النظر ميث القلب والعمل ، أنت
أبصر به من نفسه ؛ ترى أبدأناً ولا قلوب ، وتسمع الصوت ولا أَسْ ، أخصبُ
السنة وأجدبُ قلوب .

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن وكيع قال :

قال سُفيان : الزهدُ في الدنيا قصرُ الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لبس الغليظ .
قال : وقال يوسف بن أسباط : لو أن رجلاً في ترك الدنيا مثل أبي ذر وأبي الدرداء
وسلمان ، ما قلنا له : إنك زاهد ، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المحض ، والحلالُ
المحض لا يعرفه اليوم ، وإنما الدنيا حلالٌ وحرامٌ وشبهات ؛ فالحلالُ حسابٌ ، والحرامُ

(١) الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٢) عبط الشاة : ذبحها صحيحة من غير علة بها . (٣) لا تنق : ليس لها نقي لضعفها وهزالها .

والنقى : المنق . (٤) كذا في الأصل ، ولم يتقدم ما يصلح أن يكون مرجعاً للضمير في قوله « لقيته » .

(٥) وفي النهاية لابن الأثير ولسان العرب في مادة « بضع » : وفي حديث الحسن « تلقى أحدهم أبيض بضا » .

(٥) من البضاضة وهي رقة اللون وصفائه .

عذابٌ، والشبهات عتابٌ، فأنزِلِ الدنيا منزلةَ الميتةِ خُذْ منها ما يُقيمك، فإن كان ذلك حلالاً كنت زاهداً فيها، وإن كان حراماً لم تكن أخذتَ منها إلا ما يُقيمك كما يأخذ المضطرُّ من الميتة، وإن كان عتابٌ كان العتابُ يسيراً. ومثله قولُ بعضهم :
ليس الزهد بترك كلِّ الدنيا، ولكن الزهد التهاونُ بها وأخذُ البلاغِ منها. قال الله تعالى
﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾، فأخبر أنهم زهدوا فيه
وقد أخذوا له ثمناً .

قال أبو سليمان الداراني : الرضا عن الله والرحمةُ للخلق درجةُ المرسلين ،
وما تعرف الملائكةُ المقربون حدَّ الرضا . وقال : أرجو أن أكون قد نلتُ من
الرضا طرفاً، لو أنه تبارك وتعالى أدخلني النار كنتُ بذلك راضياً . قال : وليس
الحمد له أن تحمده بلسانك وقلبك مُقتصرٌ على المصيبة، ولكن هو أن تحمده بلسانك
وقلبك مسلمٌ راضٍ .

وقال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان : بلغني في قول الله تعالى :
﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أنه الذي يلقي ربه وليس فيه أحدٌ غيره ؛ فبكي
وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنة أحسنَ من هذا . وقال : كلُّ قلب فيه شركٌ
فهو ساقط . قال : وما في الأرض أحدٌ أجده له محبةً ولكن رحمة . وقال : ينبغي
للخوف أن يكون أغلبَ على الرجاء ، فإذا غلبَ الرجاءُ على الخوفِ فسَدَ القلبُ .
وقال القُضَيْلُ بن عياض : أصلُ الزهد الرضا عن الله .

الحسين بن علي عن عبد الملك بن أبيجر : أن رجلاً يكنى أبا سعيد كان يقول :
والله ما رأيتُ قراءَ زمانٍ قطُّ أغلظَ رقاباً ولا أدقَّ ثياباً ولا آكلَ لُحْخ العيش منكم .

أبو أسامة عن حماد بن زيد عن اسحاق بن سويد قال :

قال مطرف: أنظروا قوما اذا ذُكروا ذُكروا بالقراءة فلا تكونوا منهم، وقوماً اذا ذُكروا ذُكروا بالفُجور فلا تكونوا منهم، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء .
أوصى ابن مُحَيْرِيز رجلاً فقال : إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف وتَسأل ولا تُسأل وتمشي ولا يُمشي اليك، فافعل .
قال أيوب : ما أحب الله عبداً الا أحبَّ ألا يُشعربه .

إسحاق بن سليمان عن جرير بن عثمان قال : جاء شريح بن عبيد الى أبي عائذ الأزدي فقال : يا أبا عبد الله ، لو أحييت سنة قد تركها الناس : إرخاء طرف العيامة من الجانب الأيسر! قال : يا بن أخي، ما كان أحسنها! تركها الناس فتركها ، ما أحب أن أُعرف في خير ولا شر .

كلام من كلام الزهاد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا عبد الله ابن عبد العزيز قال :

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل : يا فلانُ ، هل أنت على حال أنت فيها مستعد للوت ؟ قال : لا ؛ قال : فهل أنت مجمع على التحول الى حال ترضى بها ؟ قال : ما شخّصت نفسي لذلك ؛ قال : فهل بعد الموت دار فيها مستعجب ؟ قال : لا ؛ قال : فهل تأمن الموت أن يأتيك ؟ قال : لا ؛ قال فهل رضى بمثل هذا الحال عاقل ! .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثني غير واحد عن معاوية ابن قرة قال :

٢٠ (١) مجمع : لازم . (٢) المستعجب : الطلب الى المسمى . أن يرجع عن إساءته .

قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ : أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه ، وضاحكٌ ملء فيه ولا يدري أراض الله عنه أم ساخطٌ عليه . وأبكاني فراق الأحبة : محمٍ وجزبه ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السرائر ، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار .

٥ . كان عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول : تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من القصار^(١) . قال : وقال الفضيل : أصل الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يزويها عنه ويمرمرها^(٢) عليه بالعري مرة وبالجوع مرة وبالحاجة مرة ، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها : تسقيه مرة صبراً ومرة حُضضاً^(٣) ، وإنما تريد بذلك ما هو خير له .

١٠ . وقال السري : ليس من أعلام الحب أن تُحب ما يُبغضه حبيبك ، أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء : أما زهدك في الدنيا فتعجبك الراحة لنفسك ، وأما انقطاعك إلى فتعززك بي ، ولكن هل عادت لي عدواً أو واليت لي ولياً .

قال مالك بن دينار : بلغنا أن حبراً من أحبار بني إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء ، فغمز بعض بنيه النساء ، فرآهم فقال : مهلاً يا بني مهلاً ! قال : فسقط عن سريره فانقطع نخاعه^(٤) وأسقطت امرأته وقُتِل بنوه في الجيوش . وقيل له : ما يكون من جنسك حبراً أبداً ، ما كان غضبك لي إلا أن قلت يا بني مهلاً يا بني مهلاً .

(١) القصار : المحر للثياب ، سمي بذلك لأنه يدها بالقصرة التي هي قطعة من الخشب .

(٢) يمرمرها : يجهزها ويعديها . (٣) عصارة شجر مر . (٤) الحضض

(بضم أوله مع ضم ثانيه أو فتحه) : دواء يعقد من أبوال الإبل ، ويقال على صمغ من نحو الصنوبر والمتر

٢٠ له مرة كالفلفل . (٥) النخاع : الحيط الأبيض في جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتشعب منه

شعب في الجسم .

ضمرة بن ربيعة قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إرض بالله صاحباً ودع الناس جانبا .

كان بشر بن الحارث يقول: أربعة رفعهم الله بغير كبير عمل في الظاهر إلا يطيب المطعم: إبراهيم بن أدهم وسالم الخواص ووهيب المكي ويوسف ابن أسباط .

وحدثني أبو حاتم أو غيره عن العتيبي قال: سمعت ابن عيينة يقول: أربع ليس عليك في واحدة منهن حساب: سد الجوع، وبرد العطشة، وستر العورة، والأستكنان؛ ثم تلا: (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظأ فيها ولا تضحى) .

بلغني عن يعلى عن سفيان: قال علي عليه السلام لرجل: كيف أتم؟ قال: نرجو ونخاف؛ قال: من رجا شيئا طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه، ما أدري ما خوف رجل عرضت له شهوة فلم يدعها لما يخاف! وما أدري ما رجاء رجل نزل به بلاء فلم يصبر عليه لما يرجو .

بلغني عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول قال: إن كان الفضل في الجماعة فإن السلامة في العزلة . وبلغ الفضيل هذا فقال: سمع كلاماً أحسن منه! قال ابن المبارك: ركبت مع محمد بن النضر الحارثي السفينة فقلت: بأي شيء أستخرج منه الكلام؟ فقلت: ما تقول في الصوم في السفر؟ فقال: إنما هي المبادرة؛ بخاءني والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشعبي .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال: قيل لأبي حازم: ما مالك؟ فقال: الثقة بما في يد الله واليأس مما في أيدي الناس . وقال أبو حازم: إنه ليس شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلكم، فأثر نفسك أيها المرء بالنصيحة علي .

ولذلك ، واعلم أنك إنما تخلف مالك في يد أحد رجلين : عامل فيه بمعصية الله فتشقى بما جمعت له ، وعامل فيه بطاعة الله فتسعد بما شقيت له ؛ فارح لمن قدمت منهم رحمة الله ، وثق لمن خلفت منهم برزق الله .

وقال أبو حازم : إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففي أدناها ما يكفيك ، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يُغنيك .

ونظر أبو حازم إلى الفاكهة في السوق فقال : موعذك الجنة . ومر بالخزارين فقال له رجل منهم : يا أبا حازم ، هذا سمين فاشتر منه ؛ قال : ليس عندي ثمنه ؛ قال أنا أنظرك ؛ ففكر ساعة ثم قال : أنا أنظر نفسي .

قال سفيان : حلف أبو حازم بلجسائه : إني لأرضى أن يتقى أحدكم على دينه كما يتقى على نعله .

حدثني محمد بن زياد الزبدي قال حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس» .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو ربيعة فهد بن عون عن حماد بن سلمة عن يعقوب قال : سمعت الحسن يقول : ابن آدم ، إنما أنت عدد ، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضك .

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي عن الحسن بن ذكوان رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أوصاني ربي بتسع خصال وإني موصيكم بها :

(١) كذا بالأصل . ولم نجد فيما بين أيدينا من المصادر أن «يتقى» يتعدى بحرف «عل» فله محرف

عن «يتقى» والإبقاء على الشيء : الإبقاء والمحافظة عليه .

بالإخلاص في السرِّ والعَلَانِيَةِ، والعدْل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى،
وأن أَعْفُوَ عَمَّن ظَلَمَنِي، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي وَأَعْطَى مَنْ حَرَمَنِي، وأن يكون صَمْتِي
تَفَكُّراً، وَمَنْطِقِي ذِكْراً، وَنَظْرِي عِبْرَةً.

مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن حميد قال : كان ابن عمر يقول : البرُّ
شئ هين : وجه طليق وكلام لين .

جعفر بن سليمان قال : سمعت مالكا يقول : اتقوا السحارة، فإنها تسحر
قلوب العلماء . قال : وسمعته يقول : وِدِدْتُ أَنْ رَزَقَ فِي حَصَاةِ أَمْصَاهَا حَتَّى
أَمُوتَ، وَلَقَدْ أَخْتَلَفْتُ إِلَى الْخَلَاءِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي .

بشر بن مصلح عن أبي سعيد المصيصي عن أسد بن موسى قال : في الجوع
ثلاثٌ خلال : حياة القلب، ومَدَلَّةُ النَّفْسِ، وَيُورِثُ الْعَقْلَ الدَّقِيقَ السَّمَاوِيَّ .

سالم بن سالم البسلي عن السري بن يحيى قال : كان الحسن إذا عاد مريضاً
لم ينتفع به يوماً وليلة، وإذا شيع جنازة لم ينتفع به أهله وولده وإخوانه ثلاثاً .

خَلْفُ بْنُ تَمِيمٍ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ، أَحَبُّ أَنْ تَقْبَلَ
مِنِي هَذِهِ الْجُبَّةُ كَسُوءَةٍ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ كُنْتَ غَنِيًّا قَبْلَتْهَا مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ فَقِيرًا
لَمْ أَقْبَلْهَا؛ قَالَ : فَإِنِّي غَنِيٌّ؛ قَالَ : كَمْ عِنْدَكَ؟ قَالَ : أَلْفَانُ؛ قَالَ : فَيَسْرُكُ أَنْ
تَكُونَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ؟ قَالَ : نَعَمْ؛ قَالَ : أَنْتَ فَقِيرٌ، لَا أَقْبَلُهَا .

قال عبيد الله بن عمر : دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفضيل نعوذ به فقال :
زَوْجَكَ وَخَوْلِكَ وَصَرَفَ وَجْهَهُ النَّاسَ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَشْغَلُكَ عَنْهُ مَنْ أَنْتَ وَمَا أَنْتَ !
ثم شهِقَ شَهْقَةً، وَأَضْجَعَهُ رَجُلٌ كَانَ عِنْدَهُ وَغَطَّى عَلَيْهِ ثَوْبًا وَهُوَ لَا يَعْقِلُ، وَنَزَلْنَا .

بكار بن عبد الله عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال :

قال أبو حازم : السَّرُّ أَمْلِكُ بِالْعَلَانِيَةِ مِنَ الْعَلَانِيَةِ بِالسَّرِّ، وَالْفِعْلُ أَمْلِكُ بِالْقَوْلِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ ، فَإِذَا كُنْتَ فِي زَمَانٍ يُرْضَى فِيهِ مِنَ الْفِعْلِ بِالْقَوْلِ وَمِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ ، فَانْتَ فِي شَرِّ زَمَانٍ وَشَرِّ أَنْاسٍ .

ابن أبي الحواريّ قال : ذكرت لأبي سليمان أمرأتى والشغل بها ، فقال :
 ٥ إن علم الله من قلبك أنك تريد الفراغ له فوُضِعَ^(١) ، وإن كنت إنما تريد الراحة منها لتستبدل بها ، فهذه حماقة . قال : ورأيتُه حين أراد الإحرام فلم يُلبَّ حتى سرنا ملياً وأخذه كالغشي وجعل رأسه عند ركبته فجعل يحمله يخف ويحلى يثقل حتى سرنا هويّاً^(٢) ، ثم أفاق فقال : يا أحمد ، بلغني أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى مر ظلمة بنى إسرائيل أن يقولوا من ذكرى ، فإنى أذكر من ذكرى منهم بلعنة حتى يسكت » . ويحك يا أحمد بلغني أنه من حج من غير حله ثم لبي ، قال له تبارك وتعالى : لا ليك ولا سعديك حتى ترد ما في يدك ؛ فما يؤمننا أن يقال لنا ذلك . قال وقال أبو سليمان : يحيئك وأنت في شيء من الخير فيشير لك إلى شيء من الخير دونه ليربح عليك شعيرة ؛ يعنى إبليس .

قال المسيح لأصحابه : بحق أقول لكم ، إن من طلب الفردوس فخير الشعير له والنوم في المزابل مع الكلاب كثير .

مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبي هند عن مكحول قال :
 ١٥ كما أجنة في بطون أمهاتنا فسقط من سقط وكما فيمن بقي ، ثم كما مراضع^(٣) فهلك منا

(١) وردت هذه الكلمة مرسومة في الأصل هكذا : « وانما كنت » . ومن المحتمل أن يكون

صوابها « إما كنت » : على أنها « إن » الشرطية مدغمه في « ما » الزائدة ، فكتبها النسخ « إنما »

(٢) هويّاً : ساعة من الليل . (٣) جمع مريض (بفتح الضاد) أى رضيع .

من هلك وبقى من بقي، وكنا أيفاعاً، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شبانا، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخاً لا أبالك فما تنتظر وما نريد! وهل بقيت حالةً ننتقل إليها .

قال وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغم، فيأتيه الله برزقه من قبل سرته، وغداؤه في بطن أمه من دم حيضها، فمن ثم لا تحيض الحامل، فإذا سقط استهل استهلالاً إنكاراً لمكانه، وقطعت سرته وحول الله رزقه إلى ثدي أمه ثم حوله إلى الشيء يصنع له ويتناوله بكفه، حتى إذا اشتد وعقل قال : أين لي بالرزق! يا ويحك! أنت في بطن أمك وفي حجرها تُرزق حتى إذا عقلت وشببت قلت : هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق! ثم قرأ (يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) .

عبد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النضر الحارثي إذا لم يكن في صلاة استقبل القبلة، ففعدنا إليه بعد العصر فقال : بلغني أنه من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ألف مرة في دُبْر صلاة العصر، رُفِعَ له عمل نبي، ثم قال : قد أكثر الكلام .

وقال سعيد بن عمر الكندي دخل رجلٌ على داود وهو يأكل خبزاً يابساً قد بله في الماء بملح جريش، فقال له : كيف تشتهي هذا! قال : أدعه حتى أشتيه . ونحو هذا قول هشام بن عبد الملك لسالم : ما أدمك؟ قال : الزيت؛ قال : أما تأججه؟ قال : إذا أجمته تركته حتى أشتيه . قال : وكان ماء داود في دُبْرٍ مقير في الصيف

(١) في الأصل : «مله» . (٢) جريش : لم يطيب . (٣) الأدم (بالضم) : ما يؤكل

به الخبز أي شيء كان . (٤) تأججه : تكرهه وتمله . (٥) مقير : مطلى بالقار وهو شيء أسود

٢٠ تطل به السفن، وقيل هو الزفت .

والشتاء، فقال له بعض أصحابه : لو بردت الماء ! فقال داود : اذا أصبت في مثل هذا اليوم ماءً بارداً فمحي ثيبي الموت ! .

سعيد بن عمرو عن رجل قال : قال محمد بن واسع : لو كان للذنوب ريحٌ ما جلس إلى منكم اثنان . وقال محمد بن واسع : لا يطيبُ المالُ إلا من أربع : سهم في فداء المسلمين ، أو عطية عن ظهريد ، أو إرثٌ بكتاب الله ، أو تجارة من حلال ؛ ولا يُقتل مسلم إلا بهذه الخصال : كفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل فيقتل ، أو حارب الله ورسوله وقطع الطريق .

قال سليمان بن المغيرة سمعت ثابتاً يقول : والله لحمل الكارات أهون من العبادة . قال : ولا يُسمى الرجلُ عبداً وإن كانت فيه خصلةٌ من كل خير حتى يكون فيه الصومُ والصلاةُ ، فإنهما من لحمه ودمه .

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حيان قال : كان عيسى بن عقيبة يسجد حتى إن العصافير ليقعن على ظهره وينزلن ، ما يحسبته إلا حرم حائط .

حدثني محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال : شكأ أهل مكة إلى الفضيل القحط ، فقال : أمدبراً غير الله تريدون ! . قال : وسمعتة يقول : استخبروا الله ولا تتخبروا عليه ، فكم من عبد تخير لنفسه أمراً كان هلاكه فيه ! أما رأيتموه سأل ربه طرسوس فأعطياها فأيسر نصار نصراً^(١) .

وحدثني أيضاً عن سعيد بن نصير قال قال وكيع : أبو يونس ، ومن أبو يونس ! بكي حتى عمي ، وطاف حتى أقعد ، وصلّى حتى حدب .

(١) طرسوس بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وكان الزداد والصالخون يقصدونه لأنه من نور المسلمين . استنول عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ وتصرّفه بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام ، وأقام مقر يسير على الجزية (انظر معجم البلدان في اسم طرسوس) .

حدثني محمد بن عبيد قال محمد بن عبد الله الأنصاري عن بهز بن حكيم قال :
صلى بنا زرارَةُ بن أوفى الغدَاة ، فقرأ الإمامُ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ
صَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ، فخر مغشياً عليه ، حملناه ميتاً .

ابن أبي الخوارى قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : الصلاةُ تبلِّغُك
نصفَ الطريق ، والصومُ يبلِّغُك بابَ الملك ، والصدقةُ تُدخلك عليه .

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوبَ فقال : رحمه الله — ثلاثاً — لقد قَدِمَ المدينةَ مرَّةً
وأنا بها ، فقلت : لأقعدتُ له ، لعلى أتعلق عليه بسقطة ، فقام من القبر مقاماً ما ذكرته
قط إلا أقشعرت جلودى .

روى ابنُ عيَّاش عن سعيد بن أبي عمرو بن عروة قال : حجَّ الحجاج فنزل بعضَ المياه
ودعا بالغدَاة ، فقال لحاجبه : انظر من يتعدى معى وأسأله عن بعض الأُمُر ؛
فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابيٍّ بين شِملتين من شعَرِ نائمٍ ، فضربه برجله وقال :
أنت الأميرَ فأتاه ؛ فقال له الحجاج : اغسلْ يديك وتعدَّ معى ؛ قال : إنه دعانى من
هو خيرُ منك فأجبتُه ؛ [فقال له الحجاج : من الذى دعاك ؟] . قال : الله تعالى دعانى
الى الصومِ فصُمتُ ؛ قال : فى هذا اليومِ الحازِ ! قال : نعم صُمتُ ليومٍ أحرَّ منه ؛
قال : فأفطرُ وتصومُ غداً ؛ قال : إن ضمنتُ لى البقاء الى غدٍ ؛ قال : ليس ذلك
إلى ؛ قال : فكيف تسألنى عاجلاً بأجل لا تقدرُ عليه ! قال : إنه طعامٌ طيبٌ ؛
قال : إنك لم تُطِيبه ولا الخباز ، ولكن طيبته العافية .

ونحو هذا حدث الأعمى عن شبيب بن شيبه قال : تكأ فى طريق مكة بجاء
أعرابيٍّ فى يومٍ صائفٍ شديدٍ الحرِّ ومعه جاريةٌ سوداءٌ وصحيفةٌ ، فقال : أفبكم

كاتب؟ قلنا: نعم؛ وحضر غداؤنا فقلنا: لو دخلت وأصبحت من الطعام! قال: إني صائم؛ قلنا: في الحر وشدة وجفاء البادية! فقال: إن الدنيا كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها، ولا أحب أن أعين أيامي، ثم نبذ إلينا الصحيفة؛ وقال: أكتب ولا تزيدت على ما أقول حرفا: هذا ما أعتق عبد الله بن عقيل الكلابي، أعتق جارية له سوداء يقال لها لؤلؤة، ابتغاه وجه الله تعالى وجواز العقبة، وإنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاء، المنة لله عليها وعليه واحدة، قال الأصمعي: فخذت بها الرشيد، فأمر أن يعتق عنه ألف نسمة أو مائة نسمة، ويكتب لهم هذا الكتاب.

قال خالد بن صفوان: يئ أتمنى ليلتي كلها، فكبست البحر الأخضر بالذهب الأحمر، فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطمران!

رأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له، فقال: هذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا! فقال: رحمك الله، ما فقدنا إلا الفضول.

سمعت بعض العباد يقول: علامة التوبة الخروج من الجهل، والندم على الذنب، والتجافي عن الشهوة، واعتقاد مقيت نفسك المسولة، وإخراج المظلمة، وإصلاح الكسرة، وترك الكذب، وقطع الغيبة، والانتها عن خدن السوء.

لقي زاهدا زاهدا فقال له: يا أخي، إني لأحبك في الله؛ قال الآخر: لو علمت مني ما أعلم من نفسي لأبغضتني في الله؛ قال له الأول: لو علمت منك ما تعلم من نفسك، لكان لي فيما أعلم من نفسي شغل عن بغضك.

(١) في الأصل: «المسولة».

كان الثوري مستخفياً بالبصرة، فورد عليه كتاب من أهله، وفيه: "قد بلغ بنا الجهد إلى أن نأخذ النوى فنرضه ثم نخلطه مع التبن فناكله"؛ فترك ذلك من قلبه، ورعى بالكتاب إلى أخ له؛ فقرأه فدمعت عينه، ثم قال: يا أبا عبد الله، لو أنك حدثت الناس اتسعت واتسع هؤلاء! فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: إسمع حديثاً أحدثك به ثم لا أكلمك بعده سنة: ربي نور في الجنة تجتد، فقيل: ما هذا النور؟ فقيل: حوراء ضحك في وجه زوجها فبدت ثناياها؛ فترى لي أن أغررتك وأصير إلى ما تقول!

أراد قوم سفرًا فغادوا عن الطريق وانتهوا إلى راهبٍ منفردٍ في ناحية، فنادوه فأشرف عليهم، فقالوا: إنا قد ضلنا فكيف الطريق؟ قال لهم: ها هنا، وأوما إلى السماء، فعلموا الذي أراد، فقالوا: إنا سائلوك، أفتجيبنا أنت؟ قال: سلوا ولا تكثروا، فإن النهار لن يرجع والعمر لن يعود والطالب حثيث في طلبه ذو اجتهاد؛ قالوا: ما الخلق عليه غذا عند مليكهم؟ فقال: على نياتهم؛ فقالوا: فالأم المول؟ قال: إلى المقدم؛ قالوا: أوصنا؛ قال: تزودوا على قدر سفركم، فإن خير الزاد ما بلغ المحل؛ ثم أرشدهم إلى المحجة وانقمع^(١).

وقال آخر: قلت لراهب: عطني عظةً نافعة؛ فقال: جميعُ المواعظ متظمةٌ في حرف واحد؛ قلت: ما هو؟ قال: مُجِيعٌ على طاعته، فإذا أنت قد حويتِ المواعظ والأذكار.

الأصمعي: قيل لأعرابيٍّ معه ماشيةٌ: لمن هذه الماشية؟ قال: لله عندي.

كان ابن السماك يقول في كلامه: لقد أهملكم حتى كأنه أهملكم، أما تستحيون

من الله من طول ما لا تستحيون!

(١) اقمع المره: جلس وحده.

قال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العمل ، فإن قصر بكم ضعف فكفوا
عن المعاصي .

كان مالك بن دينار يقول في قصصه : ما أشد فطام الكبير ! وينشد :
وتروض عرسك بعد ما هيرمت * ومن العناء رياضة الهرم

كان أعرابي يسرق الإبل يُسمى يزيد ، ثم تاب وقال :
ألا قل لرعيان الخائض^(١) أهملوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد
وإن امرأً ينجو من النار بعد ما * تزود من أعمالها لسعيد
وقال نصيب الأسيدي :

كفى نطقاً بالمسء^(٢) يا أم صالح * ركوب المعاصي عامداً واحتقارها

كان خالد بن معدان يقول :
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً * ندمت على التفريط في زمن البذر
قال منصور بن عمار : ما أرى إساءة تكبر عن عفو الله فلا تأيس ، وربما
أخذ الله على الصغير فلا تأمن .

وروى وكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن عتيبة بن سمعان عن مسيكة عن
عائشة رضي الله عنها أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة فيها خبز شعير
وقطعة من الكرش ، فقالت : يا رسول الله ، ذبحنا اليوم شاةً فما أمسكنا منها إلا هذا ؛
قال : « بل كلها أمسكتم إلا هذا » .

(١) في اللسان (مادة بعر) : « لرعيان الأباعر » .

(٢) النطف (بالتحريك) : العيب .

استقبل عامر بن عبد قيس رجلاً في يوم حلبة ، فقال : من سبق يا شيخ ؟
 فقال : المقربون . وأتى به عثمان وأُعيد في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً يبطا
 في عباءة ، فأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابي أين ربك؟ قال : بالمرصاد .

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : ما بالنا نكره الموت؟ قال : لأنكم عمّرتم
 الدنيا وأحربتم الآخرة ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران الى الخراب .

قال الحسن : نِعِمَّ اللهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكِرَ إِلَّا مَا أَعْطَا عَلَيْهِ ، وَذُنُوبُ ابْنِ آدَمَ
 أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُسَلَّمَ مِنْهَا إِلَّا مَا عَفَا اللهُ عَنْهُ .

وقال الحسن : تنفق دينك في شهوتك سرفاً ، وتمنع في حق الله درهما ، ستعلم
 بالضعف .

خرج المسيح من بيت مؤسنة ، فقيل له : ياروح الله ، ما تصنع عند هذه ؟
 فقال : إنما يأتي الطبيب الى المريض . ومتر بقوم شتموه فقال خيراً ، ومتر بآخرين
 شتموه فقال خيراً ؛ فقال رجل من الحواريين : كلما زادوك شراً زدت خيراً ، كأنك
 تُغريهم بنفسك ! فقال : كل إنسان يعطى مما عنده .

أخبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للذنين ؛ فقال سليمان : فلين
 رحمة الله؟ قال : قريب من المحسنين .

قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عِظْنِي ؛ فقال : لا أرضى نفسي لك ،
 إني لأصلي بين الغني والفقير ، فأميل على الفقير وأوسع للغني .

نظرت امرأة الى أخرى وحوطاً عشرة من ولدها كأنهم الصقور ، فقالت :
 لقد ولدت أمم حزناً طويلاً .

(١) كذا بالأصل . وفي البيان والتبيين (ج ٣ ص ٧٤ طبعة القاهرة ١٣٣٢ هـ) : « أعرابيا
 أشغى في بيت » .

أَحْتَضِرُ قَتِي كَانَ فِيهِ زَهُوٌ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِذَا أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا يَبْكِيَاكِ ؟
قَالَا : الْخَوْفُ عَلَيْكَ لِإِسْرَافِكَ عَلَى نَفْسِكَ ؛ فَقَالَ : لَا تَبْكِيَا ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْرُنِي أَنْ الَّذِي
بِيَدِ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ بِأَيْدِيَاكِ .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا بن آدم لا تحمِلْ همَّ يومك الذي
لم يَأْتِ على يومك الذي أنت فيه ، فإنَّ يَكُ من أجلك يَأْتِ فيه رِزْقُكَ ، وآهلم أنك
لا تَكْسِبُ من المال شيئاً فوق قُوَّتِكَ إلا كنت فيه خازناً لغيرك . قال النابغة
في نحوه :

ولستُ بجائِسٍ لِعَيْدِ طَعَامًا * حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَيْدِ طَعَامٍ

تذاكر حذيفة وسلمان أمر الدنيا ، فقال سلمان : ومن أعجب ما تذاكرنا
صعود غنيمات الغامدي سرير كسرى ، وكان أعرابي من غامد يرعى شويبات له ،
فاذا كان الليل صيرها إلى عرصة إيوان كسرى ، وفي العرصة سرير رُخايم كان يجلس
عليه كسرى ، فتصعد غنيمات الغامدي إلى ذلك السرير .

دخل أبو حازم المسجد فوسوس إليه الشيطان : إنك قد أحدثت بعد وضوئك ،
فقال : وقد بلغ هذا من نصحك ! .

قال الزبير : يكفيننا من خضمكم القضم ، ومن نصمكم العنق . قال رجل لأُم الدرداء :
إنى لأجد في قلبي داءً لا أجد له دواءً ، أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً ؛ قالت :
اطلع في القبور وأشهد الموتى .

(١) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والعنق (بالتحريك) :

سير مسبطز فسيح واسع الإبل . والنص : استقصاء ما عند الدابة من السير . يريد أن يقول : يكفيننا
منكم القليل بدل الكثير .

قيل للربيع بن خيتم : لو أرحت نفسك ! قال : راحتها أريد .

قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتاباً أنه معذبٌ رجلاً واحداً لحفتُ أن أكونه ، أو أنه راحمٌ رجلاً واحداً لرجوتُ أن أكونه ، أو أنه معذبٌ لا محالة ما زددتُ إلا اجتهاداً لئلا أرجع على نفسي بلائمة .

أثنى قومٌ على عوف بن أبي جميلة ، فقال لهم : دعونا من الثناء ، وأميدونا بالدعاء .

قيل لبعض العباد : من شر الناس؟ قال : من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً .

قال المسور بن مخرمة : لقد وارت الأرض أقواماً لوراوني معكم لاستحييتُ منهم .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : عجبتُ لمن يهلك والنجاة معه ؛ قيل : وما هي ؟ قال : الاستغفار .

كان فتىٌ يجالسُ سُفيانَ الثوريَ ولا يتكلم ، وكان سُفيانُ يحب أن يتكلم ليسمع كلامه ، فمز به يوماً فقال له : يا فتى ، إن من كان قبلنا مرواً على خيلٍ وبقينا على حميرٍ ديرةً ؛ فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إن كنا على الطريق فما أسرع لحقوقنا بالقوم !

قال الحسن : إن خفق النعال خلف الرجال قل ما تلبث الحق . وذِكرُ عنده الذين يلبسون الصوف ، فقال : ما لهم تفاقدوا ! — ثلاثاً — أكنوا الكبر في قلوبهم وأظهروا التواضع في لباسهم ، والله لأحدهم أشدُّ عُجباً بكسائه من صاحب المطرف ؛ طرفه . ودخل عليه رجلٌ فوجد عنده ريحَ قدرٍ طيبةً ، فقال : يا أبا سعيد ، إن قدرك لطيبة ؛ قال : نعم لا رغيفي مالك وصحناء فرقد .

٢٠ (١) تفاقدوا : دُعا عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً . (٢) كذا بالأصل والمعنى غير واضح .

طَلِبَ أَبُو قَلَابَةَ لِلْقَضَاءِ فَأَحَقَّ بِالشَّامِ هَرَبًا، فَأَقَامَ حِينًا ثُمَّ قَسِمَ البَصْرَةَ؛ قَالَ
أَيُّوبُ فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ أَنَّكَ وَكَيْتَ القَضَاءِ وَعَدَّاتَ بَيْنَ النَّاسِ رَجَوْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ
أَجْرًا؛ قَالَ لِي : يَا أَيُّوبُ، إِذَا وَقَعَ السَّابِحُ فِي البَحْرِ فَكَمْ عَسَى أَنْ يَسْبَحَ !^(١)

قَالَتْ امْرَأَةٌ أَبِي حَازِمٍ يَوْمَئِذٍ : يَا أَبَا حَازِمٍ، هَذَا الشِّتَاءُ قَدْ هَجَمَ وَلَا يَبْدُ لَنَا مِمَّا
يُصَلِحُنَا فِيهِ، فَذَكَرَتِ الثِّيَابَ وَالطَّعَامَ وَالحَطَبَ؛ فَقَالَ : مِنْ هَذَا كُلِّهِ بَدٌّ، وَلَكِنْ
خُذِي مَا لَا يَبْدُ مِنْهُ : المَوْتَ ثُمَّ البَعْثَ ثُمَّ الوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ الجَنَّةَ أَوِ النَّارَ.

قال أبو العتاهية :

أَطِيعِ اللَّهَ بِجُهْدِكَ * عَامِدًا أَوْ دُونَ جِهْدِكَ

أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَط * لَبِ مِّنْ طَاعَةِ عَبِيدِكَ

وقال أيضا :

أَرَى أَنَا سَاءَ بِأَدْنَى الدِّينِ قَدِ قَنِعُوا * وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي العَيْشِ بِالدُّونِ

فَاسْتَفِنِ بِالدِّينِ عَنِ دُنْيَا المَلُوكِ كَمَا اس * تَتَفَنَّى المَلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

وقال محمد بن حازم :

مَا الفَقْرُ عَارٌ وَلَا الغِنَى شَرَفٌ * وَلَا سَخَاءٌ فِي طَاعَةِ سَرَفٍ

مَا لَكَ إِلَّا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ * وَكُلَّ شَيْءٍ أَنْتَ تَتَلَفُ

تَرْتَكُ مَا لَمْ يَلِ لَوَارِثُ يَتَهُ سُدَّ مَا هُ * وَتَصَلِّي بِحَمْرِهِ أَسْفُ

وقال أبو العتاهية :

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ العِزُّ وَالكَرَمُ * وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالنَّدَمُ

وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٌّ تَقِيصَةً * إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَالَكَ أَوْحَجُّ

(١) في الأصل « كم » من غير فاء .

قال علي بن الحسين: الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين .
 قيل لابن سيرين: ما أشد الورع! قال: ما أيسره! اذا شككت في شيء فدعه .
 قال رجل لحذيفة: أخشى أن أكون منافقا؛ فقال: لو كنت منافقا لم تخش .
 وقال محمود الوراق :

يا ناظراً يرنو بعيني راقداً * ومُشاهداً للأمر غير مشاهد
 تصل الذنوب إلى الذنوب وترتبي * درك الحناني بها وفوز العابد
 ونسيت أنت الله أخرج آدمًا * منها إلى الدنيا بذنب واحد
 وقال وضاح اليمن :

مالك وضاح دائم الغزل * ألت تخشى تصارب الأجل
 يا موت ما إن تزال معترضاً * لآمل دون منتهى الأمل^(١)
 تنال كفاك كل مسهلة * وحوت بحير ومعقل الوعيل
 صل لدى العرش واتخذ قدماً * تُنجيك بعد العثار والزليل

قيل ليوسف عليه السلام : مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال :
 أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .
 وقال أمية بن أبي الصلت :

ها طريقان فائز دخل الـ * بجنة حفت به حدائقها
 وفرقة في الجحيم مع فرق الشيطان يشقى بها مرافقها
 تعرف هذا القلوب حقاً اذا * همت بخير فما غوائقها
 وصلتها للشقاء عن طلب الـ * جنة دنيا والله ما حقها

٢٠ (١) لم يوجد في الأصل من هذا الشطر الا كلمة « الأمل » وقد أثبتناه عن الأغانى في ترجمة
 رضاح اليمن .

عبد دعا نفسه فعاتبها * يعلم أن البصير رامقها
 اقترب الوعد والقلوب إلى الله وحب الحياة سائقها
 ما رغبة النفس في البقاء وأن * تحيا قليلاً والموت لاحقها
 أمامها قائد إليه ويح * لدها حينئذ إليه سائقها
 قد أيقنت أنها تصير كما * كان يراها بالأُمس خالقها
 وأنت ما جمعت وأعجبها * من عيشة مرة مفارقها
 من لم يمت عبطة^(١) يمت هرماً * للوت كأس والمرء ذائقها

قال بعض الزهاد: إن صفاء الزهد في الدنيا وكآله ألا تأخذ من الدنيا شيئاً ولا
 تتركه إلا لله، فإذا كنت كذلك كان أخذك تركاً ومعاملتك لله فيها رجماً، وإت صفاء
 الرغبة في الدنيا وكآله ألا تأخذ منها شيئاً ولا تتركه إلا لها، فإذا كنت كذلك كان
 تركك أخذاً وفوت ما فات عليك منها حسرة.

حبس بعض الملوك رجلاً ثم غفل عنه إلى أن مضى عليه زمان، فقال للوكل
 به: قل له: إن كل يوم يمضي من نعيمك يمضي من بؤسى، والأمر قريب،
 والحكم الله عز وجل. والسلام.

(١) يقال: مات عبطة إذا مات ثاباً صحيحاً.

جاء في آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه :

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله ،
ويتلوه في الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله رب العالمين ، وصلاةً وسلاماً
على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى ابراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسة .

يوجد في النسخة الفتوغرافية عقب هذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع
شعرية ونثرية في نحو ست صفحات منقول جلها عن العقد ، وليست من تأليف
ابن قتيبة .

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

‘UYŪN AL-AḤBĀR

BY

IBN QUTAYBA

Abū Muhammad ‘Abdullāh b. Muslim al-Dinawarī

(d. 276 H.)

Vol. II

[2nd EDITION]

NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1996